الجُمْهُورِيَّة الجزائرِيَّة الدِّيمُقراطِيَّة الشَّعْبِيَّة



رئَاسَةُ الجمهُورِيَّةِ
المجلس الأعلى للغة العربية



ملامح وحدة المجتمع الجزائريّ

من خلال الواقعِ اللّغويّ الأنوماستكيّ الطوپونيميّ في مجتمع المعرفة

أعمال ملتقى

منشورات المجلس 2018

الجُمْهُورِيَّة الجَزَائرِيَّة الدِّيمُقْرَاطِيَّة الشَّعْبِيَّة
رئَاسَة الجُمهُوريَّة
المَجلس الأعلى للغة العربيّة





ملامح وحدة المجتمع الجزائريّ

من خلال الواقع اللّغويّ الأنوماستكيّ الطوبونيميّ في مجتمع المعرفة

أعمال ملتقى

منشورات المجلس 2018

- **كتاب**: ملامح وحدة المجتمع الجزائري –أعمال ملتقى-
- **إعـداد**: المجلس الأعلى للغة العربية
- **قياس الصفحة**: 16/ 24
- **عدد الصفحات**: 584

منشورات المجلس

ردمك: 978-9931-681-38-0

الإيداع القانوني: السداسي

المجلس الأعلى للّغة العربيّة

العنوان: 52، شارع فرانكلين روزفلت

ص.ب 525، ديدوش مراد، الجزائر.

الهاتف: 16/17 07 23 21 213+

الناسوخ: 07 07 23 21 213+

الموقع الإلكتروني: www.hcla.dz




تمّ إخــراج وطبــع بـ :

دار الخلدونية للطباعة والنشر والتوزيع

05، شارع محمد مسعودي القبة القديمة-الجزائر

الهواتف: 05.42.72.40.22-021.68.86.48-021.68.86.49

البريد الإلكتروني: khaldou99_ed@yahoo.fr

الورشة العلميّة الأولى	
الرئيس: د. جمال نحالي	المقرّرة: أ. خراز زوليخة
الأعضاء:	
أ. وسيلة بوسيس+ د. رمضان حينوني + د. عبد النبي زنداري + د. بوعلامات لعرج + د. زوليخة بلعباس+ د. حاكم عمارية+ داه نور الهدى بن لخضر+ د. حكيمة سليماني + أ. زينب بوتشيش + أ. خليف مهديد+ د. سمية بن إسعيدي + د. حاج محمد لحبيب + د. عبد القادر بلعباس.	
الورشة العلميّة الثانيّة	
الرئيس: أ. عبد الرزاق بلغيث	المقرّر: أ. سهام عبد الحفيظ
الأعضاء:	
-د. سميرة لغويل+ د. صالح بايو +أ. عبد المؤمن رحماني + أ. علجية مزواري +د. عمر بن عيشوش + د. فاطمة الزهراء نجراوي+ داه. فاطمة الزهراء زرقوق + أ.د. عمر لحسن + د. ليندة مونسي+ د. محمد بن يوب +أ.د. عبد القادر شارف + أ.د كمال عامرة.	
الورشة العلميّة الثالثة	
الرئيس: أ عبد الله روينة	المقرّرة: أ. سناء رمضاني
الأعضاء:	
- أ. محمد بوعزي +د. محمد بن أحمد كنتاوي + د. محمد مدور+ -د. مختار لصقع + د. مختارية بن قابلية + -د. نصيرة شيادي+ د. هاجر مربوح + د. يوسف وسطاني + د. سعاد عباسي ود. وهيبة بن حدو + د. سارة هدية + أ. نور الدين بن نعيجة + أ. محمد بن عزوزي.	

المحتويات

109	**هاجر مربوح**	Les toponymes urbains des villes algériennes (Sidi Bel Abbès, Ain Témouchent). Une approche sociolinguistico-urbaine

ندوة الطّوپونيميّة / Toponymie: المواقعيّة / الأماكنيّة / إيموكان / ثاوالت♥

كلمة البروفيسور صالح بلعيد
رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة

ــ **شكر**: مرحباً بكم في هذا اللقاء العلميّ؛ لقاء تعوّدنا أن نراكم وتستمعوا إلينا، وإلى ما يلقيه الخبراء، فاللقاء لقاح كما يقال، وكما يقول الشّاعر العربي:

وما بقيت من اللذات إلاّ ... مفاكهة الرجال ذوي العقول

أيّها الحضور، لا يشكر الله من لا يشكر النّاس، فالشّكر للمعــدين لهــذا الفعــل العلمي، وممدود إلى أساتذتنا الباحثين الذين شطت بهم النوى للمجلس، كما شــطت بآخرين قبلهم وما وصلوا إلى هنا إلاّ وهم يحملون على كواهلهم عبء الكفاح عــن العربيّة، فماذا عساني أقول في حقّهم: تضيق العبارات التي تليق بالمقام، والتي تبلغ القلبَ المرام، وتستكين إليها الأفئدة العظام، وتعقلها عبارات الكرام، ومرحبــاً بكــم تبلغ ذروةَ السنام. وكلّ الشّكر للحضور على فعلهم النّبيل، وما يقومون به في هــذا السّبيل، ولستُ أدري بما أجزل به إليكم من ترحاب، تفيكم إخلاصكم المُهاب وفيكم أردّد قول الشّاعر:

لقد نبتتْ في القلب منكم محبةٌ ... كما نبتت في الراحتين الأصابعُ

ــ **ديباجة:** من الأهميّة بمكان أن يقع الاهتمام بعلم الطّوپونيميّة، في الوقت الذي نستعمل أسماء لأماكن لا ندري من أين/ كيف/ لماذا أُطلقت عليها هذه التّســميات؟ كما نستعمل بعضها على تحريف خاطئ، وبعضها حدث من المــزج اللغــويّ ولا ندري طريقة ذلك، وبعضها لفظ أجنبيّ بعيد عن خصائصنا... وبقينا علــى جهــل ببعض منها، والبعض فيها الخطأ ونورّثه للأجيال القادمة دون البحــث فــي تلــك التّسميات التي لها تاريخ وطني، وله ارتباط بمدلول ينماز بــه، فهــي لــم تُطلــق اعتباطاً، بل إنّ التّسميات لم تطلق إلاّ لطبيعة جغرافيّة أو نسبة لشخص، أو لحادثة،

أو لفرض أجنبيّ، أو لاستبدال الأصل بالجالب... والمهمّ أنّ الذي أطلق عليها ذاتَ التّسميّة رَبَطَ بين الدّال والمدلول بعلاقة رآها/ فرضها، ووقع توارثُ ذلك، وربّما وقع انحراف فيها دون وعيٍ منّا، ودون البحث في كُنه الدّلالة هذا من جهّة، ومن جهّة ثانية، فإنّنا نبغي –من خلال هذا الملتقى– التحسيس بأهميّة البحث في أمر الأماكنيّة، وأن يقع البحث المؤدّي إلى تصحيح/ تثبيت أصالة التّسميات الأماكنيّة دون الوقوع في التمحّل في توضيح دلالتها، ونعمل على ربطها بخصوصياتنا، وتصحيح المُعوّج منها، والابتعاد عن تلك الأسماء التي تخدش الحياء العامّ وندعو من يهمّه الأمر إلى الاتّفاق على الاسم/ المصطلح الموحّد الذي يتعلّق بهذا العلم، وما ينجرّ عنه من مصطلحات.

هي دعوة للمؤسّسات ذات العلاقة لاستعادة الهويّة الأماكنيّة لمناطقنا وأسمائنا وإعطاء التّسميّة الأصل؛ وفقاً لخصوصياتنا اللغويّة والتّاريخيّة والدينيّة، وفي ذات الوقت دعوة المختصّين إلى إيلاء العناية بالهُوية المواقعيّة لوطننا، ودعوة المخابر ومراكز البحوث إلى التفتّح على محيطنا والكشف عن المسخ الذي لحق به، وفي ذات الوقت العمل على تصحيح المُنحرف منها. هي دعوة إلى المُجتمع المَدني والمُنتخبين إلى التّعاون لردّ الاعتبار للخصوصيّة الهُوياتيّة في مجال التّسميات في كلّ أبعادها، وعدم الخروج عن مِسطرة الأجداد الذين أحسنوا تمتين الهُوية في أبعادها الثّلاثة: **المُزووغة + العُروبة + الإسلام**.

ومع كلّ ما يمكن أن يُقال، فإنّه يبدو لنا بأنّ الحديث عن الممتلكات الرّمزيّة في المجال الجزائريّ يتعلّق بالباحثين أو بالمختصّين في هذا المجال؛ بتقديم مقاربات ميدانيّة دقيقة أكاديميّة موضوعيّة؛ وفق ما عرفته بلادنا من حضارة وتاريخ لأجل ملاءمة الهُويات الأصيلة، ومن ثمّ التّعرّف على الحِقب الزّمانيّة: بربر/ عرب/ إسپان/ تُرك/ فرنسيين، وما هي المؤثّرات الأسمائيّة التي تركتها تفرخ وتعيش، ومن ثمّة تستعمل بيسر أو بسهولة، وأصبح تداولها من الشّأن العامّ المتّفق عليه بعفويّة، دون البحث في ما طرأ عليها من تحريف او تغيير أو مخالفة الاسم السّابق بقصد... وهذه كلّه لها أثر في تلك الوشْمات التي عملت على تجسيد محطّات الأماكينيّة/ الجغرافيّة، وأصبح لها التّداول بصورة من الصّور، والبعض منها لا نعرف مصدرها ولا تاريخها ولا ما طرأ عليها من إبدال صوتي. كما نريد أن يتواصل هذا العمل للانفتاح على الأطالس اللغويّة، وما لها من احتكاكات لغوية، أو اقتراضات، أو تداخل لغويّ يتعلّق بلغة المستدمر، أو بانتقال القبائل/ العروش من

منطقة لأخرى أو لعوامل طبيعيّة، وما ينجرّ عنها من تغيير وتبديل، أو لعامل دينيّ أو عرفيّ، وغير ذلك.

ـ **مقدّمة:** إنّ الطّوبونيميّة علم يعنى بدراسة أسماء الأماكن وتحليلها بالاعتماد على مجموعة من العلوم المُساعدة كالتّاريخ والجغرافيا والأنثروبولوجيا وعلم اللغة الاجتماعيّ. والبحث في الطّوبونيميّة بحث في قيمة أسماء الأماكن وعلاقتها بالبحث التّاريخيّ، عبر الإجابة عن أسئلة تعمل على إبداء ملاحظات عن تاريخ المجال؛ اعتمادًا على هُويته باعتبار الطّوبونيميّة آلية من آليات البحث التّاريخيّ؛ فبمقدورها أن تُسهِم في تجديده أو إعطاء القيمة الاعتباريّة القديمة له وكيف وصل إلى ما هو عليه بتحريف أو بتغيير أو بفرض. وبمعنى آخر هو البحث عن الجسور المؤسّسة للعلاقات التّاريخيّة، التي تكشف عن بعض الجوانب من ذاكرة المكان انطلاقاً من اسمه.

إنها خطوة نحو إعادة بناء **ذاكرة المكان**؛ بإضاءة مكتسحة رامية للتّعريف بأسماء الأماكن؛ فهي خطوة لن تتحقّق إلاّ بالاستناد على منهج علميٍّ صارم؛ يقوم على الدقّة في توثيق المعلومة والرّواية، والحفر في عمق النصّ المصدريّ عبر خطوات علميّة واضحة، والتّحليل المركّز السّاعيّ إلى البناء النّظريّ عبر نماذج تمثّل مظهراً من مظاهر الوعيّ بالمكان وذاكرته. وهكذا يقتضي البحث الطّوبونيميّ البدء بالطّوبونيميّة المازيغيّة منذ دولة نوميديا وعبر مراحل الرومان والبيزنط والفترة الإسلاميّة، ثمّ مروراً بعهد الإسبان والأتراك والفرنسيين، وكلّ من هؤلاء مروا في هذا البلد فتركوا بصمات في جغرافيتنا، وحصل التّداول لسجلّاتهم اللغويّة. ولهذا يحتاج منّا البحث الطّوبونيميّ التّنقيب المستمرّ، ومراكمة الإنتاج للفرز الصّحيح في آخر الأمر، وإعادة الأسماء والأماكن والألقاب إلى وضعها الصّحيح **المازيغيّ العربيّ.**

ـ **الإشكاليّة:** لا شكّ أن من يتفحّص أسماء المدن والقرى والقبائل والجبال والمجاري المائيّة والسّهول والحقول والخلجان والأودية يجدها وقد طالها الكثير من التّحريف والطّمس، وهنا قد يكون الطّمس كلياً أو جزئياً أو تحريفاً مُخلاً بالمعنى العامّ، أو مَسخاً به. كما سعى كلّ الوافدين على الجزائر إلى محو التّسميات القديمة للمكان واستبدالها بأسماء أخرى كاستراتيجيّة لإثبات ملكية المكان. وإنّ الأسماء المواقعيّة تُعدّ من مقوّمات الحياة اليوميّة للشّعوب، ويجدر القول بأنّها لا تقلّ أهميّة عن مدلولاتها، سواء أكانت عناصر بيئيّة أم آثارًا بشريّة مرئية أو شفويّة تجريديّة.

وإلى جانب وظيفتها التّوطينيّة والتّعريفيّة، تلعب أسماء الأماكن والأعلام دوراً نوعياً للتّعبير عن الشّخصيّة والتّميّز، وعن جملة الموارد الثّقافيّة السّائدة.

1ـ ما الطّوپونيميّة؟ بحث لمعرفة المسارات الكثيرة للتّاريخ الجماعيّ لمجموعة بشرية معيّنة يهتمّ بدراسة وتحليل الطّوپونيمات أو أسماء الأماكن، واستخراج مضامينها ودلالاتها المختلفة ورموزها المشحونة بشتّى الدلالات والمعانيّ، ولا يمكن أن تكون علماً خالياً من أيّة إيديولوجيّة وربّما الاعتباطيّة في بعض المقامات، باعتبار أنّ بعض المبادلات الرّمزيّة الإنسانيّة تكون عُرضة للخضوع للطموحات ذات الصّبغة البراگماتية السّياسيّة. ومع ذلك، فإنّ الطّوپونيميّة أو مباحث الأماكينيّة أداة قويّة من أجل البرهنة على التّجذّر التّاريخيّ للإنسان المالك الأصليّ للأرض.

2ـ الأبعاد الطّوپونيميّة: ليس من السّهولة القبض على كلّ الابعاد، بقدر ما نقول: إنّ الكثير من العلوم تتعلّق بالبحث الطّوپونيميّ، بل يمكن استعمال الكثير من العلوم لفهم الدلالة لاسم/ مكان ما لأنّ التّسميّة لها أبعاد متداخلة من مختلف العلوم. ولهذا نجد الأبعاد اللغويّة في الأماكن وتتمثّل فيها التّسميات المازيغيّة المبدوءة بالتّاء من مثل: تيزي/ تافاث... أو بالهمزة أسوال/ إغيل... ممّا يدلّ على أنّ السّاكنة مُتشبّثون بلغتهم. وكذا هذا البُعد المازيغيّ يظهر في أسماء النباتات والأشجار من مثل: أحشيش/ أزمور... ويضاف إليها البُعد الجغرافيّ مع ما عرفته البلاد من تحوّلات طوپونيميّة، وفيها ما يمكن تسميته بالتّسميات العروبيّة لارتباطها بسياسة تدبير المجال من خلال الأسماء العربيّة، أو ما يمكن أن نُسميه بالصَّيرورة الطّبيعيّة للحاكم. كما تمّ تغيير أسماء الأماكن بسبب فَرْض الاستعمار (الإسپانيّ+ الفرنسيّ) للتسميات التي يروم منها البقاء هنا، والتّخلّي عن الأسماء القديمة، كما أطلقت الكثير من الأسماء التّركيّة على مناطقنا ومحالنا بأسماء حُكام التّرك، كما أنّ بعض المناطق أخذت أسماء جديدة بسبب كارثة طبيعيّة أو بمقتل ساكنيها؛ حيث تقرّ الجغرافيّة بأنّ التّاريخ مُعطى ثابت في الطّوپونيميّة؛ معطى يستدعي ضرورة تناول أسمائها ودلالاتها، بما هي مَعالم تكشف عن جانب مُهمّ من تاريخ المكان، وترسم سُبُل الوصول إلى التّعرّف على الحلقات المَفقودة من تاريخها، ممّا يُبرز جانباً بالغَ الأهميّة للطّوپونيميّة ليس في علاقتها بالمكان فحسب، بل في علاقتها بالإنسان الذي يعيش في المكان. ومن مظاهر هذا البُعد ما يرتبط بأسماء القبائل أو الأُسُر أو الجماعات أو العروش. وكذلك البُعد المائيّ/ السّواقيّ وما له علاقة

بالمجال الفلاحيّ. وبذا نرى بأنّ الطّوپونيميّة ذاكرة جماعيّة في صورة ناطقة، ومن ثم يصبح مجال بحثها نافذة أساسيّة على المجتمع بمختلف تجلّياته، علاوة على ذلك أنّها أداة عمل لازمة لإدارة الخِدْمات والمصالح والفضاءات المختلفة إدارة ناجعة فأسماء الأماكن بوصفها إشارات تموْضع، تسمح بالاهتداء السّريع بنُظُم المعلومات GPS أو عن طريق السّاتل الذي يُمدّنا بالمعلومات الدقيقة والآنيّة، ولا شكّ في أنّ هذا لن يتمّ إلاّ بتوفّر المعلومات الوصفيّة المواقعيّة الدقيقة حول العناصر التي تنتشر عبر الأمْكنة المُتّسعة. وبذا، فإنّ مُجتمع المَعلومات المُعاصر يتطلّب استراتيجيّة استقطاب الرّوافد المَعرفيّة عبر شبكة مُتطوّرة من أنظمة المَعلومات، بحيث يكون المَوقع الجغرافيّ مَدخلاً أساساً للأبعاد الأخرى. فالمَواقعيّة مَدخل أساس لإنشاء البوابة الإلكترونيّة للجزائر، يكون فيها اسم المَكان أو المَنطقة منفذاً إلى قواعد المُعطيات الأخرى؛ من مثل نظام GPS المذكور سلفاً.

ولا شكّ أنّ الطّوپونيميّة في جوهرها علم مُحايد، إلاّ أنّ دورها الأساس في بناء الشّخصيّة وحفظ الذاكرة الجماعيّة جعلها تتأدلج إلى درجة أصبحت معها أداة للهيمنة الفكريّة، فهي لا تخلو من التّغليف الإيديولوجيّ حيناً والتّأويل السّياسيّ ذي البُعد الاستراتيجيّ أحيانا أخرى. ومن خلال هذا العمل، فإنّنا مدعوون للحفاظ على أصالة الأسماء ذات الدلالة المازيغيّة والعربيّة عبر المادتين: الثّالثة (3) والرابعة (4) من الدّستور من أجل إحقاق التّكامل بين اللغتيْن الرسميتيْن لبلدنا، وتحقيقاً للانسجام الجمعيّ الوطنيّ. وعلى المجتمع المدنيّ والمنتخبين العمل على الحفاظ على كينونة هذه الأعلام وترسيخ هُويتها الأصيلة، وأن يَعَوْا قيمةَ هذا الإرث اللاماديّ الذي يُفترَض أن يكونَ مصدرَ فخرٍ لكلّ الجزائريين؛ بالنّظر إلى تَجذُّره التّاريخيّ العميق وحمولته الحضاريّة الكبيرة، وعلينا جميعاً تثمين العمل في هذا الاتّجاه، بتصحيح الوضع، وتثمين الخصوصيّة الجزائريّة بكثير من الفخر والاعتزاز.

ـ التّوصيات:

1ـ دعوة المختصّين للبحث تراتبياً في تصحيح أسماء الأماكنيّة.

2ـ دعوة الإدارة إلى تصحيح الأسماء والألقاب التي تُشين بأصحابها.

3ـ دعوة المخابر الجامعيّة إلى البحث في مصطلحات علم الطّوپونيميّة.

4ــ دعوة مراكز البحوث الوطنيّة إلى تكثيف أمثال هذه اللقاءات العلمية التي تقدّم هذه الإشكاليات التي تعمل على تقريب الرؤى التّناظريّة بين المختصّين.

5ــ دعوة المسؤولين الجامعيين إلى إقرار مادة الطوبونيميّة في المقرّرات الجامعيّة.

ــ **خاتمة:** إنّنا مدعوون جميعاً للإسهام في تصحيح الأوضاع اللغويّة عبر التّفاعل الإيجابيّ مع المحيط، وفهم المشروع التّنمويّ فهماً مُوسّعاً يُنْصف الماضي، ويتفاعل مع الحاضر، ويتفاعل بالمستقبل. وإنّ الواجبَ الوطنيّ يستلزم منّا الاهتمام برأسمالنا اللاماديّ وتثمينه، وتمكينه من فرص الحياة والنّماء، وإنّنا جميعاً مُطالبون بالانفتاح الحقيقيّ على الأبعاد الثّلاثة: المُزوغة+ العُروبة+ الإسلام، وتجاوز مرحلة الحَذَر والحَظَر تجاوزاً عملياً يقرِن الشّعارَ بالممارسة. ومن الضّروريّ التّدقيق في كتابة التّاريخ الجزائريّ وبأقلام نزيهة وعلمية لردّ الاعتبار للشّخصيّة الجزائريّة، ودورها الكبير في بناء الحضارة بشمال أفريقيّة. ومن ثمّ؛ فإنّ البحث التّاريخيّ بهذه البلاد يقتضي الإلمام بالمحيط اللغويّ العربيّ والثّقافيّ المازيغيّ في أبعاده الكبرى، ومعرفة مختلف التّطوّرات التي حصلت بفعل صيرورة الزّمان، وتقلّبات الأحوال.

أيّها الأصدقاء نريدكم أن تكونوا معنا، والأخذ بهذا الموضوع مأخذ الإحصان، بتقديم الأفضل نحو التّصحيح وما يقتضيه من استحسان، لتقويم قواعد الأسماء بصحيح البُنيان، وليس التّراجع عن فعل الزّمان، بقدر ما هي إعطاء الرأيّ بإمعان، في هذه المسألة التي تحتاج إلى فكّ ما هو من الحيْران، في إطلاق تلك التّسميات على المكان، ونروم أن تكون دون نقصان، تقبلها الأذنُ والعينان، وتُعيد لأسمائنا الثّقل والميزان، وفي ذلك فليتنافس المتنافسان، والسّلام عليكم يا إخوان.

الاحالات:

♥ ــ محاضرة ألقيت في الملتقى الوطنيّ حول: الطّوبونيميّة وأبعادها اللغويّة. الجزائر: 4-5 نوفمبر 2018 بالمكتبة الوطنية الحامّة.

كلمة رئيس اللجنة العلمية

الأستاذ الدكتور عمر ديدوح
جامعة تلمسان

معالي السيد وزير الداخلية والجماعات المحلية والتهيئة العمرانية المشرف والمشرف، معالي السيد رئيس المجلس الأعلى للغة العربية البروفسور صالح بلعيد المكرم، السيد معالي رئيس جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة البروفسور عبد الله بوخلخال الموقر، معالي السيد الأمين العام للمجلس الأعلى للغة العربية سي محند إدير مزياني ومعاونيه الكرام البررة، السادة الإعلاميين المسددين، الأساتذة الباحثين من محتلف أرجاء الوطن الحبيب.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد.

لقد أمطر المجلس بغزارة المشاركات في الملتقى الوطني عن: ملامح وحدة المجتمع الجزائري من خلال الواقع اللغوي، الأونوماستيكي الطبونيمي الأنتروبونيمي في مجتمع المعرفة.

لذا كان الإقبال على المشاركة غزيرا، ولكثرة المشاركات التي نيفت عن السبعين، تقبل منها ستا وثلاثين (36) مداخلة، عملت غلى طرح حلول متجانسة للإشكالية المطروحة للمعالجة، وبمناسبة هذا الحدث العلمي الجليل، الذي تزامن مع الاحتفال بذكرى أول نوفمبر الذي خلد المجد ذكراه تخليدا، أهنئ الجزائر العميقة الممثلة هنا في مجلسنا الأعلى للغة العربية بإنجازات المجلس الراقية خدمة للغة العربية، وأهني معالي البروفسور صالح بلعيد ونوابه وخبراء المجلس وأعضاءه مع حفظ الألقاب والرتب، وأحيي الأساتذة المشاركين المحاضرين والمدعوين

والمؤازرين، وسأقدم في عجالة موجزة عن فحوى موضـــوع الملتقـــى وأهميتـــه والحاجة إليه، والمنجزات السابقة في المجال.

: بعرفها القاموس الموسوعي للغة الفرنســية، ســنة 1989م (Toponnymie) الطبونيمي هو العلم الذي يدرس أسماء الأماكن وهـــي مصطلح إغريقي مركب من كلمتين: (Topo) طبـــو تعنـــي مكـــان، و(Onoma) وتعني اسم[1].

ويعرفها المنهل الوسيط (فرنسي – عربي) سنة 1987 الطبونيميا هي الدراسة اللغوية والتاريخية لأسماء المواقع الجغرافية وترجم المصطلح إلى المواقعية.[2]

والطبونيمي فرع من علم الأنوماستيك (Onomastique) وموضوعه دراســـة أصول الأسماء، وهو مجال من مجالات اللســـانيات التطبيقيـــة، وينـــدرج تحتـــه الطبونيمي، الدراسة اللســـانية لاســـم المكـــان (Toponymie) والأونتروبـــونيمي ويختص بدراسة أسماء الأشخاص، (Antroponymie)

ونستخلص من هذه التعريفات أن الأنوماستيك مجال من مجـــالات الدراســـات اللسانية التطبيقية ذات نظام بيني تلتقي فيه دراسة أسماء الأعلام المكانية، ودراســـة أسماء الأعلام البشرية، وتسخر هذه الدراسة علوما مجاورة، علم التـــاريخ، وعلـــم الجغرافيا، وعلم الاجتماع، والأنتربولوجيا، وعلم اللغة، والهـــدف مـــن الدراســـة الأنتربونيمية، يتمثل في تنقية أسماء الأماكن والأسماء الشخصـــية مـــن التشـــويه والتحريف، والتغيير استعدادا لتفادي المستجدات العولمية السلبية التي تـــؤثر ســـلبا على الهوية الوطنية المكانية والشخصية.

المنجزات السابقة عن الطبونيميا في جامعة تلمسان الجزائر:

:

– الملتقى الوطني حول البوابة الالكترونية لطبونيمـــات بـــدائرة أولاد ميمـــون وضواحيها، من تنظيم مخبر المعالجة الآلية للغة العربية بجامعة تلمسان بالشـــراكة

مع بلدية أولاد ميمون، والمدرسة الجهوية لتكوين ضباط الجمارك بأولاد ميمــون سنة 2010

_ الندوة الدولية عن الطبونيميا ونظم المعلومات تلمسان وضــواحيها، مخبــر المعالجة الآلية للغة العربية جامعة تلمسان 2011

_ الملتقى الوطني عن الطبونيميا والتنمية المستديمة، مخبر المعالجة الآلية للغة العربية والحضور الشرفي لمعالي رئس المجلس الأعلى للغة العربية البروفســور صالح بلعيد 2018

: :

_ تأصيل أسماء المدن الجزائرية دراسة طبونيمية نظريــة وتطبيقيــة، مدينــة قسنطينة نموذجا، الطالبة بن يوب ليلى إشراف د. عمر ديدوح: 2002

_ تأصيل أسماء المدن الجزائرية دراسة طبونيمية نظريــة وتطبيقيــة، مدينــة تلمسان نموذجا، الطالبة: أميري فتيحة إشراف د. عمر ديدوح 2002

_ إعداد معجم الكتروني لقلعة المشور التاريخية، الطالبــة: يحيــاوي ســليمة، إشراف د. سيدي محمد غيثري 2013

_ إعداد مدونة طبونيمية للمعجم الآلكتورني لتلمسان وضواحيها، الطالبة نقــاز هجيرة إشراف: د. عمر ديدوح 2014

_ نحو بناء معجم إلكتروني طبونيمي لتلمســان لأغــراض ســياحية: الطالبــة يحياوي سليمة، إشراف سيدي محمد غيثري 2018

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

:

(1) ينظر: القاموس الموسوعي للغة الفرنسية 1998

(2) ينظر: المنهل الوسيط، 1987، سهيل إدريس، وجبور عبد النور، بيروت، دار الآداب، ط. 6

تطوير برمجية مساعدة لدراسات المواقعية وأسماء الأعلام والأنساب

أ. د. صديق بسو،
أ. سهيل العبسي
جامعة فرحات عباس، سطيف،1.

ملخص:

يحتاج الباحثون في العلوم الإنسانية عمومًا وبشكل خاص الباحثون في علم اللغة والأنثروبولوجيا وأسماء المواقع الجغرافية وعلم الأنساب إلى أدوات محددة تستجيب لاهتماماتهم اليومية.

موضوع هذا البحث هو " أداة مساعدة لدراسات المواقعية وأسماء الأعلام والأنساب". تهدف هذه الدراسة إلى تصميم وتطوير تطبيق موجه لأخصائيي علم الأنثروبولوجيا والباحثين في الأنثروبونيميا.

يتضمن التطبيق الميزات الكلاسيكية للنظم المعلوماتية وقواعد البيانات، ولكن أيضًا الميزات التي تندرج تحت الذكاء الاصطناعي واللسانيات الحاسوبية لاشتقاق العلاقات بين مختلف الأفراد في قاعدة البيانات. ويتضمن ميزة أخرى وهي عرض البيانات على شكل رسوم بيانية بواسطة بنية الشجرة، اذ يمكن الاطلاع على الأشجار العائلية مع العديد من المعلومات المرافقة.

مقدمة:

تهتم الأونوماستيك بأصول معاني الأسماء، وتهتم المواقعية أو الطوبونيميا بدراسة أسماء المناطق، اذ يمكن استنتاج أصول الأفراد الجغرافية، الاجتماعية، المهن التي كانت تزاول في الماضي، التغيرات التي طرأت على الأسماء، والكثير من المعلومات التاريخية. هذان العلمان لهما الأثر الكبير في التنمية الاقتصادية، السياحية، الثقافية لأي بلد وكذا الإجابة على العديد من التساؤلات التاريخية. لكن الباحث في هذين العلمين

خصوصا وفي علم الأنثروبولوجيا عموما يواجه صعوبات كبيرة خصوصا مع الكم الكبير من المعلومات التي يجدها ويصعب عليه إيجاد علاقات بينها بطريقة يدوية. لهذا جاء هذا البحث والذي تم تثمينه بإنجاز برمجية بلغة جافا تجيب على كثير من أسئلة الباحثين وتسهل عليهم إيجاد الروابط غير البينة بين مختلف البيانات، استعملنا فيها تقنيات معاينة قواعد البيانات وكذا تقنيات اللسانيات الحاسوبية التي تغوص في أعماق الكلمات بطريقة آلية لتستخرج ما ينجزه الباحث في سنوات في ثوان معدودات.

وصف البرمجية المقترحة:

استعملنا في البرمجية المقترحة قاعدة بيانات تحتوي على أهم المعلومات التي نحتاجها لإجراء العمليات القاعدية لاستنتاج معارف أنثروبولوجية. الشكل 1 يمثل بنية جدول العوائل بقاعدة البيانات.

nom_a	pren_a	lieu_nais	d_nais	pren_pere	sexe	aarche
العبسي	سهيل	سطيف	00/00/9481	عبد العزيز بن إبراهيم	ذ	أولاد منصور
العبسي	فاطمة	سطيف	00/00/8991	أحمد بن عبد العزيز	أ	أولاد منصور
صحراوي	الطاهر	سطيف	00/00/7881	جلال بن إبراهيم	ذ	أولاد صابر

شكل 1. بنية جدول العوائل بقاعدة البيانات

عرض التمثيل الشجري:

استعملنا طريقتين في تمثيل شجرة العائلة:

العرض بتقنية java 2D: وهي تطبيق موجه للصور وانشاء الرسومات ذات بعدين، تسمح برسم الأشكال الهندسية، مع إمكانية وضع نصوص بداخلها، لرسم شجرة العائلة لابد من معرفة مختلف العلاقات بين الأفراد، ثم حساب وضعية كل عقدة، يليها رسم كامل الشجرة.

العرض بتقنية JGraphx: يمكن رسم التمثيل الشجري ذو بعدين، تمتاز هذه التقنية بالسماح للمستخدم بتغيير التمثيل الشجري، بتغيير وضعية فرد ما، أو حذفه،...

بيئة البرمجة المستعمل:

لتطوير هذه البرمجية استعملنا الأدوات البرمجية التالية:

ميكروسوفت أكسس (Microsoft Access): من أجل تعريف المعطيات، مراجعتها ومراقبتها

يوكان أكسس (UcanAccess): برنامج مطور لمشغل Java JDBC

اكليبس (Eclipse): بيئة تطوير للغة جافا

لغة البرمجة جافا (Java)

rs2xml: حزمة للغة البرمجة جافا تسمح بتحويل النتائج الى نتائج نصية بلغة XML

JFreeChart: حزمة مفتوحة المصدر تسمح بعرض بيانات إحصائية على شكل رسوم بيانية

JGraphX: حزمة جافا سوينغ تسمح برسم أشكال ثنائية الأبعاد داخل البرمجيات.

مكونات البرمجية:

الواجهة الرئيسة: وهي النافذة الأولى التي يتم عرضها عند إطلاق البرنامج، يمثل الشكل 2 الواجهة الرئيسة.



شكل 2. الواجهة الرئيسة

يمكن للمستخدم أن يستفيد من ميزات البرنامج باختيار إحدى التبويبات الستة ومن ثم تنفيذ البحث المراد اجراؤه

1-اطلاع

يمكن للمستخدم في هذه المرحلة الاطلاع على قائمة الأسماء، الألقاب، المناطق وذلك بإجراء انتقاء للكلمات المبحوث عنها بعدد من الحروف المقترحة كما يمكن مشاهدة عدد النتائج الموافقة لكل بحث كما هو موضح في الشكل 3.

شكل 3. نافذة الاطلاع على قاعدة البيانات

2-عمليات قاعدية:

تسمح هذه النافذة للباحث بإجراء عدة عمليات على قاعدة البيانات للخروج بنتائج لا يمكن الوصول اليها بالطرق التقليدية. يتم استغلال الروابط بين المعلومات بقاعدة البيانات، وكذا بعض تقنيات الذكاء الاصطناعي واللسانيات الحاسوبية للوصول للنتائج. اذ يمكن ترتيب الأسماء والألقاب الأكثر شيوعا، تصنيف الأسماء والألقاب حسب طول الكلمات، كيفية توزيع الأسماء والألقاب في مختلف المناطق، أسماء الأشخاص المشتقة من أسماء مناطق، الألقاب المشتقة من أسماء أعلام، أكبر وأصغر العوائل من حيث عدد الأفراد ومن حيث الانتشار، نسب الخصوبة في منطقة ما، البحث عن أسماء أو ألقاب باستعمال جذور الكلمات.



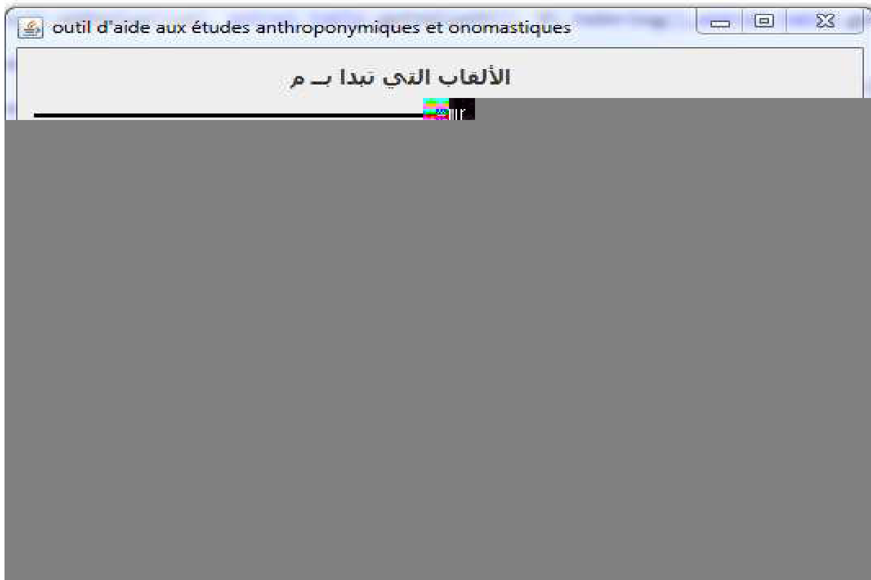
شكل 4. العمليات القاعدية التي يمكن تنفيذها على قاعدة البيانات

بعد اختيار نوع البحث المراد اجراؤه ييطلّب البرنامج من المستخدم تحديد عدد النتائج المراد عرضها كما هو موضح في الشكل الموالي:



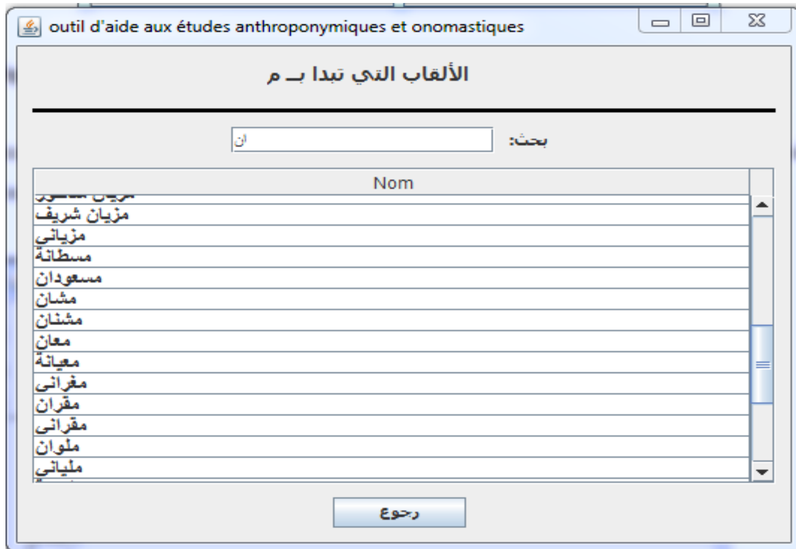
شكل 5. تحديد عدد النتائج

بعد الضغط على الزر موافق تظهر نافذة تعرض قائمة الألقاب على شكل جدول:



شكل 6. عرض قائمة الألقاب

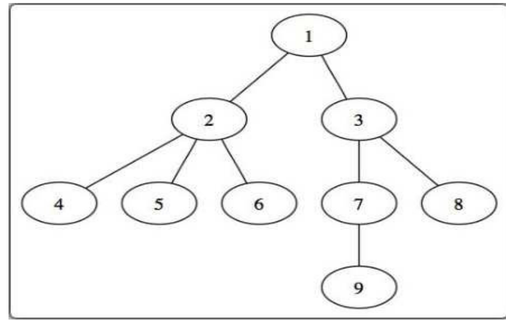
كما يمكن تصفية النتائج بالبحث بمقاطع معينة من الحروف داخل الألقاب المقترحة.



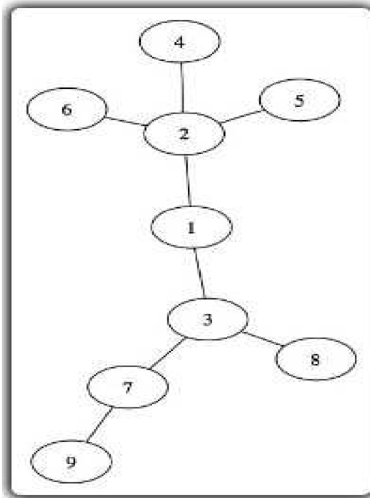
شكل 7. نتيجة البحث عن ألقاب تحتوي على المقطع (ان)

3-عرض شجرة العائلة:

تسمح هذه النافذة بعرض شجرة العائلة بطريقة واضحة يمكن من خلالها رؤية العلاقات بين مختلف الأفراد ودرجة القرابة التي تربطهم، كما يمكن النقر على اسم شخص ما للحصول على معلومات إضافية كتاريخ الميلاد واسم القبيلة، وكذا قائمة الأجداد. هناك نوعان من التمثيل الشجري: التمثيل الشجري ذو جذر كما هو موضح في الشكل 8 والتمثيل الشجري دون جذر كما هو موضح في الشكل 9. في هذا البرنامج استعملنا النوع الأول وهو الأنسب لتحديد أجداد فرد ما بطريقة واضحة.



شكل 8. تمثيل شجري بجذر



شكل 9. تمثيل شجري دون جذر

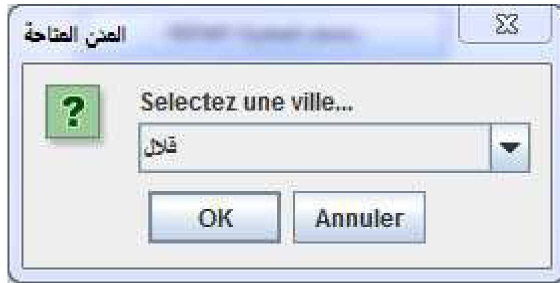
لرسم شجرة عائلة ما لابد من ادخال اللقب واختيار المنطقة التي يوجد بها هذا اللقب من خلال قائمة المناطق المقترحة من طرف البرنامج.

Entrée

اللقب؟

OK Annuler

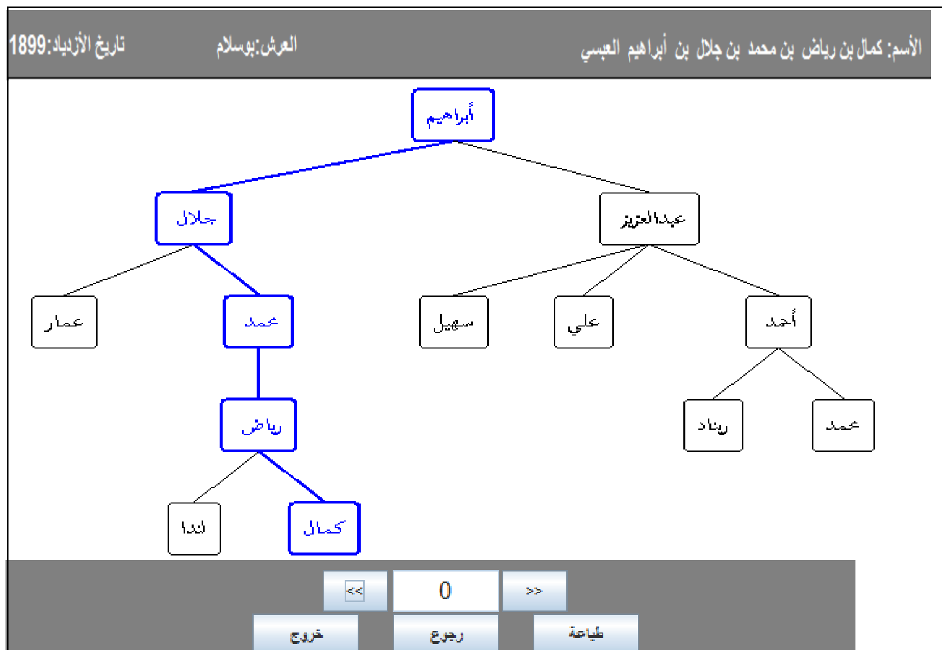
شكل 10. اختيار لقب



شكل 11. أسماء المناطق التي يمكن أن يتواجد فيها اللقب المبحوث عنه

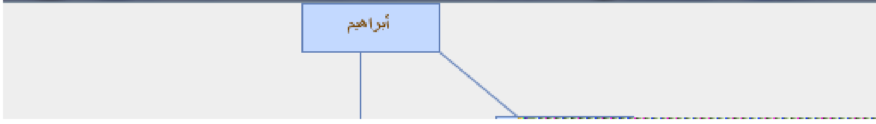
يظهر كل من الشكل 12 والشكل 13 مثالا عن شجرة عائلة، الأولى بتقنية (java2D) والثانية بتقنية (JGraphx) والتي يمكن للمستخدم في هذه الحالة اجراء تعديلات.

عند النقر على اسم فرد من العائلة تظهر معلومات إضافية عن هذا الشخص تشمل تاريخ ميلاده واسم قبيلته وأسماء أجداده، مع إمكانية طباعة الشجرة، كما هو موضح في الشكل 12.



شكل 12. عرض شجرة العائلة بتقنية java2D

الشكل 13 يعرض مثالا عن شجرة العائلة بتقنية (JGraphx) والتي يمكن فيها اجراء تعديلات على الشجرة من طرف المستخدم



شكل 13. عرض شجرة العائلة بتقنية JGraphx

4-الميزان الصرفي للألقاب

يقوم البرنامج في هذه النافذة باستخراج الحروف الأصلية والحروف الزائدة بغرض استخراج جذور الألقاب وأوزانها. هذه المعلومات تسمح للمستخدم بالبحث عن الألقاب التي تشترك في وزن معين وما هو الرابط بينها، كما تسمح له بالبحث عن الألقاب التي تشترك في جذر معين، حيث يتمكن الباحث من تأكيد العديد من الفرضيات بفضل الوصول الى روابط بين الألقاب والأسماء التي كانت مختبئة في الاشتقاقات المختلفة للكلمات.

يسمح البرنامج بالاطلاع على الألقاب حسب الأوزان العربية (فاعول، مفعول، فواعل، ...) وكذا الأوزان الأمازيغية (أفعيل، أفعول، أفاعيل، ...)، كما يمنح البرنامج المستخدم إمكانية إضافة وزن جديد من اقتراحه.



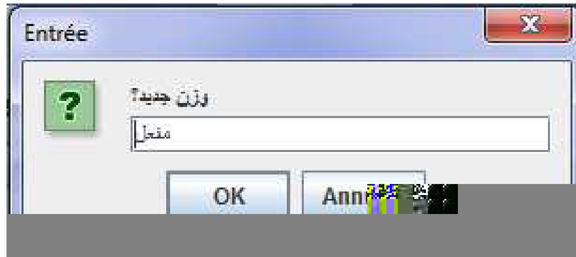
شكل 14. نافذة البحث عن الألقاب عن طريق الأوزان



شكل 15. نافذة البحث عن الألقاب عن طريق الأوزان العربية


(الأوزان الامازيغية)
(الأوزان الامازيغية)
أفعول
أفعل
أفعيل
وزن خاص أو*
أفاعيل
وزن خاص تـ*تـ...
رجوع

شكل 16.



شكل 18. إضافة وزن جديد

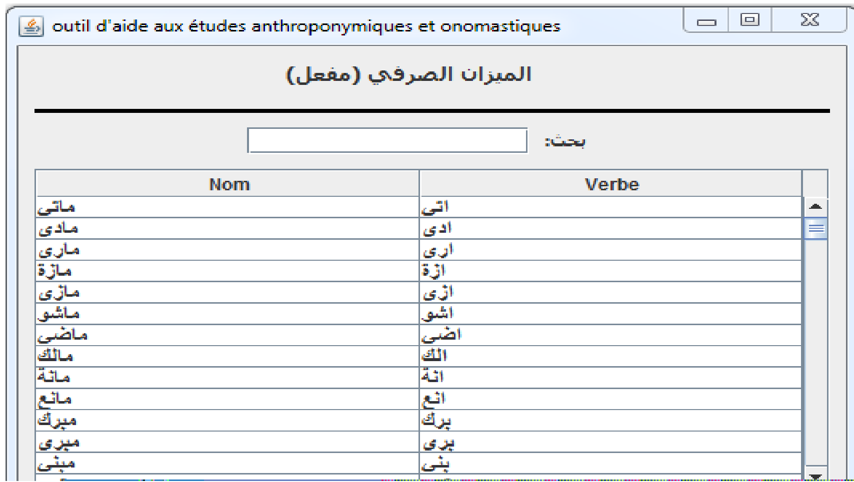


شكل 19. تحديد وضعية الأحرف الزائدة

بعد إعطاء الوزن الجديد ووضعية الأحرف الزائدة يتم انشاء زر جديد بصفة آلية بمجرد النقر عليه تظهر قائمة الألقاب التي تخضع للميزان الصرفي المقترح.



شكل 20. نافذة إضافة وزن جديد



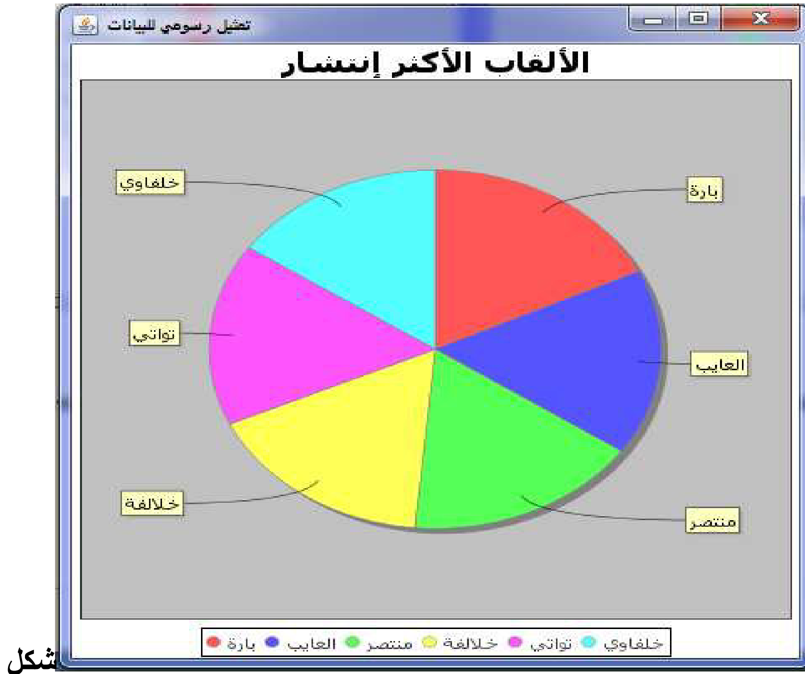
شكل 21. نتيجة البحث عن الألقاب ذات الوزن المقترح من طرف المستعمل

5-عرض البيانات الإحصائية

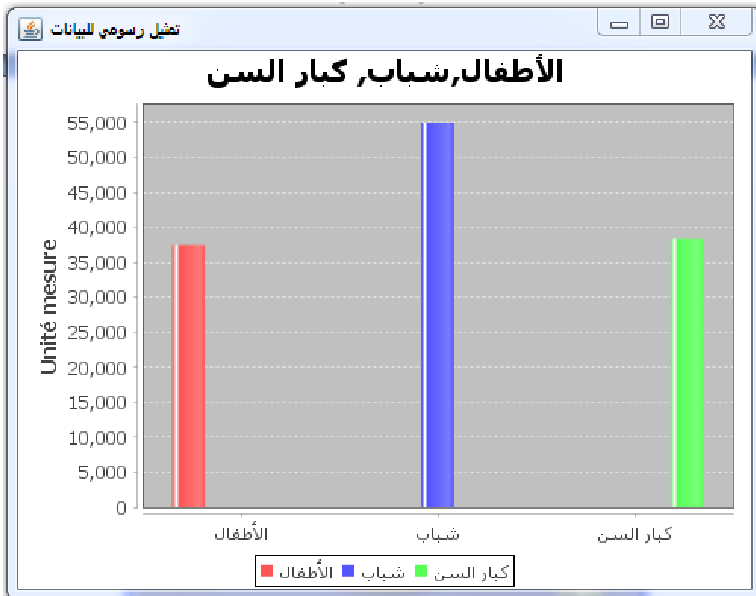
تسمح هذه العمليات بالاطلاع على احصائيات بقاعدة البيانات عن طريق رسوم بيانية تشمل المناطق الأكثر سكانا، الأسماء الأكثر شيوعا، نسبة الذكور و الاناث في منطقة مــا، البنية العمرية لمجتمع ما، متوسط سن الزواج، نسب الأصول الاثنية المختلفة.



شكل 22. تمثيل البيانات الاحصائية



شكل 23. احصائيات حول الألقاب الأكثر شيوعا



شكل 24. احصائيات حول بنية المجتمع العمرية

6-تحيين قاعدة البيانات

يمكن من خلال هذه النافذة معاينة البيانات، إضافة، تغيير، حذف أي معلومة بقاعدة البيانات.



nom_a	pren_a	lieu_nais	pren_pere	Button
العيسي	سهيل	سطيف	عبدالعزيز بن ابراهيم	حذف
العيسي	أحمد	سطيف	عبدالعزيز بن ابراهيم	حذف
العيسي	علي	سطيف	عبدالعزيز بن ابراهيم	حذف
العيسي	محمد	سطيف	أحمد بن عبدالعزيز	حذف
العيسي	ريناد	سطيف	أحمد بن عبدالعزيز	حذف
العيسي	محمد	سطيف	جلال بن ابراهيم	حذف
العيسي	عمار	سطيف	جلال بن ابراهيم	حذف
العيسي	رياض	سطيف	محمد بن جلال	حذف
العيسي	كمال	سطيف	رياض بن محمد	حذف

شكل 25. تحيين قاعدة البيانات

خاتمة

في هذا البحث قدمنا عرضا عن البرنامج الذي قمنا بتصميمه وتطويره بغرض مساعدة الباحثين في الأنثروبولوجيا عموما وفي علوم المواقعية والأنوماستيك خصوصا. يعمل البرنامج على تذليل الصعاب أمام الباحث بتوفير البيانات بصفة منظمة ومترابطة لا يمكن للباحث أن يقوم بها بطريقة يدوية، اذ يعرض العلاقات بين الأفراد برسوم بيانية، كما يعرض احصائيات بطريقة مبسطة تسهل على الباحث الاستنتاج والفهم الأعمق للمعطيات التي بين يديه، كما يعالج البرنامج المعطيات اللسانية عن طريق تقنيات المعالجة الالية للغات الطبيعية.

المراجع:

[1] Sadik BESSOU, Mohamed TOUAHRIA. «An Accuracy-Enhanced Stemming Algorithm for Arabic Information Retrieval» Neural Network World, 2014, 24.2: 117.

[5] Lynda SALHI. « Etude anthroponymique de la commune d'Aokas De 1962 à 1970 » Mémoire de Master, 2015.

[6] Farid Benradane, Brahim Atoui. Livre : « Nomination et dénomination des noms de lieux, de tribus et de personne en Algérie ».

[8] Héla FEHRI. « Reconnaissance automatique des entités nommées arabes et leur traduction vers le français ». Thèse de doctorat, 2012.

[10] JM.CHALON, « Les applications du traitement automatique du langage naturel », Diplôme Supérieur, Université Claude Bernard Lyon, 1991.

[11] François Yvon, cours : « Une petite introduction au Traitement Automatique des Langues Naturelles », ParisTech, 2007.

[13] BENAISSA Bedr-Eddine, « Construction semi-automatique d'ontologies à partir de textes arabes », Mémoire de magister 2011/2012.

[14] Antoine Cornuéjols : « Bases de données concepts et programmation » AgroParisTech, cours 2009-2010.

انتشار أسماء الألقاب في الجزائر بعد الاستقلال ودورها في التنمية المستدامة

د. جمال نحالي

أ. مزياني عاطف

جامعة باتنة

مقدمة:

23 1882

.

" ".

.

(ACETEL)

SIG .

.

:

:





23 1882

13 1883

:

RIGISTREMATRICE

.[1]

[2] .

Bureaux

arabes ( )

[3]

23 1882

. AGERON[4] 1873

.

17 : **" كل عقد ملكية، يجب، أن يشمل اسم المالك إضافة إلى لقبه العائلي. في حالة عدم وجود اسم معروف للمالك، يختار له اسم قطعة الأرض."**

.

طريقة العمل:

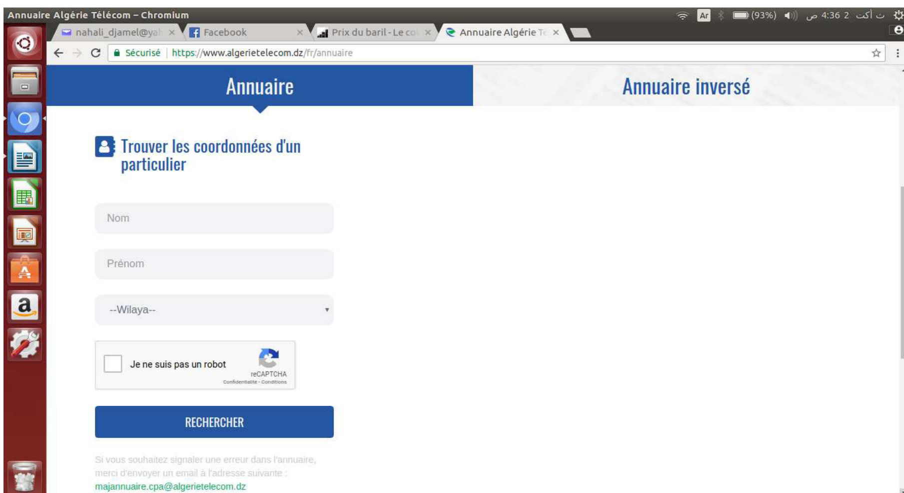
1 Algerie Telecom

https://www.algerietelecom.dz/fr/annuaire

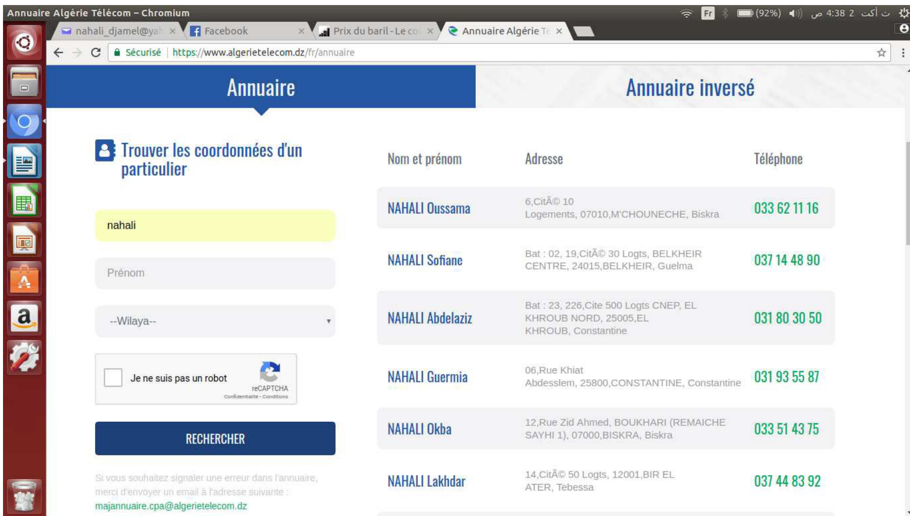
1 1



2 1



3 1

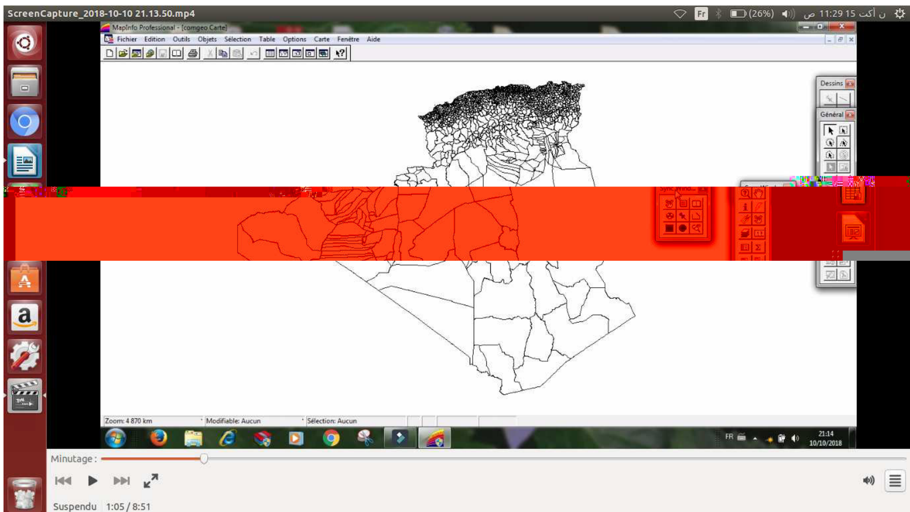


2

MAPINFO 1 2



2 2 MAPINFO



3 2 mapinfo

ScreenCapture_2018-10-10 21.13.50.mp4

MapInfo Professional - [Query1 Données]

Fichier Edition Outils Objets Sélection Table Options Données Fenêtre Aide

code_commu	COMMUNE	ID	WILAYA	NATURE	CODE	pop1987	pop1998	taux_acc	pop_masc	pop_fem	total	superficie
718	AIN ZAATOUT	233	BISKRA	COMMUNE	7	3 879	4 000	0.27	2 028	1 972	0	0
720	DJEMORAH	234	BISKRA	COMMUNE	7	8 446	11 218	2.56	5 682	5 537	0	0
719	EL OUTAYA	235	BISKRA	COMMUNE	7	7 119	8 787	1.89	4 473	4 314	0	0
721	TOLGA	236	BISKRA	COMMUNE	7	29 857	42 316	3.15	21 285	21 032	0	0
728	M_ZIRAA	237	BISKRA	COMMUNE	7	4 226	7 060	4.67	3 637	3 423	0	0
712	M_CHOUNECHE	238	BISKRA	COMMUNE	7	7 572	9 143	1.69	4 661	4 482	0	0
703	BRANIS	239	BISKRA	COMMUNE	7	5 041	4 976	-0.12	2 514	2 462	0	0
704	CHETMA	240	BISKRA	COMMUNE	7	5 726	8 677	3.76	4 348	4 329	0	0
701	BISKRA	241	BISKRA	CHEF-LIEU-WILAYA	7	128 924	178 064	2.91	89 388	88 676	0	0
732	EL HADJEB	242	BISKRA	COMMUNE	7	6 189	8 394	2.75	4 327	4 067	0	0
710	ECH CHAIBA	243	BISKRA	COMMUNE	7	5 675	4 675	-1.71	2 374	2 301	0	[illegible]
711	SIDI OKBA	244	BISKRA	COMMUNE	7	17 802	26 139	3.47	13 128	13 011	0	[illegible]
733	KHANGAT SIDI NADJI	245	BISKRA	COMMUNE	7	2 765	2 526	-0.8	1 273	1 253	0	[illegible]
731	EL GHROUS	246	BISKRA	COMMUNE	7	6 869	12 846	5.72	6 486	6 360	0	[illegible]
726	FOUGHALA	247	BISKRA	COMMUNE	7	6 174	9 713	4.11	4 871	4 841	0	[illegible]
715	ZERIBET EL OUED	248	BISKRA	COMMUNE	7	11 761	16 379	2.99	8 221	8 158	0	[illegible]
729	BOUCHAGROUN	249	BISKRA	COMMUNE	7	7 798	10 800	2.94	5 367	5 367	0	0
723	LICHANA	250	BISKRA	COMMUNE	7	5 762	8 740	3.77	4 360	4 380	0	0
702	OUMACHE	251	BISKRA	COMMUNE	7	6 463	8 175	2.11	4 117	4 058	0	0
714	AIN NAGA	252	BISKRA	COMMUNE	7	7 941	10 054	2.12	5 147	4 907	0	0
727	BORDJ BEN AZZOUZ	253	BISKRA	COMMUNE	7	8 780	11 043	2.06	5 624	5 418	0	0
709	DOUCEN	254	BISKRA	COMMUNE	7	14 858	21 212	3.22	10 711	10 501	0	0
725	MLILI	255	BISKRA	COMMUNE	7	3 909	5 151	2.48	2 571	2 579	0	0
713	EL HAOUCH	256	BISKRA	COMMUNE	7	4 755	4 328	-0.83	2 134	2 194	0	0
716	EL FEIDH	257	BISKRA	COMMUNE	7	10 608	12 482	1.46	6 152	6 330	0	0
724	OUGHLAL	258	BISKRA	COMMUNE	7	4 520	5 820	2.27	2 851	2 968	0	0
722	LIOUA	259	BISKRA	COMMUNE	7	10 251	15 960	4.01	8 103	7 857	0	0
730	MEKHADMA	260	BISKRA	COMMUNE	7	2 875	4 317	3.66	2 119	2 198	0	0
707	BESBES	261	BISKRA	COMMUNE	7	7 173	6 481	-0.9	3 317	3 164	0	0
706	RAS EL MIAAD	262	BISKRA	COMMUNE	7	11 638	6 053	-5.65	0	0	0	0
705	OULED DJELLAL	263	BISKRA	COMMUNE	7	33 270	45 622	2.85	23 187	22 435	0	0

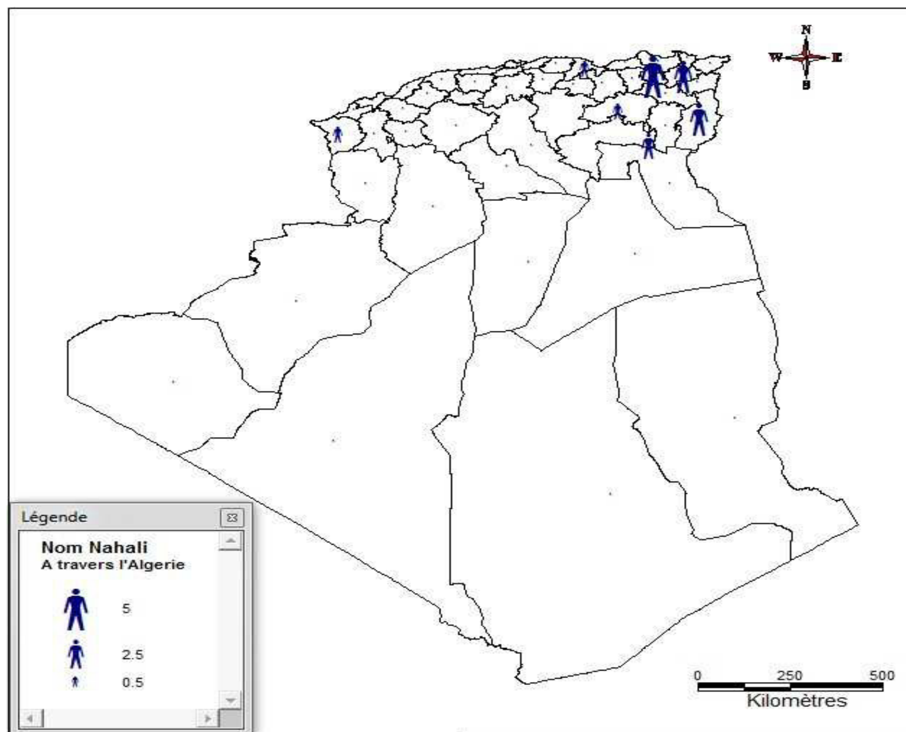
1 à 32 /33

Minutage :

Suspendu 1:42 / 8:51

4 2

1 4 2



3- تحليل

 :

 .

➢ فرضـــية "1":

.

➢ الفرضية "2":

.



.

Références :

---

(1) Ouerdia YERMECHE, 2005a « Le patronyme algérien : essai de catégorisation sémantique » in In *Nomination et dénomination. Des noms de lieux, de tribus et de personnes en Algérie* Ed. du CRASC, Oran. pp.61-82.

(2) Vroonen, Eugène, 1967, *Les noms des personnes dans le monde*, Anthroponymie universelle comparée, Edition de la librairie encyclopédique, 1967, P. 207 : « pour rechercher la signification d'un patronyme, il faut déterminer la langue qui lui sert de support. Si la langue et apparente, il sera normal de supposer que le nom a vu le jour dans un territoire où cette langue est parlée. [...] »

(3) Benramdane, F., 2000bis, *toponymie algérienne ; transcription latine* : passif historique et question de normalisation in *bulletin des sciences géographiques et de télédétection spéciale toponymie*, n°5, édité par l'INCT, Alger, p :28

(4) Ageron, Charles Robert, 1964 « *histoire de l'Algérie contemporaine* » éd. PUF, collection « que sais-je ? » N° 400, sixième édition 1977, Paris

إنشاء قاعدة معارف لعناصر التسمية الشخصية الجزائرية

(مقاربة لسانية حاسوبية معززة بأنطولوجيات علم التسمية)

أ. د: ديدوح عمر جامعة تلمسان

الباحثة رحماني فاطمة، جامعة تلمسان

المهندس بوجوراس خديجة، جامعة تلمسان

المستخلص:

نتناول في مداخلتنا حل إشكالية دمج منظومة التسمية الشخصية الجزائرية بعناصرها الثلاثة، الاسم واللقب، والكنية، في المنظومة المعلوماتية بشقيها: الحاسوبية، والشبكية العالمية، لتحقيق مردودية تكنولوجية تنموية على الصعيدين: الحكامة والضبط الإلكتروني لسجلات الحالة المدنية، وتهيئة بوابة إلكترونية للاستعمال، والاسترجاع وقت الضرورة، اقتضاء لمعالجة البرنامج على ضوء بيئة هندسة المعرفة، استدعينا خطة دقيقة للمعالجة. تضمنت تحديد مفاهيم الانطولوجيا في المساقات العلمية المختلفة، فمفهومها الفلسفي يعني خرائط الوجوديات وشق هذا المصطلح في مجتمع المعرفة طريقه إلى مجالات هندسة المعرفة، والتقانات التكنولوجية المتقدمة في المعلوماتية الجديدة.

ونأخذ في الاعتبار استخلاص الأهداف العملية للمعالجة، المتمثلة في أن الدور الرئيسي لقاعدة المعارف للأسماء هو تنظيم، واسترجاع المعلومات، والعمل على إنجاز مجموعة من الإحصائيات من جانب آخر لدعم بنية ورؤية الويب الدلالي لتحقيق قيمة مضافة لأنطولوجيا التسمية الجزائرية بصفة مميزة.

الكلمات المفتاحية:

الأنطولوجيات، الويب الدلالي، لغات البرمجة، قاعدة المعارف، التركيب الثلاثي، الإحصائيات المرافقة، القيمة المضافة.

مقدمة:

تتيح الأنطولوجيات خدمة عالية الجودة لمجتمع المعرفة، وهي ترتبط ارتباطا وثيقا بقاعدة المعارف المعززة بشبكة الكلمة، عوضا عن قاعدة البيانات التي لم تعد كافية لاستجابة متطلبات مجتمع المعرفة الذي يهدف إلى تفسير المعلومات المتراكمة عبر القرون.

والمداخلة تعرض فكرة إنشاء قاعدة معارف مفاهيمية، في نطاق التسمية الشخصية الجزائرية، نحاول من خلالها عرض فكرة وجود، نماذج لقواعد معطيات، ومعارف حديثة ذات آليات وخبرة حاسوبية عالية تمكن من تحقيق اصطلاح نسقي، وأنه بإمكان اللغة العربية الاستفادة منها في تنظيم اصطلاحاتها إذا وفرت الأدوات والأنظمة اللازمة لذلك.

تليها منهجية عمل التسمية، ليعمل على تحليل مفهوم قاعدة المفاهيم مقترحا بعض الخطوات المنهجية لتجريب هذا المفهوم في مجال منظومة الأسماء الجزائرية.

ويأتي اهتمام مداخلتنا بإنشاء قاعدة معارف لعناصر التسمية الشخصية الجزائرية في نطاق النظام العائلي انطلاقا من الاسم، واللقب والكنية، فقائمة الأسماء المذكرة والمؤنثة مفتوحة، وقائمة الألقاب والكنى مغلقة.

نعالج عينات من الأسماء والألقاب مذكرة ومؤنثة من مناطق الغرب الجزائري، في نطاق قاعدة معارف، تحديدا ولاية معسكر، ووهران وتلمسان، عينات منتقاة، على أن يتابع البحث مساره في توسيع قاعدة المعارف لضم جميع الأسماء، والألقاب الجزائرية تيسيرا للاستخدام في الحالة المدنية باعتماد انطولوجيات علم التسمية.

الإشكالية:

تجيب المداخلة عن حل الإشكالية المتمثلة في:

إلى أي مدى يمكن تحديد ما وصل إليه مجال التسمية البشرية في الجزائر وهل يمكن تأصيل أسماء الأعلام من أجل إحياء القيم الدينية والاجتماعية؟ وماهي المناهج والسبل لإعداد قاعدة معارف أنوماستيكية أنتربونيمية للتسمية البشرية الجزائرية؟

الأهداف:

1- إنشاء انطولوجيا لتسمية الشخصية الجزائرية

2 – إنشاء برنامج تطبيقي للأسماء الجزائرية
3 – البحث عن أصل الأسماء الجديدة التي ظهرت في الآونة الأخيرة.
4 _ إيجاد حلول ومناهج لإحياء القيم الاجتماعية والدينية.

وتسير المداخلة وفق الخطة الآتية:

أهمية التسمية البشرية في تلحيم إسمنت النسيج الاجتماعي وارتباطها بالشخصية الوجودية للمجتمع الجزائري.

الوثبة الحضارية بتيسير المنظومة الاسمية الجزائرية لنسيج الكلمة، وشبكة الكلمة المتاحة على الشابكة العالمية.

دعم انطولوجيا الويب الدلالي بقاعدة معارف مزودة بقوائم الأسماء والألقاب والكنى الجزائرية مجاراة لمتطلبات مجتمع المعرفة.

وتستطيع لغة أنطولوجيا الويب أن تصف من الناحية الشكلية معاني المصطلحات المستخدمة في إحدى تطبيقات الويب والعلاقات بين هذه المصطلحات، فهي تملك أدوات أكثر للتعبير عن الدلالات تفوق ما تتيحه تقنياتXML, RDF, RDF–S وتذهب لغة انطولوجيا الويب إلي *ما* وراء هذه اللغات من حيث إكساب الحواسيب والبرمجيات القدرة علي التفسير والترجمة.

العرض:

أهمية التسمية البشرية في تلحيم إسمنت النسيج الاجتماعي، وارتباطها بالشخصية الوجودية للمجتمع الجزائري.

فطرت الإنسانية تضمين الأشياء مسميات تعرف بها وتتميز بها عما سواها لاسيما الأسماء البشرية، فتبدو لنا أهمية التسمية و فضلها فقد وهب الله أبا البشرية، أدم علية السلام سرّ تمييز الأشياء بمسمياتها، فانتقلت التسمية بمفاهيمها الوجودية عن أبي الوجود البشري، لتمثل ميراثا وجوديا تضمنت نواته الأولى سر التسمية البشرية كما تضمنت النواة سر الخلية، عبر الحقب المتتالية بتسمية المواليد ذكورا وإناثا اهتماما بالغا متأثرة بالعادات الاجتماعية السائدة تأثر البشرية بالدين المنتسبون إليه ، متمثلين قوله صلى الله عليه وسلم "إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء أبائهم فأحسنوا أسماءكم".

لهذه الدواعي ارتأينا إنشاء انطولوجيا لتسمية الشخصية الجزائرية معززة ببرنامج تطبيقي بعد مسح ميداني للتسمية في تركيبها الثلاثي مع دراسة المعلومات المصاحبة التي تساعدنا في تحليل مركبات التسمية الجزائرية. وإلى ما وصلت إليه في الآونة الأخيرة والبحث عن مسببات ظاهرة التسميات الجديدة وهل يمكن معالجتها؟.

الانطولوجيا وقاعدة المعارف للتسمية الجزائرية:

تذهب الدراسات المتخصصة في الأنطولوجيات مذاهب شتى في تعريفها، انطلاقا من مفهومها الفلسفي ووصولا إلى المفهوم المعلوماتي المرتبط بمجتمع المعرفة، إن إنشاء أنطولوجيات فاعلة لابد من ارتباطها بشبكة الكلمات وتعزيزها بقاعدة معارف تتضمن الكلمات ومترادفاتها وعلاقاتها المتشابكة.

ففي الفلسفة تعني: علم الوجود وهي في صلب اهتمام الباحثين في الفلسفة وعلم الاجتماع[1]. معنى الانطولوجيا فلسفيا وهي كلمة يونانية الأصل تتألف من مقطعين وOnto بمعنى الوجود وLogy وتعني. علم، وأنطولوجيا تعني علم الوجود.[2]

والأنطولوجيا (Ontology) ، هي كلمة يونانية تشير إلى فرع من فروع الفلسفة التحليلية، وتعني العلم الموجود بما هو موجود[3]

وفي علم المعلومات تعني: طريقة لتمثيل المفاهيم، عن طريق الربط بينها بعلاقات ذات معنى، ليسهل ربط الأشياء ببعضها ولفهم أوسع للمفاهيم المختلفة.[4]

وهي أدوات لتمثيل المعرفة لحصر المصطلحات التي تعبر عن الموضوعات المعرفية، مثل اللغة وعلاقاتها بالموجودات، وتعمل على تنظيمها وتوضح العلاقات التي تربط بينها، حيث توضح المصطلحات المترادفة ذات الصلة وتحلل الصيغ المختلفة من المصطلحات بما فيها الأسماء[5].

وتعرف الأنطولوجيا أيضا بأنها" مخطط ثنائي البعد، ترد فيه المفاهيم محددة بالمصطلحات التي تعبر عنها ومنظمة في شكل هرمي، متدرجة من العام على الخاص، فتاتي المفاهيم العامة على رأس الهرم، وتليها في المستويات الهرمية المفاهيم الفرعية، والأمثلة، نزولا إلى قاعدة الهرم، وتوضح خريطة المفاهيم العلاقات بين المفاهيم الواردة في المستويات المختلفة باستخدام أسهم تربط المصطلحات ببعضها، مع كتابة كلمات رابطة على الأسهم، لإيضاح طبيعة العلاقة بين المفاهيم."[6]

وهي أيضا، تعريفات دقيقة لمعاني الأشياء المراد وصفها، إن الأنطولوجيا هي تعريفات دقيقة لمعاني الأشياء المراد تداولها، إن تعريف المعاني في الأنطولوجيا يمثل بلغة المنطق الشكلي وبذلك تحسب المعاني وتستنتج آليا من الجمل المنطقية.(7)

نبتغي من عمل الانطولوجيا العامة للتسمية البشرية الجزائرية الوصول إلى علاقات دلالية مفسرة منطقيا، وتركز على أن تكون صياغة تعريفات المفاهيم الخاصة بالتسمية الجزائرية مسيرة بمعايير أنطولوجية في المظهر والجوهر، باعتماد الأنطولوجيات العليا العامة.

الوصول لهذه الطريقة من التفسير والفهم للمعارف، يتطلب الاستعانة بالانطولوجيا، وبذلك يرتبط إنشاء انطولوجيا علم التسمية بشبكة الكلمات، لأنها تمثل الجانب المعرفي للغة الطبيعية، وانطلاقا من معاييرها نقترح إنشاء قاعدة معارف للأسماء الجزائرية الممثلة لمرجعية عناصر تركيب التسمية الشخصية الجزائرية في شكلها الرسمي، وغير الرسمي، استنادا إلى الشبكات المعيارية المتاحة مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصيات البني الاسمية ذات الطابع الجزائري بنية ودلالة. وتتقسم خرائط المعرفة إلى نوعين؛ أحدهما خاص بمجال محدد، وبالتالي يتضمن معاني المصطلحات وفقاً لذلك المجال، أما النوع الآخر فهو عام يمثل المعرفة الممتدة عبر المجالات المختلفة ويعبر عن المعاني عبر المدى العريض.(8)

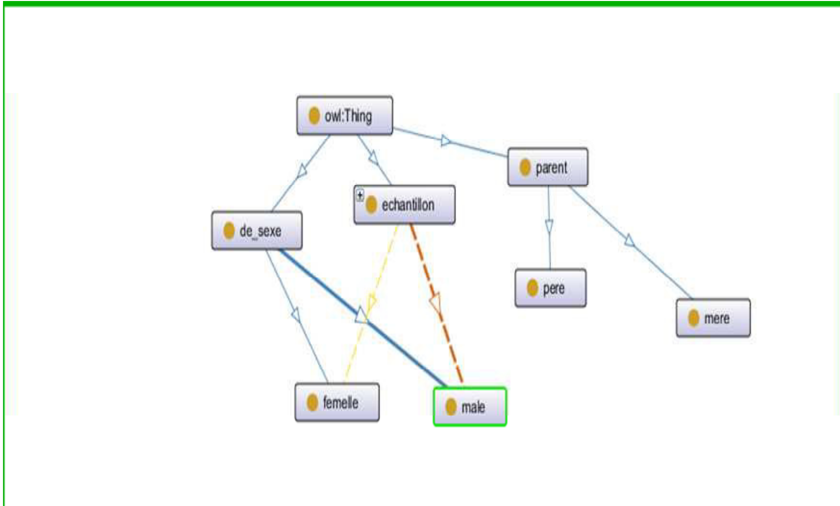
وترتبط الانطولوجيا بتعزيز قاعدة المعارف التي تعني ببنوك المصطلحات وتنميطها، ويتضح مفهوم قاعدة المعارف الاصطلاحية باعتباره مفهوما حديثا يتجاوز في مضمونه مفهوم بنك المصطلحات. ليعالج إنشاء قاعدة معارف اسمية باللغة العربية. في سياق تحديد قواعد المفاهيم، وبالطبع فإن قاعدة المعارف تبتعد كثيرا عن قاعدة البيانات، في كون قاعدة المعارف تعتمد النظم الذكية مثل الذكاء الاصطناعي والدلالة الاصطناعية، أداة لعملها وقاعدة البيانات تعتمد الشبكة الأعصابية والنظم الخبيرة، وتحقق قاعدة المعارف نجاعة فائقة في مجال انطولوجيا التسمية الشخصية، وتتجافى عن الأخطاء وتحقق نسبة الفعالية بدرجة اكبر.

وقد تعني قواعد المعرفة نوعا من أنواع قواعد البيانات لإدارة المعرفة. قواعد المعرفة هي مخزن للمعلومات التي توفر وسيلة لجمع المعلومات وترتيبها ونشرها والبحث فيها والانتفاع منها. ويمكن أن تكون على شكل قابل للقراءة الكترونيا أو تكون للاستخدام البشري فقط(9).

وفيما يلي حصيلة إنشاء قاعدة المعارف المعززة بأنطولوجيات مزودة بعينـات من الأسماء، والألقاب الجزائرية، اختيرت من ثلاث ولايات بـالغرب الجزائـري، مثلت طوائف من أسماء مذكرة وأسماء مؤنثة، وقاعدة معارف خاصة بالألقاب في الولايات المذكورة.

وقدمت في إطار برنامج تطبيقي مفعل مكون مـن واجهـة رسـومية تسـاعد المستخدم من التعامل التفاعلي مع البرنامج، وتمكنه من التعـرف علـى الأسـماء المذكرة والمؤنثة الغالبة في هذه البيئات.

تعريفاتالمفاهيموالعلاقات الدلالية فيما بينها



قاعدة معارف الأسماء و الألقاب الجزائرية:

لغة البرمجة Ontology web Language (OWL)

OWLDoc x OWLDoc x +

file:///C:/Users/Public/Documents/index.html

Import bookmarks

Ontologies Classes Object Properties Data Properties Annotation Properties Individuals Datatypes Clouds

Contents

- Ontology1364995044
- Classes (9)
- Object Properties (4)
- Data Properties (7)
- Individuals (40)
- Datatypes (3)

Ontologies Classes Object Properties Data Properties Annotation Properties Individuals Datatypes Clouds

Entities (58)

- owl:Thing
- adresse
- age
- de_sexe
- echantillon
- est_un
- est_une
- femelle
- lieu_de_naissance
- male
- mere
- nom
- owl:Nothing
- parent
- pere
- pers01
- pers02
- pers03
- pers04
- pers05
- pers06
- pers07
- pers08
- pers09
- pers10

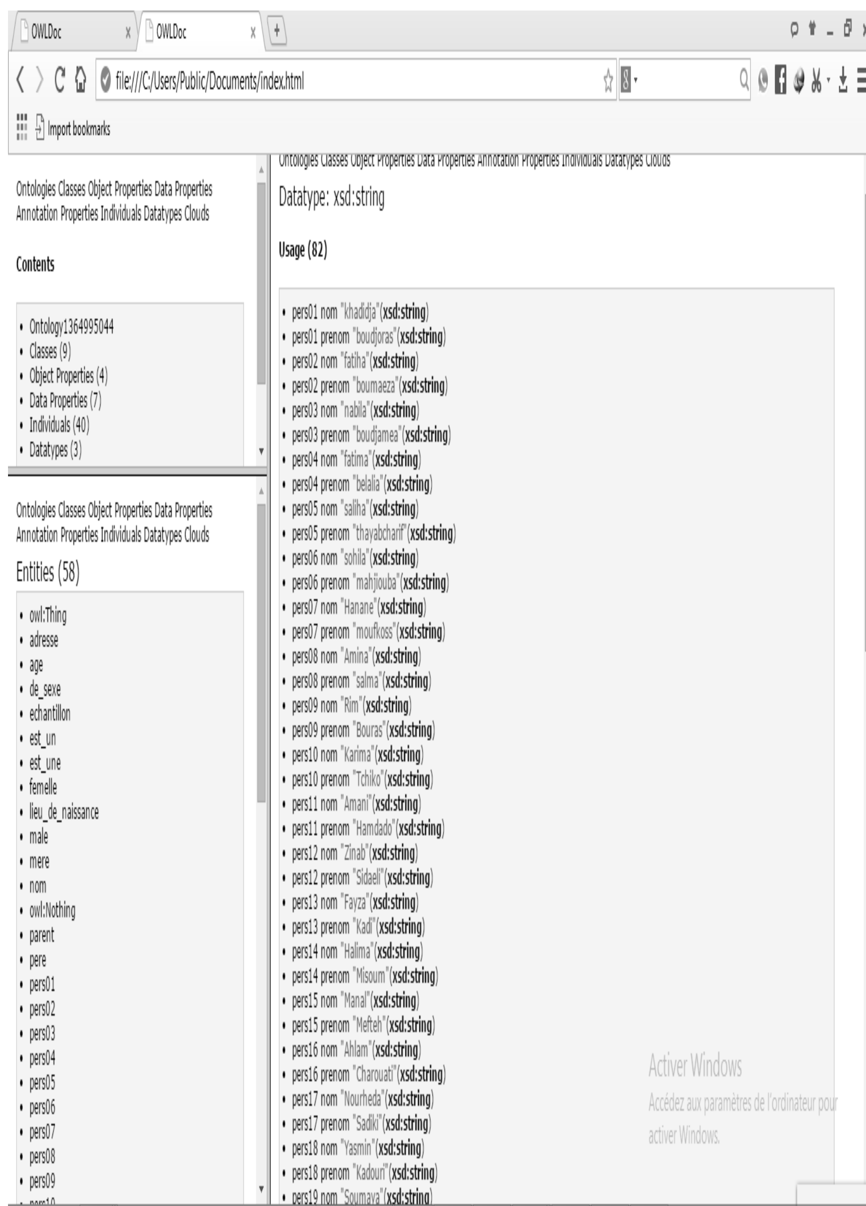
Ontologies Classes Object Properties Data Properties Annotation Properties Individuals Datatypes Clouds

Datatype: xsd:string

Usage (82)

- pers01 nom "khadidja"(xsd:string)
- pers01 prenom "boudjoras"(xsd:string)
- pers02 nom "fatiha"(xsd:string)
- pers02 prenom "boumaeza"(xsd:string)
- pers03 nom "nabila"(xsd:string)
- pers03 prenom "boudjamea"(xsd:string)
- pers04 nom "fatima"(xsd:string)
- pers04 prenom "belalia"(xsd:string)
- pers05 nom "saliha"(xsd:string)
- pers05 prenom "thayabcharif"(xsd:string)
- pers06 nom "sohila"(xsd:string)
- pers06 prenom "mahjiouba"(xsd:string)
- pers07 nom "Hanane"(xsd:string)
- pers07 prenom "moufkoss"(xsd:string)
- pers08 nom "Amina"(xsd:string)
- pers08 prenom "salma"(xsd:string)
- pers09 nom "Rim"(xsd:string)
- pers09 prenom "Bouras"(xsd:string)
- pers10 nom "Karima"(xsd:string)
- pers10 prenom "Tchiko"(xsd:string)
- pers11 nom "Amani"(xsd:string)
- pers11 prenom "Hamdado"(xsd:string)
- pers12 nom "Zinab"(xsd:string)
- pers12 prenom "Sidaeli"(xsd:string)
- pers13 nom "Fayza"(xsd:string)
- pers13 prenom "Kadi"(xsd:string)
- pers14 nom "Halima"(xsd:string)
- pers14 prenom "Misoum"(xsd:string)
- pers15 nom "Manal"(xsd:string)
- pers15 prenom "Mefteh"(xsd:string)
- pers16 nom "Ahlam"(xsd:string)
- pers16 prenom "Charouati"(xsd:string)
- pers17 nom "Nourheda"(xsd:string)
- pers17 prenom "Sadiki"(xsd:string)
- pers18 nom "Yasmin"(xsd:string)
- pers18 prenom "Kadouri"(xsd:string)
- pers19 nom "Soumaya"(xsd:string)

Activer Windows
Accédez aux paramètres de l'ordinateur pour activer Windows.



OWLDoc
OWLDoc
file:///C:/Users/Public/Documents/index.html
Import bookmarks
Ontologies Classes Object Properties Data Properties Annotation Properties Individuals Datatypes Clouds
Contents
Ontology1364995044
Classes (9)
Object Properties (4)
Data Properties (7)
Individuals (40)
Datatypes (3)
Ontologies Classes Object Properties Data Properties Annotation Properties Individuals Datatypes Clouds
Entities (58)
owl:Thing
adresse
age
de_sexe
echantillon
est_un
est_une
femelle
lieu_de_naissance
male
mere
nom
owl:Nothing
parent
pere
pers01
pers02
pers03
pers04
pers05
pers06
pers07
pers08
pers09
Ontologies Classes Object Properties Data Properties Annotation Properties Individuals Datatypes Clouds
Datatype: xsd:string
Usage (82)
pers01 nom "khadidja"(xsd:string)
pers01 prenom "boudjoras"(xsd:string)
pers02 nom "fatiha"(xsd:string)
pers02 prenom "boumaeza"(xsd:string)
pers03 nom "nabila"(xsd:string)
pers03 prenom "boudjamea"(xsd:string)
pers04 nom "fatima"(xsd:string)
pers04 prenom "belalia"(xsd:string)
pers05 nom "saliha"(xsd:string)
pers05 prenom "thayabcharif"(xsd:string)
pers06 nom "sohila"(xsd:string)
pers06 prenom "mahjiouba"(xsd:string)
pers07 nom "Hanane"(xsd:string)
pers07 prenom "moufkoss"(xsd:string)
pers08 nom "Amina"(xsd:string)
pers08 prenom "salma"(xsd:string)
pers09 nom "Rim"(xsd:string)
pers09 prenom "Bouras"(xsd:string)
pers10 nom "Karima"(xsd:string)
pers10 prenom "Tchiko"(xsd:string)
pers11 nom "Amani"(xsd:string)
pers11 prenom "Hamdado"(xsd:string)
pers12 nom "Zinab"(xsd:string)
pers12 prenom "Sidaeli"(xsd:string)
pers13 nom "Fayza"(xsd:string)
pers13 prenom "Kadi"(xsd:string)
pers14 nom "Halima"(xsd:string)
pers14 prenom "Misoum"(xsd:string)
pers15 nom "Manal"(xsd:string)
pers15 prenom "Mefteh"(xsd:string)
pers16 nom "Ahlam"(xsd:string)
pers16 prenom "Charouati"(xsd:string)
pers17 nom "Nourheda"(xsd:string)
pers17 prenom "Sadiki"(xsd:string)
pers18 nom "Yasmin"(xsd:string)
pers18 prenom "Kadouri"(xsd:string)
pers19 nom "Soumaya"(xsd:string)
Activer Windows
Accédez aux paramètres de l'ordinateur pour activer Windows.

برنامج تطبيقي

sexe : male

Adresse : Mascara

Vider | Rechercher

Explorer les activités

Activités :

```
-------------------------------------
| NOM            | Prenom           |
=====================================
| "Ahmed"        | "Kari"           |
| "Ahmed"        | "Ahmed"          |
| "Khalil"       | "Bensghir"       |
| "Khalil"       | "Khalil"         |
| "Sofiane"      | "Didouh"         |
| "Sofiane"      | "Sofiane"        |
| "Louni"        | "Mahmoudi"       |
| "Louni"        | "Louni"          |
| "Bilal"        | "Dadouche"       |
| "Bilal"        | "Bilal"          |
| "fatima"       | "belalia"        |
```

تعد حاجة مؤسسات المعلومات الى التوجه نحو النظم والتكتلات التعاونية لتقديم خدمات ومعلومات أعلى مستويات الفاعلية وبسرعة اكبر وقد كانت ولازالت قوائم الأسماء والألقاب والمعلومات الشخصية تسعى صوب تحقيق التعاون بالشراكة بين المؤسسات العمومية ومؤسسات الدولة ومع كثرة المعطيات وتنوعها نسعى إلى إنشاء مشروع تعاوني وهو إنشاء قاعدة معارف معتمدة على مبدأ **انطولوجيا** بلغتها الرقمية (owl) يرجع مردودها على المستوى المحلي والوطني.

الواجهة: هي من المكونات الرئيسية للمشروع التي تؤثر على استخدام الأنطولوجيا الرقمية فهي همزة الوصل بين المستفيد (الباحث) والتفاعل مع قاعدة المعارف، ويمكن من خلالها التعرف والتحليل لمحتوياتها، ويمكن القول إن واجهة المستخدم تعد أحد العناصر المؤثرة في أداء المشروعات الرقمية فهي نقطة الوصل بين قاعدة المعارف ومحتواها وبين متطلبات الباحث واستفساراته، فمن خلال الواجهة المستفيد يكسب الكثير من المميزات، فهي واجهة رسومية تحتوي على مجموعة من الأيقونات التي تسهل وتبسط العملية للمستفيد وكذلك من خلال الواجهة يمكن التعرف على الأسماء والألقاب، و جميع المعلومات للعينات لكل ولاية من ولايات الغرب الجزائري: (معسكر، ووهران، وتلمسان) ويمكن من خلالها فرز الأسماء ذكورا أو إناثا كلاً على حدة.

الخلاصة:

تشتد الحاجة إلى حوسبة منظومة التسمية الجزائرية في تركيبها الثلاثي، الاسم واللقب والكنية لضرورات حضارية تتطلبها ثقافة مجتمع المعرفة المقترن بالعولمة، واقتضاء لإدخال جميع الأسماء والألقاب، والكنى الجزائرية في قاعدة معارف معززة بانطولوجيا الانتربونيمي، علم التسمية البشرية الجزائرية، اقتضاء لخصوصيات التسمية الجزائرية التي تتحكم فيها معايير دينية واجتماعية وتاريخية ونفسية، حيث توجد في الجزائر أسماء وألقاب وكنى، يتعذر وجود نظائرها في مجتمعات أخرى. وبذلك يتسنى للبرنامج التطبيقي، الفرز والتدقيق والتأصيل للشخصية الجزائرية بكل خصوصياتها المميزة، وسنعمل على تطوير البرنامج التطبيقي ليسع كل الأسماء، والألقاب، والكنى الجزائرية ذكورًا وإناثا، لمواكبة متطلبات مجتمع المعرفة الواجهة الرسمية للعولمة التي تلغي الحواجز والحدود، وتصبو إلى محو الهويات والخصوصيات الثقافية للشعوب.

الهوامش:

---

(1)-. المجلة العراقية لتكنولوجيا المعلومات المجلد 8 _ العدد 1 -.2017 ص: 104

(2)- الرجع نفسه، ص: 103

(3)- مصطفى جرار: نحو تأصيل منهجي لبناء انطولوجيا اللغة العربية، جامعة بير زيت، فلسطين، ملتقى الأنطولوجيات العربية والشبكات الدلالية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 26 _25_ أفريل 2011.

(4)- عبد الغني الإدريسي: ماذا تعرف عن الويب الدلالي بحث متاح على الشبكة وينظر: عبد العزيز الأكلبي من تطبيقات الويب الدلالي في بيئة المعرفة مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، نوفمبر 2012، ص: 55

(5) – فاتن سعيد با مفلح: محركات البحث الدلالي في بيئة تطبيقات الويب الدلالي، بحث متاح على الشابكة بدف ص: 5

(6) – نفسه، ص: 25

(7) – مصطفى جرار، م، س.

(8)– عبد الهادي محمد فتحي: الاتجاهات الحديثة للتحليل الموضوعي للمعلومات، وموقف قطاع المعلومات العربي منها، أعمال المؤتمر العشرين للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات 9– 10 ديسمبر 2009، الرياض مكتبة الملك عبد العزيز2009. ص: – 684 – 686

(9)– ويكيبيديا على الرابط:

https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D8%AE%D8%A7%D8%B5:ElectronPdf&page=%D9%82%D8%A7%D8%B9%D8%AF%D8%A9+%D9%85%D8%B9%D8%B1%D9%81%D8%A9&action=show-download-screen

المراجع:

1 – عبد الغني الإدريسي: ماذا تعرف عن الويب الدلالي بحث متاح على الشبكة

2– عبد العزيز الأكلبي تطبيقات الويب الدلالي في بيئة المعرفة مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، نوفمبر 2012،

3– عبد الهادي محمد فتحي: الاتجاهات الحديثة للتحليل الموضوعي للمعلومات، وموقف قطاع المعلومات العربي منها، أعمال المؤتمر العشرين للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات 9– 10 ديسمبر 2009، الرياض مكتبة الملك عبد العزيز2009

4– فاتن سعيد با مفلح: محركات البحث الدلالي في بيئة تطبيقات الويب الدلالي، بحث متاح على الشابكة

5– مصطفى جرار: نحو تأصيل منهجي لبناء انطولوجيا اللغة العربية، جامعة بير زيت، فلسطين، ملتقى الأنطولوجيات العربية والشبكات الدلالية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 26 _ 25_ أفريل 2011..

6– المجلة العراقية لتكنولوجيا المعلومات المجلد 8 _ العدد1–.2017

– 7https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D8%AE%D8%A7%D8%B5:ElectronPdf&page = %D9%82%D8%A7%D8%B9%D8%AF%D8%A9+%D9%85%D8%B9%D8%B1%D9%81%D8%A9&action=show-download-screen

الدراسات الطوبونيمية بالجزائر وعلاقتها بالتنمية

د. لواتي فاطمة

م. ب. ع. ت. لتطوير اللغة العربية تلمسان.

الملخص:

إن علم الطوبونيميا من العلوم التي ترتبط بالدراسات البينية، حيث يكتسي أهمية بالغة، فهو تعبير عن التراث اللامادي للأمة، وعن سيادتها. هو تعبير عن صورة مركبة لثقافات متعددة ومتداخلة، وفضاء تتقاطع فيه الخصوصيات المحلية مع القيم العالمية.

فالطوبونيميا ذاكرة جماعية في صورة ناطقة، ومن ثم يصبح مجال بحثها نافذة أساسية على المجتمع بمختلف تجلياته. لهذا يحتاج علم الطوبونيميا إلى العديد من العلوم الاجتماعية والإنسانية وبعض العلوم التطبيقية لتفسير بعض الظواهر، لأنه أصبح أداة لازمة لإدارة الخدمات والمصالح والفضاءات المختلفة.

وقد اهتمت المؤسسات العلمية الجزائرية كالجامعات ومراكز البحث بهذا العلم الحديث وتناولت فيه مواضيع عدة سواء فيما تعلق بتحضير مذكرات التخرج (ماجستير، دكتوراه) أم خلق مشاريع بحثية تتناول هذا العلم وعلاقته بالمكان، أم حتى عقد ملتقيات وطنية ودولية تتناول فيها مواضيع عديدة، تطرق إليها الباحثون والأساتذة الجامعيين والطلبة.

تتناول هذه الورقة البحثية مدى أهمية كل الدراسات والبحوث الطوبونيمية بالمؤسسات العلمية الجزائرية وفاعليتها بالتنمية، وهل حققت فعلا تطورا ملموسا في مجال من المجالات العلمية؟

وكيف يمكن للطوبونيميا أن يكون علما فاعلا بالتمنية؟

الكلمات المفتاحية: الطوبونيما، المؤسسات العلمية، التنمية

تمهيد:

تندرج تحت لواء التّراث البشري علوم شتى من بينها أسماء الأماكن أو ما يعــرف بصيغة أخرى بالطوبونيميا. إذ لا يمكن أن نفصل بأي حال من الأحــوال بــين هــذه المسميات كالأطر الثقافية التي تمخضت عنها، حيث نجد في الكثير مــن الأحيــان أن العديد من الأماكن سميت بتسميات بحسب الأحداث الاجتماعية والحقبات التاريخية التي عايشتها وأنها تحمل في دلالتها جوانب تراثية وإرثا حضاريا.

تعريف الطوبونيميا:

الطوبونيميا أو المواقعية أو أسماء الأماكن، Toponymie هي مشتقة من الكلمــة اليونانية Topos، والتي تعني" المكان "، وOnoma، التي تعني "الاسم"، هــي العلــم الذي يدرس أسماء الأماكن والمعروفة بالطوبونيمات، Toponymes[1].

يفتح هذا العلم أفاقا جيدة في البحث وذلك بالرجوع إلى أصل تسمية المكان أو الأماكن ففي هذه التسمية دلالة أكيدة على الشعوب التي أنشأت هذه الأماكن وقد قيل أن المدن تتكلم لغة مؤسسيها.

والطوبونيميا علم لساني يهتم بدراسة معنى وأصل أسماء الأماكن والتطورات التــي طرأت على هذا الاسم عبر الزمن، فالعلاقة بين الاسم والمكان أي الدال والمدلول تنقل أحداثا جرت في الماضي وتكشف عن علاقة الانسان بذلك المكان[2].

إن الطوبونيميا ليست فقط تحقيق وثائق، وإنما تقوم بدراسة هذه الأسماء حتــى يتسنى فهم ما قصده المجتمع من خلالها، هي تروي المجتمع وتمكننا مــن قــراءة ثقافته واهتماماته وتطوراته[3]. يقول ألبرت دوزا "أن المواقعية تمكننــا مــن فهــم الروح الشعبية، ميولها سواء كان أسطوريا أم حقيقيا، والوسائل التي تعبر بها[4].

فالدراسة المواقعية تكتسب أبعادا شاسعة شساعة العلوم التي يعتمد عليهــا علــم المواقعية، إذ هي نظام متعلق باللسانيات التي تعد علما للغة بصفة عامة، وبصــفة أدق دراسة تاريخية ومقارنة للغات، لأن تسمية الأماكن عبارة عن بحث ووصــف وشرح للألفاظ التي ساعدت ومازالت تساعد على تعيــين جوانــب الطبيعــة فــي علاقتها مع الكيان الانساني[5]. كما تعكس التسمية بوصفها منتوجا اجتماعيا لبعض الابعاد الاجتماعية التي تحرك حياة المجتمع، حيث تظهر النماذج التســموية لكــل حضارة خصوصيتها وقيمتها الاجتماعية تماما، كما تجسد أنماطها الثقافية وأعرافها

وطقوسها وتقاليدها التي تنفرد بها عن غيرها، فالأسماء تعكس صورة الزمان والمكان والتكوين الاجتماعي والثقافي والمنظور العقلي، كما تظهر الأسماء أبعاد الثقافة والحضارة، وتصبغها بصبغتها وتطبعها بطابعها[6].

أيضا فإن أسماء الاماكن تمثل جزءًا من ذاكرة الشعوب، إذ أن التسمية قد ترتبط بذكرى ما في الماضي وتساعد على إحياء تاريخ مضى.[7]

أما عن الغرض من الدراسة المواقعية فهو التعرف على أصل تسمية المكان، فبدون التسمية يكون الإنسان مضطرا في كل مرة إلى وصف المكان بميزاته والطابع الغالب عليه. وتكون هذه التسمية مرتبطة أساسا مع جغرافية المكان، أو مع نوع من النبات أو الحيوان الذي يكثر تواجده بذلك المكان، أو مع أسامي تربط الشعوب بأراضيهم من قبائل وعائلات أو حتى أسماء لأولياء صالحين انتقلوا إلى ذلك المكان[8]. فهي دراسة لاسم المكان من الناحية التاريخية، أو الجغرافية أو الانثروبولوجية أو الدينية أو العرقية[9].

وتقع الطوبونيميا بوصفها علما يدرس أسماء الأماكن من حيث صوغها ومعناها وتطورها وأثرها على المجتمعات والثقافات في ملتقى كل العلوم، العلوم الإنسانية، اللغة والآداب والفلسفة وعلم الاجتماع والتاريخ وعلم الآثار والأنثروبولوجيا والجغرافيا والتخطيط الحضري وعلم النفس وغيرها والعلوم الاجتماعية والقانون والاقتصاد والادراة والسياسة وغيرها وعلوم الأرض والجيولوجيا وعلوم التربة وعلم المحيطات وعلوم الغلاف الجوي والجيوكيمياء والجيوفيزياء وعلم المعادن وعلم المناخ وغيرها[10].

نبذة تارخية عن علم الطوبونيميا:

رغم أن الكتب التي تناولت أسماء الأماكن قديمة قدم الزمان وكثيرة لا طائل لنا بإحصائها كلها سواء عند العرب أم كذلك عند الغرب، فلطالما اهتم العلماء منذ القدم بالمواقعية، إلا أنها لم تكتسب صفة العلم إلا في عام 1870 مع مشروع وضع قواميس خرائطية لكل مقاطعة فدرست كل مقاطعة بقدر كبير من التفاصيل وتطوراتها التاريخية عبر القرون، إلا ان هذا المشروع لم ينجح إلا بالنسبة لثلاثين مقاطعة.

وأول من اهتم بهذا العلم هو الفرنسي أوغست لونيون الذي يعتبر المؤسس الأول للطوبونيميا المنظمة والمنسقة، والذي أصدر كتاب "أسماء الاماكن بفرنسا"

في سنة 1920. بعد ذلك قام باحثون بتطوير أعماله ومنهم ألبــرت دوزا وشــارل روستينغ، وأرنست نقغ ويواصل حاليا أحد المختصين التعمّق فــي ابحــاث علــم الطوبونيميا[11].

العلوم التي يعتمد عليها علم الطوبونيميا:

كما سبقت الاشارة فإن الطوبونيميا تقع بوصفها علما يدرس أسماء الأماكن من حيث صوغها ومعناها وتطورها وأثرها على المجتمعات والثقافات في ملتقى كــل العلوم. فعلم الطوبونيميا لا يدرس إلا بحضور بعض العلوم التي تعتبر مكملة لــه كعلم التاريخ والجغرافيا واللسانيات حيث أن هذه العلوم تلعــب دورا فــاعلا فــي صياغة حقائق تاريخية وطبيعية وجغرافية ولغوية لأسماء الأماكن[12].

ولهذا يحتاج علم الطوبونيميا إلى العديد من العلوم الاجتماعية والانسانية وبعض العلوم التطبيقية لتفسير بعض الظواهر التي قد لا تكون في مجــال اختصــاص أو معرفة الباحث، فلا بد من الرجوع وأخذ العون من هذه العلوم.

ومن مجمل هذه العلوم:

أ: العلوم الاجتماعية والانســانية، مثــل علــم الآثــار والتــاريخ والجغرافيــا والطوبوغرافيا وعلم الاجتماع وعلم الانثروبولوجيا وعلــم الأثنوغرافيــا. وعلــم النقوش والكتابات القديمة، وعلم الميتورولوجيا، واللغات القديمة.

ب: العلوم التطبيقية وربما يحتاج الباحث من هذه العلوم على الأخص إلى علــم الجيولوجيا والمعادن.

1-اللسانيات:

اللسانيات هي العلم الذي يقرأ اللغة الإنسانية على وفق منظــور علمــي دقيــق ويستند إلى معاينة الأحداث وتسجيل وقائعها، قائما على الوصف وبنــاء النمــاذج وتحليلها بالإفادة من معطيات العلوم والمعارف الإنسانية الأخرى. ويرمي هذا العلم إلى كشف الحقائق وقوانين ومناهج الظواهر اللسانية وبيان عناصــرها ووظائفهــا وعلاقتها الافرادية والتركيبية داخل وخارج بنية النص[13].

تعتبر اللسانيات العلم الأساسي الذي تقوم عليه الطوبونيميا، فاللســانيات تســمح لدارس الطوبونيميا بالرجوع إلى الكتابات القديمة ومعرفة اشتقاق بعض الكلمــات،

خصوصا حينما يتعلق الأمر بأصول جذرية مثل بعض مفردات اللغة البربرية[14]. وأسماء الاماكن هي اولا وقبل كل شيء عناصر من اللغة لا تولد تلقائيا وإنما مختارة من الخزان المعجمي للغة[15].

فأسماء الأماكن هي عبارة عن إشارة سيميائية-إن صح التعبير-لمكان ما من قبل اللغة. إذ تمكن عملية تسمية الأماكن في إرساء إشارة لسانية نرسخها في المكان المقصود بتسمية هذه الإشارة اللسانية تعبر عن فردية الأماكن[16]. فعلم اللسانيات يسمح للطوبونيميا بدراسة أسماء الأماكن بنفس الطريقة التي يدرس بها المفردات اللغوية.

إذن تعتبر اللغة من أهم العلوم في دراسة الأسماء الجغرافية، باعتبار الاسم الجغرافي كائنًا لغويًا تنطبق عليه الشروط اللغوية من نحو وصرف ودلالة...

2-اللهجات:

تعتمد الطوبونيميا على اللهجات التي تختلف من بلد لآخر، وحتى في البلد الواحد نجد اختلافًا في اللهجة: من ريف وبادية أهل الحضر والمدن، وقد تكون اللهجات متأثرة باللغات القديمة كاللغات السامية وهي الأكادية ولهجاتها البابلية والاشوربة، الكنعانية ولهجاتها العبرانية والادومية والمؤابية والعمونية والاوجاريتية، والآرامية ولهجاتها الأرامية الفارسية والنطية والتدمرية والسريانية واللغات العربية الثموذية واللحيانية، واللغات الجنوبية السبئية والمعينية والقتبانية واللغات القديمة في الشرق القديم مثل اليونانية واللاتينية والفارسية والحثية والتركية والاشورية.

فالاسم على اختلاف مغزاه سواء كان اسم علم أم اسم مكان فهو جزء من الكلام أو اللغة، فكل اسم يحمل في ثناياه معنى لغويًا، ومن هذه الاسماء ما يكون مستعارا أو متوارثا من لغة أخرى لشعب معين إما كانوا قد سكنوا هذه المنطقة أو استعمروها أو تاجروا فيها أو غيرها من المؤثرات، وفي بعض الأحيان قد نجد أن اسم المكان قد لا يفسر بلغة اهله بسب الاختلاف في المعنى والصيغة والوزن الصرفي وفي نفس الوقت تنطبق هذه القواعد على لغة أخرى، لذلك يتطلب من دارس الطوبونيميا أن يكون ملما على اللغات الاخرى المجاورة والقديمة المتعاقبة على المنطقة.

3-علم التاريخ:

يعد علم التاريخ أحد أهم العلوم التي يعتمد عليها علم الطوبونيميا وهذا هو الظاهر فعلى سبيل المثال أسماء الأماكن في الجزائر ترتبط ارتباطا وثيقا بالحقبات التاريخية التي مرت بها الجزائر منذ نشأتها وعبر مراحل تاريخها والشعوب التي بصمت حضارتها وثقافتها من خلال أسماء منحوها للمناطق التي عمروا بها. في حين يعتبر آخرون ان علم التاريخ علم مكمل للدراسة الطوبونيمية فاسم المكان هو شاهد للماضي ومبلغ رسالة ثقافية كما انه يعطينا تاريخ ذلك المكان وعلاقته مع من عاشوا فيه وهيئوه ومنحوه اسما[17].

لهذا تتميز الطويونيميا في الجزائر بعدم الاستقرار فكل حضارة فرضت ثقافتها من خلال التسمية التي تمنحها للمكان فقد يحمل المكان الواحد عدة تسميات مختلفة ناتجة عن الاستعمار والتحرر من الاستعمار وإعادة الاستعمار[18]. حيث تتوفر الجزائر على عدد كبير من الأسماء المنحدرة من مختلف الحضارات التي تمركزت بالتناوب عبر القرون وإذا كانت المدونة الكبرى في البلاد تقوم على أساس عربي وبربري وفرنسي فهناك أيضا مساهمة من حضارات أخرى كالليبية والفينيقية والرومانية والبيزنطية إلى جانب الغزو التركي والغزو الاسباني فقد تركت هذه الحضارات وبدرجات متفاوتة أثارا مواقعية[19].

4-علم التاريخ اللغوي:

تعتبر الطوبونيميا مصدرا من مصادر البحث التاريخي اللغوي، وتطور اللغات واللهجات عبر التاريخ، وتساعد تسميات الاماكن على التعرف على الملامح التاريخية لشعوب المنطقة التي عاشت في الفترات السابقة ومناطق انتشارها وترحالها وحدودها التي وصلت إليها بالإضافة إلى تتبع مناطق انتشار لغاتها وثقافتها وعلاقتها التجارية والاقتصادية.

5-الجغرافيا:

تحاول الجغرافيا شرح ما يربط الانسان بوسطه وهذا ما يسمى "حب المكان" وهذا الشعور الذي يحسه الشخص تجاه مكان عيشه، الأمر الذي يجعل من كل مكان نقطة مميزة وفريدة. كما تشكل أسماء الأماكن إشارة سميولوجية تعبر عن فكرة فضاء ما من قبل شخص أو مجموعة من الأشخاص والذي لا نراه ولا نتخيله

إلا بمساعدة عتاد ذهني:"أننا لا نرى ولا نسمي إلا ما نحن قادرون على تلقيه"[20]. فكل شعب يسمي وينظم مكانه حسب ثقافته لأن العلاقة التي تربط الإنسان بمكانه قد تكون بالتأكيد قوية وبذلك فمعرفة الوسط وتسميته تشكل عنصرا قويا من الفعل الثقافي[21]. إذ أننا نجد بعض أسماء الأماكن تحمل دلالتها من طبيعة المكان وتضاريسه، فاختار الإنسان تسمية مناسبة مصدرها التسمية الأصلية كالماء مثلا والطبيعة ففرقوا بين العين والوادي والبحيرة والبحر ثم أعطوا لكل "عين" تسميتها الخاصة بها حسب ميزتها[22].

وبالجغرافيا نستطيع أن نتعامل مع أنواع عدة في الدراسة الطوبونيمية:

-الخرائط الطوبوغرافية

-الجغرافيا التاريخية

-الجغرافيا المناخية

1-الخرائط الطوبوغرافية:

الأسماء الجغرافية في الخرائط والمخططات والأطالس جزء أساسي منها، ولا قيمة لها تقريبا بدون الأسماء الجغرافية لأنها تمثل نبض حياتها والوثيقة الشخصية للمعلم الجغرافي وهي المعرف بها والمرشد إليها وصناعة الخرائط الاكثر تعاملا مع الأسماء الجغرافية[23].

1-1-الطوبوغرافيا الطبيعية:

فرع من فروع الجغرافيا، ويدرس هذا العلم التضاريس والظواهر الطبيعية السطحية للمكان، مثل الجبال والتلال والسهول والوديان وغيرها، ويسهم هذا العلم من خلال تفسيره لهذه الظواهر بسد ثغرة المعلومات الدلالية الطبوغرافية، لأنه يوجد في بعض من التسميات الجغرافية حقيقة تضاريسية طوبوغرافية، ويعتبر هذا العلم أساسا لعلم الجغرافيا.

2-الجغرافيا التاريخية:

هي العلم الجغرافي الذي يتبع الأحداث التاريخية جغرافيا من خلال تحديد مكانها على الخارطة الحديثة على حسب موضوعها، وربما تكون هذه الأحداث

سياسية أو عسكرية مثل الحروب والمعارك ودول وحضارات بائدة، أو أماكن جغرافية ذكرت في نقوش قديمة أو مصادر تاريخية قديمة، أو أماكن دينية.

3-الجغرافية المناخية:

بعض الأسماء الجغرافية ذات طبيعة مناخية، مثل البرودة والحرارة والرطوبة.

6-علم الآثار:

يهتم علم الآثار بدراسة ما تركه الإنسان من أشياء مادية بدءا من الأدوات التي صنعها من مادة خام لمواجهة متطلبات الحياة من معيشة ومسكن وغير ذلك وانطلاقا من أن هذه الأدوات تبقى بعده أثرا دالا على تجربته ومؤرخة عصره. وإذا كان من الصعب الوصول إلى تعريف دقيق يفصل بين علم التاريخ وتاريخ الفن وعلم الآثار، فإن من الممكن تحديد ميدان علم الآثار بأنه الكشف عن الأثر الإنساني المادي ودراسة وجلاء البيئة التي وجد فيها واستخلاص كل المدلولات الممكنة منه، ولايبتعد هذا التحديد لعلم الآثار كثيرا عن الدلالة التي استعملت لها قديما الكلمة اليونانية "اركيولوجيا" في اللغات الأوروبية وكانت تعني "علم القديم"، وتحديد الزمن الذي يتوقف عنده علم الآثار مختلف عنه، فبعضهم يرى أن مهمته يجب أن تنحصر في دراسة زمن الشعوب التي لم تكن تعرف القراءة والكتابة ويتوقف بعضهم الآخر بعلم الآثار عند عصر النهضة الأوروبية ولكن أكثر الدول تعد الآن أثريا كل ما يوجد قبل مائتي عام أو مئتين[24].

وأما عن علاقة علم الآثار بالطوبونيميا فتتمثل في كون علم الآثار يقدم بعض التفسيرات والمعلومات الهامة للدراسة المواقعية، فالشعوب والحضارات التي تمر على بلد ما تبقى آثارها ورسومها بادية في الأماكن[25].

فعلم الآثار مهم جدا من بين العلوم الإنسانية وذلك من خلال اهتمامه بدراسة الحضارات والمنجزات الحضارية والمخلفات المعمارية والأثرية واللقى الأثرية من مسكوكات وقطع أثرية، والتي بدورها يمكن أن تعطي تاريخاً دقيقاً للموقع الذي عثر عليها فيه.

ونستطيع القول ان علم الأسماء الطوبوغرافية مهم بالنسبة لعلم الآثار، من خلال اعتبار الأسماء الجغرافية وسيلة من وسائل التاريخ، لأن الاسم الجغرافي بحد ذاته

طبقة تاريخية، يستفاد منها تأريخ الموقع. ويقول الصليبي:"إن الدراسة اللغوية لأسماء الأماكن هي ضرب من علم الأثار، لأن أسماء الأماكن هي في الواقع آثار"[26]

7-علم الانثروبولوجيا والأثنولوجيا:

يقول كلايد كلوكهون:""...إن الانثروبولوجيا تمسك بمرآة ضخمة أمام الإنسان وتمكنه من أن ينظر إلى نفسه ليرى ما فيها من اختلافات لا حد لها، وعلى هذا النحو يمكن تعريف الانثروبولوجيا بأنها: علم الجماعات البشرية وسلوكها ومنتجاتها[27]".

فيختص هذا العلم بعدة مجالات منها دراسة الأعراق البشرية بمساعدة الهياكل العظمية، وأيضا دراسة السلوكيات والمجتمعات الإنسانية[28].

في حين نجد الاثنولوجيا أشد التصاقا بالانثروبولوجيا كونها تهتم بسلوك الانسان لا سيما السلوك النمطي المكتسب والذي يطلق عليه مصطلح"الثقافة". وفي هذا الصدد يذكر كروبير في كتابه "الانثروبولوجيا": أن الأثنولوجيا تهتم بدراسة الشعوب وثقافتها وسير حياتها كجماعات بغض النظر عن درجة تقدمها[29].

هذان التخصصان مثل علم التاريخ من أشد الاختصاصات المساعدة التصاقا بعلم الآثار. فالأول يبحث في التطور التاريخي الطبيعي للانسان. والثاني يبحث في ثقافته وعاداته وتقاليده، ولذلك يرى بعض العلماء انهما بحثان تاريخيان وبالتالي أثريان[30].

تلعب الروايات دورا هاما في حياة الناس، وهذا ما نجده في بعض الاساطير حيث تعرض أسماء الحيوانات تحمل رموزا خاصة بعرف معين، كالاسد مثلا يرمز إلى القوة والشهامة. وأما بخصوص العناصر الطبيعية المعدنية: كالماء فيرمز إلى الحياة والامان والخصب. فالمعارف الانثروبولوجية لها أهمية كبيرة في دراسة المواقعية[31].

لقد نزلت وتناوبت الحضارات على الشمال الافريقي فأثرت وتاثرت، فكان السكان يمنحون أسماء لأماكنهم حسب اعتقاداتهم العرفية والدينية. وإذا ما نظرنا في مضمون معتقدات الشعوب قديما، وجردناها مما يغلفها من طقوس ومظاهر وعبادات، فإننا نلحظ ان الظواهر الكونية كالشمس والقمر والهواء والماء والارض وقوة الاخصاب وعيون ومجاري المياه العذبة كانت تقدس ويقام لها الطقوس

المباشرة أو عن طريق رموز تتخير لها وتحل فيها، وذلــك لانهــا قــوى تحــيط بالانسان، وهي تكفل وجوده وتضمن له الحياة[32].

8-علم الانثنوغرافيا، علم الأجناس:

يختص هذا العلم بدراسة الشعوب والحضارات والأعراق والمجتمعات، ويهــتم بدراسة العادات والتقاليد والأديان المعاصرة وربطها بالماضــي[33]. ومنــه علــم الأنساب، وهو مهم جدا في هذا المجال، لوجود كثير من أسماء الأمــاكن مرتبطــة ارتباطا وثيقا بأسماء الأشخاص أو العائلات أو العرقيات. إن دراسة أسماء الأماكن وارتباطها بعلم الاجناس يساعد على فهم التطور اللغــوي والحضــاري لمختلــف مناطق العالم وشعوبها.

9-علم الاجتماع:

يختص هذا العلم بدراسة طبيعة المجتمع قديما وحديثا من خلال عــدة مبــادئ وهي طبيعة الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسلوكيات والعادات، ونظام العــيش، وطبقات المجتمع ونظام السكن، والبيوت وغيرها.

10-السياسة:

تحتاج الطوبونيميا من هذا العلم مجالاً واحدًا وهو آلية الاستعمار ومدى تــأثيره على الأسماء الجغرافية، كما جرى في بعض الدول التي استعمرت فــي بــدايات القرن الماضي من قبل الأوروبيين، فقاموا بإطلاق أسماء جديدة تخصهم وبلغــتهم على المناطق المستعمرة.

11-الجيولوجيا:

دراسة المكان والمناطق المحيطة به، ولتفسير الظواهر الطبيعية، التي حــدثت في المكان من زلازل وبراكين والتصدعات، والتكــوين الجيولــوجي لتضــاريس المكان، والتربة والمعادن، ومحاولة ربطها منطقيا باسم المكان الذي ربمــا يكــون مشتقا من ظاهرة جيولوجية.

12-الميثولوجيا والفكر الشعبي:

يختص هذا العلم بدراسة الفكر الشعبي، من روايات وقصص شعبية متداولة بين الناس، وهذه الأفكار أنتجتها الشعوب للتعبير عن محتواهم الفكري، أو حتى لتفسير بعض الظواهر التي ليس لها أسبقية فكرية لديهم، مثال أسماء الأماكن المجهولة المعنى والهوية: يقومون بنسبتها إلى حاكم أو ملك قديم، أو امرأة أو قصة خيالية.

13-علم النقوش:

تعتبر النقوش مصدرا تاريخيا هاما من مصادر دراسة الأماكن الجغرافية في المنطقة مثل النقوش النبطية والنقوش الصفوية والنقوش القديمة جدا.

14-الأديان القديمة:

مهم جدا لتفسير بعضِ الظواهر الدينية المرتبطة باسم المكان، لان اسم المكان ربما يكون اسمًا دينيًا بحتًا مرتبطًا باسم معبود أو طقس، أو صفة دينية أو عبادة. ولأن أسماء الأماكن فيه مدلولات دينية من المعتقدات والطقوس وأسماء المعبودات لأحدى الشعوب القديمة. فقد يرمز الاسم الجغرافي إلى اسم إله، أو رجل صالح، أو رجل دين، أو مكان عبادة أو مقام مزار. ولأن الكتب السماوية الدينية تحتوي بعض او الكثير من الدلائل المكانية أو الملامح الجغرافية للأمم السابقة.

الطوبونيم كمعرف بالمكان والإنسان:

يعتبر الطوبونيم علامة مكانية، وتاريخية، واجتماعية، وثقافية تسْهم في تحديد هوية كل مجتمع: لكن الطوبونيم لا يكتفي بتحديد الأماكن فحسب، بل نجده يشير إلى التاريخ، والماضي والحاضر مذكرا أسماء الأحداث أو الشخصيات التي أسْهمت والتي وضعت بصمتها عبر الأزمنة. ويعتبر كل هذا جزءا من هوية المجتمع وتراثها اللامادي.

يمكن للطوبونيم أن يلمح إلى الوسط الطبيعي الذي أخذت منه التسمية مثل الطوبوغرافيا، الغطاء النباتي والثروة الحيوانية. كما أنه يعود مباشرة إلى الأشخاص، أي ساكني ذلك المكان، أو إلى خصوصياتهم أو وظيفتهم. ومن ثم يبدو أن الطوبونيم ليس اعتباطيا إلى أقصى حد كما يبدو في مثل هذه المواقف.

إن الإنسان ما فتئ يبحث باستمرار عما يمكنه من تحديد موقعه في الزمان والمكان، منذ أقدم الأزمنة، مستعينا بشتى الوسائل التي أحاطت به وتواجدت في الكون أي ما في محيطه وحوله وما في الفلك من نجوم وأهلة وشمس...، وجبال وأودية، ومنخفضات وفصول..، أو تلك التي اكتشفها وابتدعها.

ومن أجل التمكن من التحديد الدقيق لموضعه ومكان تواجده، عمد الإنسان على منح رموز وعلامات لسانية للأماكن وكل ما يحيط به من أغوار ومرتفعات ومنخفضات وقمم وسيول وانهار... أما الأماكن المجهولة والتي لم توضع لها أسماء، فإنها تسمى اعتمادا على ما هو قريب منها من أماكن لها أسماؤها (قرب، جوار، شمال، يمين، شرق، غرب،... المنطقة الفلانية).

وعليه، فإن الطوبونيميا وأسماء الأماكن والأشخاص التي تندرج بصفة عامة تحت علم الاونوماستيك عموما ليست مجرد أسماء لمسميات فحسب، بل هي رموز للهوية والثقافة والأصل والأصالة خاصة وأن ما قد ينساه الإنسان أو يتناساه، قد لا تنساه الأرض والتربة. فالطوبونيم رمز يعرف بالناس، أفرادا كانوا أو جماعات، لأنه يعين تلك العلاقة الوطيدة التي تربط الفرد بالأرض وكذا بالعشيرة أو المجتمع.

العلاقة بين الطوبونيم والمكان:

الطوبونيمات أسماء اختارها الإنسان ليسمي بها أماكن يعيش بها أو /وتحيط به. والملاحظ ان العديد من الاسماء بعيد كل البعد عن الاعتباطية لأنها منحت لمسمياتها ارتكازا على علاقة وعلى واقع متمثل في الطوبوغرافيا او التضاريس أو النبات أو الحيوان أو غيرها من أشياء وآثار موجودة بعين المكان أو محيطة به.

1-الطوبونيم المشتق من الطوبوغرافيا أو التضاريس: Oronymie

لاحظنا في كثير من الحالات أن الطوبونيم يدل على طبيعة وجغرافية المكان الذي وضع للدلالة عليه، أي أن طبيعة المكان والتضاريس وما فيه من تربة وحجر، كما وحجما ولونا، هي التي ألهمت واضعي التسميات على المسميات، فأخذوها مباشرة منها اعتمادا على تلك العلاقة.

2-الطوبونيم المنحدر من النبات أو الشجر والحيوان: Micotoponymie

اشتق البعض الآخر من الأسامي والطوبونيمات من الطبيعة النباتية والشجرية التي تتوفر بكثرة في المحيط أو المكان المعني، أو من تلك الثروة الطبيعية التي يختص بها ذلك المكان.

وفي بعض الأحيان يرد الطوبونيم حاملا اسم حيوان أي انه اسم مركب يأتي أحد أطرافه اسم حيوان، أليف أو مفترس، حتى وإن اندثر ولم يعد متواجدا بالمنطقة.

3-الطوبونيم الذي يعود على الشخص: Hagiotoponymie

4-ويطلق على الطوبونيم الذي له علاقة بالماء: Hydronymie

الأسماء الجغرافية في لغات العالم: الصيغتان المنطوقة والمكتوبة؛ مقدمة أساسية لنظم الكتابة وأنواع الكتابات وتحويل الأسماء بين اللغات/الكتابات(34)

اللغة المنطوقة:

توجد الأسماء الجغرافية في كل لغة من اللغات المعروفة. واستعمالها في الكلام اليومي يوفر منظومة عملية للإسناد الجغرافي ويلبي الحاجة إلى تصنيف وتسمية المعالم الهائلة التنوع التي يزخر المشهد العالمي من حولنا. وقد تعلم الإنسان، في تاريخ مبكر، فرز وتصنيف أنواع المعالم المتماثلة من بين التنوعات اللانهائية للمشاهد الأرضية، وحدد لكل مجموعة من هذه المجموعات (أو الفئات) المرئية كلمة موحدة (مثل نهر أو تل أو بحيرة أو مخيّم). وللإشارة على وجه التحديد إلى معلم مفرد بعينه، ربطت كلمة أخرى أكثر تفرداً باسم الفئة لتشكيل ما نسميه اسماً جغرافياً. والكلمة أو (الكلمات) المستعملة للإشارة المحددة في كل اسم يطلق عليها اسم العنصر المحدد (على سبيل المثال كلمة توبو في اسم بحيرة توبو؛ وكلمة ماكنزي في اسمر ماكنزي).

أما الجزء من الاسم الذي يشير إلى المجموعة أو الفئة (فيسمى المصطلح العام أو العنصر العام (مثل كلمة تل في اسم تل ليتل غرين؛ وكلمة مخيم في اسم مخيم روس).

وفي بعض اللغات، يدمج العنصران المحدد والعام في كلمة واحدة (مثل Altafjorden). وقد تطورت الأسماء مع تطور المجموعات اللغوية، فتشكلت منها

الأعداد الهائلة المتنوعة من الأسماء الجغرافية/الأسماء الطبغرافية الموجودة حالياً في مئات اللغات في جميع أنحاء العالم.

ويسمح معظم اللغات المنطوقة ببعض التباين في أشكال الأسماء وتطبيقاتها على المشاهد الأرضية. وهذا التباين ذو طابع معقد، لكنه لا يسبب مشاكل كبيرة في الكلام المستعمل يومياً. وذلك لأن الجُمل، لا الكلمات، هي جوهر التفاهم في اللغة المنطوقة. غير أن الأسماء إذا جُردت من سياق الجملة، تستلزم توافر درجة من الاتساق. فعالم الخرائط مثلاً، الذي يقتضي "دقة البيان وعدم التباسه" لا يتساهل في تباين صيغ الاسم الواحد. وفي الواقع أن الأسماء في خريطة ما هي أشد جوانب الخريطة انكشافاً أمام النقد من جانب الجمهور. فالذين يكونون ملمين بالمنطقة المبينة على خريطة ما، يتعرفون على الأخطاء في الأسماء بأسرع وأسهل مما يفعلون بالنسبة للمشاكل الأخرى المتصلة باستعمال الرموز على الخريطة.

اللغة المكتوبة:

تنشأ الأسماء الجغرافية عادة في إطار اللغة المنطوقة وتتأثرا. وتتبع أهمية هذه الحقيقة من أن هدف التوحيد هو استعمال الأسماء في إطار نوع مختلف من أنواع نظم الاتصال، أي استعمالها في صيغة رموز مرئية/شكلية (الكتابة) لا في صيغة رموز صوتية (الكلام). وتُعنى برامج التوحيد بالأشكال المكتوبة للأسماء، بما في ذلك نوع الكتابة والتهجئة وصيغ الكلمات وعلامات الكتابة واستعمال الحروف الكبيرة.

نظم الكتابة وأنواع الكتابات:

مع أن الأشكال المكتوبة لكثير من اللغات (مثل الإنكليزية والفرنسية والألمانية والبولندية) تستعمل ما يسمى بالحرف الروماني (اللاتيني)، فإن لغات أخرى عديدة (مثل العربية والروسية والصينية) تدون باستعمال أحرف أخرى.

وقد تطورت بعض نظم الكتابة على مدى قرون، بينما تطور غيرها في فترة زمنية قصيرة. وفي جميع أنحاء العالم، تتعدد بقدر كبير جداً أصوات الكلام وطرق نطقها وتعديلها. وليس ثمة لغة واحدة تحوي جميع الأصوات، وليس من إنسان يمكنه نطقها جميعاً، وليس هناك نظام تقليدي للكتابة[35] بوسعه أن يمثلها كلها.

تتدرج نظم كتابة اللغات عموماً في ثلاث فئات عامة هي:

(أ) النظم الأبجدية، التي تمثل فيها الوحدات الصوتية للصوائت والصوامت مثالياً برموز متمايزة تسمى حروفاً (مثل اللاتينية، والسريالية، والعربية، واليونانية، والكورية، وغيرها).

(ب) النظم المقاطعية، التي تمثل فيها الرموز المكتوبة مجموعات من أصوات الكلام، وتسمى مقاطع (مثل: مقاطعية إينو كتيتوت، ومقاطعية كانا اليابانية، والأمهرية، وغيرها)؛

(ج) النظم الرمزية، التي تمثل فيها كلمات كاملة أو وحدات أساسية من وحدات المعاني برموز كتابة متمايزة (مثل الهيروغليفية المصرية القديمة، والحروف الصينية، وحروف الكانجي اليابانية).

تحويل الأسماء: التمثيل الصوتي ونقل الحروف (بين اللغات).

تحويل الأسماء هو عملية نقل الأسماء من لغة أو كتابة معيّنة (اللغة/الكتابة المصدرية أو المانحة) إلى أخرى (اللغة/الكتابة المستهدفة أو المتلقية)، وتهدف هذه العملية إلى تمثيل الصيغ المكتوبة لأصوات كتابة لغة ما (أي رموزها الشكلية) بالصيغ المكتوبة للّغة الأخرى. ويتم تحويل الأسماء بصورة رئيسية من خلال طريقتين متمايزتين هما:

التمثيل الصوتي ونقل الحروف.

ويسمى تحويل أصوات لغة ما إلى أقرب ما يقابلها من الرموز المكتوبة لأصوات لغة أخرى (وعادة بلا أي تعديلات لكتابة اللغة المتلقية) التمثيل الصوتي.

غير أنه يستحيل عادة تكييف الرموز الصوتية للغة ما على وجه الدقة مع لغة أخرى بدون إضافة علامات خاصة (علامات صوتية أو علامات تشكيل) و/أو رموز حرفية إلى نظام كتابة اللغة المتلقية. وتسمى طريق التحويل التي تستعمل هذه العلامات الصوتية و/أو الحروف الإضافية بطريقة نقل الحروف وتهدف طريقة نقل الحروف إلى التمكين من العملية العكسية (أي الإعادة التامة لبناء الاسم الأصلي حسب كتابة خط اللغة المصدرية) بيد أن العلامات الخاصة والرموز الحرفية لا جدوى منها لغير الملمين بالأصوات المقصودة والرموز. ولهذا السبب،

كثيراً ما يؤخذ بطريقة التمثيل الصوتي في الأغراض العامة للاستعمال اليومي، فيُقتصر على استعمال حروف الأبجدية المستهدفة أو مجموعات منها، دون السعي دائماً إلى تمثيل النطق الأصلي على وجه الدقة.

وقد اعتمدت الكتابة الرومانية (التي يطلق عليها أيضاً اسم الكتابة اللاتينية) باعتبارها أساساً للاستعمال الدولي من جانب الأمم المتحدة، ويوصي فريق الخبراء بقوة بوضع نظام واحد للتحويل إلى اللاتينية (أي لنقل الحروف) لكل كتابة من الكتابات غير اللاتينية..

-أهمية علم الطوبونيميا:

تعد الطوبونيميا من التخصصات ذات الطابع الاستراتيجي في الدراسات التطبيقية، فمثلا على الصعيد الاجتماعي الاقتصادي تتجلى الأهمية الإستراتيجية لأسماء الأماكن في إدارتها ميداناً حكرًا على سياسة الدولة في رسم الخرائط، التجارة، التعداد والإحصاءات الوطنية، حقوق الملكية، إنتاج الخرائط والأطالس، التخطيط الحضري والإقليمي، السياحة والتكنولوجيات، الكوارث الطبيعية والحماية المدنية والأمن الوطني.

تتجلى أهمية الطوبونيميا فى حياة الفرد والمجتمع، باعتبارها بنكا لغويا يمكن من خلاله إعادة بناء ما طاله النسيان فى علم اللسانيات، وتصويب أحداث تاريخية بالاعتماد على التسميات المكانية التى تحفظ إشارات مهمة متعلقة بالحدث التاريخى، نفس الأهمية تظهر فى الناحية الاجتماعية وحياة الإنسان قديما وحديثا، وما يرتبط بذلك من عمران واقتصاد وحرب وسلم ورخاء وضنك، وكل ما يتعلق بالطبيعة والمناخ على مر التاريخ، وبذلك يشكل هذا العلم المرآة العاكسة للكثير من الحقائق المتعلقة بحياة الشعوب بمختلف نواحيها.

1-الأهمية الثقافية والتراثية:

تلعب أسماء المواقع الجغرافية في معناها الدقيق دورا هاما لأنها تقدم ثقافة منطقة جغرافية معينة وبالتالي فإنها جد قيّمة لتحديد الجوانب الثقافية وأنماط استخدام الأراضي وأنها تساعد أيضا على انتشار كل عادات التواصل ومختلف أنواع الأنشطة بين السكان، علاوة على ذلك فإن الأماكن لها أهمية تراثية تربط في غالب الأمر حقبا تاريخية ومراحل مكانية، تمر من جيل إلى آخر إن دراسة أسماء الأمكنة تساعد على رسم أثر الشعوب وثقافتها عبر الفضاءات الجغرافية وأن

توحيد أسماء الأمكنة أو على الأقل اتفاق على تسمية مكان لهدف خاص يساعد في عملية التواصل حول المكان والنشاطات الموجودة في مرحلة تاريخية ما.[36]

2- الأهمية الاجتماعية

تتمثل الأهمية الاجتماعية من تسمية الأماكن في أن الأسماء التي يتم اختيارها وتعينها وتكييفها تكون في غالب الأمر ذات قيمة اجتماعية بحيث تساعد هذه الأخيرة في توعية الرأي العام حول اسم منطقتهم، كما أنها تبني أيضا الجو الاجتماعي الذي يعيش فيه كافة أفراد المجتمع الذين يرون في كثير من الأحيان أسماء الأماكن كعلامات تساعد في تذكر الأحداث التاريخية أو خصائص يفضون عليها بالثناء. وبالتالي يلعب اسم المكان دورا رئيسيا في البناء الاجتماعي وتستخدم أسماء الأماكن غالبا لأغراض تذكارية يمكن دراستها بعدها "رموز أثرية يمكن لها أن تؤثر بشكل كبير في الذاكرة الاجتماعية.[37]

علاوة على ذلك يسعى الناس الذين يعيشون في الوسط الاجتماعي إلى خلق توترات اجتماعية بغية السيطرة على منطقتهم وقد يحدث هذا الأمر في حالات يكون فيها مكان يلقب بحروف معينة أو حدث قد كشف في وقت لاحق في تاريخهم. وإن عملية التسمية ليست فقط ذات أهمية طوبونيمية ولكن أيضا تجسد نضالا اجتماعيا من أجل السيطرة على وسائل الإنتاج الرمزي في البيئة العمرانية.[38]

3-الأهمية السياسية:

أن عملية تسمية الأماكن ترتبط ارتباطا وثيقا بقضية السلطة والهوية السياسية المتنازع فيها والخاصة بالأشخاص والمكان. وإن الدلالة الطوبونيمية لأسماء الأمكنة التي تعكس هوية المجتمع قد تم تفسيرها على أنها مؤشرات الحماسة القومية في حين أن إعادة تسمية شوارع مجتمعات ما بعد الحقبة الاستعمارية قد تفسرها على أنها أداة أيديولوجية لتصفية مشهد الساحة من بقايا الاستعمار لتحقيق شرعية سياسية.[39]

أعمال وأبحاث في الطوبونيميا الخاصة بمركز البحث في الانثروبولوجيا الإجتماعية والثقافية:

اعتني مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (CRASC)، بأعمال بحثية في مجال الطوبونيما، ففتح لها وحدة خاصة تعتني بهذا المجال العلمي، "وحدة البحث في النظم التسموية".

تتولى وحدة البحث في النظم التسموية في الجزائر بما يأتي:

– دراسة النظم التسموية في الجزائر من خلال الإسهام في تأسيس جهاز وطني لتحصيل الأسماء الجزائرية الخاصة،

– تحليل نظم تسمية المواقع الجزائرية والأنثروبومونيك: التاريخ، السر والتوحيد،

– ترقية البحث في علوم الأعلام. التأطير وإنشاء مجموعة ببليوغرافية حول أصل أسماء الأماكن والأشخاص في الجزائر،

– الإسهام في وضع سياسة وطنية في مجال توحيد كتابة الاسماء الجزائرية الخاصة (توصيات الامم المتحدة جامعة الدول العربية)

– إنجاز الخبرات، التكوينات والتأطيرات، المنشورات والملتقيات العلمية.

تتشكل وحدة البحث من قسمي البحث الآتي ذكرهما:

– قسم البحث: نظم تسمية المواقع الجغرافية الجزائرية: التاريخ، التسيير والكتابة.

– قسم البحث: نظم الانثروبومونيك الجزائرية: التاريخ، التسيير والكتابة.

واهم النشاطات المنظمة من طرف الوحدة منذ احداثها هي:

1–سنة 2006: ندوة داخلية حول" الطوبونيما الجزائرية، طوبونيميا السكان (اعتبارات جيوليسانية وانثروبولوجية) بالتعاون مع المجلس الوطني للإعلام الجغرافي.

وكذا ندوة وطنية "كيفية تحقيق قواعد البيانات المتعلقة باسماء المواقع الجغرافية"، بالتعاون مع المجلس الوطني للإعلام الجغرافي.

2–سنة 2007: ندوة وطنية حول "الطوبونيما الرسمية بالجزائر"

–ندوة حول:" تسيير قواعد البيانات طوبونيمية و انثروبونيما عبر SIG و MAPINFO .

3–سنة 2010: ندوة وطنية: "امن الطرقات ودور الطوبونيما في نظام المعلومات الوطني"، بجامعة مستغانم. (28–29 ماي 2010)

- ملتقى وطني حول: " الاسم الصحيح المغاربي للإنسان السكان والماء" المنظم من طرف المحافظة السامية للغة الامازيغية بالتعاون مع مركز بحث الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية. (21-23 نوفمبر 2010).

4-سنة 2011: مؤتمر حول:"الانتروبونيما والطوبونيمبا، مسارات البحث" يوم 13 مارس 2011.

5-سنة 2013: ملتقى حول:" الطوبونيما والانتروبونيميا بالجزائر: سياسة وممارسات، 50 عاما بعد الاستقلال"، 20 و21 فبراير 2013.

6-سنة 2014: تكوين في الطوبونيما مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بالتعاون مع فريق خبراء الامم المتحدة للأسماء الجغرافية.

أعمال وأبحاث مخبر المعالجة الآلية للغة العربية-جامعة تلمسان-:

يهتم مخبر المعالجة الآلية للغة العربية بالطوبونيما ويوليها اهمية في الدراسات البحثية سواء في اطار البرامج الوطنية البحثية ك PNR CNEPRU أم البرامج البحثية الخاصة بالفرق البحثية للمخبر، بحيث أن المخبر احدث فرقة خاصة بالطوبونيما، وتعمل الفرقة حاليا بإعداد "معجم طوبونيمي لأسماء الأمكنة بتلمسان وضواحيها وأبعاده الدلالية".

وقام المخبر بعدة تظاهرات بمجال الطوبونيميا، كالايام الدراسية سنة 2010 وملتقيات أهمها، الملتقى الدولي في إطار تلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية بعنوان:*" تلمسان وضواحيها، دراسة طوبونيمية في ضوء المعلومات*"، يومي 16-17 نوفمبر 2011.

ومؤخرا ملتقى وطني بعنوان:*" أثر المواقعية في تفعيل التنمية المستدامة*" يوم: 11 أفريل 2018، بالمكتبة المركزية لجامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان.

ونوقشت عدة أعمال بجامعة أبي بكر بلقايد بمجال الطوبونيميا أهمها:

1-هدية سارة:"*مواقعية منطقة تلمسان (دراسة لنماذج من بلدياتها)* سنة 2008 مذكرة تخرج ماجستير.

2-هدية سارة:*"أحياء مدينة وهران غرب الجزائر"* سنة 2016، مذكرة تخرج دكتوراه علوم

3-نجراوي فاطمة الزهراء: *أسماء القرى في مدينة تلمسان (دراسة مواقعية)* 2009، مذكرة تخرج ماجستير.

4-نجراوي فاطمة الزهراء*: "الدراسة الاتيمولوجية لأسماء الاماكن المأهولة"* 2018، مذكرة تخرج دكتوراه.

5-حاج محمد حبيب*: "أسماء الاماكن الامازيغية في مدينة تلمسان"*، 2012 أطروحة دكتوراه.

6-يحياوي سليمة*:" نحو بناء معجم الكتروني طوبونيمي لمدينة تلمسان"*، 2012 مذكرة تخرج ماجستير

7-يحياوي سليمة:*"نحو بناء معجم طوبونيمي الكتروني لخدمة السياحة، تلمسان نموذجا"*، 2018.

8-هجيرة نقاز: *"إعداد مدونة معجم طوبونيمي حاسوبي لمدينة تلمسان"*، 2013 مذكرة تخرج ماجستير.

9-رانية سنوسي: *" معجم طوبونيمي لمدينة ندرومة وضواحيها"*، 2017، مذكرة تخرج ماستر.

10-سعاد بــوحجر: " *« approche sociolinguistiquedes noms des lieux en Algerie, cas de la toponymie de Boussemghoun »*، أطروحــة لنيــل شــهادة الذكتوراه، سنة 2016.

ويشرف مخبر المعالجة الآلية على العديد من الأبحاث في اطار اعداد مذكرات التخرج ماستر واطروحات الذكتوراه بمجال الدكتوراه قيد الإنجاز.

-أعمال بحثية بمجال الطوبونيما بالجامعات الجزائرية:

11-حكيمة سليماني:« *Topopnymie du Dahra au Nord du Chelef* » مذكرة التخرج ماجستير.

12-حكيمة سليماني: La toponymie Algerienne entre usages dénominatifs, représentations sociolinguistiques et transcriptions graphiques. Etude de cas : la region du Cheliff (Ain Defla, Chelef, Relizane) ، أطروحة الدكتوراه سنة 2017.

13-ليندة مونســي: *« La toponymie de la tribus d'Ait Oughlis, approche morphologique et sémantique »* ، مذكرة تخرج ماستر سنة 2009..

15-لينــدة مونســي:« *La toponymie de souches française dans le nord algerien : evolution, usage et représentation* » ، اطروحــة دكتــوراه، ســنة 2015.

16-زيوال ناديــة: *« La toponymie de la région de Tamokra. Approches morphologique et sémantique »* ، مذكرة تخرج ماستر 2015.

17-هنية أكير: *Etude toponymique de Bejaia, Tichy et Aokas. Approche* « *sémantique et morphologique* »، مذكرة تخرج ماجستر، 2003.

18-مليكـــة بســـاهل: *Toponymie du setifois, Approche morphologique et* *sémantique* »، مذكرة تخرج ماجستير، سنة 2003.

19-سامر ناديـــة: *La retoponymisation des lieux habités à Tizi Ouzou,* « *durant la période coloniale française* » مذكرة تخرج ماجستر، سنة 2013.

20-مهـــا حمـــاش: «Toponymie de la région de Biskra, Approches et sémantique morphologique » ، مذكرة تخرج ماستر، سنة 2014.

21-هاجر مربوح: «*Usages toponymiques, représentation et identités sociolinguistiques à Sidi Belabbes ville* » ، مذكرة تخرج ماجستر، سنة 2009.

22-هاجر مربـــوح: « *Langues, identités et urbanités dans les villes de l'Oranie, le cas de Sidi Belabbes et de Ain Temouchent* »، أطروحة دكتوراه سنة 2016.

23-جمـــال نحـــالي: «*Contribution à l'étude de la toponymie de l'Aures*» أطروحة دكتوراه في طريق الانجاز.

24-عز الدين أمينة: *Odonymes algerienne entre substitution officielle et retour au passé, ville de Mascara*»، أطروحة دكتوراه سنة 2014.

من أهم أطروحات الدكتوراه والتي كانت مرجعا هاما لكـــلّ البـــاحثين بحقـــل الطوبونيما هي لإبراهيم عطـــوي، "*Toponymie et espace en Algerie*" والتـــي طبعت في كتاب، سنة 1998.

هناك كتاب خرج للنور في نفس الســـنة لمصـــطفى لشـــرف:" *Les noms des lieux, mémoires d'une Algérie oublié*"، سنة 1998.

أما رائد الطوبونيميا السيد فوضيل شريقان فقد ألف كتابا بعنوان:" *Toponymie Algerienne des lieux habités*"، سنة 1993. قد قام بتحليـــل مختلـــف اللواحـــق (Générique) للأســـماء المركبـــة العربيـــة والامازيغيـــة، وألـــف قاموســـا:"

Dictionnaire d'hydronymie générale de l'Afrique du nord, Algerie, Maroc, Tunisie"، سنة *2012*.

أما اطروحة فريد بن رمضان:" *La toponymie de l'Ouest Algerien*"، قد قام فيها بمعالجة أسماء مناطق الغرب الجزائري، وركز فيها على توحيد الكتابات، لأن الكتابات المتعددة للأسماء نفسها تخلق عدة صعوبات وتشوه صورة النطق.

ولا ننسى عمل الأستاذ محند أكلي حدادو الذي ألف: " *Glossaire des termes employés dans la toponymie algerienne*، سنة 2011، ومعجم: " *Dictionnaire toponymique et historique de l'Algerie*"، سنة 2012، حاول بهذا المعجم إبراز العلاقة بين اسم المكان وتاريخ المنطقة. ومؤلف مرسلي دليلة:" *Histoire et toponymie, conquete et pouvoir, voyager en langue et literature*"، الجزائر سنة 1990.

وعلاوة على المؤلفات المذكورة وباللغة الفرنسية، يمكننا القول أن المؤلفات باللغة العربية تعد شبه منعدمة، ماعدا كتاب الزميل الدكتور حاج محمد حبيب: *أسماء الاماكن الامازيغية بمنطقة تلمسان، جمع ودراسة طوبونيمية*"، سنة 2013، أو مؤلف خديجة ساعد:"في الطوبونيميا الأمازيغية، أسماء وأماكن من الأوراس"، سنة 2018، يحتوي على 300 صفحة.

واخيرا لا يفوتني أن انوه بأعمال الباحثين والأساتذة المقدمة بالملتقى الوطني المنظم من طرف المحافظة السامية للغة الأمازيغية:" الطوبونيميا الجزائرية من المحلي إلى الوطني، وضع سياسة طوبونيمة" سنة 2015، بجيجل. وكذلك أعمال الملتقى الدولي: "الطوبونيميا في العالم العربي ودول الساحل العمق الثقافي وتوحيد الأسماء" من تنظيم مركز البحوث ماقبل التاريخ، التاريخ والانثروبولوجيا (CNRPH)، بقسنطينة، سنة 2016.

الخاتمة:

تتجلى أهمية الطوبونيميا فى حياة الفرد والمجتمع، باعتبارها بنكا لغويا يمكن من خلاله إعادة بناء ما طاله النسيان فى علم اللسانيات، وتصويب أحداث تاريخية بالاعتماد على التسميات المكانية التى تحفظ إشارات مهمة متعلقة بالحدث التاريخي، نفس الأهمية تظهر في الناحية الاجتماعية وحياة الإنسان قديما وحديثا

وما يرتبط بذلك من عمران واقتصاد وحرب وسلم ورخاء وضنك، وكل ما يتعلــق بالطبيعة والمناخ على مر التاريخ، وبذلك يشكل هذا العلم المرآة العاكسة للكثير من الحقائق المتعلقة بحياة الشعوب بمختلف نواحيها.

الاحالات:

(1)دريس محمد الأمين، إشكالية ترجمة الأسماء المواقعية من منظور استراتيجي (التدجين والتغريب بالترجمة)، Journal modern languages and literature، الأردن، ص05.

(2) Faudil cheriguen, Toponymie Algerienne des lieux habités, Alger, 1995, p19

(3) Charles Rostaing, Les noms des lieux, Presse Universitaire de France, Paris 1945, p05.

(4) Atoui Brahim, Toponymie et espace en Algerie, p33.

(5) Ibid p33.

(6) هدى الجباس، الأسماء والتسميات، مجلة الانسانيات، CRASC، وهران، 2005، ص 130-131.

(7) Atoui Brahim, Toponymie et espace en Algerie, p33

(8) Ibid p33.

(9) Ibid p33.

(10) إدريس محمد الأمين، إشكالية ترجمة الأسماء المواقعية من منظور استراتيجي (التدجين والتغريب بالترجمة)، ص128.

(11) Toponymie Française, article de wikipedia, article libre.

(12) Faudil cheriguen, Toponymie Algerienne des lieux habités, p19.

(13) عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2002، ص 106.

(14) Faudil cheriguen, Toponymie Algerienne des lieux habités, p21-22.

(15) Atoui Brahim, Toponymie et espace en Algerie, p34.

(16) Ibid p35-36.

(17) Atoui Brahim, Toponymie et espace en Algerie, p36-37.

(18) Faudil cheriguen, Toponymie Algerienne des lieux habités, p19.

(19) Atoui Brahim, Toponymie et espace en Algerie, p39.

(20) Ibid p 36-37.

(21) أغطانيوس كراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، لجنة التاليف والترجة والنشر، القاهرة، 1963،ص 88.

(22) A. Pellingrin, Essai sur le nom de lieux d'Algerie et Tunisie, Edition S.A P, Tunisie, 1949, p11.

(23) دانيال كلين، **موسوعة علم الآثار**، ترجمة ليون يوسف، ج1، دائرة الاعلام، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، العراق، ط1، 1990،ص17.

(24) http://www.arab-ency.com.

(25) Faudil cheriguen, Toponymie Algerienne des lieux habités, p20-21.

(26) الزقرطي، ابراهيم موسى، **أسس الأسماء الجغرافية**، المركز الجغرافي الملكي الأردني، عمان، الأردن، 1997، ص7.

(27) حمدي عباس، **المدخل إلى الأركيولوجيا ما قبل التاريخ**، درا المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2008، ص23-25.

(28) حسن علي، **الموجز في علم الآثار**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1993، ص33.

(29) حمدي عباس، **المدخل إلى الأركيولوجيا ما قبل التاريخ**، ص 25-27.

(30)

(35)وضعت الأبجدية الصوتية الدولية بغرض تمثيل جميع أصوات الكلام البشري يصيغة مكتوبة (لم يتحقق بكامله على صعيد الممارسة).

(36) . Brian J.Graham and Peter Howard (2008), The Ashgate Research Company to Heritage and Identity, p.196

(37) Jani Vuoltee Naho and Lawrence D.BERG (2009) Critical Toponymies: The Contested Politics of Place naming, p.72

(38) Ibid p 72.

(39) Ibid page 72.

أسماء بعض أماكن منطقة الأغواط الواردة في (رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي الجزائري 1785م) لأحمد بن هطال التلمساني. ودلالتها الرمزية، وبعدها الوطني.

أ. د. وذناني بوداود
جامعة الأغواط

مقدمة:

قد تتعدد القراءات للنص الواحد، وفي تعددها إثراء له، ومن هنا فالرحلة التي نريد مقاربتها لازالت تحتاج إلى قراءات نظرا لحمولتها المعرفية والتاريخية، فهي ترتبط بفترة تاريخية حاسمة من تاريخ هذا الوطن. وتتعرض لأسماء أماكن لها دلالتها الراسخة في الضمير الجمعي لهذه الأمة. وعليه فإن مقاربتنا لرحلة ابن هطال هي قراءة من بين القراءات ترتكز على وجهة نظر خاصة بنا، مؤسسة على اعتبار أن الرحلة الجزائرية، مهما كانت قيمتها الفكرية والمعرفية، هي جزء هام من الموروث الفكري لهذه الأمة. فالنص الرحلي، وكما هو معروف ينفتح (ضمن دائرة متعددة المنافذ على أشكال أدبية وغير أدبية يتفاعل معها ممتصا جوهرها لاستثماره في تعزيز نصيته)(1) وهو ما يؤكد انفتاحه على كل القراءات. فرحلة محمد الكبير لابن هطال، مثلها مثل، باقي الرحلات، تتبني على ثلاثة أماكن:

1– مكان الانطلاق.
2– أماكن العبور.
3– المكان الهدف (مكان الوصول)

ونحن هنا في هذه المداخلة المتواضعة نحاول أن نقف على ما تحمله من قضايا وطنية وحوادث تاريخية وأماكن لازالت شاهدة على ما حدث. والتواصل مع دلالاتها، ورموزها. وعلى الرغم مما جاء في لغة الرحلة من ضعف تعبير، إلا أننا قد وجدنا في نصها حقائق ورموزًا كثيرة تحتاج إلى من يقف عليها، للبحث في

خفاياها. وإن كنا نعلم بأن مثل هذا العمل يحتاج إلى سعة من الوقت. ولكننا حاولنا قدر ما توفرت لدينا من معلومات، وحسب ما وقف عليه اجتهادنا في التحليل. أن نصل إلى بعض الحقائق التي نرى بأنها إضافة إلى ما كتب عن هذه الرحلة، من طرف من سبقنا إلى دراستها من جانب ما.

فن الرحلة:

تتعدد الرحلات بتعدد مقاصد أصحابها، فهناك الرحلة الحجية، وهناك الرحلة السياحية، وهناك الرحلة الزيارية، وهناك الرحلة السياسية، وهناك الرحلة الاستكشافية وهناك الرحلة التجسّسية، وهناك الرحلة العسكرية. ورغم تعددها، فإنها تلتقي كلها في المكان، فما من رحلة إلا وتتوقف عند مجموعة من الأمكنة، من بدايتها إلى نهايتها. ولذلك كانت الرحلة فناً مكانيًا بامتياز، فهي من أكثر الفنون السردية احتفاء بالمكان. لكون الإنسان كائنا مكانيا، فهو جزء من المكان، والمكان جزء منه، وكلاهما يؤثر ويتأثر بالآخر. ولكي يبسط الإنسان سلطته على المكان قسمه إلى أقسام، وأطلق على كل قسم منه اسما يعرف به. فالاسم يحدد المكان، ويضبط أبعاد خريطته، فيعرف ويتميز عن غيره، وبذلك يتحرر من النسيان والإبهام، وتبعث فيه حياة جديدة، فيصبح متداولا بين الناس. فـ(العلاقة بين الإنسان والمكان تتم وفق قانون الفعل ورد الفعل، إذ بقدر ما يؤثر المكان ويحفر في الإنسان خصائصه وملامحه، فإنه ينحفر – المكان – بالإنسان وفعالياته المستمرة.)[2]

رحلة محمد الكبير لابن هطال:

قد يتساءل البعض لماذا هذه الرحلة بالذات، من بين أدب الرحلة الجزائرية، خاصة وأنها كتبت في عصر ضعف فيه الأدب الجزائري من جميع النواحي. كما يتساءل البعض الآخر عن قيمتها الفنية، لأن كاتبها لم يكن من كتاب الإبداع الأدبي. وعلى كل فإن (نص الرحلة، ضمن كل حركاته وتفاعلاته، يظل عصيا على القبض)[3] ولكن الحقيقة التي لا يختلف فيها اثنان، أن الرحلة تبقى رحلة مهما كان مستواها الفني. فهي وكما يقول أحد المهتمين بالرحلة الجزائرية هي (نوع أدبي يصف أوضاعا كما يحمل هموما، ويعبر عن قضايا)[4] ومن هنا تأتي أهمية هذا النوع من النصوص، لما له من علاقة بأوضاع الناس.

وقد يتساءل البعض الآخر، عن حقيقة هذه الرحلة العسكرية الكبيرة إلى الجنوب، وما مبرراتها. ولكن الذي يمعن النظر في أوضاع المجتمع الجزائري في

تلك الفترة. سيجد لها ما يبررها. فسكان الجنوب لم يكونوا في يوم ما خاضعين لحكم الدايات بل منهم من تمرد، كسكان الأغواط الذين تمردوا على باي تطري (جعفر باي)[5] ومنهم من رفض دفع اللزمة وهي (الضريبة). ومن هنا فإن الاهتمام برحلة محمد الكبير لابن هطال جاء للأسباب التالية:

1 – أنها رحلة داخل الوطن.
2 – أنها رحلة عسكرية تختلف عن باقي الرحلات التي عرفت في عصرها.
3 – أن هدفها هو إخضاع مناطق الجنوب للسلطة المركزية.
4 – أن مسارها كان محددا مسبقا ومضبوطا عسكريا.
5 – أن أماكن العبور التي ذكرت فيها كانت محددة مسبقا.
6 – أن المكان الهدف محدد مسبقا.

فالأسباب السابقة، تظهر أهمية هذه الرحلة، وتبرر الدافع الذي دفعنا إلى مقاربتها. يقول أبو القاسم سعدالله (وإذا كانت شخصية ابن هطال، هامة ثقافيا، فإن موضوعه هام من عدة جوانب. فإن الرحلة تتضمن أخبارا جغرافية واجتماعية وسياسية وعسكرية وأدبية لا يستغنى عنها أي دارس للجزائر خلال القرنين الماضيين)[6] وتلك حقيقة لا تخفى على أحد، من أن الجزائر في تلك الفترة كانت تجتاحها اضطرابات وثورات إلى جانب هجمات الدول الأوربية (فقد كان القطر الجزائري ... يموج باضطراب مزعج وقلق كبير، وبلبلة عديمة النظير ... تموج في بحور من دماء الثورات الداخلية، التي اندلع أوارها في أعراش القبائل، وانفجر بركانها في أحضان البدو، وربما امتدت ألسنة لهيبها إلى عواصم المدن)[7]

ونظرا لما كان يحدث، في تلك الفترة، فإن ابن هطال في بداية رحلته، لم يشر إلى أنها رحلة، بل تعرض إلى التاريخ قائلا: (أما علم التاريخ من أجل العلوم قدرا وأكملها محاسن وفخرا. فهو أحد ما يطلق عليه علم العربية. كان أحق ما تنفق فيه الذخائر السنية وتصرف إليه المهج الزكية. فاشتغلت به علماء كل قطر، وصنعت فيه أدباء كل عصر، حتى ملئت منه الخزائن.)[8] فهذا القول، يؤكد ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن (الرحلة ولدت في حضن التاريخ والجغرافيا)[9] والحقيقة تقال، أن ابن هطال لم يكن قصده، الإشادة بعلم التاريخ، وإنما جعل ذلك تمهيدا للكشف عن مراده من كتابة الرحلة حيث يقول: (وقد أردت أن أذكر منه نبذة، أخدم بها حضرة قامع المبغضين، ومدوخ المارقين، من جمع الله له خصال الشرف والمجد.)[10] ومن هنا نجد أن ابن هطال قد أسس مقدمة رحلته، على إستراتيجية

محددة الهدف، وهي الإشادة بشخصية محمد الكبير، وبحملته نحو الجنوب الصحراوي. ومن جانب آخر، دفع المتلقي إلى تتبع الأحداث التي يتحدث عنها عبر مسارات الرحلة، حتى يقف على نهايتها. والملاحظ أن مقدمة الرحلة الملتبسة بالتاريخ، قد جعلت محقق الرحلة، يقع في الخلط، فمرة يقول عنها أنها كتابا، ومرة يرى بأنها تأليفا، ومرة أخرى، يقول أنها رسالة.[11]

ولكن المطلع على نصوص الرحلات، يجد بأن ليس هناك رحلة، بدون خطاب تقديم، فكل رحلة إلا ولها خطاب تقديم، يبين فيه صاحب الرحلة، الدوافع التي دفعته إلى الرحلة. ومن هنا فخطاب التقديم (يعتبر داخل نص الرحلة عنصرا بنائيا، لما يتضمنه من أسس وعناصر تمهيدية لتأطير النص)[12] وعليه فرحلة (محمد الكبير) هي رحلة موصولة الأطراف بالتاريخ، بل هي جزء من تاريخ العصر الذي دونت فيه، وإن كان كاتبها ليس مؤرخا، إلا أن الحقائق الواردة فيها هي جزء من تاريخ حقيقي. وقد اعتمد الكاتب فيها أسلوبا إخباريا قصد تأكيد واقعية الأحداث وتوثيقها تاريخيا.

رحلة محمد الكبير وبعدها العسكري:

لم تكن رحلة محمد الكبير رحلة عادية، بل كانت رحلة عسكرية، والرحلة العسكرية في مفهومها، تختلف عن باقي الرحلات، لأنها تتأسس على إستراتيجية خاصة، تسعى لبلوغ هدف سطر له مسبقا، ولا إرادة فيها للسارد ليقول ما يريد وإنما هناك قوة تتحكم في السرد، وهي السلطة التي تتحكم في الحملة العسكرية وتوجهها. فلا مكان فيها للأقوال الزائدة، والوصف الجميل، للأحداث أو للأماكن. لأن القصد في هذا النوع من الرحالات، ليس التعبير الجميل، وإنما التعبير الذي يعرف بمسار الرحلة وأهدافها، ويشيد بقائدها وما يحققه من انتصارات. فكل شيء في الرحلة محسوب مسبقا ويخضع للأوامر الصارمة الفوقية، والتي لا تقبل المناقشة والتبرير. فالسلطة التي تتحكم في الحملة، هي التي تحدد مسار الرحلة وأهدافها، وكل ذلك يتم مسبقا، وما على الجميع إلا الالتزام والانضباط. لذا كان على سارد الرحلة الالتزام بذلك، خاصة وأن كاتبها هو كاتب سلطة، وأحد جنود حملتها. فأحمد بن هطال لم يكن كاتبا عاديا في هذه الرحلة، بل كان عضوا أساسيا فيها. لذلك فالسرد في هذه الرحلة هو (سرد صادر "عن مؤسسة ساردة" قبل أن يكون صادرا عن سارد ما، ومن ثم فهو سرد مخزني يهدف إلى الحديث عما ترغب فيه المؤسسة، أي ما يجب أن يكون دون زيادة أو نقصان، أو تأويل ينبني

على المتخيل أو الذي لم يتحقق)[13] ولذا جاءت أحداث الرحلـــة، أحـــداثا واقعيـــة حدثت بالفعل، وكان السارد شاهدا عليها. وراصدا لكل ما حدث، من بداية انطلاقها إلى نهايتها. وبذلك كانت، شاهدا ماديا، على فترة زمنيـــة، مـــر بهـــا المجتمـــع الجزائري، وقاسى فيها من الويلات ما قاسى.

وبما أن الرحلة هي رحلة عسكرية داخلية ومسارها محدد مسبقا، بين المكـــان الخاضع، والمكان المتمرد. فإن مسارها لم يكن مسارا خطيا، بل كانت فـــي كـــل مرة تغير مسارها، وذلك راجع للخبرة العسكرية للمشرفين عليهـــا. و(لمـــا كـــان الأمر هنا يتعلق برحلة رسمية بأبعادها العسكرية، مخطـــط لهـــا داخـــل دواليـــب السلطة، فإنه يفترض فيها الخضوع لأعراف خاصة. تجعل المكان فيهـــا محـــددا ومدروسا وفق خطة عسكرية على خريطة تكون المسارات والمحطات فيها محددة تحديدا دقيقا، ومعروفة بجميع تفاصلها، الجغرافية والأنثروبولوجية، فاختيار المسار لن يكون اعتباطيا بل لابد من أن يكون قائما على دراسة معمقة تأخذ في الحســـبان طبيعة الأماكن وجغرافيتها، وكذلك طبيعة سكّانها وأهلها. وأماكن تواجد الماء فيها وآبارها. إضافة إلى كل ذلك لابد من تحديـــد أوقـــات الســـير والتوقـــف، تبعـــا للمستجدات ليلا ونهارا.)[14] وعلى الرغم من أن الحملة قد مرت بأمكنـــة كثيـــرة إلا أن السارد لم يتعرض، إلا للأماكن التي استهدفتها الحملة، ودون التركيز علـــى مشاهدها. باستثناء بعض الأماكن القليلة لأهميتها في برنامج الحملة.

ومن جانب آخر، تظهر في الرحلة، سرعة التنقل من مكان إلى آخـــر، وتلـــك طبيعة الحملات العسكرية، حيث يتحرى فيها المكان الآمن، والذي من خلاله يمكن مفاجأة العدو. إلى جانب التحري من أسماء الأماكن، والمدن والقـــرى والمداشـــر حتى لا يقع الخطأ. ومن هنا يصبح للمكان أهمية كبرى، فمن خلاله تتضح وجهة مسار الحملة. ووفق هذه الاستراتيجية نلاحظ أن كل الأماكن التي مرت بها الحملة لم تتعرض فيها للمقاومة. فليس هناك مقاومة تذكر، إلا في مكان نهايـــة الرحلـــة المكان الهدف (مدينة الأغواط).

أماكن العبور في الرحلة:

لا تخلو رحلة من الرحلات من أماكن العبور، فما من رحلة من الـــرحلات، إلا وتنطلق من مكان، وتنتهي في مكان، وبينهما أماكن عبور كثيـــرة. وقـــد (يكـــون الانتقال من مكان إلى آخر، هو العنصر الأساسي والدعامة التي تـــؤطر الأحـــداث والأفعال... بحيث يتغذى النص الرحلي من هذا العنصر)[15] باعتباره أنه المكـــان

المولد للدلالات والمعاني. وقد تتعدد تلك الأماكن وتتنوع، ولكن الاهتمام بها من طرف سارد الرحالة، قد لا يكون بنفس الكيفية. فهناك أماكن يهتم بها، يكثر من وصفها، فتتجلى مشاهدها في الرحلة، واضحة بينة، مما يلفت انتباه المتلقي إليها. وهناك أماكن لا يكون من حظها إلا الذكر، والبعض الآخر لا يذكرها بتاتا. و(رحلة محمد الكبير) لابن هطال. مثلها مثل باقي الرحلات، كان لها مكان انطلاق، ومكان وصول. وبينهما أماكن عبور كثيرة. إلا أن اهتمام كاتب الرحلة بتلك الأماكن، كان يختلف من مكان إلى آخر، والأمر في كل ذلك، راجع لعلاقة كاتب الرحلة، بتلك الأماكن، فقد اهتم ببعض الأماكن وحرص على ضبط مدة السير بينها، وتتبع ذلك ساعة بساعة. وفي المقابل لم يتعرض لأماكن أخرى. وعلى الرغم من أن الرحلة هي فن مكاني، فإننا لا نجد فيها وصفا للأماكن، ولا ذكرا لبعضها الآخر. وإن كانت الحملة قد مرت بها. لأن المسافة بين مكان الانطلاق (معسكر) ومكان نهايتها (الأغواط) مسافة طويلة وبها الكثير من المدن والمداشر والقرى والأماكن العادية. وعلاقة كاتب الرحلة بالأماكن الواردة في الرحلة، ليست على صورة واحدة، بل بينها تفاوت واختلاف. فهناك المكان الصديق، ويقابله المكان العدو. ولهذا كان موقفه يختلف، من مكان إلى آخر، تبعا لرؤيته للمكان، وموقفه منه.

تفاوت الأمكنة في الرحلة:

لقد تعددت الأمكنة في الرحلة، حتى بلغت أكثر من 47 مكانا. ونظر لتعددها فإن تعامل السارد معها لم يكن بدرجة واحدة. (إن تجليات المكان في الرحلة لا يمكن أن تكون بصورة واحدة، فهي متفاوتة ومتباينة بتفاوت وتباين الأمكنة من حيث درجة اهتمام السارد بها، تبعا لأهميتها الإستراتجية من حيث الموقع والقيمة بالنسبة للرحلة وأهدافها. فهناك عدد غير قليل من الأماكن في هذه الرحلة تجاوزها السارد ولم يول اهتماما لها لا عن رغبة وقصد منه، بل لأن الرحالة تجاوزها، إما لعدم أهميتها، أو لأنها لا تدخل ضمن خطته المرسومة.)[16] فعلى طول مسار الرحلة من نقطة الانطلاق، وإلى نقطة النهاية، تبرز تلك المحطات التي كانت أماكن للراحة، أو للتوقف لضبط أمور الحملة، والتحري من اتجاه المسار، وجمع المعلومات عن أماكن الخارجين عن السلطة المركزية.

فقد كان مكان انطلاق الرحلة مدينة (معسكر) وقد أشار صاحب الرحلة إلى ذلك بقوله :(فخرج (يعني محمد الكبير) يوم الخميس التاسع من ربيع الأول بقومه

وعسكره، من " المعسكر " التي هي محل وطنه)[17] ثم يكشف عن الدافع، الـــذي دفـــع محمد الكبير، إلى الخروج في هذه الرحلة من موطنه، والاتجاه الذي سيســـلكه. (أعلـــم أنه اتفق نظر سيدنا المذكور. – أطال الله بقاءه وأيامه، وجعل النصر دائما خلفه وأمامه – في جهة القبلة أنها ذات بلدان كثيرة، وأعراب راحلة ومقيمة. إلا أنها لم تنلها أيـــدي السلطنة ولم يكن منها لملك مصلحة ولا منفعة ... فشمر لها عن ساعد الجـــد، عازمـــا على رد ما بها من النفار والصد. فجمع جموعه وقواده ونشر أعلامه، ولم يزد علـــى أن كان جيشه حشمه وخدامه.)[18] ومن هنا تتضح الرؤية التـــي تـــتحكم فـــي مســـار الرحلة. فهي تسير وفق منطق عسكري سياسي نفعي. لذا كان تحديـــد الهـــدف مـــن الرحلة من البداية، بعد أن حددت الأماكن التي تمر بها. والملاحظ أن الكاتب لا ينقـــل المشاهد بموضوعية وتجرد، بل ينقلها وفق ما تراه السلطة المركزية. فلم يكن التركيز إلا على الأماكن التي لها أهمية إستراتيجية في مسار الحملة. ومن هنـــا يتضـــح لنـــا التفاوت بين الأماكن الواردة في الرحلة. ومرد ذلك أن كاتب الرحلة يتماشى مع أوامر السلطة المركزية التي تتحكم في مسار الحملة.

أماكن العبور الإستراتيجية في الرحلة:

يلاحظ المتتبع للرحلة بأن هناك أماكن إستراتجية، وأخرى ثانوية. وتلـــك مـــن ضرورات الرحلة العسكرية. وهنا يجب الانتباه إلى أسماء الأماكن، سواء كانـــت أساسية أم ثانوية. لأن لكل اسم دلالـــة رمزيـــة فـــي الرحلـــة. ومـــن الأمـــاكن الإستراتجية نجد:

أولها (واد العبد) وهو المكان الذي بدأت تتضح فيـــه عـــدة الحملـــة وأهـــدافها والاتجاه المقصود. وهو من الأماكن الواقعة في إقليم السلطة المركزية، ويوضـــح كاتب الرحلة أهميته قائلا: (وقد كان أعد في هذا الموضع شيئا كثيرا من الشـــعير بقصد هذا السفر، فشرع في تفرقته، بقيمة يومه ذلك كله، وأقام هناك بالغد، لكمـــال تقسيم العلف، فأخذ كل واحد على قدر دوابه، ثم قسم عليهم الإبل، يحملون عليهـــا زادهم وعلفهم.)[19] والملاحظ هنا أن المدة الزمنية، التي استغرقها قائد الحملة، في توزيع علف الدواب، تظهر بكل وضوح ضخامة الحملة. ومن هذا المكـــان نـــزل (دير الكاف) وهو مكان له أهميته كذلك في الرحلة، بحيث يفصـــل بـــين الأمـــاكن الخاضعة للسلطة المركزية، والأماكن المتمردة عليها. فهو يقـــع علـــى مشـــارف الأماكن المتمردة. وفي هذا المكان تتكشف جزئيا المكونات العسكرية للحملة. وهو المكان الذي تم فيه، تقسيم جيش الحملة إلى قسمين: قسم بقـــي بالمكـــان، لحمايـــة

مؤخرة الجيش بقيادة [عثمان ابن محمد الكبير]. والقسم الأكبر منه بقيـادة [محمـد الكبير] والذي انطلق به، لغزو الأماكن المستهدفة من طرف الحملة. يقول صاحب الرحلة :(وفي يوم الاثنين ترك المحلة مقيمة هناك وركب غازيا علـى "العمـور" مشى ثماني ساعات حتى نزل البيضاء)[20]

(البيضاء) هذا المكان هو المحطة الأولى من بين أماكن العبور، في المنـاطق المتمردة. وتأتي أهميته من أنه يتوفر على المياه، ويصفه السارد بقولـه: (وهـذا المنزل ذو آبار كثيرة، وهي سهلة التناول، منها ما يكون ماؤها على قامتين، ومنها ما يكون على أقل أو أكثر بقليل، إلا أن بعضها أطيب من بعض. فاستقت النـاس وعلفت دوابها.)[21]

أما المكان الآخر فهو (خنيق الملح) وتأتي أهمية هذا المكان، من أنـه المكـان الذي وردت فيه الأخبار على قائد المحلة، والتي تحدد أماكن تواجد المتمردين عـن السلطة المركزية. فعندما نزل في (عين سيدي سليمان) ينتظر الطوالع بعد ما كان قد مر بكل من (اللفيحة) و(عين سيدي علي) إلا أن المعلومات كانت غيـر دقيقـة ونتج عن ذلك زجر الطوالع وتوبيخهم (فعند ذلك جـدت الطوالـع فـي غاراتهـا وتفرقت الخيل في نواحيها – حتى أتوه عند (خنيق الملح).. بالخبر اليقـين، صـح عنده شن الغارة على تلك الجبال والأودية. فلم يبق واد إلا وفيه طليعة، ولا جبـل إلا وعليه كتيبة)[22] ويقف السارد عند هذا المكان واصفا الجبل قائلا: (وهذا الجبل كله من الملح، إلا أن أكثره يظهر في رأي العين أخضر، والـبعض منـه كشـفت ترابه الأمطار وغسلته، فصار ملحا أبيض ما يكون. فإذا نظر العاقل إلـى هـذا الجبل ظهر له ما يدل على قدرة الله تعالى التي لا يعجزها ممكن، فسبحان مكـون الأشياء بقدرته ومظهر العجائب بحكمته)[23] وأمام هذا المشهد العجيـب، يعطـي الرحالة للمكان صورة جديدة متحركة (يستمد في تشكيله لها عناصر مـن عينـات ماثلة في المكان وكأنه يصنع بذلك نسقا خاصا للمكان لم يكن من قبل)[24]

ثم يأتي (الخير) وهو المكان الذي خصص لالتقاء الفرقتين، بعد أن كـان جـيش الحملة، قد انقسم إلى قسمين في (دير الكاف) ويصف السارد اللقاء قائلا: (فاجتمعـت المحلتان، والتقت الفرقتان، فكان يوم عيد، وعنـد كـل واحـد فـرح جديـد.)[25] والحاصل أن أهمية هذا المكان جاءت من أنه يتوفر على الآمـان ومنـابع الميـاه. ويظهر أنه (المكان المتفق عليه مسبقا لإعادة التئام الجيش بعد أن قسم إلـى قسـمين لدواع أمنية ... ومنطقة تختار لعملية كهذه، لابد وأن تكون منطقة مناسبة، بأن تتوفر

على ما يساعد على التجمع، خاصة فيما يتعلق بالأمن.)[26] وقد كشف السارد عن مشاهد هذا المكان قائلا: (وهذا المنزل فيه ثلاثة عيون، كل عين منها في غاية ما يكون، في صفاء الماء وقوته، واتساع الأرض التي تسقى به. ثم تلك العيون مفترقة في أماكن ينابيعها، وحيث انفصلت عن أماكنها، انحدرت من بلادها اجتمعت فوق المضيق، الذي يقال له: "رأس واد شلف"، ومنه إلى أسفل يسمى "سبقاق")[27] وإلى جانب توفر المياه بهذا المكان، فإنه مكان آمن (فبات الناس على هناء)[28] ويعتبر هذا المكان من أكثر الأماكن التي اهتم السارد بوصفها. فقد تعرض له ثلاث مرات، وآخرها يصفه قائلا: (وهذا "الخير" من الأماكن التي لها بال في أرض الإسلام، من كونه ذا مياه كثيرة وأرض واسعة وجبال مرتفعة ومدن بهيجة متقاربة، إلا أن بعضها عامر بأهله كـ"قصر العجالة" و"قصر الرحامنة" و"تادمامة" وأكثرها قد خرب وبقي أثر البناء دالا على بانيه. وأعطى وعظا لكل من رآه ومناديه.)[29]

ومن الأمكنة المهمة في الرحلة كذلك (القعدة) وهي من الأماكن الهامة في المنطقة نظرا لوعورة مسالكها، ولذلك لجأ إليها الكثير من الناس للاحتماء بها خوفا من بطش محمد الكبير وجنوده. وهنا تبرز دلالة المكان كرمز للحماية والحفظ والاطمئنان. يقول صاحب الرحلة (ونزل (وارن) على حاشية الوادي من الجهة الشرقية، ومن الجهة الغربية يصعد إلى القعدة، التي يضرب بها المثل في الصعوبة المحيطة بها سبعة أدوار، ولذلك اشتهرت بهذا الاسم. فتجد البعض يسميها " سبعة أدوار " والبعض يسميها "القعدة " فالقعدة عندهم علم بالغلبة، على الموضع المخصوص في طرف 'جبل راشد". وقد انحاز إلى هذه القعدة جميع من في هذه الجهة من الأعراب وامتلأت منهم الأودية، والجبال والشعاب، ظنا منه أنها تنجيه، وتمنعه ممن يطمع فيه وتحميه، فاعتمد عليها، وفوض أمره إليها، حتى أنه رقد بالنوم، ولم يشعر بما تصنع قدرة الحي القيوم)[30]

ومن بين الأماكن الهامة في الرحلة (الدبداب) وهذا المكان لم يكن مقصودا لذاته، ولكن أهميته ظهرت، لوجوده بالقرب من مكان له ماض عدائي، مع السلطة المركزية. وهي قرية (زنينة) فهذه القرية كانت رمزا للمقاومة والتصدي لكل غاز جاء يريدها. فجاءت الحملة لتخضع أهلها للسلطة المركزية، وتعاقبهم على تمردهم. وكما هو معروف (فالمكان التاريخي مرتبط بالزمن لأن لهذا الأخير الدور الكبير في تشكيله.)[31]

ويحاول السارد توضيح مشاهد المكان قائلا: (هذا الموضع هو رأس "واد القصب"، وكما يسمى "الدبداب" يقال له أبو شكوة أيضا، "والكراط" في جهته

الشرقية على نحو الميلين، وفوقه "حاس الحمار" على نحو ثلاثة أميال. والجبل الذي في قبلته يسمى "الأخضر" وفي طرف الأخضر من جهة الشرق قرية تسمى "الشارف"، وحيث نزل هذا الموضع ذكرت له مدينة، وهذه المدينة تسمى "زنينة" قريبة من "الدبداب" بنحو أربع سوائع، وهي لبعض الأعراب الذين لا حكم عليهم لأحد. وأهلها أصحاب قوة، وعدة، وعزة. وقد ذكروا له أن باي "تيطري" نزل عليها فطردوه، وقتلوا له رجلين، وذهب مذموما مدحورا.)[32] وقد حركت الأحداث، التي حدثت بالمكان سابقا، ضمير قائد الحملة. فقرر معاقبتهم لأنه (استصغرهم في عينيه، فعلت همته أن يتولى قتالهم بنفسه، فأمر خليفته ومتولى خدمته.. أن يذهب إليها)[33] ويعطي السارد صورة ـــ لما صارت إليه تلك القرية، بعد أن داهمها جيش المحلة (فخرجوا منها بأجمعهم، ولم يأخذوا شيئا من أمتعتهم وقوتهم، وتركوها " خاوية على عروشها " أسيرة في يد ممقوتها، فدخلها من غير حصار عليها ولا قتال فانتهبت جميع ما فيها.)[34] ومن خلال هذا المشهد المحزن يظهر الرحالة، ما آلت إليه أوضاع تلك القرية المتمردة عن السلطة المركزية. ومن هنا نجد أن (المكان حين يصور برؤية الرحالة سيخرج من " حقيقته الجغرافية المادية " إلى دلالة ثقافية واجتماعية، تضفي عليه عبارات الرحالة وأوصافه قيما جديدة، وتكشف فيه زوايا مخفية، تجعل المتلقي يراه من خلال واجهات جديدة قد تجعل منه أمكنة متعددة.)[35]

المكان الهدف في الرحلة:

المكان الهدف هو مكان العدو المارق الذي خرجت من أجله المحلة، من أجل إخضاعه وإرجاعه إلى السلطة المركزية. فـ(هو الإطار العام الذي تتحقق فيه الرغبات)[36] وحسب ما جاء في الرحلة، فإن المكان الهدف هو (مدينة الأغواط) ولذا كان تعامل كاتب الرحلة معه، وفق رؤية خاصة، تختلف عن تعامله مع الأماكن الأخرى، الواردة في الرحلة. وهي بالطبع رؤية السلطة المركزية، من هذا المكان.

وقبل مداهمة المكان يصور السارد استعداد أهل المدينة لمقاومة العدو. قائلا: (ورتبوا أعيان البلاد، أهل النجدة والبأس في الأماكن التي يخاف منها وجعلوا الرماة في الأبراج العالية المشرفة على جميع البقاع. وغلقوا أبواب المدينة بالبنيان. ربما غلقوا السكك وأبواب الدور بالبنيان كذلك، ويفتحون طاقات يدخلون منها ويخرجون. والحاصل أنه لم يسبق لهم باب من أبواب الخوف إلا وغلقوه، ولا أمر نافع إلا واستعدوه، والمواضع الرميمة جددوها، والجديدة حصنوها وشيدوها، مع أن هذه

المدينة عظيمة في نفسها، محمية بأسوارها ورجالها. ولذلك لم يطمع أحد ممن كان قبله فيها.)[37] وفي خضم الاستعداد، لمواجهة العدو. يبرز اسم المكـــان كرمــز دال علـــى الصمود والمقاومة وعدم الخضوع. فالصورة الغائبة للمكان (لا تدرك من الشـــيء إلا بعض خطوطه، وهذه الخطوط تستدعي ذكرى الشيء كاملا)[38] والملاحظ أن وصف المدينة العدو، لم يأت هكذا بدون خلفيات، بل يحاول الكاتب، من وراء ذلـــك، إظهـــار مدى عظمة قائد الحملة، وقوة بطش جيشه. (وحين تأمل سيدنا المدينة، وميـــز ســـهلها ووعرها... لأنه – أطل الله بقاءه – كان له فطنة زائدة، وتجربة صادقة، مع مـــا هـــو عليه ممارسة الحروب، وفهمه لما ترموه العيون، وما تضمره الجيوب... رجـــع إلـــى محلته، وجمع كبراء قومه وأرباب دولته، واختبرهم في كيفية قتالهم، لينظر سيدنا رأي القوم، ويدفع بمشاورتهم عنه اللوم، فوجد الكل متفقين على رأيـــه ومســـلمين أمـــرهم إليه.)[39] وهنا تتضح الخبرة العسكرية لقائد المحلة، والتي على ضوئها يؤسس خطتـــه، لاقتحام هذه المدينة المتمردة، الرافضة لسلطته. من خلالها تتكشف مكونـــات جـــيش المحلة. (ثم عين لكل قبيلة موضعها ولكل طائفة مركزها. فكانت الزمالة أسفل الجبل، من الجهة القبلية، والترك عن يسارهم في قمة الجبل المتصل بالمدينـــة، وعـــن يســـار الترك المدافع في أسفل الجبل من الجهة الغربية قبالة باب المدينة من المقـــابر، وعـــن يسار المدافع من الجهة الغربية – أيضا – الدوائر، وعن يسارهم من الجهـــة البحريـــة مخزن الشرق، هكذا عينهم سيدنا – أيده الله.)[40] والذي يثير الانتباه هنا، أن الســـارد لم يشر إلى ضخامة جيش الحملة، إلا في هذا المكان. وهو ما يظهر التكتم عن أسرار جيش الحملة. وهنا تظهر لنا علاقة المكان الهدف، بالمكـــانين الســـابق ذكرهمـــا (واد العبد، ودير الكاف) ومن جانب آخر تتضح للمتلقي تلك العداوة المفرطة التـــي يتعامـــل بها السارد، مع الأمكنة المتمردة. (ولما رأت أهل المدينة أن العذاب قد أحـــاط بهـــم، والبلاء نزل بساحتهم، علموا أنه سيصـــلهم ويستأصـــلهم. فجـــالوا يمينـــا وشـــمالا، وتزحزحوا عن مواضعهم، ولحق أولهم بآخرهم، ثم انكشفوا وركب ظهورهم العســـكر يقتلونهم كيف شاءوا وحيث شاءوا، وأين شاءوا.)[41] وبهذه الحماسة يسترسل الســـارد في الكشف عن تلك المشاهد الدموية المرعبة، مما يعطي صورة صـــادمة للإحســـاس الإنساني. بعد أن أظهر موقفه من سكان المدينة. (ولا شـــك أن هـــذه الصـــورة التـــي أعطاها السارد للمكان، من حيث أنه كان مشيدا يزهو بالحياة، فأصبح مهدما قد هـــزت المعارك أركانه، وخرت إلى الأرض سجدا حيطانه، تحمل دلالة هي من وجهة نظـــر تأويلية في خدمة الشخصية المركزية – سواء قصد السارد ذلك أم لم يقصـــده – لأنهـــا بكل بساطة تثبت شدة بأس هذه الشخصـــية، وقـــوة فتكهـــا بأعـــدائها والمعارضـــين

لتوجهاتها.)[42] وموقف السارد العدائي، لم يكن محصورا في أهل المدية، بل تعداه إلى المكان، فصب غضبه عليه. (وأجابهم لما طلبوه، لشؤم بلادهم، وقبح أرضهم. فماؤهم حميم، وغبارهم عميم، فلا توافق كل ذي طبع سليم، فمهما هب ريح ولو نسيم الصبا، إلا وارتفع منها غبار عظيم، وأظلمت منه الأرض، وامتلأ منه الجو طولا وعرضا. ومع ذلك أنه لا نبات فيها، تعيش به الدواب ولا شجر بساحتها يكون منه الاحتطاب. وهذا يوجب الانتقال منها والتباعد عنها. فوعدهم بالارتحال)[43] ومن خلال هذا المشهد يربط السارد العلاقة بين المكان وساكنه، وبما أن أهل مدينة الأغواط كانوا أعداء فإن موطنهم كان مثلهم قبيحا. وهو وإن كان سود صورة المكان الهدف. فإنه من جانب أخر، أظهر رضوخ قائد المحلة لطلب أهل المدينة بالرحيل عن المكان، وهو ما يعتبر انتصارا لهم.

أماكن العبور الثانوية في الرحلة:

وردت في الرحلة أماكن عبور، ثانوية كثيرة، إلى جانب الأماكن الأساسية فيها. ومن بين الأماكن الثانوية نذكر: [اللفيحة – سلام– الخضراء– تاويلة – تادمامة – القطيفة– الحليات – مركانة – قصر أوفل– جبل راشد– الغيشة – الجبل الأخضر– الشارف– الحواجب – أم الضلوع – الرشاق – أم سناج – رداد– المالح – عجيبة – المقسم– المكدر– قصر العجالة – قصر الرحامنة – عين وزاحة– ريسة – ضاية سيدي الطيب– عين سيدي علي– عين سيدي سليمان– السيد عبد الرحمان – واد الزلامطة – واد مرة– واد سبقاق – واد الدهان – واد وارن – واد القصب].

والملاحظ أن جل أسماء هذه الأماكن، مستمد من الطبيعة. مما يدل على أن الذي أطلق تلك الأسماء، كان يدرك ما لاسم المكان من دلالة رمزية، مستمدة من المكان نفسه. وبذلك يستمر في الحضور، في الذاكرة الجماعية. لأنه أكثر دلالة على حقيقة المكان. فأسماء الأماكن الواردة في الرحلة سواء كانت أساسية أم ثانوية، هي أسماء لها دلالتها الرمزية، في نفسية الإنسان الجزائري، لذلك حافظ على بقائها معتزا بها.

أسماء الأماكن في الرحلة ودلالتها الرمزية:

الملاحظ أن الأمة عندما تطلق اسما على مكان ما، فهي تقوم بذلك من أجل ترسيخه في الذاكرة الجماعية، حتى لا تتصدع الهوية الوطنية، وتبقى لحمة الوطن متماسكة مهما كانت المحن، والأحداث وتغيرات الزمان. والمؤكد أن تلك الأسماء لم تطلق هكذا عبثا ــ وإنما جاءت نتيجة وعي مدرك، لحقيقة كل اسم، ومعرفة

أبعاده ودلالته. ولو كان الأمر عكس ذلك، ما بقيت تلك الأسماء، تقاوم تغيرات الزمان، وتعاقب الأحداث. فلكل اسم مكان، دلالة خاصة به، تثبت حضوره في الوجود. وترسخه في الذاكرة الجماعية. والحقيقة تقال، أن الأسماء التي أطلقت على بعض الأماكن، عبر التراب الوطني، قد تولدت عن منظومة فكرية، تأسست وفق منطق عقلي، يساير الحركة الكونية التي تثبت الأسماء عبر مسارات الزمان. لذلك كان حضورها متمكنا، في الذاكرة الجماعية، بعد أن استقر في الوعي الجمعي وفي الشعور. وتحول ذلك المكان العادي المبهم، إلى مكان رمز للهوية. فأسماء الأماكن الموجودة عبر التراب الوطني، هي في حقيقتها رمز للوطن، وضمان لترسيخ الهوية الوطنية، وحفظها من المسخ والتشويه والتصدع والمصادرة.

والمتلقي لرحلة (محمد الكبير) لابن هطال. يقف على مجموعة كبيرة من أسماء الأماكن التي وردت في الرحلة. وهي متفاوتة في الذكر، عبر مسارات الحكي في الرحلة. وأكثر الأماكن ذكرا، تلك الأماكن التي لم تكن خاضعة للسلطة المركزية، فهي أماكن متمردة. وقد يظهر للمتلقي، أن الأمكنة الواردة في الرحلة هي أمكنة عادية، لا تخرج عن دلالتها الجغرافية، المرتبطة بمساحة محددة، في منطقة ما من الوطن. ولكن الذي يدقق، النظر في تلك الأسماء، يجد أن وراءها أبعاد أخرى، قد تظهر للبعض، وقد تختفي عن البعض، حسب وعي كل متلق للرحلة وزاده المعرفي. فقد (يبرز الاسم جزءًا من الهوية العامة للمجتمع سواء تعلقت التسمية بالإنسان أم المكان، سيما في عصرنا هذا الذي أصبحت تحتل فيه الهوية موضوعا هاما للنقاش، كما أصبحت تشكل مشكلة تتولد عنها إشكاليات عديدة لبلدان مختلفة في ظل الصراعات الداخلية أو التحديات الخارجية سيما في بلدان الدول النامية)[44] وذا كانت الرحلة، كباقي النصوص الأدبية، تحمل من المعاني ما تحمل. فإن هناك الكثير من النصوص الأدبية، التي لها قدرة كبيرة على إخفاء المعاني. وبذلك تستفز القارئ الواعي وتحرك فكره، وتدفعه إلى البحث في خفايا النص، مستنطقا رموزه، للوقوف على مدلولاتها. ومثل هذا الفعل، يظهر أن التواصل الحاصل بين النص الأدبي، والمتلقي ليس تواصلا بسيطا، وإنما تواصل فكري، مؤسس على إستراتيجية دقيقة، الهدف منها الوصول إلى خفايا النص وأبعاده الدلالية والرمزية.

ونحن هنا عندما ندقق النظر، في أسماء بعض الأماكن الواردة في الرحلة ونستنطق رموزها. سنجد أنها تتوفر على دلالات كثيرة. وأن مشاهدها الخارجية تخفي الكثير من المعاني والدلالات. وقد كشف صاحب الرحلة، عن قصد أو بدون

قصد، عن رمزية الأماكن الهامة في الرحلة، وخاصة الأماكن التي استوقفت قائد المحلة، أو الأماكن المستهدفة. وإذا كان الرمز يحيل على الإشارة والإيماء، فإنه يحتاج إلى قارئ، يمتلك معرفة باللغة، تتجاور ما هو متعارف عليه في المعاجم. فالنص الأدبي، مهما كان موضوعه، هو في الحقيقة يحمل في باطنه رموزا، قد تقل أو تكثر، تبعا لطاقة المبدع الفكرية والإبداعية. فهناك الكثير من الدلالات والرموز التي قد تتقاطع في فضاء النص. وعلى المتلقي إدراك ذلك، في مساراته. والملاحظ أن المكان في هذه الرحلة، خاضع لحركة وفعل القيادة التي تتحكم في مسار الحملة. ومن هنا فمحطات الحملة كانت مبرمجة مسبقا، وأماكن التوقف والغزو، محددة من قبل أن تصلها الحملة. فالرحلة مرتبطة بأوامر صارمة مصدرها قائد الحملة، ولذلك لم يكن لكاتب الرحلة اختيار، سواء تعلق ذلك بوقت انطلاق الرحلة، أم بالأماكن التي تمر بها. فالرحلة العسكرية تعتمد على صرامة التخطيط، ودقة تحديد أمكنة العبور، والهدف المقصود. وإذا كان المكان في الرحلة (يؤسس لشبكة تنطلق منها الأحداث تبرز نسائج الحكاية من أجل بلورة المتخيل.)[45] فإن الأماكن الاستراتيجية في الرحلة قد اختيرت بناء على موقعها الجغرافي من جهة، ومن جهة أخرى لأهمية أسمائها. فكلاهما كان مناسبا.

ونحن هنا إذ نستنطق أسماء الأمكنة التي جاءت في الرحلة، لا يعني أننا نريد التعريف بها، فهي ليست مبهمة. وإنما نريد التنبيه إلى حقيقة، محافظتها على الحضور، مدة أكثر من قرنين. ورغم طول المدة، فإنها بقيت ثابتة، محافظة على أسمائها تتحدى تغيرات الزمان، وعبث الإنسان. ومعنى ذلك أنها تتوفر على سر ما مختزن فيها. ففي الكثير من الأحيان، نجد أنفسنا نتساءل، عن السر الذي يجعل اسم مكان ما، يستمر قرونا من الزمن. وكما هو معروف فإن الإنسان عند ما يطلق اسما على مكان ما، فمعني ذلك أنه يقوم بأنسنته (أي إخضاعه للفعل الإنساني ليصبح فضاء إنسانيا، بدءا من التسمية)[46] وربما يذهب بنا القول، إلى أن اسم ذلك المكان، كان يعبر عن شيء معلوم. ويتوفر على سهولة في النطق والحفظ والتداول. وعليه فالحمولة الدلالية للمكان، قد تتجاوز الرؤية الضيقة، المحدودة الأفق، إلى رؤية أعمق، تحوله إلى رمز أو أيقونة. وفي سياق الوعي التاريخي، قد يتحول المكان، إلى رمز دال، على الصلة التي تربط بين الماضي والحاضر. (فبقاء المكان عبر الزمن دليل على الاستمرار، وعلى الرعاية البشرية التي يتلقاها لأنه عنوان هذا الإنسان، وفيه يظهر تاريخه، ومجده)[47] وبذلك أصبح، يمثل حمولة تاريخية مؤثرة، متواصلة مع الأزمنة. وإذا كنّا نذهب إلى أن نص رحلة

محمد الكبير، هو نص يتميز عن غيره نظرا لمضمونه، فإن استنطاق رمــوزه لا يكون تجاوزا منا لحقيقة ما جاء فيه. لأن الأمكنة الواردة فيه، تحمل أســماء، قــد تواصلت عبر أجيال كثيرة، وأصبحت منحوتة فـــي الــذاكرة الجماعيــة لســاكني المنطقة. فــ(المكان لا يتوقف حضوره على المستوى الحسي، وإنما يتغلغل عميقا في الكائن الإنساني، حافرا مسارات وأخاديد غائرة في مستويات الــذات المختلفــة ليصبح جزا صميما منها.)[48] ويمكننا هنا أن نذهب إلى أن المكان الرمز هو فـــي حقيقته مكان دائم الحضور، في الذاكرة الجماعية، للمجتمع الذي خصه بذلك الاسم. ونحن هنا إذ نقول ذلك، فإننا لا نحمل النص، أكثر مما يقول، ولا نحمــل المكــان أكثر مما يحتمل. (فكل مكان له حمولته التاريخية والدينيــة، وذاكرتــه الجماعيــة مرتبطة بفكر وعقيدة الأمة، وبالتاريخ العام للإنسانية. فكم مــن أمــاكن انهــدمت واندثرت ولم يلتفت إليها أحد. لا لشيء إلا لأنها لا تمثل ذاكرة الأمة ولا تتــرجم مشاعرها.)[49] ويظهر لمتلقي الرحلة، أن العقلية التي أطلقت تلك الأسماء، كانت عقلية ناضجة، بعيدة الرؤية، مدركة لحقيقة الوطن، ومشاعر الإنسان، الذي ينتمــي إليه. وكل ذلك يظهر جليا، في منظومة أسماء الأمكنة في الرحلــة. ولا نكــون مبالغين، إذا ما ذهبنا إلى أن جل الأسماء، التي ذكرت في الرحلة، هي قريبة مــن نفسية الإنسان الجزائري. وأن الذين أطلقوا تلك الأسماء، كان قصــدهم ترســيخها في الذاكرة الجماعية، كهوية تعبر عن وحدة الأمة الجزائرية. (فالمكــان... يلعــب دورا هاما في تكوين هوية الكيان الجماعي، وفي التعبير عن المقومات الثقافية، في جميع أنحاء العالم)[50] وأن الكثير من تلك الأماكن، نجده مستمدا من حقيقة المكــان نفسه، فمكونات المكان هي التي توحي باسمه. ولا يختلف اثنان، فــي أن أســماء الأماكن الواردة في الرحلة. هي أسماء تعبر عن إحساسات الإنســان الجزائــري وأنها جزء من كيانه، تعبر عن هويته الإسلامية العربية. وأن صمود تلك الأســماء حاضرة، عبر ردح من الزمن، هو من صمود ساكني المكان، والذي يرجــع لــه الفضل، في شد لحمة ساكنيه، والمحافظة على تماسكهم.

البعد الوطني لأسماء الأماكن الواردة في الرحلة:

لا يختلف اثنان في أن الأسماء الواردة في الرحلة، هي أسماء جامعــة للأمــة الجزائرية، وموحدة لها. وأن الذين أطلقوا تلك الأسماء على تلك الأمــاكن، كــانوا على دراية، ووعي منذ البداية، بأنها في مواقعها، وأن صداها سيبقى يتــردد مــن جيل إلى جيل، لأنها أسماء قابلة، للحياة وللدوام. وأن الأجيال القادمة ســتعتز بهــا

وتصونها من الاندثار، والمحو والنسيان. وهو ما تحقق بالفعل، وها هي تلك الأسماء، لازالت متداولة بين ساكني المنطقة. وتظهر حقيقة أنها أسماء تدل على رسوخ هذه الأمة الجزائرية في التاريخ، وأن وجودها دائم الحضور عبر الأزمنة والدهور. ويمكننا هنا أن نقف عند مكانين لأهميتهما في الرحلة، ولما حدث فيهما من تدمير وتخريب، وهما: (القعدة) و(مدينة الأغواط).

فـ(القعدة) هي رمز للحماية من أخطار الأعداء، بل هي رمز للأمن والأمان والاطمئنان، بجبالها وأوديتها. فقد كانت الحصن الحصين لسكان المنطقة، تحمي الجميع من الأخطار. وكشف السارد عن علاقة ساكني المنطقة بهذا المكان قائلا: (ظنا منه أنها تنجيه، وتمنعه ممن يطمع فيه وتحميه، فاعتمد عليها، وفوض أمره إليها، حتى أنه رقد بالنوم، ولم يشعر بما تصنع قدرة الحي القيوم)[51] فاللحظة التاريخية التي كانت شاهدة على تسمية هذا المكان، هي لحظة في غيب الغيب، لا نعلم المسافة الزمنية التي تفصلنا عنها. ولكن اسم القعدة بقي رمزا للقوة والمناعة وحماية الذات الوطنية. فأيام ثورة التحرير، كانت القعدة، معقلا حصينا للمجاهدين كبدوا فيها الجيش الفرنسي، خسائر كبيرة، بقيت مسجلة على صفحات التاريخ ومشيدة ببطولة المجاهد الجزائري. ومن بين المعارك الكبرى التي شهدها هذا المكان معركة الشوابير المشهورة بتاريخ 04 أكتوبر 1956. ومعركة الخطيفة في 13 أكتوبر 1956. ومعركة الصماء المشهورة بتاريخ 19 نوفمبر 1958. ومعركة كاف ميمونة في مارس 1958. وغيرها من المعارك التي كان النصر فيها دائما للمجاهدين، بفضل إيمانهم بعزة وطنهم، واختيارهم للمكان الحصين. وبهذا استحق هذا المكان أن يسمى القعدة أي القعود الراسخ في تربة الوطن.

(مدينة الأغواط) اسم المكان هنا ليس مجرد علامة على خارطة جغرافية، بل هو دال رمزي، حرك دواخل الرحالة للتعبير عن تلك المشاهد المختزنة، والتي تجلت له، على سطح المكان لحظة مواجهته. وهنا تظهر قوة المكان في التأثير على الإنسان. (مع أن هذه المدينة عظيمة في نفسها، محمية بأسوارها ورجالها. ولذلك لم يطمع أحد ممن كان قبله فيها)[52] فهي مدينة، رمز للصمود والإباء والتحدي والنجدة، عبر قرون من الزمن. وقد وقفت بكل شجاعة، في وجه جيش محمد الكبير داي الغرب الجزائري، كما وقفت بكل شجاعة في وجه جيوش الاستعمار الفرنسي سنة 1852. بقيادة الجنرال السفاح بيلسي. ولم يتمكن من دخولها إلا بعد أن هدمها بالكامل، وبقي التاريخ شاهدا على ذلك. فصمود المكان،

هو من صمود ساكنه، ومن خلال صموده وكبريائه، يعبر عن حقيقة الأمة الجزائرية، في نضالها ومقاومتها، وصمودها ووحدتها، وتلاحمها وطيبتها.

وفي الأخير قد لا نكون مبالغين إذا قلنا بأن رحلة (محمد الكبير) لأحمد بن هطال التلمساني سجل تاريخي، وفي نفس الوقت، رحلة مكانية اسمية. وأن أسماء الأماكن الواردة فيها، لها حضور قوي في الذاكرة الجماعية الجزائرية، لذا تحتاج إلى دراسة معمقة، تبحث في جذور تلك الأسماء، وفي تاريخ إطلاقها على المكان. ولذا يجب حثّ الباحثين الجزائريين، على الاشتغالّ، على أسماء الأمكنة، في الرحلة الجزائرية. من بداية ظهورها وإلى اليوم. من أجل إصدار، موسوعة تجمع كل أسماء الأماكن الواردة فيها. لتكون مرجعا، للأجيال القادمة. في الدراسات الفكرية، والتاريخية، والأنثروبولوجية، الطوبونيمية.

الهوامش:

---

(1)– شعيب حليفي الرحلة في الأدب العربي ص 49/48.

(2)– خالد حسين حسين شعرية المكان في الرواية الجديدة كتاب الرياض عدد83 /2000. ص 64/63

(3)– شعيب حليفي الرحلة في الأدب العربي ص 87.

(4)– عمر بن قينة اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة ديوان المطبوعات الجامعية 1995 ص 06.

(5)– أنظر أحمد توفيق المدني مذكرات أحمد شريف الزهار نقيب أشراف الجزائر ص 112 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1974

(6)– أحمد بن هطال التلمساني رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي تح/ وتقديم محمد بن عبد الكريم عالم الكتب ط1/ 1969 القاهرة ص10/9.

(7)– محمد بن ميمون الجزائري التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمدية تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ط2/1981 ص 15.

(8)– ابن هطال رحلة محمد الكبير ص 35.

(9)– شعيب حليفي الرحلة في الأدب العربي ص 56.

(10)– ابن هطال رحلة محمد الكبير ص 35.

[11]– أنظر تقديم محقق الرحلة محمد بن عبد الكريم ص12و13 من الرحلة.
[12]– شعيب حليفي الرحلة في الأدب العربي ص 172.

[13]– عبد الرحيم مودن الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر ص 93 نقلا عن الرحلة الجزائرية في العهد العثماني رسالة دكتوراه من إعداد الطاهر حسيني إشراف العيد جلولي ص 254/255.

[14]– الرحلة الجزائرية في العهد العثماني رسالة دكتوراه من إعداد الطاهر حسيني إشراف العيد جلولي ص 251.

[15]– شعيب حليفي الرحلة في الأدب العربي ص 317.

[16]– الرحلة الجزائرية في العهد العثماني رسالة دكتوراه من إعداد الطاهر حسيني إشراف العيد جلولي ص 254.

[17]– رحلة محمد الكبير ص 37.
[18]– أحمد بن هطال رحلة محمد الكبير ص 37/36.
[19]– ابن هطال رحلة محمد الكبير ص 38.
[20]– ابن هطال رحلة محمد الكبير ص 38.
[21]– ابن هطال رحلة محمد الكبير ص 38.
[22]– ابن هطال رحلة محمد الكبير ص 40/39.
[23]– ابن هطال رحلة محمد الكبير ص 40.
[24]– عز الدين اسماعيل التفسير النفسي للأدب دار العودة ط4/1981 بيروت ص 66.
[25]– ابن هطال رحلة محمد الكبير ص 44.

[26]– الرحلة الجزائرية في العهد العثماني رسالة دكتوراه من إعداد الطاهر حسيني إشراف العيد جلولي ص 260.

[27]– ابن هطال رحلة محمد الكبير ص 42.
[28]– ابن هطال رحلة محمد الكبير ص 42.
[29]– رحلة محمد الكبير ص 80.
[30] – رحلة محمد الكبير ص 46.

[31]– محمد الصالح خرفي البعد التاريخي والديني في الشعر الجزائري المعاصر "شعر المكان نموذجا " مجلة الخطاب ع 2/2007 ص 147.

[32]– ابن هطال رحلة محمد الكبير ص 50/49.

(33)– ابن هطال رحلة محمد الكبير ص 50.

(34)– ابن هطال رحلة محمد الكبير ص 51.

(35)– الرؤية المركزية دراسة مقارنة في الخطابات الرحلية العربية والغربية رسالة دكتوراه 2017/2016 إعداد: مسعود جوادي جامعة ورقة ص77.

(36)– شعيب حليفي الرحلة في الأدب العربي ص 323.

(37)– بن هطال رحلة محمد الكبير ص 55/54.

(38)– هانري برغسون الطاقة الروحية تر/ سامي الدروبي دار الفكر العربي القاهرة ط1963/2 ص 71.

(39)– ابن هطال رحلة محمد الكبير ص 56/55.

(40)– رحلة محمد الكبير ص 58/57.

(41)– ابن هطال رحلة محمد الكبير ص 59/58.

(42)– الرحلة الجزائرية في العهد العثماني رسالة دكتوراه من إعداد الطاهر حسيني إشراف العيد جلولي ص 254.

(43)– رحلة محمد الكبير 67/66.

(44)– مختار رحاب مناهج وتقنيات البحث التكنولوجي لأسماء الأماكن مجلة العلوم الاجتماعية ع2014/19.

(45)– شعيب حليفي الرحلة في الأدب العربي ص 318.

(46)– خالد حسين حسين شعرية المكان في الرواية الجديدة كتاب الرياض عدد83 /2000. ص 109.

(47)– محمد الصالح خرفي البعد التاريخي والديني في الشعر الجزائري المعاصر "شعر المكان نموذجا " مجلة الخطاب ع 2007/2 ص 147.

(48)– خالد حسين حسين شعرية المكان في الرواية الجديدة كتاب الرياض عدد83 /2000. ص 60

(49)– محمد الصالح خرفي البعد التاريخي والديني في الشعر الجزائري المعاصر "شعر المكان نموذجا " مجلة الخطاب ع 2007/2 ص 146.

(50)– عثمان بدري وظيفة اللغة في الخطاب الروائي الواقعي موفم للنشر الجزائر 2000 ص 91.

(51)– رحلة محمد الكبير ص 46

(52)– ابن هطال رحلة محمد الكبير ص55

المصادر والمراجع:

1– أحمد بن هطال التلمساني رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي تح/ وتقديم محمد بن عبد الكريم عالم الكتب ط1/ 1969 القاهرة.

2– أحمد توفيق المدني مذكرات أحمد شريف الزهار نقيب أشراف الجزائر ص 112 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1974

3– خالد حسين حسين شعرية المكان في الرواية الجديدة كتاب الرياض عدد83 /2000

4– عمر بن قينة اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة ديوان المطبوعات الجامعية 1995

5– محمد بن ميمون الجزائري التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمدية تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ط1981/2

6– شعيب حليفي الرحلة في الأدب العربي

7– عز الدين اسماعيل التفسير النفسي للأدب دار العودة ط1981/4 بيروت

8– عثمان بدري وظيفة اللغة في الخطاب الروائي الواقعي موفم للنشر الجزائر 2000

9– هانري برغسون الطاقة الروحية تر/ سامي الدروبي دار الفكر العربي القاهرة ط1963/2

الرسائل الجامعية:

1– الرحلة الجزائرية في العهد العثماني رسالة دكتوراه من إعداد الطاهر حسيني إشراف العيد جلولي جامعة ورقلة

2– الرؤية المركزية دراسة مقارنة في الخطابات الرحلية العربية والغربية رسالة دكتوراه 2017/2016 إعداد : مسعود جوادي إشراف بريهمات عيسى. جامعة ورقة.

المجلات:

1– محمد الصالح خرفي البعد التاريخي والديني في الشعر الجزائري المعاصر "شعر المكان نموذجا" مجلة الخطاب ع 2007/2

2– مختار رحاب مناهج وتقنيات البحث التكنولوجي لأسماء الأماكن مجلة العلوم الاجتماعية ع2014/19

التسمية؛ بين رهان الاختيار وجدلية الرسائل التبليغية

هدى جباس[1]
جامعة قسنطينة2

مدخل:

سوف نتناول في هذه المداخلة، التمثُّلات الأونوماستيكية للجزائريين عامّة والقسنطينيين خاصّة، فيما يتعلّق بمُسميّات أماكن ومصادر رزقهم؛ من روض أطفال، وحضانات، ومقاهي انترنيت، ناهيك عن المباني العمومية وفضاءات عيشهم، من أحياء سكنية وشوارع ومدارس عمومية.. وذلك للأهمية الكبيرة التي تُبرزها تلك الممارسة التسموية؛ في إعطاء صُورة عن النواحي الاجتماعية والثقافية السائدة في المجتمع؛ فهي بمثابة إعلان تجاري لترغيب المُواطن (أو المُستهلك) في الإقبال على المؤسسة التي يُمثِّلونها، وهذا ما تكشفهُ لنا الاختيارات الأونوماستيكية؛ حين تُنبئنا عن نوعية الخدمة الّتي يعِدُ أصحابها ببُلوغها، أو يصبْون إلى توفيرها للمستهلك، وعندما تُعلمنا بالخلفية التاريخية لبعض التوبونيمات بفضاء المدينة...

والورقة مأخوذة في خُطوطها العريضة من أطرُوحة التخرُّج خاصّتنا[2] وسنُحاول هنا بلورة المادة الخام لمدونة البحث التوبونيمي بما يخدم أهداف الملتقى لا سيّما فيما يخصُّ دعم وتعزيز سُبل البحث في تحصين الوحدة الوطنية عبر بعث الاهتمام بمنظومة أسماء أماكن بعض من مصادر رزقأو فضاءات عيش الجزائريّ، ومن خلال لفت الانتباه إلى بعض الاختيارات غير المُتناسبة والقيّم الدينية والاجتماعية والثّقافية للمجتمع، حتّى نُنقذها –بوصفها واجهة حضارية للمدينة الجزائرية– من المسخ والتّشويه الذي وقع فيه البعض منها أثناء مواكبته لرهان العولمة...

وعليه فانّنا نُصنِّف مُداخلتنا ضمن المحـــور الأول؛ المتعلِّـق بـــ: أهميــة الدراسات اللّغوية الأنوماستيكية/الطوبونيميّة في الحفاظ على الوحــدة الاجتماعيــة والثّقافية للمجتمع الجزائريّ.

عندما تتحكم الإدارة بهُويتنا الآونوماستيكية

عن مُجافاة الإدارة، للبحث الأكاديمي

رمى توجُّهنا الأول إلى؛ رصد التمثلات الأونوماستيكية للجزائريين لكن علــى صعيد جهوي ومحلّي خاص بمدينة قسنطينة، بما أنهــا فضــاء دراســتنا وبحثنــا الميداني... لكننا عَدَلنا عن الأمر؛ لعدم تمكننا من المعطيات المتعلِّقة به، فاستبدلناه ببحث أعم يخصُّ الفضاء الجزائري ككل بجميع ولاياته الثمانية والأربعين، لعــدم وجود الفرز –وفقا للولايات على الشــبكة العنكبوتيــة– فيمــا يتعلّــق بتســميات المؤسسات الخاصة، وقد عزّينا أنفسنا في ذلك بأنّ؛ قسنطينة (جزء) من ذلك العــام (الجزائر) تشترك معه في مقومات هُويته الأساسية التّــي هــي: نبــراس ثقافتــه ومصدر تمثّلاته.

ولأنّ منهجنا كان أنثروبولوجيا في مُقاربته التّي اتفق العلماء على أنّ الميــدان هو ما يُؤسِسُ للكتابة الأكاديمية بها، سنقُدّم فيما يلي عرضا مونوغرافيا لــلإدارات التّي تنقلنا إليها بغرض نسج مدونة بحثنا. وذلك حتّى نضعها بين أيــدي البــاحثين كخلاصة خبرة ميدانية، علّهم يتمكّنون من تجنّب ما ضاع لنا من وقت؛ فلقــد كنــا نُوجّه في كلّ مرّة إلى إدارة مُغايرة على اعتبار أنّها هي الأنسب لأهدافنا المنهجية والأكاديمية، وذلك في ظلّ عدم تشجيع عام للبحث العلمي:

القطاع الحضري، لبلدية قسنطينة:

لم نحصل من هذه المديرية إلّا على قائمة اسمية لأســماء البنــات فــي ســنة (2011) ومعانيها؛ تحصّل عليها الموظفون –على حدّ قول المسئول عــنهم– مــن أحد الأولياء. وقد اعتُمدت القائمة من قبل الموظفين على الرغم من أنّ مصــدرها الأنترنيت! وأنّ جُلّ الأسماء بها كانت ذات أصول إيرانية، أو فارسية، أو تركية!!

المندوبية البلدية، 5 جويلية 1962 (مديريـــة الشـــؤون التربويـــة الثقافيـــة والرياضية):

تحصّلنا من مكتب (تسمية الشوارع)، الذي يضـُّـم (لجنـــة تســمية الشـــوارع والمؤسسات)؛ والذي لا يعلم بوجوده إلاّ القلائل من العاملين بالمصلحة! على بعض محاضر اجتماع (تسمية وإعادة تسمية الأماكن والمباني العمومية)، فضلا عن قائمة لـــ (التسميات الجديدة والقديمة لبعض الأحياء) بالمدينة.

مديرية أملاك الدولة، بمدينة قسنطينة:

لم نحصل منها على شيء، فالموظفون لم يفقَهوا أو لم يُريدوا أن يفهمـــوا فـــيم وعمّ نبحث.

مديرية التجارة، لولاية قسنطينة:

رغم ترددنا عليها أكثر من مرّة، فإنّ حصيلتها كانـــت توجيهـــات مـــن قبـــل مُوظفيها نحو غيرها من المصالح!

المركز الوطني للسجل التجاري، ملحق قسنطينة(3):

رغم إلحاحنا لم نستطع التمكّن من حلِّ شفرة التعامُل مع الموظفين به! فلم نُقابل إلّا من نفى إمكانية اطلاعنا على الأرشيف جُملة وتفصـــيلا، بحجـــة أنّ كـــلّ قواعد البيانات قد تمّ نقلها إلى العاصمة...وهذا رغم يقيننا بتواجـــد الوثـــائق التـــي نبحث عنها، ذلك أنّه تمّ تسليم ملف كامل حول الأمر لباحث آخر..

السجل التجاري لولاية قسنطينة:

لقد أمدّنا الموظف بقوائم اسمية لمؤسسات بقطاعات، لـــم تتمـــاش واشـــكاليتنا الرئيسية؛ حيث تمثّلت في:

قطاع التجارة، وقطاع الخدمات الذي شمل أسماء الصيدليات، وتـــأجير الســـيارات أو تصليحها، وقطاع الاستيراد والتصدير، ووكالات (agences) الفندقة والسياحة والسفر.

لم نرصد من المصالح الإدارية السابقة الذكر، مادة أونوماســـتيكية ذات دلالـــة إحصائية، إلا أنّنا ارتأينا تثمين طيّات هذه الورقة بعض ما أسفرت عنه لحمولاتهـــا التمثيلية؛ خاصة وأنّ الأنثروبولوجيا علم يهتم بالدراسات النوعية لا الكمية.

المركز الوطني للسجل التجاري:

يُشرعُ لهُويتنا الأونوماستيكية بين هياكله،ويُعتبر[4]مؤسسة عمومية تم إنشاؤها بموجب المرسوم 63ـــ 248 المؤرخ في 10 يوليو/جويلية 1963، تحت تسمية (الديوان الوطني للملكية الصناعية) ليطلق عليه فيما بعد التسمية الحالية عند صدور المرسوم 73 ـــ 188 المؤرخ في 21 نوفمبر 1973، بصلاحيات انحصرت في تجميع نسخ السجل التجاري المسلّم آنذاك من قبل مكاتب ضبط المحاكم... ويُعدُّالمركز أيضا؛ هيئة إدارية مستقلة موضوعة تحت إشراف وزير التجارة منذ شهر مارس 1997، وتخضع في تسييرها لجملة من النصوص التشريعية والتنظيمية، كما تُهيكل مهامها الأحكام القانونية السارية المفعول في: التكفل بضبط السجل التجاري والحرص على احترام الخاضعين له للواجبات المتعلقة بالقيد في السجل التجاري وتنظيم الكيفيات التطبيقية المتعلقة بهذه العمليات، طبقا للأحكام التشريعية والتنظيمية السارية المفعول؛

–والتكفل بالإشهار القانوني الإجباري، عن طريق إعداد النشرة الرسمية للإعلانات القانونية، بهدف إعلام الغير بمختلف التغييرات التي تطرأ على الحالة القانونية للتجار والقواعد التجارية، وكذا السلطات المخولة للهيئات الإدارية والتسييرية؛

–ومسك الدفتر العمومي للمبيعات و/أو لرهون حيازة القواعد التجارية وكذا دفتر رهون حيازة الأدوات ومعدات التجهيز؛ومسك الدفتر العمومي للاعتماد الإيجاري (ليزينغ) المتعلق بالأصول المنقولة وبالقواعد التجارية والمؤسسات الحرفية.

مدونات البحث التوبونيمي(CNRC):

جاءت لتدعيم النتائج المتحصل عليها من جملة المقابلات والاستقصاءات المُنجزة حول الموضوع، وبغية معرفة ما الذي يُهيكل المخيال الجمعي على مستوى المُؤسسات الخاصّة؟ وذلك من خلال الممارسات الاونوماستيكية؛ حيث رصدنا السجلات الدلالية التي اختارها القسنطينيون/الجزائريون عبر تحليل إيحاءاتها....

سنعمل منهجيًا على تقديم سجلات كلّ المؤسسات بالمدونة رقم 01، أمّا المدونة رقم 02 فسنكتفي بما أسفرت عنه حقول التمثلات (Les champs représentationnels) فيما يخص مؤسسات الطفولة؛ وذلك لغياب الدلالة عن

حقولها؛ إذ غالبا ما ارتبطت بالاسم العائلي لصاحبها، وهذا توجه آخر في البحث الأونوماستيكي؛ لا مجال لإقحامه هنا: المدونة رقم 01 (= 65 وحدة دلالية)+المدونة رقم 02 (= 469 وحدة دلالية)

وجريٌّ بنا أن نُنوِّه هنا؛ بأنّنا قد اعتبرنا كل تسمية بمثابة وحدة دلالية قائمة بذاتها.

التسميات المُتحصل عليها من مؤسسة قسنطينة (مدونة 1):

= بعدما عاودنا الاتصال بمؤسسة قسنطينة، عن طريق واسطة[5] طبعاً، تمّ تزويدنا بقائمة تتكون من 65 تسمية باللُّغة الفرنسية تخصُّ المدينة. وقد أسفر التصنيف الدلالي لها عن:

المؤسسات التي تُعنى بالترفيه: الأنترنيت

المؤسسات التي تُعنى بالطفولة: الحضانات، رياض الأطفال (CRECHE) مدارس خاصة

المؤسسات التي تُعنى بتقديم الخدمات: بيع، إصلاح..

المؤسسات التي تعنى بالإطعام: محلاّت الفاست فود.

التسميات المُتحصل عليها مما أسفرت عنه نتائج البحث بالفضاء الجزائري (مدونة 2):

= لقد دعّمنا التحليل بما أسفرت عنه نتائج البحث بالفضاء الجزائري عامة، حسب نوع كل مؤسسة، وتضاف إليه المؤسسات التي تُعنى بالتعليم الخاصِّ –بوصفها موضة بالآونة الأخيرة– حيث لم تكن لها دلالة إحصائية بالقائمة التي سُلِّمت لنا. خصّت المدونة (02) للبحث، التسميات التي وردت بـ (CNRC) تحت بند (la liste des dénominations). ولقد تمّ لنا اختيار المؤسسات التي احتوت على التسميات المُضمّنة بالجدول التالي، وذلك حسب النسوخ أو الكتابات التي بحثنا فيها:

جدول رقم (01): مؤسسات البحث التوبونيمي (مدونة 2)

المؤسسة												
CRECHE	إطعام	انترنيت	مدرسة	طفل	أطفال	حضانة	روضة	ECOLE	CYBER	FOOD	ENFANTS	FAST

ملاحظة01: لقد كانت الــمعلومات مُحيَّنة إلى غاية: تاريخ **20/03/2014.**

= وفيما يلي **حُقول التمثُّلات الاونوماستيكية** حسب تسمية كلّ مُؤسسة::

* المؤسسات التي تُعنى بالطفولة=[**CRECHE**+روضة+حضــانة+أطفــال+ طفل+**ENFANTS**]

* المؤسسات التي تعنى بــالتعليم= [**ECOLE**+ مدرســة + أطفــال+ طفــل +**ENFANTS**]

* المؤسسات التي تعنى بالترفيه=[**CYBER**+انترنيت]

* المؤسسات التي تُعنى بالإطعام: [**FOOD+FAST**+إطعام]

ملاحظة02: لم نُدمج المعلومات المُتشابهة مع بعضها، لأنّها كانت مُقسّمة على أساس اللّغة، أما التصنيف حسب النشاط، فقد كان جُهداً ذاتيًا استنزف منــا جُهــداً ووقتاً كبيرين، تُوِّج بوضع **حقول تمثُّلات دارت** حول:

التسمية العربية لروض الأطفال + التسمية الأجنبية لروض الأطفال

حقول التمثلات (Les champs représentationnels ؛شملت السجلات التالية:

= [أسماء الأطفال + التمنيات + التعليم + النشاط + الإشهار والاستقطاب]

= [أسماء الأطفال + التمنيات + أسماء رسوم الأطفــال + التعلــيم + أســماء أصحاب المؤسسة+ الاستقطاب]

= [أسماء الأطفال + أسماء الأحياء + النشاط + الإشهار والاستقطاب]

ملاحظة 03: لقد تمّ إقصاء مؤسسات الخدمات من التحليل الدلالي بالمدونة **(02)**؛ لأنّ حقول التمثلات (**Les champs représentationnels**) بها كانت جافة بالنسبة لتوجهنا البحثي، فلقد انحصرت حول أسماء أصحابها.

المؤسسات الخاصّة والتعبئة الدلالية

الاختيارات؛ رسائلٌ تبليغية:

من أجل الوقوف على التمثلات الأونوماستيكية للجزائريين، اخترنا تسمياتهم لأماكن نشاطهم ومصادر رزقهم من روض وحضانات أطفال (**Crèches**) ومقاهي انترنيت(**Cybers**) ، ومحلات إطعام (**Fast Food**)لأسباب عدّة نلّخصها في: أنّ للتسمية أهمية كبيرة في إعطاء صورة عن النواحي الاجتماعية والثقافية السائدة في المجتمع؛ حيث يمكننا اعتبارها بمثابة إعلان تجاري لترغيب المُواطن (أو المُستهلك) من للإقبال على الخدمة التي يُقدِّمونها، بالكشف عن النوعية التي يعِدُون ببُلوغها أو يصبْوُن إلى توفيرها.

= فسيكولوجية الإعلان تنصُّ على أنّه يهدف "بوصفه عملية اتصال بالجماهير إلى إمدادهم بالمعلومات عن السلعة (لفت انتباههم)، وخلق الإدراك الكافي عنها لديهم بوسائل واسعة الانتشار (إغراء المستهلك بالإقبال على السلع)، واستخدام العديد من الأساليب للتأثير في الأفراد والجماعات مختلفي الثقافات والحاجات والدوافع، ووفقاً للتطورات الاجتماعية والسياسية في المجتمع (عملية إقناع)"[(6)] . وعليه فإن لتلك للتسمية رسائل دلالية ذات حُمولات تبليغية مُفعمة بالترميز، على اعتبار أنّ هذا الأخير ما هو إلّا انعكاسٌ للتمثلات الأونوماستيكية لمُطلقيه، بما أنه يُعبِّر عن إرسال رسالة ما أو تبليغها؛ على النحو التالي:

الترميز = إرسال رسالة / أو تبليغ رسالة عن طريق رموز لغوية

الرموز اللُّغوية = تكون وطنية عامة /أو جهوية محلية /أو أجنبية.

السِّجلات الدلالية؛ لنوادي خدمات الانترنيت والتكنولوجيا: رغم توفر الانترنيت بالمنازل وبالهواتف والألواح الذكية، لكنّ المؤسسات التِّي تُقدِّم الخدمة الخاصة بها بالفضاء القسنطيني، ما زالت تشهدُ روَاجًا؛ ونجد محلاّتها أمام الثانويات والمتوسطات

بما تُوفرهُ من خدمات البحوث، كما نجده أمام بنايات الأحياء الجامعية، ولا يكاد يخلـــو حيٌّ من مؤسسة واحدة على الأقل، وقد ضمّنا بالجدول التالي ما أسفرت عنــــه حقـــول الدلالات، حيث أوردنا التسميات كما جاءت بقوائم CNRC:

جدول رقم (02): السجلات الدلالية لنوادي خدمات الانترنيت والتكنولوجيا

السجلات الدلالية	التسمية
المعرفة والمعلومة	EURL CLUB RESEAU DE RENSEIGNEMENT ABDEREZAK SAADOUNE EURL UNIVERSO INFO EURL LES PROGRAMMES MONDIALES INFORMATIQUES SNC EL CHAALA INFORMATIQUE & COMMUNICATION
الريادة، ومتعة الإبحار بالنت	SNC CYBER COOL SURF BOUDMAGH ET CIE SNC PRADIS NET FRERES HAMZI SARL LEADER PLUS
التخصُّصية باستخدام رموز الكتابة الالكترونية	SNC SEGHEIRI ET CIE COM SNC DELIB ET ASSOCIE MEDIA WEB SNC KANGOL NET CHAOUI ET CIE SNC IAGHNETCOM GHAZI ET CIE SNC ID NET BOUKERZAZA MOUAD ET CIE
الدلالات الثقافية	EURL ASPIRATION TECHNOLOGIE SNC DIGITOL TECHNOLOGIES SAYAH ET CIE SARL VIRTUA WORLD EURL CYBER 2001
دلالة الملكية	SNC CYBER EL TIBIA AZIZI ET BADACHE SARL BRANKI NET INTERNET BOUTAKA & ASSOCIE

يكشفُ الجدول عن المُمارسات الأونوماستيكية التالية:

استخدام رموز الكتابة الاكترونية: (WEB،COM، NET...)، وذلك للتــرويج للخدمة عن طريق رسالة مفادها: [التمكّن من الرموز هو ضمان لنجــاح الخدمــة] فللإنترنيت استخداماتها الايجابية نحو: التعلم عن بعد، واستخدام الانترنيت للبحــث عن الكتب وفي المكتبات، والتجارة الالكترونية عبر الانترنيت، وحجــز مواعيــد الفيزا للراغبين بها، وتوفير خدمة التسجيل في امتحانـــات مســتويات الباكلوريــا والتعليم المتوسط..

استعمال الــدلالات الثقافيـــة للرقميـــة والمعلوماتيـــة: (TECHNOLOGIE RESEAU CLUB، INFO، INFORMATIQUES، CYBER)، وهو ما يدفع إلى الإقبال الكبير من أجل استغلال تلك الرموز في استخدامات الانترنيت المُختلفة والتّي لا تخلو من كثيرٍ من الأمور السلبية؛ مثــل تخريــب الأجهــزة باســتخدام الفيروس؛ الذي هو "برنامج كمبيوتر تمّ تصميمه ليدخل الكمبيوتر بســرعة تامــة فيفعل فِعله الذي يتراوح بين أن يكون غير مدمر للجهاز، كان يســتخدم للتصــنت مثلا، أو أن يكون عنيفا ويُتلف الملفات فلا يعود بعده سوى كتلة معدنيـــة لا فائــدة منها"[7] نُضيف أيضا بأنّ الميدان كشَفَ أنّه: من أهم الخدمات التّي تُوفّرُها **(نوادي خدمات الانترنيت)**: سُهولة الولوج إلى مواقع **الإباحة الجنســية خاصــة بالنســبة للمراهقين والصغار**؛ فعلى الرغم من اعتبار الترويج لها بمثابة "شكل من أشــكال الجريمة المنظمة، تقوم بها شبكات محلية، جمهورية، وعالميــة، تقــدم عروضــا جنسية مغرية نفسيا وماليا، أو عبر مواقع ظاهرة ومتسترة" [8] والممارســة التــي لجأت إليها النوادي بفضاء قسنطينة؛ اللافتات المُعلّقة التّي تنَهى عن الوُلُــوج إلــى المواقع الجنسية، إلاّ أنّ الكثير من الشباب يجدُون في مثل هذه المؤسسات فُرصــة للدخول إليها، وهو يعني تقصيرا في استخدام البرامج الحاجبة لمثل هذه المواقــع. نُضيف إلى هذا الجرائم الالكترونية المتمثلة في التهديــد نتيجــة اختــراق مواقــع التواصل الاجتماعي، واستغلال الملفات الخاصة لأصحابها، ومــن ثــمّ تهديــدهم بالتشهير لا سيّما في حال توفر الصور..

توفير المعرفة والمعلومة: هناك من يزيد في الترويج، بأنّــه يــوفر البــرامج الإعلامية الأنجع للمعلوماتية أو بأنه **جنة النت** الذي يُوفر كلّ ما يتعلق بهذا العالم. وهو ما يدفع بالعديد من أصحاب النوادي، إلى ممارسة الاختراق في الانترنيت، و القرصنة القائمة على "نسخ برامج بطريقة غير شرعية ودون حق، وهذا من خلال

طرق وتقنيات المختلس في جهاز الكمبيوتر"[9]، ويمثـل هـذا الجانـب السـلبي– للأسف– زُبدة الخدمة التي يُقدّمها نادي الانترنيت، بنسـخه للأقـراص الصـلبة الخاصّة ببرامج المعلوماتية، أو بالألعاب الالكترونية، أو بآخر الأفلام. ولا وجـود لـ **الثابت** في هذه الخدمة فكلّ يوم يوجد **المُتحوِّل** والجديد.

التسمية؛ ودلالة الملكيـة: تقتضي الـمُمارسة بوضع كـل الأسـماء العائليـة للشركاء، حتّى يتم حفظ حق كل واحد؛ فالملكية المُشتركة يُخبِر عنها فعل التسمية. أمّا إذا كانت فالملكية خاصة، فإنّ صـاحبها يكتفـي بالتسـمية باسـتعمال الاسـم الشخصي. وإذا كان هناك مساهمون؛ فإنّ صاحب النصيب الأكبر من المال، يقـوم بوضع اسمه متبوعا بعبارة (وشركائه).

التداخل بين الخدمات التكنولوجية والالكترونية: لقد أصبح بحق هـذا الفضـاء عالماً لكلِّ ما هو رقمي وتكنولوجي.

التّداخُل في الدلاّلات: يمكن للتسمية الواحدة أن تحمل أكثر من سجل؛ إذ يمكـن أن تعبِّر عن **دلالة الملكية، كما** يمكنها أن تُدلّل عن **دلالة التفـوق** المـدلّل عنـه بنجاعة أو ريادة المؤسسة المعلوماتية، في **توفير المعرفة والمعلومة.**

السِّجلات الدلالية؛ للخدمات (SERVICES):

لقد جاءت السجلات الدلالية بقطاع الخدمات؛ صمّاء نوعًا ما من حيث الترميـز حيث دار الأمر حول:

التعريف بنوع الخدمة مع ذكر نـوع المؤسسـة: نحـو؛ (EURL CBNC EURL STATION MULTISERVICES)..

التعريف بنوع الخدمة، مع ذكر نوع المؤسسة والاسم العائلي للمالك: نحو؛

(SNCBOULANGERIE KESSITA ABDERRACHID ET ASSOCIE), (SARL MEDJROUBI STATION MULTI SERVICES),(SNC FILALI ET CIE ARTISANATS ET ARTS.)

التعريف بنوع الخدمة، مع ذكر نوع المؤسسة، وأحـد الأسـماء الشخصـية: وغالبا ما يُذكر الاسم الأنثوي، إذا ما كانت الخدمة موجهة للنساء علـى الأغلـب: (EURL CENTRE COMMERCIAL SARA).

التعريف بنوع الخدمة، مع ذكر نوع المؤسسة مرفوقة بتسمية مختصرة: ولقد أتت بمدونة ترحيبية، نحو؛

(EURL STATION D'ESSENCE ET GAZ BONJOUR)

أو جمالية (SALLE DES FETES EL BADR SARL)

(SNC CHERIET ET CHENTLI SNC LUX BINAZA..)

التعريف بنوع الخدمة بلغة أجنبية (انجليزية) مـــع ذكـــر نـــوع المؤسســـة: (EURL CASA KIDS SARL VISCOM)، وفي التسمية لفتة إلـــى مُســـايَرة رُوح العصر، وبأنّ السلعة المُقدّمة أجنبية **(تاع لهيه)**، أو أنّ محلّهم مُخـــتصٌ فـــي التعامل مع بلد أجنبي مثل انجلترا **(حنَا نَخَدْمُو غير لنْجْلِيزْ)**، وتبرز محلاّت الألبسة في هذا النوع من التعامل.

التعريف بنوع الخدمة، مع ذكر نوع المؤسسة مع تسمية خاصـــة: تكـــون فـــي المؤسسات الموجهة لتقديم خدمة تعليمية، فتبرز الحكمة أو النبوغ، كما يُســـتعار اســـم القرآن؛ إذا عُنيت الخدمة بتعليم القرآن، وغالبا ما تنحصر بالجمعيات الدينية المُوجهـــة للتعليم التحضـــيري، ومـــا قبـــل التحضـــيري، نحـــو؛ (EL FOURKANE SNC CHELIA.COM)، (SNC EL HIKMA SOFT BOUSSOUF ET CIE).

السِّجلات الدلالية؛ للإطعام: تحملُ التسمية، نوع المؤسسة مـــع أحـــد الـــدلاّلات الآتي ذكرها:

الإفصاح عن تواجد الآخر: شهد هذا القطاع دلالات خاصّـــة، أفصـــحت عمـــا تعيشه المدينة على مُستوى السوسيو–ثقافي، حيث أرّخ لتواجد الآخـــر (الصـــيني، والسوري، والتونسي) من خلال الإفصاح عن تسميات خاصة به، وبطريقة ونـــوع طعامه. وتكون الممارسة باستخدام اللّفظ الـــمُدلِّل مفرداً، مثل:

(SARL RESTAURANT LA CHINOISE)، أو باستعمال إشهارات الآخـــر المُستخدمة في الاشـــهار للأكـــل (SARL RESTAURANT ADWAK HALAB) و(SARL MAAKOULAT EL BIEK)، و(SARL RESTAURANT DELICE ECHAM) أو بـــاقران الاســـم الشخصـــي (SARL MACHAOUI KATRE EL NADA)، أو بذكر نوع الأكل (CHAPATI TUNISIEN) ...

ذكر نوع الخدمة التّي يُقدِّمها المحل، مع استعمال لفظ أجنبي: مثل؛ (SARL ALI BABA CAFFEE)، (SARL BAMBINO ICE CREAM)، (SARL BAMBINO ICE CREAM).

ذكر نوع الخدمة التّي يُقدِّمها المحل، مقترنة باسم صاحبه:

(SNC BOUDAA ET ASSOCIES FAST FOOD)، (SNC PIZZERIA LA VIERGE BOUGRINE DJAMEL ET CIE)

= من خلال ما سبقنا إليه من تصنيفات دلالية، وما بحثنا فيه حول المخيال بصفته مُنتِجا للتمثلات الأونوماستيكية وجدنا فيما وصل إليه منير السعيداني بعصارته النظرية حول المخيال؛ تفسيرا حول الاتجاه الذي يتبعه مُنتج التسمية بالنسبة لتوبونيماته، فهو في ذلك يصل إلى (الصور) بوصفها تتموضعُ بالمستوى الخامس، وتعرّفُ بوصفها "تمثيلات استعادية ماديــة أو افتراضــية تصــويرية أو خطابية واعية ولاواعية لشيء أو لكائن أو لمعنى"[10] بحالتها المتشظية، والمفقــرة والتعويضية، والتابعة والمتخارجة، وذلك لأنها تأتي بعــد المســتوى الأول الــذي محوره (النماذج الأولى)من حيث كونها "المنابع الكونية المشغلة للخيــال والمولــد لنتاجاته"[11] والمستوى الثاني الذي محوره المخيال "نظــام منضــد للرمــوز"[12] والمستوى الثالث المُتضمِّن لــ(الأنساق التمثيلية) لأنّها "تشــكيلات مــن التمــثلات مرمزة مكرسة"[13] بحالتها المتجانسة، والمتناغمة، وجامعة للأضــداد، والمنطقيــة والتوليدية. والمستوى الرابع الذي وَسمَه بــ (الرموز) لأنّها "وحدات دوال (عناصر تصويرية أو خطابية) ومداليل (معان مجازية)"[14] بالحالة التي تتبأُ عنها من حيث هي إيحائية ومكثفة ومزدوجة ثنائية ومتوالدة ومتعاضدة.

ويتعلق المرور من مستوى إلى آخر في واقع الحياة الاجتماعية، بتحقيق وساطة تكييفية وتحويلية [...] إن ما نقصده بالوساطة هو وجود آلية اجتماعية، مؤسسة في العادات والتقاليد والأعراف والقوانين تتأثر بما يفرزه واقع مــوازين القــوى بــين الفئات الاجتماعية، حسب السعيداني الذي يراها قادرة على تحويل طــرق الفعــل والقول والتفكير إلى رمزية اجتماعية ذات نسقية مؤسسة، لتتوزع الوساطات علــى طبائع مختلفة...

مُؤسسات الطفولة؛ التسمية رِهان:

السِّجلات الدلالية؛ لرياض الأطفال والحضانات بالمدونة (01):

قبل البدء، لابدّ لنا أن نشير إلى أننا قد قمنا بزيارة رياض الأطفال والحضـــانات من أجل التأكد من بعض التسميات، وبُغية وضع السِّـجلات الدلاليــة وضــبطها فكَشَفنا عن المُمارسات الأونوماستيكية التالية:

دلالات الأمن: والرسالة هي: أنكم ستجدون الأمن بمؤسستنا، فابنكم لـــن يمســه مكروه طيلة تواجده عندنا وهناك من اختصر كل الدلالة في الجذر أمن (AMAN).

دلالاتُ الإشراق والجمال: وتتمثل الوظيفة أو الغرض في: بعث الفـــأل الحَسَـــن بالنفوس، وفي المثل المحلّي **(أهدر وسَرَّشْ للْفَالْ)** خير دليل على ذلك، فهو يعنـــي (تكلم واستمع لما يُمكن أن يُحرِّك طيب الفأل). لطالما ينجذبُ المرء، ومما استخدمه الفاعلون التسمويون في إثارة الأحاسيس الإيجابية بالنفس، وجــدنا اســتعارة أحــد أسماء الورود، أو الاعتماد على دلالة النور، مثل:

(EURL EL YASMINE EL ABIAD JARDIN D'ENFANTS) ،(SNC CRECHE D'ENFANT NOUR) .

صفةٌ ببناء المُؤسسة: وهي تُحاكي وظيفة السجل الذي سبقها، فالحضانة كلّها ألـــوان من غرف وأرضية وجدران؛ وذلك من أجل جذب الطفل ومن ورائهِ أهلُه، وتقول إحدى الأمهات المتــردِّدات علـــى الروضـــة المســـماة(SARL CRECHE ET JARDIN D'ENFANT ELWANE):**(شتي كيفاه خادمتها، روعة...)**[15]، كما تُضــيف أخـــرى **(والله كي تُدُخْلي تَرْتاحي...)**، وتُؤكد الثالثة **(حتّى الطْفُلْ يَرْتاحْ)** وتُعلِّقُ أخـــرى **(ألـــوان صحْ...)**، أي أنّ صاحبة المؤسسة قد نجحت في مُطابقة التســمية مـــع حـــال المكـــان. وبالتالي؛ فقد نجحت في رهان كسب الزبون، بسبب توفُّر عنصر المصداقية بالتسمية.

خاصيّةٌ، يُروَج لتوفيرها عبر الخدمة: وكأنّ الرسالة تقول: نحن سنرافق ابـــنكم بخطواته الأولى؛ فمؤسستنا للطفل الخارق، سيكون ابنكم الملك بها، واللبيب الـــذي سيتم تحضيره جيدا للمدرسة، وهو ما يُروج له بمؤسسة، وغيرها مثل:

(SNC EL OUAFI CIE CRECHE ETTIFLE EL LEBIB)) SNC CRECHE JARDIN D'ENFANT FIRST STEP) ،(EURL CRECHE

L'ENFANT PRODIGE DE CONSTANTINE) ،(SARL CRECHE ENFANT ROI.)

= وهنا نضبط الفرق الايتيمولوجي في التسمية، والذي لا يُوجّه وظيفة المؤسسة فحسب بل يُحدّدُ الفئة العُمرية لرُوادها الصغار:

***الحضانات:** تستقبل الأطفال من ثلاثة أشهر وحتّى سن التمدرس المُحدّد بست سنوات، ففي فترة الحضانة يعتاد الطفل على؛ اللعب، والتواصل مع أقرانه كما قال علماء النفس. إنّ من مهام الروضة تأهيله لحلّ بعضِ مُشكلاته بنفسه، وتعليمه أبجديات الاعتماد على نفسه، وذلك حسب قُدراته التِّي حدّدها، إريك إريكسون من خلال ما أسماه بـ (مراحل النمو النفسي الاجتماعي)، وفيما يلي عرضٌ للمراحل الخاصّة بأطفال الروضة والحضانة:

جدول رقم(03): مراحل النمو النفسي الاجتماعي عند إريكسون بالسنوات الأولى[16]

المرحلة	العمر التقديري
الشعور بالثقة مقابل مشاعر عدم الثقة	الولادة-18 شهر
الشعور بالاستقلال مقابل مشاعر الشك والخجل	18 شهر-3سنوات
الشعور بالمبادأة (المبادرة) مقابل الشعو ر بالذنب	3-6 سنوات

***رياض الأطفال:** تستقبل الأطفال بدءاً من ثلاث سنوات وحتّى ما قبل التمدرس، وغالبا ما يتم فيها وضع برامج خاصة لإكساب الأطفال مهَاراتٍ مُعيّنة وتحمل "فلسفة الروضة قناعة الإيمان بالتفتح من الداخل، بالنشاط الذاتي التلقائي مع إطلاق حرية الطفل ليلعب ويتحرك ويختار النشاط الذي يميل إليه احترام النزعة الاستقلالية. ومن واجب القائمين على التربية والتعليم توفير كل الشروط من تخطيط للبرامج التربوية التعليمية وتنظيم البيئة التعليمية مع الحرص على جعل فضاء الروضة المشتل الحقيقي لمرافقة وتوجيه وإرشاد الطفل نحو السلوك اللازم للوصول إلى سن الرشد ونحو المواطنة والمسؤولية والإنجاز والتميز والعديد من القيم والمعايير التي وضعها المجتمع لأفراده"[17]، وعليه فإنّها تعملُ ببيداغوجية الأهداف التربوية. ومن أهداف برنامج رياض الأطفال أن

"يساعد البرنامج التربوي في تقديم تعليم مخطط ومنظم فيمــا يحتاجـــه الطفـــل بالتحديد... يعمل البرنامج التربوي كقاعدة للتقييم، لتقييم أدائه الحالي التحصيلي في جميــع المجالات"[18] ولطالَما حَرِص أصحاب المُؤسسة على الكشف عن بعــض أهدافهم من خلال المُمارسة التسموية.

الأصل الإثني: ظهر من خلال الاسم الأمازيغي:

(SNC ZIANI SOUMEY & CIE CRECHE IGHMOURASSEN.)

الاسم العائلي: أي أنّ المؤسسة مِلكيةٌ، وغالبًا ما يتِّم اللجوء إلى ذلك، إذا كانــت شراكة بين عائلتين فأكثر، مثل

(SNC GUERROUF ET ASSOCIES CRECHE AMMANA), (SNC CRECHE HIOUAL ET CIE.)

أكثر من دلالة بالتسمية الواحدة: مثل اجتماع الاسم العائلي، وإحدى الصفات

(SNC GUERROUF ET ASSOCIES CRECHE AMMANA) (SNC EL OUAFI CIE CRECHE ETTIFLE EL LEBIB) ...

وبهذا فقد وضع أصحاب مُؤسسات الطفولة تلك الاختيارات التسموية، كـــ**رهان لجذب الأولياء**، باسم الأمن تارة، تحت راية توفير الخدمة اللّائقة تارة أخرى..

السِّجلات الدلالية؛ لرياض الأطفال والحضانات بالمدونة (02):

أسفر تحليلنا الدلالي لـــ469 تسميةً لروض وحضانات الطفولة، عن سجلات دلالية اتّفقت مع **المدونة** الأولى في المنحى العام للتمثُّلات، رغم الاخــتلاف بعــدد الوحدات الدلالية أو الأسماء حسبما ما فرضتهُ، ظروف البحث الســابق ذكرهــا. وفيما يلي عرض لها حسب تواتر ورودها من الأكثر تردُّدا وحتّى الأقــل تواجــداً بمدونتنا:

الأسماء الشخصية والألقاب (Surnoms): احتلت المرتبة الأولى، وذلك لِمَــا للاسم الشخصي من أهمية:

جدول رقم (04): السِّجلات الدلالية المُتعلِّقة بالأسماء الشخصية و/أو الألقاب

الأسماء الشخصية والألقاب
-روضة منير-فتحي و مهدي روضة الأطفال ليا روضة-روضة تيناس-مدرسة وروضة عصام-روضة موني-روضة نور اليقين- روضة **هندو**-روضة نسمة-روضة ندى الريحان-روضة نسيم الصباح-روضة يامندة-روضة نور الرحمان-روضة مينوومينات-روضة مصطفى -روضة مروة-روضة ملاك الدنيا-روضة مهدي الشمس-روضة الأطفال و مدرسة الحضانة ريان سامي-دار الحضانة ليتيسيا-دور الحضانة سيرين-حضانة ميرة-روضة الأطفال مها-روضة الأطفال منى- روضة الأطفال مارية أية-روضة الأطفال لينا الوفاء -روضة الأطفال ناريمان -روضة الأطفال ليديا-حضانة مامي-روضة سرين-روضة سالم-روضة سلمى-روضة صاره وصونيا-دار الحضانة زهرة- روضة لينى- روضة ماريا-روضة ليناس-حضانة قاسم و صارة-روضة أطفال "ماريا-صبرينال"-حضانة عاطف ألاء-روضة الاطفال حديقة أسما-روضة الأطفال والتعليم التحضيري ميميدو- روضة الاطفال كريمة -روضة الأطفال ونيس -روضة الأقحوان سارة صونية-روضة الأطفال سندس -روضة الأطفال سامية-روضة الأطفال ريم - روضة الاطفال عزوز-روضة الأ طفال و مدرسة الحضانة ريان سامي-روضة أهليل-روضة أونيس-روضة إياد-روضة دودوش-روضة دنيا-روضة درة-روضة آية-روضة حبيب-روضة فاتي-روضة فايزة-روضة محمد أنيس-روضة آمال الأنفال-روضة فاطمة الزهراء-روضة غنية-روضة أنسام الصغيرة-روضة إشراق دينا-روضة أم يونس-روضة ماما خضرة-روضة ماما شافية-روضة الأطفال إنتصار -روضة الأطفال أنايس. سهيلة -روضة الأطفال إلهام -روضة الأطفال إلينا-روضة أميليس-روضة إناس والملائكة-روضة الأطفال أية العاصمية-روضة أنابيس-روضة أنجلس أريا أرزقي وشركائه-روضة أنس-روضة زكي-روضة رياس- روضة الأطفال **أندلس الأمين**

*بقراءة في الجدول وبالرجوع إلى ميدان بحثنا نُقرِّر أنّه:

-على الرغم من أنّ هذا السجل لم يبرز بمدونة (القسنطينيين)[19] إلاّ أنه قد جاء أولا بالمدونة التي خصت المخيال العام (للجزائريين ككل)، عند تقصينا للأسباب بالميدان وجدنا السبب الرئيسي لعدم شيوع التسمية بالأسماء الشخصية بالمدونة الأولى هو خوف القسنطينيين من أن يُصاب أولادهم بالعين، وذلك من عناصر الثقافة المتأصل بمخيلتهم حيث يؤكد "أرسطو على سبيل المثال، في أخلاق Nicomaque، يوجد فرق بين زويzoè(أي الحياة) التي يشترك فيها البشر مع جميع الكائنات الحية، و bios المُعرّفة على أنها طريقة حياة شخص أو مجموعة معينة"[20]. وهناك فرضية أخرى، نصوغها من وحي تمثلات بعض الآباء الذين لا يُريدون مُفاضلة بين أبنائهم حتّى ولو كان لديهم ابن واحد، ذلك أنهم يأملون في إنجاب آخر.

-يبرز الجدول أيضا دلالات غير متداولة أشرنا إليها بعلامة فارقة ومنها: التسمية باسم صاحبة الروضة مع تسبيقه بصفة الأم، وذلك لبعث الإحساس بالأمان أكثر في نفوس الآباء، فضلا عن إضافة صيغة انتماء إلى التوبونيم(**روضة الأطفال أية العاصمية)** والتفسير يذهب في عدة اتجاهات منها الاعتزاز بالانتماء إلى المكان، و/أو استعمال التسمية بمثابة دعاية تجلب أصحاب ذلك الأصل الجغرافي ..

- إبراز نوع المؤسسة بالتسمية (**مدرسة وروضة عصام، روضة الأ طفال ومدرسة الحضانة ريان سامي)** والملاحظ تداخل عدة أنواع بالمؤسسة الواحدة.

خاصيّةٌ، يُروَج لتوفيرها عبر الخدمة: حيث تتضمن الصور الرمزية لطلب العلم: التدريس الجيد، المُرافقة بالخطوات الأولى للطفل، والإسهام في بناء مستقبله وجعل بدايات تعليمه الأولى وكأنها نحو الشمس، وبالجدول أدناه توثيق لذلك:

جدول رقم (05): السِّجلات الدلالية المُتعلِّقة بخاصيّةٌ يُروَج لتوفيرها

الصفات المُروَّج لتوفيرها عبر الخدمة
-حضانة الحكمة مهادي وشركائه- روضة و التعليم التحضيري ستراوبيري- حضانة الخطوات الذكية-لو بون شومان مدرسة الحضانة- مدرسة الحضانة 3.2.1.0 صولاي-سفريات الروضة-روضة الإنطلاقة الجيدة- روضة لوموند إيماجينار للأطفال-روضة لي تروا صولاي- روضة الإنطلاقة الصحيحة-مدرسة الحضانة 1.2.3 شمس- روضة عصام التربوية-روضة حضانة الخطوة الأولى- روضة صولاي سوكري سارة-مدرسة الحضانة لا ديكوفرت-المستقبل الذهبي مدرسة الحضانة و روضة-أ ب روضة الإعداد الجيد روضة أطفال-روضة أ ب س باسرال-روضة أحسن جيل-روضة أحلام الصغار-روضة إكتشاف العالم - روضة الإرشاد-روضة المكتبية-روضة الأطفال إقرأ-روضة الأطفال الإنطلاق الجيد-روضة الاطفال النهضة -روضة الأطفال المعين-روضة الأطفال مدرسة- روضة الأطفال نور العلم-روضة التطور والنجاح -روضة هناء الطفل المتعلم- روضة معلم-روضة مملكة الأطفال جوامع-روضة الرسالة-المستقبل الذهبي مدرسة الحضانة و روضة-روضة الاطفال قصر المعرفة-روضة تاج الكرامة- روضة تريزور فيدال-روضة لو بوتي روايوم-روضة لو فروي دو ما باسيون- روضة العجائب-روضة دو بو سيجور -روضة حضانة الخطوة الأولى- روضة حديقة العجائب-روضة السعداء -روضة دليل الأطفال-روضة خذ بيدي-روضة الفوز- روضة البصائر -روضة لاكاريار-روضة لا بريباراتوار-روضة **كنزة** للمعرفة أميطوش و شركائه.

*في قراءة للجدول، نخلُصُ إلى :

-بروز التسميات الفرنسية مكتوبة بالحروف العربية مثل (**روضة لو بوتي روايوم، روضة تريزور فيدال، روضة لو فروي دو ما باسيون، روضة دو بو سيجور، روضة لاكاريار، مدرسة الحضانة لا ديكوفرت، روضة لوموند إيماجينار**

للأطفال، روضة أ ب س باسرال)، وهو ما يدفع الملاحظة إلى تقرير عدم وجود البند الذي يدفع بصاحب المؤسسة إلى وضع المقابل العربي للتسمة الأجنبية المقترحة، والأمر هنا يدفع على التساؤل خاصة وأنّ اللغة العربية هي اللغة الأولى والرسمية للبلاد، وأنّ التسمية الدّالة على نوع المؤسسة قد ترجمت (روضة – مدرسة –حضانة)، مما أبرز ممارسة هجينة بين لغتين، تميل بها إلى الاستعمال اللهجي أكثر منه إلى اللغة وهو ما يجعلنا نتساءل عن الرأسمال اللّغوي لمثل هذه المؤسسات من منطلق أنّه "لا يكفّ يوماً عن مزاولة تأثيره: إن الأسلوب مأخوذ بالحسبان في كل مستويات المسيرة، وفي الدروب الجامعية كلها، وحتى العلمية وإن بدرجات شتّى. "[21] والاقتباس مُبرّرٌ لأنّ عالمنا يتحدث هنا عن المدرسة ولأنّ الفاعلين في مثل هذه الممارسات التسموية (مسؤولين+ملاّك) هم نتاج تلك المدرسة، لاسيّما وأنّ التسمية هنا تخص مؤسسات لا تُعنى بالعناية بأطفال الأمهات العاملات فقط، وإنّما أيضا تهتم بتحضير الأطفال للدخول إلى المدرسة، وهو ما يدفع حتّى بالماكثات بالبيت للتأمين على أبنائهن بين جدرانها.

– استعارة وسم فريق غنائي لتسمية الروضة (Soleil 123)، ولكن مع تحويل الدلالة لفائدة تعليم الأطفال ومستقبلهم؛ وكأن الرسالة تقول أنّ الأطفال بروضتنا يخطون خطواتهم الأولى نحو مستقبل مشرق والذي دُلِّل عليه بالشمس، فليس هنا ما يضاهي سطوع ضوئها (**روضة لي تروا صولاي، مدرسة الحضانة 3.2.1.0 صولاي، مدرسة الحضانة 1.2.3 شمس)** ولقد مورس فعل التسمية هنا باللغتين العربية والفرنسية.

– تداخل السجلات الدلالية بالتسمية الواحدة، نحو تسمية (روضة كنزة للمعرفة أميطوشو شركائه)، فهي تُدلِّل عن خاصيّة يُروَج توفيرها عبر الخدمة، وعن الاسم العائلي لمالكها، وعن الاسم الشخصية لطفل على الأرجح، وعن أنّ المؤسسة محل الحديث ليست ملكية خاصة.

صفات الإمارة، والذكاء، والقيادة، والنجاح: تُبرِزُ الطفل كفاعل، والروضة المكان الأمثل لنُبوغه وفي الجدول التالي بيان للصيغ المستخدمة:

جدول رقم (06): السِّجلات الدلالية المُتعلِّقة بمُواصفات الإمارة والقيادة والنجاح

التسميات المدلِّلة على الإمارة والذكاء والقيادة والنجاح
-روضة لوجردان دي جيني-روضة جولي قوس-روضة جيل الهدى-روضة الفؤاد-روضة تاج الملوك-روضة الكنوز الصغيرة-روضة الأطفال ملكة-روضة الأمير-لي سيبر روضة الأطفال-روضة نجم النجوم-روضة لوبوتيتريزور عنان-روضة لو بوتي قاتي-روضة لي سيبر-روضة لي شوشو-روضة لي بوتي درول-روضة لومينيون-روضة لي أنفو أدوري-روضة مريم للعباقرة الصغار-روضة الطفل القائد-روضة العباقرة الصغار-روضة العبقري-روضة الأطفال نوابغ المستقبل-دار حضانة الطفل المدلل-روضة الأطفال الأمير المتألق-روضة الأطفال الأذكياء-روضة أحفاد الامير -حضانة الأميرة الصغيرة -روضة براعم الغد -روضة براعم النجاح -روضة النجاح روضة النجوم-روضة النبهاء الصغار-روضة أميرة الورود-روضة أمير المستقبل-روضة الاطفال براعم المستقبل -روضة ياني الطفل العصري عريس وشركائها-روضة الأطفال لي قاتي-روضة الجيل المستقبل-روضة العلا-روضة الفتح-روضة الفتح المبارك لابريمار-روضة العالم-روضة العالم الجميل-روضة الصالحة-روضة الفارس الصغير-روضة عبد الرؤوف **الجيل الصاعد**-روضة القلب الصغير-روضة القائد الصغير-روضة الفرسان الصغار

*نلاحظ على الممارسات الأونوماستيكية التي أوردها الجدول، التالي:

- تتجلى صفات (الإمارة+ الذكاء + القيادة +النجاح) التي تُبرِزُ الطفل كفاعل والروضة المكان الأمثل والبيئة الأفضل لتوفير وسائل نبوغه وراحته؛ فهي تًصوره بمثابة القائد، والفارس، والأمير، والملك و النجم (**روضة الطفل القائد، روضة الأطفال الأمير المتألق، حضانة الأميرة الصغيرة، روضة أميرة الورود، روضة أمير المستقبل، روضة الفارس الصغير، روضة القائد الصغير، روضة الفرسان الصغار، روضة الأطفال ملكة، روضة نجم النجوم**)، وقد برزت ممارسة جديدة

تستخدم صيغة الأنثى في التسمية وذلك لدغدغة مشاعر آباء الإناث خاصة، فتسمية المؤسسات المعنية بالطفولة تستهدف الآباء أكثر من أطفالهم، والأمر مدروس برؤية اقتصادية هنا؛ ذلك أنّهم من سيدفعون عن أبنائهم، ومن سيُقرِّرون وضع طفلهم في روضة دون غيرها.

- بروز التسمية (**روضة أحفاد الأمير**)، ولا يمكننا قراءتها دلاليا إذ لا بدّ من مقابلة صاحبها، حتّى نتبيّن من إلى أيِّ أمير يُنسب هؤلاء الأحفاد، فذاكرتنا الجمعية تحتفظ ببطولات ثلة من الأمراء الجزائريين أمثال الأمير خالد والأمير عبد القادر وغيرهما..

-عدم ترجمة التسميات الأجنبية، والاكتفاء بكتابتها بحروف عربية + مع مُزاوجة بين العربي والأجنبي في الممارسة التسموية الواحدة (**روضة الفتح المبارك لابريمار روضة لوجردان دي جيني، لي سيبر روضة الأطفال، روضة لوبوتيتريزور عنان روضة لو بوتي قاتي، روضة لي سيبر، روضة لي شوشو، روضة لي بوتي درول لي أنفو أدوري**)، وتتردد هذه الصفة بكلِّ السِّجلات الدلالية.

- التركيز على صفات العبقرية والذكاء (روضة لوجردان دي جيني)، وذلك لتشجيع الآباء على الاستثمار في مستقبل أبنائهم بالحرص على اختيار المكان الأفضل الذي سيفتح لهم آفاق ذلك.

- إبراز صفات الدلال (**روضة لي أنفو أدوري، روضة لومينيون، روضة لي بوتي درول، روضة لي شوشو، روضة لو بوتي قاتي، روضة لوبوتيتريزور عنان..**) في رسالة تبليغية مدلولها أنّ المعاملة بروضتنا أو حضانتنا ستكون على أحسن ما يكون.

دلالاتُ الإشراق، والجمال: وشملت أيضا كلّ ما تعلّق بالأحلام والأمل والورود

جدول رقم (07): السِّجلات الدلالية المُتعلِّقة بالإشراق والجمال

دلالاتُ الإشراق، والجمال والأحلام والأمل، والورود والطبيعة
-حضانة وحديقة الطفل الوان-روضة الأطفال لا بوتيتفونتين--روضة الأطفال ليكوكليكو-روضة الأطفال لوسيال بلو-روضة الأطفال لي ميموزا- -مدرسة للحضانة بلاد قوس قزح-روضة قوس قزح- الروضة الشارقة-روضة كلير دو

لون- روضة لافيولات-روضة واحة الاطفال-روضة الزهور والزهرات-روضة الزهور الرائدة-روضة الزهور الندية-روضة الزهور الجميلة-روضة الزهراء- روضة الزمردة-روضة الريحان ماريا- روضة الريحان-الياسمين الأبيض روضة الأطفال-روضة السعادة دريس-روضة الصباح-روضة فلور دو لوتوس-روضة قردينيا-روضة أفنان-روضة إشراقة أمل-روضة أكاليل-روضة إبتسامة الملاك-روضة أزهار الربيع-روضة الأطفال الأحلام-روضة الأحلام-روضة بريق الأمل-روضة بشرى-روضة الحياة للأطفال-روضة الحديقة الخضراء-روضة الحياة معاله جميلة- روضة الحلم الصغير-روضة الورد البري-روضة الوردة البيضاء-روضة الورود-روضة الازهار-روضة البراعيم-روضة البراعم نسرين-روضة زهيرة البراعم-روضة زهور الأطفال-روضة زهرة الياسمين

*يبرز الجدول قائمة مُوسّعة من:

أسماء الزهور والورود: **(روضة الأطفال لي ميموزا، روضة لافيولات، روضة الزهور الرائدة، روضة الزهور الندية، روضة الزهور الجميلة، روضة الزهراء روضة الريحان ماريا، روضة الريحان-الياسمين الأبيض، روضة فلور دو لوتوس)**، وقد كانت مفردة أو بإضافة صيغة أخرى لها تمثلت في وصف لحال الزهر، أو في إضافة اسم شخصي يخصُّ المالك أو أحدا من أهله. ولا بدّ لنا أن نقف عند محاول من مارس التسمية في أن يضع جمع مذكر للزمرة **(روضة الزهور والزهرات)**، والرسالة من وراء ذلك هي في إشارة منه إلى أنّ الروضة خاصته تستقبل الذكور والاناث.

أسماء لعناصر من الطبيعة، وأخرى للإشراق، والجمال والأمل: (روضة الأطفال لوسيال بلو، **مدرسة للحضانة بلاد قوس قزح**، روضة السعداء روضة إشراقة أمل، روضة السعاد،ة روضة السعادة دريس ،روضة الصباح ،روضة بريق الأمل، الروضة **الشارقة)** وقد استخدمت هنا مشتقات عدّة للإشراق، وذاك لرمزيته الباعثة على الأمل والفرح ...

الاسم العائلي: لقد جاء مُفرداً أو مرفوقا بالاسم الشخصي، أو بدلالة معيّنة حسبما يبينه الجدول.

جدول رقم (08): السِّجلات الدلالية المُتعلِّقة بالأسماء العائلية

الاسم العائلي+ الاسم الشخصي+دلالة – الاسم العائلي +دلالة
–قروق وشركائه روضة أمانة–روضة حيوال و شركائها–روضة سي الميلود الطيب–روضة سكي– روضة شاطوبورجو–حضانة فارم سويسي و شركائه–مدرسة الحضانة شنازبلعريف&شركائه–بيفوان كوادري وشركائه روضة–روضة هديل بولفوس وشركائها–بلحاج علي روضة رشيد عاشور–حضانة هنه وبحري–طباخ وردية ومعمر شاوش روضة –روضة ياني فدي–روضة وحضانة هاني سوف–روضة رزيق–روضة ياسمين ناني–بوريشة روضة الملائكة وشركائه–روضة وحضانة هاني سوف–روضة الأطفال&مدرسة الحضانة "ليلي" ميمون و شركائه–روضة الأطفال قريوح–روضة الأطفال &بودبوس مريم وشركائه روضة البشير–مدرسة الحضانة "ليلي" ميمون و شركائه–روضة بن دالي–بن عمار روضة–روضة مليسا بوجملين و شركائها–روضة ماكودي شيراز–روضة مانيوليا عمور و شركائها–روضة نوارس كالما–روضة نور الصباح راشدي وشركائه–هاشمي لروضة الأطفال وفاء–روضة ثيزيري– روضة ثيزيرينصباح–روضة جنان بوماريا–روضة ثيللي–روضة ثليلي رمضاني و شركائه–الوافي وشركائه روضة الأطفال هنيدة–روضة عموري–روضة عليم نايلة غوز–روضة فرح كيدس–روضة فكير

*من الجدول أعلاه نلاحظ على اختيار التسميات أنها:

– تُبرز مؤسسات رياض الأطفال والحضانات، بمثابة مشاريع للشراكة أو مشاريع عائلية، وقد أوضح لنا الميدان بأنّ الشراكة تكون غالبا، في حالة ما إذا كان صاحب المال لا يحوز الشهادة اللازمة لفتح هذا النوع من المؤسسات التربوية، حيث يُمولُ المشروع في حين يؤسِّسه الآخر.

-وتكون المشاريع العائلية قائمة حتّى وإن كانت العائلة نووية،ذلك أنّ " جميع التحقيقات أثبتت أن نووية العائلة لا تعني قطيعة مع القرابة"(22) وكما تُضيف ليليا بن سالم فإنّ "العائلة النووية خيار، لكنّ العائلة المُوسّعة تبقى قيمتها عالية داخل التمثُّلات الاجتماعية"(23) فالعلاقات مع العائلة تبقى من المفضلات الاجتماعية حتّى وان اعترتها بعض المشاكل.

أسماء لشخصيات طُفولية: وهي كما يُدرجها الجدول أدناه:

جدول رقم (09): السِّجلات الدلالية المُتعلِّقة بشخصيات طُفولية

أسماء لرسوم متحركة، وللحصص والقنوات التلفزيونية المُوجهة للأطفال
-روضة الأطفال أصدقاء دورة- روضة سندريلا-روضة فلة-روضة **طيور الجنة** مكرود وشريكتها-روضة ماريونات-روضة الأطفال لي شابرون روج عبا وشركائها -روضة الأقزام السبعة-روضة الأطفال طيور الجنة-روضة الأطفال سيسترس-روضة الاطفال سن الذهب-روضة الأطفال سمسم-روضة دو.ري.مي-روضة بيو بيو-الروضة لو ني دويي-روضة تيك تاك توك-روضة الأطفال ستاوتي-روضة ويويس-روضة ويني-روضة **طيور الجنة**بلبيوض-روضة دوورا- روضة دورا-**حضانة الأطفال نحول**-روضة الأطفال بيزونورس-روضة الأطفال أنسي فون فون-روضة الاطفال بيبي بارادي-روضة الأطفال بوتي أ بوتي-**حضانة لي بوبون-درسة الحضانة البراعم - مدرسة الحضانة والابتدائية سندي بل**-روضة بلانش ناج-روضة النافورات الصغيرة-روضة أطفال الفانوس-روضة أطفال قوس قزح-روضة السنافر-روضة الأطفال لاروزري-روضة لبيبة-روضة أرلوكان-روضة أرونج بلو

*من الجدول يتضح أنّ تلك الشخصيات المتعلقة بالأطفال قد خصّت:

- الرسوم المتحركة، والتّي بُثت لأجيال مختلفة (**سندريلا، فلة،دورة، لي شابرون روج، سن الذهب سيسترس، ويني..**) وقد تمّ التركيز فيها على الشخصيات الأنثوية، كما لاحظنا إقصاء إحدى شخصيات الرسوم بعد استعارة

عنوانها، وهي حالة **حضانة الأطفال نحول وروضة الأقزام السبعة، حيث** تمّ في الأولى إقصاء الشخصية المحورية **زينة**، وبالثانية إقصاء **فلة** بطلة القصة.

– تسمياتٍ لحصص أطفال، أو لقنوات تلفزيونية، ونفترض أنه أريد من اختيارها إضفاء جو من المرح على المؤسسة من جهة، والعمل على جذب الطفل من خلال اقتباس رموز من عالمه الخاص (**روضة الأطفال طيور الجنة، روضة أطفال الفانوس..**)، وذلك من خلال التأثير على الوالدين بطبيعة الحال.

–وقد جاء الاختيار باستعمال: الاسم المعرب للرسوم المتحركة.، أو النسخة الأجنبية، لكن بحروف عربية التسمية، أو بتسمية قناة تلفزيونية موجهة للأطفال

الدينية: كانت سجلاتها مبتكرة إلى حد ما كما يوضحه الجدول:

جدول رقم (10): السِّجلات الدلالية الدينية

الدينية (الأطفال الملائكة– الجنّة وما يُوافقها)
–روضة فتح الله–روضة فضاء الملائكة–روضة عدن–روضة لينا للملائكة–حضانة رياض الجنة–روضة جنة الأطفال–حضانة الملائكة–روضة حوض الملائكة أمين و زينة–روضة لو بتي بونور دي زونج–روضة أسماء الله الحسنى–روضة إستبرق–روضة الأطفال قصر الملائكة–روضة الاطفال جنة الملائكة–روضة الأطفال ثلاثي الملاك–روضة الخلود–روضة الأطفال براعم الجنة–روضة موعد الملائكة–روضة الريان–روضة الجنة الصغيرة الملائكة–روضة الجنة–روضة الجنان القرآنية–روضة و حضانة الأطفال الريان–روضة الفرداوس–روضة الفردوس–روضة القبس–روضة الكوثر–روضة الملائكة–روضة الملائكة الصغار–روضة الملاك الصغير–روضة روايوم دي زنج الحنين–روضة روايوم دي زونج بلحسين–روضة رياض الملاك

*بقراءةٍ للجدول، يتّضح معنا أنّ الدلالة:

– تستعير صورة الملائكة لتُلصقها بالأطفال،

– تربط المخيال بالجنّة وما يُوافقها من أسماء، أو ما يتعلق بها من أشياء مادية مثل **الأعين، والأنهر**، وذلك من أجل بعث شعور الأمان، والتقرُّب من الطفل وأهله

– مُبالغٌ فيها خاصة حينما بلغ أصحاب المؤسسة الحدّ الذي أطلقوا معه تسميات من قبيل (**روضة أسماء الله الحسنى**)، والمدلول هنا أعلى من ذلك.

دلالات الأمن والراحة والسعادة: فضلا عن المعاني التي تدور حولهم، أو ما يُسبب وجود تلك الصفات، أو يبعثُ عليها، كما هو مبين في الجدول أدناه:

جدول رقم (11): السِّجلات الدلالية، المُتعلِّقة بمُسببات الأمن والراحة والسعادة

دلالات الأمن والراحة والسعادة
روضة المرح–روضة ذهبية–روضة جوهرة الاطفال–روضة صالو لي كوبان–روضة جومامور–حضانة الاطفال الأمانة–روضة الأطفال دار الأمان–حضانة الهدى–روضة ركن الأطفال –روضة زينة الحياة–روضة جولة الصغار–روضة حديقة السعادة–روضة وحضانة الأطفال الريان–روضة الأطفال الإستراحة الكبيرة للمتمدرسين الصغار–روضة النور–روضة النور السلام–روضة النسيم–روضة الإحسان–روضة الاطفال الافراح–روضة الأطفال براعم النور–روضة الاطفال براعم الأحلام–روضة الأمل روضة الأمل روضة الأطفال نبراس– –روضة البسمة–روضة بيبي جوايو–روضة الأيام السعيدة–روضة القطافاية سعادة الطفل.

*يكشف الجدول عن دلالات مُفضلة عند الأولياء؛ الّذين لا يرُكزون على تعليم أبنائهم في سن مبكرة، فصورة الحضانة بالنسبة إليهم تُحيل إلى دلالات اللعب والاستراحة والسعادة، فالحضانة أولا هي فضاء للعب في إطار تربوي.

دلالات مبهمة: خصّ هذا السجل تسميات ذات دلالات لم نتبيّن دلالتها، وقد أسهمت الكتابة التي جاءت عليها (فرنسية مكتوبة بأحرف عربية) في ذلك كثيرا.

وقد أوردنا بعضا من تسميات هذا السِّجل بالجدول التالي:

جدول رقم (12): السِّجلات الدلالية المُبهمة

دلالات أخرى
-روضة بابي لو-روضة جامعة لي شتروموف-روضة غنيمة متعددة الإستقبال-روضة بوم دابي-روضة بو د شو دامور-الروضة بناية-روضة لورتونسيا-روضة لامامي-روضة لتتسال-روضة تور-روضة لونفونكونفيونرناي و شركائه-روضة ليدن دو هيند-روضة ليكالا-روضة ليل أو تريزور-روضة ليل فيبريك للأطفال-لي لوسيول مؤسسة خاصة للتربية والتعليم وروضة -روضة الأطفال دالي الأم-روضة ومدرسة البرهومية-روضة الاطفال أشعات الشمس-روضة الطفل المتيق-**روضة مدريد**-روضة ما في لا- كسي وعيزم روضة البوسي الصغير-روضة البستان الحنانة أوشيش و شركائه-الروضة ألجيريانترادينق-روضة ليل فيبريك للأطفال-روضة ليل أو تريزور-روضة ليكالا-روضة ليدن دو هيند-روضة لونفونكونفيونرناي وشركائه-روضة الحنان-الروضة ترادينق-روضة الخمسينية

*نُشير هنا إلى التسمية التي حملت اسم توبونيم يخص مدينة أجنبية (**روضة مدريد**)، ويمكن أن تكون الدلالة قد خصّت فريقا لكرة قدم. وبالحالتين يُعدُّ الأمر غريبا، لأنّ التسمية تخصُّ مؤسسة طفولية.

حيوانات: يُبيِّن الجدول قائمة لحيوانات المزرعة، والغابة، والبحر على حد سواء.

جدول رقم (13): السِّجلات الدلالية المُتعلِّقة بالحيوانات

حيوانات
-روضة اليمامة -روضة لو روسينيول-روضة عش العصافير-بلبل المستقبل-روضة كتاكيت الجنة-روضة الكتاكيت-روضة الكتكوت الصغير-روضة كونقورو-روضة كتكوت السعيد-روضة الذب الصغير -روضة الفراشة الزرقاء اسيرم-روضة الطيور الصغار-لوبوتيدوفان روضة-روضة السنجاب-روضة الأرانب الصغيرة-روضة الأطفال لوبوتي كنار-روضة الأطفال ليكوكسينال

* يبدو المقصود من هذا السِّجل:

- استعارة الخصائص المُحبّبة لتلك الحيوانات.

- ربط التسمية بالحيوانات التي برزت كشخصيات مُحبّبة للأطفال وبالرسوم المتحركة،

الأصل الإثني، اللقب، أو الاسم الإثني: كالأسماء الامازيغية..

جدول رقم (14): السِّجلات الدلالية المُتعلِّقة بالأسماء والألقاب الإثنية

الأصل الإثني+ اللقب أو الاسم الإثني
-حضانة **لالا** زهور-روضة أقرو-روضة أغيلس-روضة ايطيج -روضة ايزماغيلاس-روضة ايسقمان- محند اوسعيد مصباحي و شركائه-زياني سعيدة وشركائها روضة إيغموراسن-روضة ياياأوقاسين و شركائه-روضة **حراسة** الاطفال تمازيغت-روضة قايا-**روضة قوس قزح الزيانيين**

*يكشف هذا السِّجل عن اعتزاز بالانتساب إلى أصل مُعيّن، وعن رغبة في تثبيت ذلك بمخيال الأطفال وبتمثلاتهم الذهنية.

توبونيم: بأن تنسب المؤسسة للمكان المتواجدة به، سواء اعتمدت أودونيما أم لا، وقد تعلّق الأمر إما بربطها بالحي الذي تتواجد به، أو بمدينة الانتماء الجغرافي، أو بمدن رسّختتها الذاكرة الجمعية، بصور المحبوب المقرّب كالأندلس معقل مجد المسلمين فيما مضى.

جدول رقم (15): السِّجلات الدلالية المُتعلِّقة بالتوبونيمات

توبونيم
-روضة براعم الأربعطاش-روضة الأطفال أحسن الكنوز فيلا سعدودة- روضة الأندلس-روضة الأطفال لؤلؤة براقي-مزغنة روضة-روضة بوابة الهضاب

*تعود التسمية بهذه الدلالات إلى:

- مكان تواجد المؤسسة الطفولية

-الأصول الجغرافية لصاحب المؤسسة، والتي يريد تثبيتها في الفضاء من خلال ممارسته الأونوماستيكية، وفي هذا يقول Bouquet Olivier: " يمنح الناس أسماءهم للأماكن. ...لا أتكلم عن المساجد، الينابيع، الزوايا، التي أينما ذهبت تجدها تحفظ ذكرى الباشا المؤسس، أو تلك القرى التي تحمل أيضا اسم الشريف أو الولي السلف (ancêtre). الأماكن هي أيضا تمنح أسماءها للناس.."(24) فإذا حفظت التسمية التوبونيم، فإنّ هذا الأخير يُعرّف بها ومن خلالها.

شخصيات: تُعبِّر الأسماء عن شخصيات اشتهرت في زمن ما:

جدول رقم (16): السِّجلات الدلالية المُتعلِّقة بالشخصيات

شخصيات
-**روضة الاطفال فلة الجزائرية**-روضة أنشطاين-روضة الأطفال أسكندر الصغير-روضة الأطفال السندباد-روضة الأطفال الرايس حميدو -روضة الأطفال أليكسندر الصغير

*يُنبئنا الجدول عما يلي:

عدم أهمية ميدان نشاط الشخصية التي تحمل المؤسسة اسمها؛ وهنا قد تباين الاختيار ما بين الشخصيات العلمية، أو تلك التي حملَت ثوب البطولة، أو الفنية ويبرزُ هنا اسم وشهرة مغنية جزائرية مغتربة وهو ما بدا لنا غريباً، لكننا سنترك أمر تفسيره مفتوحاً، لغيرنا من الباحثين الراغبين البحث في مثل هذا المطلب.

نقاطٌ أساسية: على المُحمل وما ورد بالمدونتين نُسجِّل:

= وجود نفس التسميات المُصادفة بالمدونة 01، مثل **حضانة وحديقة الطفل ألوان:** يدلُّ على تقاطُع في التمثّلات ضمن جماعة انتمائنا الكبيرة (البلد).

= صعّبت الكتابة بالأحرف العربية للأصوات الفرنسية، من مهمة التصنيف الدلالي.

= سهولة مرور بعض الوحدات الدلالية بين مختلف السجلاّت، وذلك لأنّها جاءت مُركبة.

= اعتمادنا في التصنيف على الدلالة الأكثر وَقعًا، مثلا لم نُصنّف **(روضة ياني الطفل العصري)** في خانة الألقاب أو الأسماء، فهي تتبع أكثر سجل صفات الإمارة والذكاء.

= بروز أسماء غريبة استعصى علينا تصنيفها دلاليــا، مثــل **(روضــة مدريــد)** و**(روضة الغرائب)**؛ وأخرى تُلزِّمُ علينا فتح باب النقاش حول ضرورة ضبط الأمــر بآليات قانونية، ومنها التسمية بدلالات تطبع في ذهن الطفل تمثلات غير التي يرغــب الآباء فيها، ومنها **(نحول)**؛ تلك الرسوم المتحركة، المشهورة بكسلها وتخاذلها!

= ظهور فكرة المدرسة بالحضانة، مثل **(مدرسة للحضانة بلاد قــوس قــزح)** و**(روضة والتعليم التحضيري ستراوبيري)**؛ وهوأمر يطرح أكثر من سؤال، فحتّى وإن تمّ استدخال الأمور التعليمية بالروضة، فإنّ الخبراء يضــعونه تحــت مظلــة **(اللعب في إطار تربوي)** كما سبقت لنا الإشارة إليه.

= وجود رهانات إيديولوجية تُوجِّه فعل التسمية؛ تتحدّد فيها تمثُّلاتنــا الذهنيــة بخلفيتنا الاثنية أحيانا، وبثقافتنا ومَنَاهِلِــنا أحَايين أخــرى. وهــو مــا أبرزتــه الممارسات الأونوماستيكية لفضاءات المؤسسات الخاصّة.

المُمارسات الآونوماستيكية؛ حُقول التمثُّلات والدلالات

بين المُجافاة والتخليــــــــــد

مُجافاة القسنطيني للأسماء الرسمية!

تُشكّلُ أسماء الأماكن (أو الأسماء الجغرافيــة أو المواقــع الجغرافيــة أو الأعــلام الجغرافية)عنصرا أساسيا في قاعدة المعطيات الجغرافية–الفضائية لكلّ بلد، كما يعتبــر "المكان الذي يعيش به الأفراد والجماعات من البنى التي تسهم في تشــكيل شخصــيتهم وهويتهم"[25] حيث يبرز التوبونيم هنا بوصفه **طابعـا أومعلِّمـا (marque)** للفضــاء المُستكنى؛ فاختياره يكشف عن هوية أصحابه الإثنية، وبحروفه يتجلّى بعــدُهم الثقــافي ويتأكد انتماؤهم الجهوي(appartenance régionale).

كشف لنا حقل بحثنا الميداني أنّ الناس في قسنطينة (من **بّلدِية** و**غير بّلَدِيــة**)[26] قد عزفوا عن الأسماء الرسمية، وابتكروا بديلا عنها أسماء شعبية، اتفقــوا عليهــا وتعارفوا بطريقة ضمنية غير مُعلنة، أبرزها اتفاقهم على التداول بها دون نظيرتها التي منحتها الجهات الرسمية لفضاء عيشهم..

ورغم أن التوبونيمات المُبتكرة فقدت هويتها الوطنية، إلا أننا لاحظنا أنها مُعبأة بمخزون رمزي كثيف، اتخذ من الرمزية وظيفة له تُعينه على إنتاج المعنى؛ فاســم

المكان هنا لم يعد عنصرا إلزاميا فقط يتحدد **بوظيفتـــه التعريفيـــة** الهادفـــة إلـــى التعارف على الموقع وتحديده، بل تعدّى ذلك إلى وظيفة **دلالية تعبيرية**، اتخذ معها أشكالا مختلفة وتضمن معاني عديدة...وهو ما وافق طرح Betemps باعتبـــار أنّ التوبونيمات: "دلائل أو إشارات (signes) علـــى حيـــازة الإقلـــيم أو المقاطعـــة (territoire) من قبل الإنسان"[27]. فبالتوبونيم يُعلِّم الإنسان فضاءه ويُسجل حضوره عبر الزمن.

لقد ابتكرت مُخيِّلة القسنطيني بـــ(المدينة الجديـــدة علـــي منجلـــي)، العديـــدمن التوبونيمات لتعوض الأسماء الرسمية التي منحتها الدولـــة للشـــوارع والســـاحات. ونورد هنا ذكرا لا حصرا، أسماء محطّات توقف الحافلة كما ذكرها قابض التذاكر (le receveur)، وهي ذات وظيفة مزدوجة؛ حيث تستخدم هي نفســـها كأســـماء للأماكن والشوارع المحاذية لتلك المحطّات:

جدول رقم (17): بعض أسماء الأماكن المُبتكرة بالمدينة الجديدة

التسمية	دلالتها الاجتماعية
لَعَرَايَسْ	لم نتبيّن دلالته، ويُرجعه البعض إلى تواجد محل لبيع أغراض العرائس بالمكان سابقا، بينما تقول رواية أخرى بأنّ الأمر راجع للتوافد الكبير لمواكب العرائس على الموقع في بدايات السكن بفضائه.
بْلاَكَة	نسبة إلى لائحة كانت موجودة هناك
آناكّس (annexe)	لم نتبيّن دلالته
لاسيتي (la cité)	نسبة إلى حي بالمنطقة
لْـــإقامة	نسبة إلى الإقامة الجامعية، واللفظ دارجٌ بين الطالبات اللائي يقطُنها
لْـــــجاميعة	نسبة إلى الجامعة

لْإدارة	نسبة إلى إدارة الجامعة
كوسيدار	نسبة إلى الشركة Cosider التي بنت العمارة الموجودة به
جَدَارْمِية	نسبة إلى الدرك gendarmerie المتواجد بالمنطقة
السُونْتَرْ	نسبة إلى مركز التكوين المهني
لفِيرْمَة	نسبة إلى المزرعة ferme التي كانت بالمنطقة ورغم زوالها إلا أنّ التسمية لا تزال لصيقة بالمكان
تندوف	كناية عن بعد المنطقة، إذ كانت تعدُّ آخر منطقة بالمدينة الجديدة، بداية نشأتها، ورغم أنها أحيطت بالبنايات من كل جهة، إلا أنها ظلت تحتفظ بمكانتها.
ليفُوليتيفْ	نسبة إلى مساكن évolutif

*ومن الجدول يتضح لنا أنّ المخيال رسم الأماكن بلغته المحكية البسيطة، فعرّب الألفاظ الفرنسية، وألصق بالمكان سمة تعارف عليها أصحابه، فهل في ذلك دلالة على أنّ الأسماء الرسمية كانت بعيدة عن واقعهم السوسيولوجي؟ ولماذا عرف نسيجهم الثقافي عبر الزمن رسوخا لأسماء الإدارة الفرنسية؟

= في مُقابل رفض القسنطينيين للتسميات الجديدة، بالرغم من حُمولاتها (شُحناتها) الدلالية الوطنية، ورمزيتها الثورية. يُسّجل التاريخ أنّ مخيالهم ثبّتَ التسميات [الفرنسية / الاستعمارية]، التي أُطلقت على الشوارع والأحياء قديماً.

لقد حافظ أهل المدينة على أسمائهم القديمة للأماكن، ولم يعتمدوا تلك الأسماء التي أطلقتها الجهات الرسمية على فضائهم الجغرافي، حيث اعتبروها أسماء رسمية لا تمتُّ بصلة،لواقعهم الثقافي: **(الأسماء الرسمية مَغَيْرَتْش الأسماء القديمة)**. وفيما يلي ذكرٌ لبعض الأسماء الثقافية المُتداولة، بفضاء المدينة حسب

نُطقهم الخاص؛ حيث سنعرضها كما يتمُ تداوُلها سواء كانت بحُــروف عربيـــة أم بأصوات فرنسية.

جدول رقم (18): بعض الأسماء الثقافية المُتداولة بفضاء المدينة

الاسم الإداري (الرسمي)	الاسم الثقافي (المتداول)
حي النخيل	DNC
شارع العربي بن مهيدي	الطْريق جْديدة
شارع عواطي مصطفى	طْريق سْطَيْف/ طْريق سْطِيْف
شارع ديدوش مراد	Rue de France
حي محمد لوصيف	Picasso – بيكاسو
حي بوالبحري	Les Muries
حي بن زكري	Les Terrasses
حي فضيلة سعدان	مَدَام روكْ
حي رحماني عاشور	بارْدُو
حي بلوزداد	Saint Jean
شارع عبد الحميد بن باديس	الرَّبْعِينْ شْرِيفْ

*لقد عملَتِ الإدارة الجزائرية، على تغيير الأسماء التِّـــي فرضـــها الاســـتعمار وفي الجدول التالي رصد لبعض الأسماء القديمة حسبما رصدنا نسخها من (**مكتـــب الانتخابات**) ببلدية قسنطينة. والمُسجل بفضاء المدينة؛ هو اتفاق جميع الأجيال على اختلاف مشاربها، ومراجعها الفكرية، والثقافية على تداولها بلغة المســـتعمر! وقـــد أثبت الميدان بأنّ ذلك ليس راجع لاغتراب ثقافي، بقدر ما هو رفضٌ لِمـــا تُقدِّمُـــه السلطة الرسمية:

جدول رقم (19): عرضٌ لبعض التوبونيمات الرسمية الجديدة

التوبونيم القديم	التوبونيم الجديد
Place pyramide et G. foch	Amiroch (place colonel)
Rue Baptiste Charcot	Aris Miloud (Rue)
Rue Voltaire	Saighi Ahmed (Rue)
Djebel Aouahch	Sammar (Bordj)
Rue du Ciloc	Octobre 1961 (Cité du 17)
Place de la Gare	Mai (place du 1er)
Rue Chevalier	Mai 1956 (Rue du 19)
Rue OueledBraham	Maquis (Rue des)
Cité Améziane	Martyres (Cité des)
Cité le Bosquet	Mentouri Ahmed Chérif (Cité)
Cité Ziadia	Khalkhal Saada (Cité)
Cité des Apotres	Lassifer Abderrazak (Cité)
Cité Gaillard	Loucif Mohamed (Cité)
Impasse Arbain Cherif	Diabi (Rue des frères)

*إنّ الملاحظ من قراءة الجدول، أنّ كل الأسماء الجديدة هي ذات شحنات [ثورية / وطنية]، فهي إمّا لشهداء، وإما لساحاتٍ شهدت معارك ثورية شهيرة وإما لتواريخ لتلك المعارك. أمّا نظيرتها فأرّخت لأعلامهم، كما حفظت سوسيولوجية منظومتهم الفكرية.

= لقد سجلنا أنّ؛ الجيل الذي ثبَّت هذه الأسماء هو جيل الآباء والأجداد الذين عايَشوا الاستعمار وشهدوا الاستقلال، أما جيل الأبناء الذي تواترها عنهم؛ فلم يُبدِّلها رغم هجره للأسماء الرسمية التّي وضعتها الإدارة الجزائرية.

وعندما تساءلنا مع مجتمع بحثنا، عن الأسباب الدافعة لذلك؟ لم نتوصل إلى الكشف عنها إذ:

أجمع أفراد عيِّنتنا على أنهم؛ عرفوا تلك الأماكن بأسمائها (الاستعمارية)، وبأنّ اعتمادهم لأسماء أخرى سيجعل المكان غريبا عنهم وكأنّ الاسم الجديدان يُدلّل على الموقع نفسه!

الثابت =الاسم الثقافي (المتداول)– المُتحوِّل= الاسم الإداري (الرسمي)

أزمة الهوية، والمُمارسات التوبونيمية بفضاء قسنطينة:

على الرغم من سنِّ الدولة للقوانين المنظمة للتسميات، وعلى الرغم من تشديد الناشطين من الأساتذة في ميدان الآونوماستيك، من خلال الملتقيات الوطنية على (**تنميط الأسماء الجغرافية**) اليوم وعلى ضرورة وضع (سياسة وطنية لتسيير ودراسة هذه الأسماء من أجل توحيدها)[28] تفاديا للالتباس الذي قد يحصل وهذا وفقا لتوصيات منظمة الأمم المتحدة بهذا الشأن. إلا أنّ الجزائر لا زالت تعاني من أزمة هوية أونوماستيكية تترجمها الاختيارات التسموية لآهلها، أو التعامل الجاف للإدارة مع أهلها...

ففي خلال أشغال اليوم الأول من الملتقى الثاني، من نوعه المنظم من قبل المجلس الوطني للإعلام الجغرافي،ومركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، دعا الخبراء إلى ضرورة، تنميط الأسماء الجغرافية، في الجزائر "التي يشوبها غياب مدونة وطنية خاصة بها في ظل وجود التباس في أسماء الأماكن يتبين من خلال حمل المكان نفسه لأكثر من تسمية. وفي هذا الإطار، أبرز رئيس المجلس الوطني للإعلام الجغرافي، العميد عمار عمراني الأهمية التي تكتسيها هذه الأسماء في بعديها التقني والثقافي، وهو ما دفع بهيئة الأمم المتحدة منذ سنة 1967 إلى إصدار توصيات، تجعل من تنميط الأسماء الجغرافية "هدفا عالميا يجب تحقيقه من خلال لجان وطنية دائمة تتكفل بإعداد نظام موحد لهذه الأسماء". وفيما يتعلق بالجزائر أين تطرح إشكالية "تعدد الأسماء الجغرافية بشدة خاصة عند الانتقال من

اللغة الفرنسية إلى العربية والعكس فقد أنشأت سنة 1996 لجنتها الدائمة للأسماء الجغرافية، التي تعكف حاليا على إتمام عملية التنميط، كما أنشأت في أفريل 2014، الجمعية الجزائرية العلمية للأونوماستيك

(Société Savante Algérienne D'onomastique CRASC) [29].

ويُعَرَّف فريق الخبراء المعني بالأسماء الجغرافية التابع للأمم المتحدة الاسم الجغرافي بأنه "اسم العلم (كلمة محددة، أو مجموعة محددة من الكلمات، أو تعبير محدد) الذي يستعمل في اللغة استعمالاً متّسقاً للإشارة إلى مكان أو معلم معيّن أو منطقة معيّنة، لكل منها هوية مميزة على سطح الأرض"[30]. وهكذا فإنّه اسم يطلق بوجه عام على معلم أرضي؛ وهو بذلك يوفر لنا جملة من الفوائد المتنوعة لعلاقته بالمكان والزمان والإنسان؛ فهو مُنتَجٌ لهذا الأخير، يُحدِّدُ به مكاناً مُحدَّداً في وقتٍ مُعيّنٍ؛ وعليه فمن المهم بما كان أنّ "شعب أي دولة ينطبع لديه بالفطرة أن الأسماء الجغرافية جزء أساسي من تراثه الثقافي.كما أن وجود سلطة وطنية مختصة بالأسماء يوفر لكل بلد الوسيلة التي تتيح له أن يحدد بنفسه الأسماء المقبولة لديه رسمياً، بدلاً من تركها تحدد من قِبَل الجهات غير الحكومية أو الدولية التي تعد الخرائط والأطالس والمعاجم الجغرافية."[31]فالأسماء عنوان للمكان، ودليل عن التمثلات الذهنية والاجتماعية لأبناء المجتمع. ومن المُمارسات التّي لمسناها ميدانياً على صعيد الهوية الأنوماستيكية التوبونيمية بفضاء قسنطينة:

=**عدم تسمية الأحياء الجديدة؛** حيث يتم الاكتفاء بمنحها أرقاما جافة على الرغم أنّ التوبونيمات تُمثِّل قاعدة مُعطيات نتبناها في التخطيط التنموي، على اعتبار أنّ كلّ تسمية تنطوي ضمنياً على فكرة الحدِّ.

=**الخلط بين الاسم المُستخدم أو الدخيل (Exonyme)، والاسم الأصلي (Endonyme)؛**

على اعتبار أنّ (Endonyme)؛ هو اسم مركب من اللفظ اليوناني (endon) والذي يعنى (في الداخل)، وهو اسم المكان بلغة أو(لغات) جماعة انتماء الكائن الجغرافي "تسمية توبونيمية، تعبر في شقها الهجائي، وفي اللغة المحلية للمنطقة التي يقع فيها كيان اسمه، بغض النظر عن نظام الكتابة"[32]. ويرى براهيم عطوي بأنّ "حسب فرقة العمل حول المصطلحات التوبونيمية لفريق الخبراء بالأمم المتحدة، من أجل رومنة (normalisation) الأسماء الجغرافية، فإنّ 'الأودونيم هو

اسم علم يُعيِّنُ طريق تواصل' يمكننا أيضا تعريفه بأنّ الـــــ(l'odonymie)، هــي دراسة التوبونيمات الحضرية"[33]، وهو لبُّ اهتمامنا عندما نتحــدث عــن أســماء الأحياء بكلِّ تجلياتها وتمثّلاتها.

– أمّا الــــــ(exonyme)، فهو النابع من اللفــظ اليونـــاني (exô) ومعنـــاه (خارج) هو الاسم الذي يطلق على الكائن الطبوغرافي، بلغةٍ غير لغةِ المنطقة التي يقع بها وهو على هذا اسم دخيل؛ حيث يُعتبر "الاسم الجغرافي المستخدم، في لغــة ما لتعيين مكان خارج الإقليم، الذي تعتبر فيه هذه اللغة هي اللغة الرسمية. تتعــدد طرق تكون الأسماء الأجنبية، وهي ترجمة للتكيف. لكن أي اختلاف مــع الاســم المحلي في تصنيف علامات التشكيل على سبيل المثال، يكون مــن نتــائج خلــق الواقع. ومن أمثلة ذلك، نورد أنّ الأسماء الأجنبية: Londres, Florence، هــي الأسماء الأجنبية الفرنسية لــــ: لندن وفلورنسا. و Parigi هو دخيل الإيطالي من Paris"(34). فعلى الرغم من أنّ الــ(ONU)، قد شدّدت على أنّه لا يجوز ترجمة الاسم، بل يجب تسمية الأماكن بأسمائها المُستخدمة (endonyme) وكتابة الاســم المستخدم (exonyme) بين قوسين، فلا يجوز ترجمة دزاير بـــ (Alger) مثلاً.

= **مُمارسات تسموية تهكّمية؛ من خلال التعريف بالضدّ**؛ فمثلاً (نيويورك) هــو الحي القصديري المتواجد بقسنطينة، والذي تصنف الحالة الاقتصادية لأهلـــه دون المتوسط، وتعتبر الشعبة العربية لخبراء الأسماء الجغرافية[35]**العنــوان المرجعــي** وظيفة تؤديها الأسماء الجغرافية وهي أساسية، إلا أنّ الأسماء الجغرافية شأنها من شأن العناصر اللغوية الأخرى تؤدي وظائف على مســتويات عــدة. ومــن أهــم المستويات ما يلي[36]:

–المعرفي (تحديد هوية المعلم).

–العاطفي ويقصد به الأسماء المتصلة بأماكن تثير مشاعر طيبة أو سيئة عند الناس.

يعيش جميع الناس وسط معالم مُسّماة يألفونها ويشعرون بملكيتها، وفي الوقــت نفسه يشاركون فئات أخرى في أسماء أخرى أكبر حجماً ويمكــن توضــيح ذلــك بعرض بسيط لمستوياته الثلاثة:

–أسماء جغرافية يتشارك فيها الناس في إطار مجتمع محلي صغير؛ وهي حالة أسماء الأحياء القديمة بقسنطينة.

-أسماء جغرافية يتشارك فيها مجتمعان من المجتمعات المحلية الصغيرة؛ مثل التوبونيمات بشرق البلاد، أو غربها، أو جنوبها، حيث يتشارك عدد من الولايات في ذلك.

-أسماء جغرافية يتشارك فيها كثير من المجتمعات أو معظمها.

= **مُمارسات لتقرير الواقع**؛ مثل **(سيتي بسِّيفْ)** الذي سُميّ كذلك؛ لأنه بُني رغم أنف أو إرادة السلطات. وهنا يبرزُ التوبونيم بوصفه مُقرِّراً عن الواقع، كما يُثبت دوره التأريخي لِما حدَث بالماضي في **(مْجَازْ لَغْنَم)**، هو المكان الذي كانت تمرُّ منه الكِباش فيما مضى.

= **استدخال التمثّلات ضمن تفسيرات بعض الأسماء القديمة**؛ وفي توبونيم **(عين بوطنْبَلْ)** خير دليل على ذلك: فلأننا استدخلنا بقوة التفسير القائل بأنّ الأسماء عُرِّبت من الفرنسية، آمنا بأنّ التسمية الأولى لهذا النبع المائي هي (Eau Potable) لكنّ هذا خطأ، فالعارفون بالمكان أثبتوا أنّ الاسم هو **(عين أبي طنبل)**.

= **الكتابة العشوائية للاسم باللُّغة الأجنبية**؛ وذلك دون الاستناد إلى قاعدة لُغوية أو عقلانية مُتّفق عليها، وهي حالة تعمُّ الوطن، حيث تجدُ لكلّ فرد قواعده الخاصّة بحُجة أنه اسم علم يمُكننا كتابته كما نشاء! وفي هذا مُخالَفةٌ لأسس **الرومنة أو النقحرة**؛ التّي تعني "بأبسط أشكالها: كتابة لغة أو خطوط بالحروف الرومانية، بحيث تبقى الكلمة الأصلية المنقولة على وضعها ونطقها ولفظها في حالة قراءتها بحروفها الرومانية"[37]. وذلك على اعتبار أن الألسنيين، قد ضبطوا حُروف لغتهم الأم، وهي ليست حالتنا بالجزائر، فالحرف الواحد يُنطق بعدّة أصوات، لكنّ كتابته تكون بصوت واحد، وفي ذلك إقصاء للخُصوصية المحلّية لكلِّ جهة، فمثلا: حرف **القاف**، يُنطقُ قافا بقسنطينة، وبصوت كأنه **الجيم المصرية ببلاد الشاوية**، كما يأتي كافاً عند أهل جيجل، وألفاً لدى التلمسانيين. وذلك راجعٌ لتأثُّر كلِّ منطقة، بما هبّ عليها من رياح حضارات مُختلفة.

عندما تُقصى الرمزية، من الدلالة الرسمية:

= تمّ التخلِّي عن توجهنا الأول القاضي بالبحث في الرمزية الدلالية لتسميات المدارس؛ فهي قد دارت في مُجملها حول أسماء المجاهدين، مما يجعلُنا نجمعها ضمن سجلٍّ واحد عُنوانه **[الرمزية الوطنية]**، وهي التّي من المفروض أن تُعبِّأ الـحُمولات الدلالية لفضاءات أخرى...

= ومن وحي التمثُّلات الذهنية للفاعلين بميدان البحث، نجد أنفسنا نتساءل عن مصير **الرمزية العلمية** مُجسّدة في أسماء العلماء والأدباء والمخترعين؟ ومدى تأثير إيحاءاتها في نفوس النشء وعُقولهم؛ حتّى يتمثَّلوا بها ويُحاكوا أصحابها في البحث، والإبداع، والمُثابرة، والاختراع.... وذلك من غير أن نُقلّل من قدر الشُهداء، والمجاهدين، ولا من حجم تضحياتهم، فلولاهم لما أنشئت مدارسٌ لأبناء الاستقلال اليوم، ولكن هناك فضاءات أخرى لتخليد مآثرهم نحو؛ دور الثقافة والأحياء، أين تكون لأسمائهم، دلالة وفعالية أكبر، فهم أساس النسيج الثقافي للبلد بدَل أن يُدلَّلَ على أماكن سكَنِنا، بأرقامٍ جَامِدة لا رُوح فيها! أو بأسماء لشخصيات أجنبية. فذكرا لا حصرا نُنوه بأنّ؛ جلّ أسماء أحياء المدينة الجديدة في قسنطينة عبارة عن وحدات رقمية على الرغم من:

– وجود قرار رسمي خاص بتسمية الشوارع على الشهداء لحماية الذاكرة تعملُ على تنفيذ بنوده ما يُعرف بـ: اللجنة الولائية لتسمية وإعادة تسمية الأماكن والمباني العمومية.

–دور الاسم الجغرافي كوسيلة تعريفية بالماضي ذلك أنّ "الإنسان بماضيه وماضي الانسان في تاريخ أرضه ووطنه وقومه، وإحياء الماضي سنة في الأمم قديمها وحديثها على السواء، والقيام بذلك واجب على بعض بنيه ممن شغفوا بالتاريخ دراسة وبحثا أو تخصصوا فيه إجازة وعلما. والتاريخ يجسد وجود الأمة، ويعطيها أصالة هذا الوجود.."[38] فالتوبونيمات مهمة جدًّا لمعرفة التاريخ وإدراك المستقبل، لكننا للأسف اختصرنا ذاكرتنا الجمعية وتراثنا الأصيل في صورة أرقام صمّاء:

جدول رقم (20): عيّنة عن أسماء أحياء المدينة الجديدة بقسنطينة

الحي	التسمية
الحي	الوحدة الجوارية رقم01 (UV 01)
	الوحدة الجوارية رقم02 (UV 02)
	الوحدة الجوارية رقم 14 (UV 14)
	الوحدة الجوارية رقم 18 (UV 18)
	الوحدة الجوارية رقم 19 (UV 19)

= وتقتضي الـــمُمارسة اللُّغوية، بأن يتمّ التدليل على الحـــي **بـــالرقم الأجنبـــي** المنطوق بلكنة عَربيةٍ، وحسب الميدان بالفضاء القســنطيني عامـــة، يتميّـــز ذووا المُستوى التعليمي غير المُرتفع، بتحوير نُطقي لبعض الحُروف تنطق فيه الـــ R) (راءً، والـــ(eux) تُحوّل: (oux) ، فمثلاً:

-بالنسبة للوحدة الجوارية رقم 14،التدليل يكون بـــ **(الكاطُورزْ).**

-بالنسبة للوحدة لجوارية رقم02 ، العبارة المُستخدمة هي:**(الدُو)**

= وجدير بالذكر أيضا[39] أنه وفقا لأحكام المرسوم التنفيـــذي رقـــم 104/97 المؤرخ في 15 أفريل من سنة 1997، وكذلك القرارات الوزارية المشتركة بـــين وزارتي المجاهدين والداخلية والجماعات المحلية والتهيئـــة العمرانيـــة رقـــم 50 /52/51 المؤرخين في 04 فيفري 1998 التّي تضبط عملية تسمية وإعادة تسمية الأماكن والمباني العمومية، توجد لجنة ولائية لتسمية الأماكن والمبـــاني العموميـــة وإعادة تسميتها، بمديرية الولاية تحت إشراف وزارة المجاهدين، غالبا مـــا تنعقـــد لإحياء ذكرى أحد المجاهدين، برئاسة المدير الولائي للمجاهدين، أو رئيس الديوان أو مدير التنظيم والشؤون العامة.. وبحضور: (أعضاء مـــن الأمانـــة الولائيـــة أو المكتب لولائي للمجاهدين، وأعضاء من الجمعيات الثقافية ذات الصلة بالمجاهـــدين كالجمعية الثقافية جيل نوفمبر 54 مثلا، الأمين الولائي لأبنـــاء الشـــهداء، ديـــوان الوالي، عضو من المجلس الشعبي الولائي، مدير الثقافة، مدير المجاهدين (إن هـــو لم يترأس الجلسة طبعا)، ممثل الدائرة، ممثل عن البلدية، ممثل عن مديرية الشؤون الثقافية بالبلدية، ممثل عن مديرية المجاهدين، ممثل مديرية التربية (خاصة إذا مـــا تعلق الأمر بتسمية المؤسسات التربوية)، ممثلين عن تنسيقية أبناء الشهداء، موظف بمديرية التربية)[40]. وبقراءة بسيطة لأعضاء اللجنة المُكلّفة بالتســمية، لا يخفـــى علينا إقصاء؛ ممثلي المجتمع المدني والعلمي، من الإسهام بتسمية فضاءات عيشهم! وهنا تبرزُ أزمة للهُوية على عدّة أصعدة.

الهوامش:

---

[1] أستاذة بمعهد علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة عبد الحميد مهري–قسنطينة 2

[2]والتِّي تمّت لنا مناقشتها، لكن لم يسبق لنا نشر هذا الجزء منها أو المشارَكة به في مؤتمرات أو ندوات سابقة:
جباس هدى، المُمارسات الهُوياتية بقسنطينة. رهان للانتماء وهاجس لمُحاكاة الآخر. مقاربة أنثروبولوجية للتمثُّلات الثقافية والأونوماستيكية، أطروحة دكتوراه في العلوم، المدرسة الدكتورالية للأنثروبولوجيا، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران2- الـCRASC 2017-2018، تحت إشراف: خولة طالب الابراهيمي

[3] الكائن بحي بوالصوف

[4]Le Centre National du Registre du Commerce, CNRC,in: URL: https://www.cnrc.org.dz/ar/presentation/

[5] للأسف الشديد!!

[6] عودة برهومة عيسى، «اللغة والتواصل الإعلاني من مثل انتشار الأسماء الأجنبية في اللافتات التجارية في الأردن»، في: مجمع اللغة العربية الأردني، عدد ديسمبر الأردن،2005، ص. 69

[7] حزين غسان، «الفيروس الالكتروني»، في: مجلة العربي، عدد 538- سبتمبر الكويت، 2003، ص. 142

[8] دليو فضيل، وآخرون، التحديات المعاصرة (العولمة، الانترنيت والفقر...)، مخبر علم الاجتماع الاتصال- جامعة منتوري، قسنطينة، 2006، ص. 28

[9] سعيد شدي محمد، الانترنيت والجوانب القانونية لنظم المعلومات، دار النهضة العربية القاهرة، 2004، ص. 32

[10] السعيداني منير، «الرؤية والمدى، حصاد نقدي للبحث في المخيال»، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صفاقس، 2006، ص. 135

[11] المرجع نفسه، ص. 134

[12] نفس المرجع السابق، ص. 134

[13] المرجع نفسه، ص. 134

(14) المرجع نفسه، ص. 134

(15) والمعنى: أرأيت كيف صممت ديكورها الداخلي.. روعة

(16) العتوم عدنان يوسف، علم النفس الاجتماعي، ط.1، إثراء للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، 2009، ص.169.

(17) بوضياف بن زعموش نادية، «برنامج رياض الأطفال وبناء ملامح الهوية الوطنية- برنامج مقترح»، في: مجلة العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، العدد الثاني-جوان جامعة منتوري- قسنطينة، قسنطينة،2011،ص. 147 بتصرُّف

(18) المرجع نفسه، ص. 151

(19) التي تمّ أخذها من المركز الوطني للسجل التجاري (Cnrc)

(20) Cité par : Marzano Michela, La philosophie du corps, 3e édition, Presses Universitaires de France - PUF, Paris,2013, p. 65

(21) بورديو بيار، باسرون جان-كلود، إعادة الإنتاج – في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم ترجمة: تريمش ماهر، ط.1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007، ص. 188

(22)Ben Salem Lilia, Familles et changements sociaux en Tunisie, Centre de Publication Universitaire, Manouba,2009, p. 309

(23) Ibid., p.309

(24) Bouquet Olivier, Les noblesses du nom. Essai d'anthroponymie ottomane, Turnhout, Brepols, 2013,p. 36

(25) الزبن صابرين،هوية اللاجئين في ثقافتهم ولغتهم المحكية، بحث مقارن -مخيم الجلزون نموذجا، ط.1، بديل؛ المصدر الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، بيت لحم-فلسطين، 2007، ص. 15

(26) أي بين السكان الأصليين بالمدينة، وأولئك الوافدون عليها. وبالنسبة للاختلاف المسَّجل فقد كان على مستوى نُطق تلك الأسماء فقط.

(27)Betemps Alexi, « Toponymierurale et mémoire narrative (Valléed'Aoste) »,in: Rives nord-méditerranéennes, N° 11, 2002, pp.15-31.

(28) Voir : -Atoui Brahim, Benramdane Farid, « Mondialisation et normalisation des toponymes et des écritures : le cas de l"Algérie»,

in : Normalisation et dénomination. Des noms de lieux, de tribus et de personnes en Algérie, CRASC, Oran, 2005

-Benramdane Farid, Toponymie De L'ouest Algérien Origine, Evolution, Transcription, Thèse De Doctorat En Sciences Du Langage, Faculte Des Lettres Et Des Arts Plastiques,Universite Abdelhamid Ibn Badis De Mostaganem- Fevrier 2008, 2 Tome, Sous La Direction Du Professeur: Foudil CHERIGUEN

- Benramdane Farid, «Histoire et pratiquesinterculturelles au Maghreb.Espace, signe et identité au Maghreb. Du nom au symbole? », in: Maghreb: Culture, Altérité, Insaniyat, N °9, Septembre-Décembre, CRASC, Oran,1999

(29)-Group of experts on geographical names united nations working paper, N°. 41/7, 28 april – 2 may 2014, united nations working paper, twenty-eight session.

-Président : Monsieur le Professeur FoudilChériguen de l'Université de Béjaïa.

-Vice-président : Monsieur Dr.Benramdane Farid de l'Université de Mostaganem.

-Secrétaire général : Monsieur Dr.Atoui Brahim, du Centre National de Recherche en Anthropologie Sociale et Culturelle/Otan

Trésorière : Madame Dr. YermechOuerdia, de l'Ecole Nationale Supérieure/ Bouzaréah.

(30)ج. أورث دونالد، «تنظيم برنامج وطني لتوحيد الأسماء الجغرافية»، في: فريق الخبراء المعني بالأسماء الجغرافية التابع للأمم المتحدة، دليل توحيد الأسماء الجغرافية على الصعيد الوطني، إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية- الشعبة الإحصائية، الأمم المتحدة، نيويورك، 2007، ص.7.

(31)فريق الخبراء المعني بالأسماء الجغرافية التابع للأمم المتحدة، دليل توحيد الأسماء الجغرافية على الصعيد الوطني، إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية- الشعبة الإحصائية، الأمم المتحدة، نيويورك، 2007، ص.2.

(32)KadmonNaftali, Glossaire De La Terminologie Toponymique, Paris et Québec, Commission de toponymie, Institut Géographique National de France, 1997

(33)Atoui Brahim, « l'odonymie d'Algie : passé et présent. Quels enseignements ?», in : Normalisation et dénomination. Des noms de lieux, de tribus et de personnes en Algérie, CRASC, Oran, 2005, p. 23

(34)Kadmon Naftali, Glossaire De La Terminologie Toponymique, Op. Cit.

(35)الشعبة العربية لخبراء الأسماء الجغرافية، الأسماء الجغرافية، وتسمية المعالم الجغرافية وقيمها وتوحيدها، الشعبة العربية لخبراء الاسماء الجغرافية، عمان–الاردن [على الانترنيت]، تم الاطلاع عليه يوم: 07.04.2014، URL: https://www.adegn.net

(36)الخصاونة عوني محمد، «مقدمة في الأسماء الجغرافية»، في: مجلة الأسماء الجغرافية، الشعبة العربية لخبراء الأسماء الجغرافية، العدد الأول – نيسان، المركز الجغرافي الملكي الأردني، عمان – الأردن، 2015، ص.ص. 4،5

(37)الشعبة العربية لخبراء الاسماء الجغرافية، الرومنة (Romaniwation)، الجزء الأول، الشعبة العربية لخبراء الاسماء الجغرافية، عمان–الاردن، [على الانترنيت]، تم الاطلاع عليه يوم: 07.04.2014، URL: https://www.adegn.net

–ينظر أيضا: خريش مارون، «النظام العربي الموحد لنقل الأسماء الجغرافية. من الأحرف العربية إلى الأحرف اللاتينية»، في: المؤتمر العربي الثالث للأسماء الجغرافية 30، 31 آيار مايو، مديرية الشؤون الجغرافية، الشعبة العربية لخبراء الأسماء الجغرافية بيروت–لبنان، 2007، ص.ص.1–31

(38) بازامة محمد مصطفى، ليبيا. هذا الاسم في جذوره التاريخية، ط.2 مزيدة ومنقحة منشورات مكتبة قورينا، بنغازي، 1975، ص. 11

(39) معلومات موثّقة من خلال البحث الميداني، الذي ميزّه جمع الوثائق ذات العلاقة بالموضوع، فضلا عن الاتصال بالمسئولين عن الأمر.

(40) لم يتم ذكر الأعضاء حسب أهميتهم، وإنما جاء حسب الترتيب الأبجدي.

تجليات وحدة الشعب الجزائري

من خلال طوبونيميا الأعلام والأماكن في مدينة تلمسان

دة. حاكم عمارية

مديرة مخبر الترجمة والتأويل جامعة سعيدة

ملخص:

الطوبونيميا هي العلم الذي يهتم بدراسة الأصل اللغوي الأنثروبولوجي لأسماء الأعلام والأماكن الجغرافية في كل منطقة من العالم، ومن الطبيعي جدا أن يكون لكل منطقة جغرافية اسم معيّن إما لزعيم أو لشخصية معروفة، أو لضريح صالح، أو لنبي، أو لقائد عسكري أجنبي أو لظاهرة طبيعية، أو لمخلوق غريب، أو لحيوان ما، أو لاسم شيخ قبيلة وقائمة تسميات الأماكن طويلة تفوق الحصر، لكن الأكيد أن كل اسم يرتبط بتاريخ معين أو بحادثة ما، ولكل اسم وثائق تاريخية بعضها أحتفظ به في الأرشيف، وبعضها في ذاكرة الأجيال التي تتداولها من جيل إلى آخر، كحكاية لالا ستي بتلمسان، ويما قورايا ببجاية، وعين الفوارة بسطيف، وسيدي بومدين، سيدي عبد الرحمن، سيدي راشد، سيدي عبد الله. إن الدارس بعمق لأسماء الأشخاص والأماكن بالجزائر ليتجلى له بوضوح أن تاريخ الجزائر تاريخ عريق وعظيم؛ تاريخ يكشف عن تعاقب كثير من الحضارات على أرض الجزائر وطبيعي أن تترك كل حضارة بعضا منها، لكن الأهم من كل هذا أن شعب الجزائر عربا وأمازيغ لم تفرقهم التحولات ولا كل التغيرات التي شملت أرضنا، ولعل العامل الأساس الذي حافظ على وحدة الشعب الجزائر بعد آخر حضارة خرجت من الجزائر وهي فرنسا؛ ولعل العامل الأساس هو الدين وليس اللغة؛ فالأمازيغ والعرب توحدت قلوبهم وعقولهم لافتكاك الاستقلال من فرنسا التي حاولت استغلال عامل الدين بالقضاء على اللغة العربية لغة الدين الجامع لشمل الجزائري في كل ذرة من التراب الجغرافي الجزائري .

ووفق هذا الطرح؛ أسعى من خلال مداخلتي إلى الكشف عن حقيقة وجود الأمازيغ في معظم التراب الوطني، بل لا تخلو منطقة من هذا الوجود، والدليل على وجود كثير من أسماء الأماكن والأعلام في مدينة تلمسان كنموذج مجال الصناعة والفلاحة، يضاف إلى كل هذا ملامح الوجوه، وخاصة في منطقة بني سنوس الجبلية بكل بلدياتها

وفي ظل التحولات العالمية الحديثة، تحاول بعض الأطراف الخارجية في هز استقرار الجزائريين، بتحريض أفراد مدينة جزائرية على أفراد مدينة أخرى أو لضرب السلطة الجزائرية من أجل زرع الفتن والسماح للتدخل الأجنبي بالحلول على أرضنا، وهيهات أن يتحقق هذا المسعى في ظل الوحدة الجزائرية التي لا فاصم لها إلا الاستجابة لمثل تلك المساعي؛ ومع الوعي والتواصل بكل وسائطه، لم يعد الشعب الجزائري في حاجة إلى توعية، بل نحن في حاجة إلى التماسك والالتفاف بتقبل كل لغات الوطن بل وبقبول تعلمها لأنها تمثل لنا قبل الآخر ثراء لغويا وثقافيا يساهم في التنمية البشرية المستدامة... إذن ما علاقة الطوبونيميا بالوحدة الوطنية؟ وما هي الأهداف المتوخاة من تفعيل هذا العلم في الجامعات الجزائرية؟ وإلى أي مدى سيسهم هذا العلم في الكشف عن حقيقة وتاريخ أسماء الأماكن والأشخاص؟ هذا ما سنتعرف عليه في مداخلتنا بإذن الله عز وجل. والله الموفق

تمهيد:

تكتسي الطوبونيميا بالغ الأهمية في الدراسات الجغرافية والتاريخية والأيديولوجية والسياسية واللسانية والثقافية، لأنها تمثل التعبير عن التراث اللامادي للأمة، كما تعبر عن سيادة الوطن المتمثلة في اللغة والتاريخ والثقافة، هذه الثوابت التي لا يمكن محوها أبدا، ولقد حاول الاستعمار الفرنسي فعل هذا ولم يفلح، وتمثل ثقافة الجزائر صورة مركبة لثقافات متعددة ومختلفة بحكم تواجد وتعاقب عدة حضارات عربية بأرض الجزائر، هذا التعاقب الذي شكل فضاء تتقاطع فيه الخصوصيات المحلية مع القيم العالمية.

ولا أحد يختلف مع الآخر في أن الجزائر غنية بإرثها الثقافي واللغوي الذي يكشف عن حقائق اجتماعية وثقافية ولغوية، وفي مقدمة هذه الحقائق التراث الثقافي الأمازيغي، ومن أجل الحفاظ على هذا الإرث العظيم، ومن أجل رد الاعتبار للثقافة الجزائرية في كليتها، ومن أجل التكامل والانسجام ومن أجل وحدة الشعب

الجزائري، ينبغي وضع سياسة (طوبونيمية) مؤسسة على حقيقة التنوع الثقافي والتنوع اللغوي في الجزائر، بالإضافة إلى كيفية تجاوز التنوع والتباين الثقافي واللغوي لكل إقليم في الجزائر حتى يتم التوصل إلى إنشاء ملف أو قاعدة معلوماتية وطنية لأسماء المواقع الجغرافية لتمثل الجزائر دوليا بعيدا عن كل التجاذبات السياسية والإيديولوجية.

ونشير هنا إلى أن علم الطوبونيميا هو علم حديث المصطلح، قديم البحث، وهو يجمع بين التاريخ و الجغرافيا، فالتاريخ يمثل الحقيقة، والجغرافيا تمثل تلك الأسماء التي أعطيت للمناطق والمدن وكذلك لأشخاص من أعلام ورموز تاريخية أو ثورية أو سياسية أو ثقافية بارزة، ومن إشكالات التاريخ "فالواقع أنه ليس في الإمكان استحضار الماضي حيا كما هو، للوصول إلى الحقيقة كاملة لاستحالة ذلك- وغاية ما تسعى إليه الأبحاث التاريخية هو الاقتراب من الحقيقة، وهذا ما يجعل البحث في العلوم التاريخية دائما ومتجددا، مع أن الكشف عن بعض الجوانب من الحقائق التاريخية ليس مرحبا به في الكثير من الأحيان، بل ثبت من خلال مجريات الأحداث وسبر الأفكار عبر التاريخ أن الكثير من الحقائق كان لها خصوم شرسون، لأنها في نظرهم تقوض أركان التاريخ (البديل) الذي تفننوا في صنعه، ولذلك فإنه كلما اقترب الباحث من الحقيقة أو سلك منهجا قد يوصل إليها في يوم من الأيام اعترضت سبيله خطوط حمراء مغنية لها"[(1)].

يستقى من هذا القول; إنه لا يمكن استرجاع الحقائق الماضية كلها، لعدة أسباب: أولها أنه هناك من القادة والأباطرة من عمل أنه يقبر الحقائق التاريخية تاركا بعضها فقط، وهناك عنصر التدوين، إذ لم تكن الوسائل كلها متوفرة لنقل التاريخ باستمرار، ودون فوات أي لحظة كوسائل الإعلام مثلا، يضاف إلى ذلك كله عدم اهتمام الإنسان نفسه بتدوين التاريخ، وبسبب هذه العوامل وغيرها كالحروب ضاعت حقائق تاريخية كثيرة لا يمكن استرجاعها كما هي، لكن يمكن مقاربتها من خلال مخلفات الأسماء والأماكن والنقود، والأواني، والأعلام، واللغة والثقافة والفلاحة، والصناعة وكل موروث تقليدي، من حلي وغيره من أدوات ومعالم جاء في بحث بعنوان " محاولة لدراسة طوبونيمية محلية" تعريف مهم وشامل: حيث الطوبونيميا هي علم الأعلام الجغرافية أو كما يحلو للبعض أن يطلق عليها الدراسة الأمكانية، إذ يجمع أغلب الباحثين في الحقل التاريخي أن من أهم الحقائق الثابتة التي يلحقها التغيير هي الجغرافيا، والجغرافيا في أبسط تعريف لها تعني كل ما

يتعامل معه البشر من قوى طبيعية قارة وغير قارة (جبال، سهول، وديان، بحار، رياح، زوابع، أمطار...) حيث تعامل الأنسان منذ الخليقة مع هذه القوى، محاولا تغيير كل ظاهرة على حدة، وحسب ما يتلاءم مع فهمه أو اعتقاداته حيث فسر الأمطار والزوابع بالصراع بين آلهة الخير والشر، وفسر المصريون فيضان النيل بهبة الإله (رع) السنوية عليهم(2). وهكذا مع تلك التفسيرات الميتافيزيقية إلى أن جاء الإسلام، وإلى أن تطور العلم ليفسر كل ظاهرة بالأدلة العلمية والبراهين القطعية التي لا يختلف عليها اثنان في كل المعمورة.

وتمثل الطوبونيميا الأداة التي تساعد على استعادة ذاكرة الشعوب انطلاقا من اسم المكان، إذ يمكن استعادة ذاكرة المكان، اسما وشعبا وتاريخا.

وتعتبر محاولة ربط علاقة التاريخ بعلم الأعلام، والأماكنية (الطوبونيميا) مغامرة، وخطوة لن تتحقق إلا بالاستناد إلى" منهج علمي صارم يقوم على الدقة في توثيق المعلومة والرواية، والحفر في عمق النص المصدري عبر خطوات علمية واضحة، والتحليل المركز الساعي إلى البناء النظري عبر نماذج تمثل مظهرا من مظاهر الوعي بالمكان وذاكرته، ولقد تأكد من خلال بعض الأبحاث المنجزة في الطوبونيميا أن هذه الآلية لها حضور وصلة، بل ونتائج مشتركة مع أغلب الحقول المعرفية التي منها التاريخ"(3).

وانطلاقا من علاقة التاريخ بالطوبونيميا فكثيرا ما ترد أسماء الأعلام (غبر الإغريقية) في النصوص الإغريقية مصحفة أو مترجمة، ثم يقع دمجها في الأساطير، لاسيما وأن خيال الإغريق خصب في هذا المجال، وقد اكتشف (كامبس) ذلك في تحويل اسم (pharusiens) إلى (فرس) للتشابه القريب بين الاسمين، وكان عليه وهو المتطلع على البلاد أنه يستنجد بالتوبونيميا الإفريقية التي لا تزال مجالا بكرا يحتفظ بالكثير من الإشارات التي يمكن أن تفيد الباحث، و في هذا السياق نرى أن الاسم يمكن مقاربته باسم المكان (فلاوسن) (fellaoucen) الأمازيغي الذي احتفظ به اسم جبل بمدينة ندرومة بتلمسان، ولعله يكون اسم آخر معقل لقبيلة الفاروزيين القديمة، وهو الاسم الأقرب إلى اسم الفاروزيين أو الفاروسيين، الاسم الذي لا تزال تحمله إلى اليوم قبيلة آيتفراوسن المتمركزة على ضفة واد سباو بجوار آيت (منقلات) وآيت (أخليلي) وآيت (نراثن)(4).

إن ما تجدر الإشارة إليه، هو أن علم الطوبونيميا لم يظهر بهذا المصـــطلح إلا

سواه، بحيث إننا من خلالها نفهم الروح الشعبية، واتجاهاتها الخيالية، والواقعية، بالإضافة إلى معرفة النظام اللساني الذي تم به التعبير عن اسم المكان"[6].

ومما لا يمكن إغفاله هو أن الطوبونيميا ما اصطلح عليه في اللغة العربية بعلم المواقعية نسبة إلى تسمية موقع جغرافي ما، والطوبونيميا، كلمة مكونة من شطرين طوبو (topos) بمعنى المكان وأونيميا "onémma"، بمعنى اسم، وعلى هذا الاعتبار فعلم الطوبونيميا هو العلم الذي يدرس أسماء الأماكن، وهي علم حديث في مجال الدراسة و التحليل، فلا يمكن القول إنها جاءت من الفراغ أو من العدم، بل إن الوعي بها كعلم خاص بدراسة علم الأعلام والأماكن هو الحديث فيها، وهي تمثل كما –أنف الذكر– تقاطع مجموعة من الحقول المعرفية كالجغرافيا والتاريخ واللسانيات وعلم الاشتقاق بالإضافة إلى الأنثروبولوجيا وعلم الإثنوغرافيا.

وبعدما تفطن العلماء والباحثون إلى الأهمية البالغة لهذا العلم، فقد خصصوا له مجاله وكل ما يميزه عن بقية الحقول المعرفية الأخرى، ولقد تفرعت تسميات أخرى عن هذا العلم فتمثلت فيما يسمى بالأنومستيكية (l'onomastique) أو علم أسماء الأعلام الذي يضم بدوره مجموعة من العلوم الأخرى، كعلم أسماء الأشخاص أو ما يسمى بالأنتروبونيمية، وعلم المجموعات البشرية، أو كعلم يصطلح عليه باللغة الفرنسية الإثنونيمية.[7]

يستنتج مما قيل، أن علم الطوبونيميا هو بمثابة الفضاء الجغرافي أو بمثابة مسرح للأحداث التاريخية المتنوعة لمجتمعات مختلفة إذ يشهد نشأتها وتطورها واندثارها، كما يحفظ ألسنة تعابيرها من خلال تسمية أماكنها، والمواقعية علم يقوم بالدرجة الأولى على المعرفة الدقيقة للمكان المراد دراسته من حيث شكله ومساحته، وارتفاعه أو انخفاضه، طوله أو قصره، وهي تشترك مع الجغرافيا، والطوبوغرافيا، وعلم الاشتقاق من حيث مادة البحث، كلها تختلف عنهم من حيث منهجيتها وتعدد فروعها[8]، المتمثلة في الهيدرونيمية (l'hydronymie)، أو كما يسمى بعلم المجاري المائية، والأدونيمية (l'hodonymie) التي هي علم المحروقات والمسالك، والأغونيمية (l'hagionymie) التي تهتم بكل ما له علاقة بالأولياء الصالحين، وبدراسة الأضرحة الانترويونيمية (l'authroponymie) المهتمة بأسماء الأماكن من أصل أشخاص، والتي تنقسم بدورها للبترونيمية (la patronymie) أو ما يسمى بعلم أسماء الأشخاص من أصل الأب، والميترونيمية (la matronymie) التي هي علم أسماء الأشخاص من أصل

الأم[9]وعلى أساس هذه الفروع والأنواع التي تولدت عن علم الطوبونيميا تم تعريف كل مصطلح على حدة كما يلي:

الطوبونيم الاهدائي (le toponymie dédicatoires):

يطلق هذا المصطلح على اسم المكان الذي يدل على جماعة أو شخص معين ذي شأن عظيم في محيطه، هذا النوع من الطوبونيمات يوجد في كل الثقافات وفي كل المجتمعات على اختلاف أجناسها و اعتقاداتها وتاريخها وثقافتها، حيث تعطى أسماء بعض الرموز التاريخية أو الثورية أو العلمية على أسماء الشوارع أو المؤسسات أو الطرق أو المدارس، مثل اسم الأمير عبد القادر مؤسس الدولة الجزائرية الذي أطلق اسمه على مدينة بين مدينة الرمشي ومدينة عين تموشنت، كما أن هناك بمدينة مكناس المغربية محطة للقطار باسم محطة الأمير، يوجد كذلك مدرسة المقري العالم الجليل، مدرسة ابن باديس، مدينة ابن باديس، ثانوية يغمراسن بتلمسان وفي مدن أخرى، كما في تونس غمراسن بمدينة بين مدينة قابس ومدنين، موقف سيدي بومدين المغيث الذي له قصص تاريخية في التصوف وفي الدعاء المستجاب، وهو من أولياء الله الصالحين، (لا لا ستي) التي سميت باسمها أعلى هضبة بتلمسان،... والقائمة طويلة تفوق الحصر.

الطوبونيم التذكيري (la toponumecommératif):

يتضمن هذا النوع الأسماء التي تطلق على الأحداث التاريخية، مثل ساحة الشهداء.

الزوطوبونيم (le zootoponyme):

يطلق هذا النوع على مكان من أصل حيوان أو عيون مائية، ولا تخلو مدينة جزائرية من هذا النوع–نذكر عين تالوت، عين فوزا، عين البرد، عين يسر، بتلمسان، كما يطلق كذلك على الجبال المرتفعات، جبل عساس، الرأس الطويل، جبل موطاس.

الأكرونيم (l’acronyme):

يطلق هذا النوع على الأمكنة المركبة من عدة حروف أو كلمات أو مقاطع صوتية، وقد يطلق على مؤسسات وشركات اقتصادية.

الأبوتيكونيم (l'apothiconyme):

يطلق على مكان سوق أو محل أو حرفة أو بيع بضـــاعة معينـــة، مثـــل درب بوحسينة بتلمسان، درب الصباغين، المدرس، القيسارية، (باطـــا) بيـــع الأحذيـــة، العشعاشي لصناعة النسيج قديما كان هو من يصنع (الحايك) الجزائري الذي كـــان بمثابة الحجاب إليهم، غطاء يستر المرأة من رأسها إلى قدميها، قهوة قاوار...

الإكزونيم(l'exonyme):

يطلق على الأمكنة أو على محيط جغرافي بلغة تختلف على اللغـــة المســـتحدثة التي جعلت له مثل كلمة باريس المحولة عن باريجي (parigi)

يدل إيراد هذه الأنواع من الطوبونيميا إلى تفطن الباحثين والمهتمين إلى أهميـــة إقحام هذا العلم في المعاهد والمدارس وفي المراكز والجامعات، خاصة وأن هـــذا العلم وثيق الصلة بكثير من الحقول المعرفية التي تم ذكرها سابقا، وحيث إن هـــذا العلم يعتمد على وثائق رسمية، وعلى دقة المعلومة، من حقائق تاريخيـــة وأخـــرى لغوية للألفاظ القديمة وأخرى حديثة ومعاصرة، ناهيك عـــن دراســـات الاشـــتقاق والمركبات الصرفية والمزجية، يضاف إلى كل هذا ذاكرة الأجيال السابقة، وأخـــذ المعلومة من الشيوخ والعجائز ومن الثقافة الشعبية، بلهجاتها وأشعارها الملحونـــة، أضف إلى ذلك أسماء الأشخاص (نساء ورجال)، حيث كانت الأسماء تختار حيـــث الظروف (العيد، بلخير، محمد، خيرة، فتيحة رمضان، مول الخلـــوة...) وتخليـــدا للأجداد والآباء.

واعتمادا على الدقة في البحث عن المعلومـــات وبحـــث الأســـباب والـــدوافع والظروف، فقد تصدّى لهذا العلم (الطوبونيميا) نخبة من الباحثين والدارسين، وذلك بوضع قواعد للكتابة باتباع منهجية خاصة بدراسة الأماكن وأسماء الأعلام، حيـــث تم تقسيم أسماء الأماكن كل اسم حسب أصله، نذكر القسم الأول الذي يمثل أســـماء الأماكن من أصل حيوان: وهي أسماء أمازيغية موجودة بمنطقة تلمسان.

أغيولن: (lesânes): اسم أطلق على هضبة مرتفعـــة بـــين منطقـــة جبالـــة (بندرومة) ومنطقة السواحلية (الغزوات) للدلالة على مكان تجمع الحمير وأغيـــولن تعني الحمير في اللغة الأمازيغية.

تاغميشيؤشن (les canunes du loup): كلمة أمازيغية تعني أنياب الذئب –يطلق على مكان بمدينة (عين غرابة) بتلمسان، حيث إن شكل بعض الصخور تشبه أنياب الذئاب– وتسمى بلدية عين غرابة بأهلها بني هذيل.

القسم الثاني: أسماء الأماكن من أصل إنسان:

تاغروت: (une épaule): كلمة أمازيغية مؤنثة بمعنى مكان مرتفع على شكل كتف مذكره (إغري) يوجد هذا المكان في منطقة سيدي الجيلالي جنوب مدينة تلمسان.

المزوار (les premiers): كلمة أمازيغية مشتقة من (أمزورو) تعني الابن الأول و(تمزوروث) تدل على الأنثى الأولى، وجمع الذكور منها (تمزووار) للإناث (تمزوورا)[10]، يوجد هذا الاسم في (مرسى بن مهيدي) شرق مدينة تلمسان.

القسم الثالث: أسماء الأماكن من أصل أراضي ومرتفعات وجبال:

وهذا القسم يكاد يغطي كل الأسماء السابقة لوجوده بكثرة يذكر على سبيل التمثيل:

تامكاسلت (le pâturage): **لفظة** أمازيغية مكونة من الفعل (تكسا) بمعنى (أمكسا) بمعنى الراعي أي مكان الرعي، وهي مساحة غير مخصصة للزراعة، بل للرعي وللعبور وهي (المرتع)، توجد هذه التسمية في منطقة صبرة بجانب تلمسان من الجهة الغربية الجنوبية.

ماقورا (le pic): مصطلح أمازيغي مشتق من (أقور) أي (حجر) أو المكان العالي المرتفع الصعب، يشكل قمة جبلية ذات منحدريين يوجد هذا المكان (ماقورا) بدائرة سيدي الجيلالي بتلمسان.

توانت (la vue): كلمة أمازيغية بمعنى مرتفع عال من أجل المراقبة يوجد هذا الاسم بمدينة الغزوات بتلمسان.

تزاريفت (une excavation): لفظة أمازيغية مؤنثة مشتقة من (تازريفت) بمعنى المطامير والأهواء التي تحفظ فيها المحاصيل الزراعية من التلف، ويقابلها مصطلح (تاسرفت) وتوجد (تزاريفت) بمنطقة تلمسان في اتجاه سبدو.

ترني (la plaime): كلمة أمازيغية تعني المساحة الأرضية المسطحة، الا أن منطقة (ترني) بتلمسان توجد في مرتفع عال جدا، يسقط بها الثلج كثيرا، والأمطار كذلك.

أغرم (le toit): كلمة أمازيغية تدل على كل بناء حصين ومنيع وعال متين السقف ولعل هذا اللفظ يحيل إلى بنيان (إرم) الذين كانوا يشيدون بنايات مشيدة بطريقة صعبة، وسقفها بالأعمدة، يوجد مكان بهذا الشكل في منطقة مرسى بن مهيدي بتلمسان.

تافسوت: تدل هذه الكلمة على فصل الربيع وتافسوت اسم شاطئ معروف بمدينة تلمسان وشاطئ (أقلى) بدائرة (هنين).

إن ما نؤكده–أن هناك ما لا يحصى ولا يعد من أسماء الأماكن والأعلام التي يعود أصلها إلى كلمات أمازيغية في مدينة تلمسان بكل بلدياتها ودوائرها، وشوارعها، وجبالها وهضباتها وحقولها، وشواطئها ومدارسها وألبستها وأوديتها وأكلها وحيواناتها، ونخص دائرة بني سنوس بوافر من الدراسة، للتشابه الكبير الحاصل بينها وبين منطقة القبائل الكبرى تيزي وزو، وتنقسم دائرة بني سنوس إلى ثلاث دوائر بني سنوس، العزايل وبني بحدل، ومن الأسماء الأمازيغية للأماكن بها نذكر: تافسرة، مازر، سكور ثاين، عين تاخمرت، عين زمور، الطاقة، جبل زهرة، وبني سنوس تدل على وجود النصارى.

توجد بها حدائق كثيرة كالبرج الرومي (قضيات النصارى) ويوجد كذلك (قصبة الرومي) أو (دار الرومي) أو دار النصارى بها كذلك منطقة (لمغانين) أو (الثلاثاء)– اشتهر أهل هذه المنطقة ببيع البيض وإصلاح الأحذية والعصي، ومن المظاهر التي تدل على أن المنطقة ذات تقاليد أمازيغية الاحتفال (بيناير) من 10 إلى 13 من شهر يناير من كل عام وهو الاحتفال برأس السنة الأمازيغي تخليدا ليوم انتصار الملك الأمازيغي (شيشناق) على الملك (رمسيس) الثالث من أسرة الفراعنة عام 950 قبل الميلاد، حيث يعتقد أن هذه المعركة قامت في منطقة بني سنوس.

وعلى أساس تخليد كل إرث عظيم، والتذكير بالهوية الأصلية للشعوب، لأهل بني سنوس طقوس خاصة للاحتفال بهذا العيد من حيث الملبس والمأكل، حيث يرتدي الصبية أقنعة تصور الحيوان المفترس وهم يقومون بدور الأسد (أيراد)، وتعرض الفواكه الجافة كالتين واللوز والفول السوداني في السوق الموسمية

بالإضافة إلى تحضير (ثريد) و(المسمن)، وتزين كلها بأغـاني شـعبية أمازيغيـة وشعارات موروثة عن الأجداد.

للأسماء الأمازيغية لمناطق بني سنوس، نذكر دون شرح لأن هناك من قام بهذه المهمة (الباحث حبيب جاح محمد)، نـذكر غابـة ميـزاب، تافسـرة (مجموعـة المغارات)، مازر اشتهرت بصناعة الحصيرة، يعني هذا اللفظ الأمازيغي الصخرة أو الهضبة الضخمة.

هناك أيضا اسم (مدغاغ) يدل اللفظ على الأرض المرتفعة التي يخـرج منهـا الماء لسقي الأراضي والحقول.

عين تخمارت، عين يشرب منها أهل منطقة بقرية (قصبة) بأقصى منطقة بنـي سنوس، مشهورة بحرفة الطين وصناعة الأواني الفخاريـة لبيعهـا فـي المواسـم وخاصة في عيد (يناير).

مصطلح قروش: تدل على ثمرة البلوط وهو أنواع وأشكال.

أمزرار: أرض بها حصى ملساء لا تنتج غير الحشيش والأشواك.

الفحص: لفظ أمازيغي يطلق على الأراضي الزراعية التي يملكهـا مزارعـون حضريون يقطنون بالمدينة ولا يشتغلون هذه الأراضي فتصبح خالية مـن السـكن ومن الإنتاج.

تداغ: اسم جبل في منطقة بني سنوس مطل على قرية (أولاد موسى) بها أنواع كثيرة من الأشجار الغابية.

أمقافز: منطقة بها صخور بارزة من الأرض فوق سطح مائي قليـل العمـق- تستعمل كممر للقفز من أجل تجنب المياه الراكدة.

أقوير: لفظ أمازيغي يدل على الحصن المبني بالاحجـار وفـوق الجبـال لتفـادي الهجمات المتكررة من طرف الأعداء لسهولة المراقبة من أعلى. (برج مراقبة إليهم)

أخريبش: لفظ أمازيغي لمسجد قديم مندثر في أولاد موسى في دائرة بني سنوس.

بالإضافة إلى أسماء أخرى هي أمازيغية الأصل لا تزال شامخة في منطقة بني سنوس لتدل على الوجود الأمازيغي بهذه الأراضي، ولتدل علـى وحـدة الشـعب

الجزائري شرقا وغربا، شمالا وجنوبا وهذه الأسماء (دمينات، المـدود، أصـليب) أسردوا، تتومرت، أرقاب، تامزيزدقت).

يستلزم موضوع الطوبونيميا في تلمسان وحدها، عشرات المجلدات مـن أجـل جمع وتدقيق المعلومات الخاصة بالتواجد الأمازيغي العربي، ولمعظم الحضـارات بهذه المنطقة التي يكاد كل شبر فيها ينطق بوجود أجناس بشرية قد مرت أو عاشت هاهنا، ولكن مجال بحثنا لا يسمح بإيراد كل المعلومـات، لأنـه متعلـق بـدقائق معدودات يقدم فيها الباحث خلاصة ما توصل إليه من حقائق يمكن اعتمادهـا ذات يوم من قبل الباحثين المهتمين بالحقل الطوبونيمي.

وعلى الجملة، فإن وجود هذه الأسماء للأعلام وللأماكن وثيقة رسـمية علـى وحدة الشعب وانسجام الشعب الجزائري لغة ودينا وتاريخا وحضارة، وعلـى حـد تعبير ابن باديس رحمة الله.

شـعب الجزائـر مسـلم وإلـى العروبـة ينتسـب.

مـن قـال حـاد عـن أصـله أو قـال مـات فقـد كـذب

حيث يؤكد هذا الشعر أن الشعب الجزائري ينتسب إلى العروبة والمعنى واضح إلا لمن أراد أن يفسر هذا القول على هواه، من أجل زرع الفتنة بين أبناء الـوطن الواحد، وأما قول الشاعر من قال حاد عن أصله فمعناه، أن هذا الشعب عربي كان أم أمازيغي فإنه لن يتنكر لأصله، وإنما الجامع لهذا الشعب هو الإسلام الذي وحـد قلوبهم قبل ألسنتهم، ومع مرور الزمن، ودخول المستعمر الفرنسي تسربت الفتنـة إلى بعض صفوف أبناء الجزائر، حيث كان شعار المستعمر (فرق تسد).

إلا أنه كان هناك مناضلون مخلصون لهذا الوطن، إذ قاموا بتوعية الشعب فـي كل شبر من التراب الجزائري، وفي مقدمة هـؤلاء المناضـلين جمعيـة العلمـاء المسلمين التي قدم أعضاؤها ما مكن الشعب الجزائري (عربي وأمـازيغي) مـن الصمود ومن التشبث بالدين الإسلامي وبروح الانسجام والوحدة، وما اندلاع ثـورة نوفمبر عام 1954 في كل التراب الوطني، إلا دليل على وحدة الشـعب، وعلـى الرغم من كل المحاولات الأجنبية قديما وحديثا إلا أن روح التضامن وحب الوطن لا يمكن القضاء عليهما بالنسبة لكل من يحمل قطرة دم جزائرية.

وعلى اعتبار وحدة الشعب، وللمحافظة عليها ينبغي توطيد علاقات كل الجزائريين مع بعضهم البعض وذلك بتعليم اللغات القومية لأبناء الجزائر كلهم، حتى ينمو الشعور بالانتماء إلى هذا الوطن، ناهيك عما سيقدمه هذا المشروع من تنوع ثقافي ولغوي سيسهم لا شك في التنمية الوطنية في كل المجالات الحياتية، ويكفي أن نتضامن روحا وقلبا وأرضا لكي ننتج أكثر، ولكي نحافظ على سلامة هذا الوطن الذي من الله عليه بخيرات كثيرة، إذ كل منطقة جزائرية تزخر بموارد طبيعية وخيرات تكفي هذا الشعب ليعيش معززا مكرما في أرضه دون أن يحتاج إلى الاستيراد، مثل التمر في الصحراء، الزيتون في القبائل، البرتقال في الغرب الجزائري، الفراولة في الشرق الجزائري، البطاطا في الغرب الجزائري، العنب والكروم في عين تموشنت، الأسماك في كل المدن الساحلية، بالإضافة إلى البترول والغاز ومشتقاتهما.

وانطلاقا من الخيرات التي تزخر بها الجزائر، يمكن لهذا الشعب أن يضع اليد في اليد لإعادة بناء هذا الوطن وفق قاعدة تنموية مدروسة.

قائمة المصادر والمراجع:

- غابريال كامبيس، في أصول بلاد البربر (ماسينيسا) أو بدايات التاريخ ترويح الغربي عون، منشورات المجلس الجزائر –ط2- 2012.

- عبد الله مومة، محاولة لدراسة طوبونيمية محلية/ موقع إلكتروني الخميس 2010/06/10.

- محمد البركة، الطوبونيميا والبحث التاريخي، مداخلة في تجديد آليات البحث دورية كان التاريخية (علمية- عالمية- محكمة) ع24/ يوليو 2014.

- استيتيه، سمير شريف، اللسانيات، المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث- الأردن- ط1- 2005.

- ينظر حاج محمد حبيب، أسماء الأماكن الأمازيغية في منطقة تلمسان (دراسة مواقعية) جامعة تلمسان 2013/2012 الجزائر.

- ينظر محمد شفيق، أربعة و أربعون درسًا في اللغة الأمازيغية.

- Albert dauzat. Les noms de lieux origines et évolutions Edition Delagrave, paris 1942.

- Le ortiorinaire du français 60.000 mots avec phonétique. Edition – algérienne – p 1643/ et saibtouji, l'anthroponomie libyco- berbère reflet d'une identité essai d'analyse et sillon.

الاحالات:

---

(1) غابريال كاميس، في أصول بلاد البربر (ماسينيسا) أو بدايات التاريخ ترويج الغربي عون، منشورات المجلس الجزائر –ط2- 2012 ص 573.

(2) عبد الله مومة، محاولة لدراسة طوبونيمية محلية/ موقع إلكتروني الخميس 2010/06/10 13-14

(3) محمد البركة، للطوبونيميا و البحث التاريخي، محاولة في تجديد آليات البحث دورية كان التاريخية (علمية- عالمية- محكمة) ع24/ يوليو 2014 ص 121-125

(4) ينظر غابريال كاميس، في أصول بلاد البربر ص 577.

(5)استنيتيه، سمير شريف، الليسانيات، المجال و الوظيفة و المنهج، عالم الكتب الحديث- الأردن- ط1- 2005- ص 618.

(6)Albert dauzat. Les noms de lieux origines et évolutions Edition Delagrave, paris 1942, p 40.

(7)Le ortiorinaire du français 60.000 mots avec phonétique. Edition – algérienne – p 1643/ et saibtouji, l'anthroponomie libyco- berbère reflet d'une identité essai d'analyse et sillon, n 83

(8) Albert dauzay, p 42

(9) ينظر حاج محمد حبيب، أسماء الأماكن الامازيغية في منطقة تلمسان (دراسة مواقعية) جامعة تلمسان 2013/2012 الجزائر ص 230/229.

(10)ينظر محمد شفيق، أربعة وأربعون درسًا في اللغة الامازيغية ص 40-45.

الألفاظ اللغوية من الأعلام والأسماء وعلاقتها بالأماكن المنتشرة بالجنوب الغربي لولاية تلمسان

د. لعرج بوعلامات

جامعة مستغانم

ملخص:

المدخل: – وقفة مع جانب مختصر من سيرة أولاد نهار.

– الأسماء والأماكن عند أولاد نهار.

– مولد سيدي يحي بن صفي.

– المسائل اللغوية وعلاقتها بالتسميات.

– الدلالة اللغوية في مسميات لهجة أولاد نهار.

إن حفظ تراثنا وتدوين تاريخنا واجب وطني وطموح علمي ولابد له – فيما يرى العارفون– أن يقوم أساسا على الدراسات المحلية الجهوية والمعطيات الجزئية.

فأهميتهما (التراث والتاريخ) تعد – كما جاء في ديباجة الملتقى – من أكبر الحصون المانعة من تلاشي شخصيتنا المتميزة إنسانا ومكانا.

إن نسيج المجتمع الجزائري ملتحم، يظهر ذلك من خلال انتشار تسميات الأفراد وعلاقاتها بالأمكنة المعبر عنها، فهي إشارة مضيئة تكشف عن المخبوء داخل أعماق تلك الأمكنة والأحداث، حيث ترتبط هذه الدلالات بالشخصية الجزائرية وبظروفها، ما ثبت منها وما تحول، غير أن تمادي مخالب العولمة أصبح وشيكا أن يفكك هذه الوحدة إذا ما تفطن الجميع لهذه الانحرافات الجارفة والتي تمس على الخصوص الجوانب الأنوماستيكية والطوبونيمية الأماكنيّة، وهذا لا يعني الانحراف عن التعايش مع مجتمع المعرفة ومواكبة العولمة.

ومساهمة مني في إثراء هذا الموضوع ارتأيت أن أبحث في جانب من جوانب هذا الملتقى باختياري للمحور السادس المتعلق بالمسائل اللغوية وعلاقتها بالتسميات وذلك بإعداد مجموعة من الألفاظ اللغوية من الأعلام والأسماء للأماكن التي تنتشر في جزء كبير من الجنوب الغربي لولاية تلمسان تهم كلا من مناطق سبدو والعريشة وسيدي الجيلالي والبويهي والعابد وبني سنوس وعين غرابة والقور.

ومن المألوف أن هذه المناطق مازالت إلى يومنا هذا تحافظ على منظومة الأسماء والكنى والألقاب الجزائرية.

وأعتقد أخيرا أن تحصين الوحدة الوطنية يتطلب البحث الواسع والمستمر في المجالين الأنوماستيكي والطوبونيمي، كما ينبغي أن تجند له كل الوسائل البشرية والمادية من أجل النجاح.

ولا جرم أن تكاتف جميع الأطراف سيسهم حتما في تطوير قاعدة بنايات لغوية للأسماء والألقاب والكنى للمجتمع الجزائري، ولتحقيق هذا المبتغى يجب أن تتكاتف مصالح عدة يأتي على رأسها وزارة التربية بإعدادها لمنظومة تربوية محكمة تراعي حق الموضوع المذكور عبر برامج تراعي لثوابث أمة يحميها ويطبقها رجل تعليم فخور بمقومات وطنه الدينية والاجتماعية واللغوية والحضارية، كما أن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف هي الأخرى معنية بهذا الأمر انطلاقا من تسخير المساجد ورجال الدين للتوعية والتوجيه.

المسائل اللغوية وعلاقتها بالتسميات.

المدخل: وقفة مع جانب مختصر من سيرة أولاد نهار

لسم الله الرحمن الرحيم. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝١٣﴾ (1)

منطقة أولاد نهار: تقع منطقة أولاد نهار في الجنوب الغربي لولاية تلمسان وتعرف اليوم جغرافيا بحدود دوائر (سبدو) و(سيدي الجيلالي) و(بني سنوس) و(بني بوسعيد) والتابعة إداريا لولاية تلمسان.

وباستعمال ألفاظ البلديات، فإنها تضم كلا من بلديات: سبدو، العريشة، سيدي الجيلالي والبويهي.

وحاليا تتربع قبيلة أولاد نهار على مجموعة من المدن والقرى منها: مدينة سبدو وقرى كل من: سيدي الجيلالي، العابد، العريشة، البويهي، بلحاجي يوسف، عين الصفا، ماقورة، وطية أولاد المهدي، وكذلك بوغدو، سيد المخفي، تنقيال وسبيضة وأولادعبد السلام ومجموعة أخرى من المداشر مثل سيدي عيسى، فورنو وسيدي يحي بلحاج وسيدي عبد الله.

وكغيرها من مناطق شمال المغرب العربي، عرفت منطقة أولاد نهار تعميرا سكانيا من قبل الأمازيغ البربر وذلك في فترة ما قبل الإسلام، وينقل لنا قيداري قويدر في كتابه بستان الأزهار – بعد أن تحدث عن الآثار المتواجدة في مناطق أولاد نهار وخاصة منها تلك التي عثر عليها في الأماكن الجبلية – ينقل إلينا تحقيق الكاتب الفرنسي النقيب نوال يقول فيه:

((إلى جانب هذه الآثار التي يرجع أصلها إلى ما قبل التاريخ، توجد في منطقة أولاد نهار آثار لبناءات بربرية تبدو أنها تعود إلى ما قبل الإسلام، ولكن يصعب أن نحدد لها تواريخ حتى تقريبية، وتوجد هذه الآثار البربرية في المنطقة الجبلية موزعة في كل من: جبال تنوشفي، تونزايت، ودشرة اليهودي وبأعلى عين تادارت، خليل، دار الصنعة، سيدي الجيلالي، المحجوب، حاسي العابد، مضيل، المشاميش، جبل سيد العابد، سيدي المخفي، والصيادة))[2]

وما جاء به يعتبر شاهدا ماديا ولغويا يطمئن على صحة ما ذهب إليه الباحث القائل بتعمير المنطقة من قبل البربر الزناتيين قديما. ويردف قائلا: ((رغم البحوث العديدة من أجل العثور على آثار رومانية فإنها لم تصل إلى أي نتيجة تذكر))[3] مما يبين أن الاستعمار الروماني لم يتمكن من السيطرة على هذه المنطقة التي كانت تحت سيطرة زناتة البربرية، التي وفدت إلى هذه المنطقة وعمرتها حيث لا يزال السكان المنحدرون منها يسكنون منطقة جبال تلمسان.

الأسماء والأماكن عند أولاد نهار

عندما نتحدث عن مجال التسمية بعرش أولاد نهار معناه أننا نتحدث عن الولي الصالح سيدي يحي بن صفية وعن ذريته المكونة من سيدي الجيلالي، وسيدي الشاذلي، وسيدي عبد الله، وسيدي محمد وغيرهم.

هذه الأسماء تشغل أماكن طوبونيمية معروفة وتتوزع على مساحة كبيرة من الجنوب الغربي لولاية تلمسان، فهي متمركزة بهذه الأماكن منذ أمد بعيد، تهتم بالفلاحة وتربية المواشي، يربطها فيما بينها علاقات وثيقة أدت إلى تلاحمها ها من جهة وترابطها كذلك من جهة أخرى مع باقي المجتمعات الأسرية بباقي جهات الوطن المجاورة، فهذه المجتمعات تكون – لا محالة – حصنا منيعا لتلاشي الشخصية الجزائرية بحفاظها أولا على خريطتها الطوبونيمية التفاعلية للأماكنية الجزائرية وعلى الجوانب الأنوماستيكية المختلفة بهذه المناطق.

يظهر هذا من خلال التظاهرات الثقافية السائدة بالمنطقة كالمناسبات الدينية من أعياد وحفلات وأعراس وغيرها. وما يلاحظ هو أن العلاقات – الأسرية المذكورة سابقا – سادها الترابط واتسعت بفضل توسع الأنساب مما زاد في تلحيم نسيج المجتمع الجزائري بهذه الجهات.

وقد أثرت هذه الظواهر في الحفاظ على الجوانب الأنوماستيكية لأفراد الأسر، الأمر الذي دفعهم لاختيار أسماء لأبنائهم تتناسب وشخصية الإنسان الجزائري العربي المسلم المتأثر بعقيدته السمحاء وعروبته وثقافته المعهودة.

كما أن هذا السلوك لا يزال إلى يومنا هذا سائرا يرتبط بطوبونيمية أماكنية معهودة تتناسب والمنطقة التي يسكنها هؤلاء الناس.

هذا السلوك الذي سبق ذكره لا يمس أولاد نهار وحدهم بل نلاحظه موجودا لدى القبائل المجاورة نذكر منها عرش آنقاد بالقور أين يستقر الأولياء الصالحون: سيدي عبد الله وسيدي محمد بن علي وسيدي السنوسي وسيدي محمد بوطويقة وسيدي المخفي. فهذه الأسماء نجدها في أغلب الأحيان تسميات لأبناء قرى المنطقة.

كما أن قبيلة بني هذيل (عين غرابة) ينتشر عبر منطقتها أولياء صالحون هم الآخرون متشبثون بهذه الجوانب الأنوماستيكية والطوبونيمية المكانية، فكل ولي صالح يستقر في جهة معينة. فمن هؤلاء الأولياء نذكر: سيدي أحمد الشريف وسيدي علي بليفة وسيدي حساين وسيدي محمد وسيدي عبد الله المنداسي وسيدي بودومة وسيدي أبو السادات وسيدي مسعود السرحاني وسيدي بلقاسم وسيدي بن ثابت وسيدي امبارك.

ولا يمكن أن نفارق الموضوع دون الإشارة إلى الأولياء الصالحين الموجـــودين بقبائل بني سنوس إذ منهم نذكر الشيخ السنوسي الذي توفي حـــوالي ســـنة 1492م ومن أحفاده العلامة أبو يوسف المدفون بتلمسان وهو من أعلام الفقـــه والشـــريعة الإسلامية بهذه الديار وكذلك سيدي أحمد عمار والبشير والخليفة والطيب والتيجاني والشيخ العربي وغيرهم كثير.

مولد سيدي يحي بن صفية

ولد الشيخ سيدي يحي بن عبد الرحمن المكنى بابن صفية سنة 935ه الموافـــق ل: 1529م، ونشأ في بيئة دينية، حيث درس في زاوية جده لأمه- الشيخ ســـيدي سليمان بن أبي سماحة- اللغة والعلوم الإسلامية على أساس أن التصوف يقتضـــي التمسك المطلق بالقرآن الكريم والسنة في العقيدة والسلوك معا .

ثم واصل سيدي يحي بن صفية دراسته بوادي (غِيْر) في زاوية مولى السًـــهول بالقرب من مدينة بوذنيب التي تقع إلى الشرق مـــن مدينـــة الرشـــيدية بـــالمغرب الأقصى، وتخرج على يد رئيسها الشيخ محمد بن عبد الـــرحمن الســـهلي، وتبعـــا لتوجيهات شيخه توجه نحو الشمال لنشرِ العلوم التي درســـها وترســـيخِ الطريقـــة الشاذلية التي اتبعها.

فاستقر بجبال تلمسان (جبال بني سنوس)، وقد أخذت سمعته تتنـــامى بســـرعة، حيث كثر تلاميذه ومريدوه وأتباعه، وقد استدل الباحث قيداري في هـــذا المجـــال بحديث للجيلاني بن عبد الحكم جاء فيه: ((ولما استقر – ســـيدي يحـــي – بالبلـــد واشتهر أمره في سائر الأقطار أتته الناس من كل جهة أفواجا، وهرعت إليه مـــن جميع النواحي والأصقاع للأخذ عنه وخدمته وكانوا ينتجعون بمواشيهم في فصـــل الشتاء والربيع إلى جهة الصحراء التي قدموا منها ويرجعون إلـــى بلـــدهم التـــي صارت مأوى لهم ومسقطا لرؤوس ذرياتهم))[(4)]. وهكذا أصبحت زاويـــة ســـيدي يحيى بن صفية مزدهرة وعامرة وبلغت شأوا كبيرا من حيث الجانب الطوبـــونيمي المكاني. فمنطقة سيدي يحي تعتبر موقعا تاريخيا هاما يتوجه إليه العابدون والركع السجود منذ حلول صاحبه به إلى يومنا هذا، فهو موقع سياحي كان يقصده النـــاس من أجل التعلم وحفظ القرآن، وقد تخرج على يد العالم الجليل سيدي يحي مجموعة كبيرة من العلماء في زمانه.

ويقصد بسيدي يحي منطقة كبيرة تمتد إلى قريتي بوغدو وعين الصفا غربا ومداخل مدينة سبدو شرقا.

والحديث عن سيدي يحي الذي يمثل المكان يؤدي بنا إلى الحديث كذلك عن التسمية التي مازالت إلى يومنا منتشرة عبر قبيلة أولاد نهار عامة من الناحية الآنوماستيكية حيث راح أهلها يسمون أبناءهم باسم يحي فهم متشبثون بهذه التسمية ويبتهجون لذلك.

وقد أنجب سيدي يحي بن صفية اثني عشر ولدا (12) وبنتا واحدة (01)، فجميع هؤلاء الأبناء يمثلون صورة حقيقية لمعنى الأنوماستيكية الطوبونيمية فهم من جهة يُعتبَرون أعلاما يُسَمى بهم ومن جهة أخرى يدلون على أماكن طوبونيمية ثابتة، فسيدي الجيلالي يقصد بها القرية المكان الطوبونيمي فهي البلدية منذ زمن بعيد وهي الدائرة، وسيدي الجيلالي هي التسمية الأنوماستيكية التي يُسَمي بها أغلب سكان القرية مواليدهم، والأمر نفسه يطلق على أولاد سيدي الشاذلي فهم سكان العابد يسمون أولادهم بسيدي الشاذلي وهكذا دواليك مع الأولياء الصالحين سيدي أحمد وامحمد وبوطيب وعبد الرحمن ومحمد وعبد القادر وبن طيبة والحاج بوكورة وبوبكر ويحي إلى جانب أختهم رقية، فسيدي عبد الرحمن القرية متواجدة بجانب البويهي شرقا وأغلب سكانها من عائلة أولاد سيدي عبد الرحمن يكثر اسم هذا العالم الجليل بين عائلاتهم، وبقيةُ الأسماء تعد أعلاما أنوماستيكية منتشرة داخل عائلات أولاد نهار وهي تحافظ حتما على نسيج المجتمع الجزائري في هذه المنطقة.

وتعتبر تسمية رقية للإناث الأكثر ترددا في هذا المجتمع وغيره، فهو بحق عَلَم يستحق الاستعمال بل التشهير.

المسائل اللغوية وعلاقتها بالتسميات.

الدلالة اللغوية في مسميات لهجة أولاد نهار اللغة واللهجة أو العامية أعمق من أن تكون ضم حرف لآخر لتركيب كلمة، فهي عملية في غاية التعقيد: تفسر الرموز المنطوقة وتربط بينها وبين الحقائق فهي إذن الأداء بالنسبة لأفراد المجتمع.

فعامية أولاد نهار والقبائل المجاورة – التي سبق ذكرها – هي إحدى اللهجات الجزائرية التي تتقاسمها الصفات اللغوية.

وهي تنتمي إلى بيئة أوسع هي البيئة الجزائرية حيث يتيسر الاتصال بين أفراد هذا المجتمع؛ فعامية أولاد نهار كغيرها من اللهجات الجزائرية أثرت وتأثرت فيما بينها بل وحتى في لغات أجنبية كالفرنسية والإسبانية والبربرية والتركية.

فهي سليلة اللغة العربية عرفت هي الأخرى تحويرات عديدة مست كل الجوانب منها خاصة: الجانب الصوتي أين يظهر تسهيل الهمز واستعمال القاف القاهرية إلى جانب القلب المكاني وغير ذلك.

أما الجانب الدلالي فيظهر عند حفاظهم على لب المعنى للألفاظ قائما مدعما في بعض الأحيان بجوانب بلاغية أعطت للتعبير بذلك طابعا لغويا مقبولا.

وكنموذج لهذه المسائل اللغوية ارتأيت أن أعد مجموعة من المسميات بمثابة تطبيق أنوماستيكي أعرض من خلاله ألفاظا لغوية سائدة بالمنطقة ما زالت تحافظ على أصالتها ثم أقارنها مع مثيلاتها في اللغة العربية مع العلم أن هذه الألفاظ تعرض كما ينطق بها البدو من القبيلة.

فهناك عدة مجالات اجتماعية بدا لي أن أبدأ بالجانب الفلاحي ما دام هاما بالنسبة لسكان المنطقة:

بعض الألفاظ اللغوية وعلاقتها بالتسميات: جانب الفلاحة والحيوانات

السكة: بفتح مائل إلى الكسر لحرف السين مع عدم النطق بالتاء المربوطة، فهم يقصدون بها تلك الآلة الحادة من الحديد تربط برأس المحراث وتساعد الفلاح على شق الأرض. فهي إذن: (حديدة المحراث التي تشق الأرض) وأصل الكلمة في اللغة العربية هو (السكة) وجمعها السكك، وبذلك يعتبر هذا اللفظ أصيلا حافظ على مبناه ومعناه.

الحزمة: بفتح الحاء وإسكان الزاي، وهي من الفعل حزم حزمة: الفرس شد حزامه وهي: ((ما جُمِع ورُبِط من كل شيء (ج) حزم)).

الخماس: في اللغة :(أخذ واحدا من خمسة وهو جزء من خمسة والجمع أخماس. وخمست القوم: أخذت أموالهم وكنت خامسهم وكنت خامسا لهم. وخمست مالهم: أخذت خمسه)[5]. ويطلق هذا اللفظ على من يتعهد أرض غيره إلى أن تنتج فيأخذ من غلتها الخمس وقد حافظ اللفظ على أصالته.

الزريعة: البذر المستعمل عندهم وهو لفظ عام يليق بكل النباتات التي يتعاملون معها من قمح وشعير وفول وعدس وغيرها، وقد حافظ اللفظ على أصالته معنى ومبنى.[6]

الزلافة: بتسكين الزاي وهي عندهم الإناء المستخدم لمختلف الأغذية. أما لغة: (الزلفة: الصفحة والصحفة: شبه القصعة المسلطنة العريضة وجمعها صحاف والمُسْلَنْطَحَة بلام مفتوحة ونون ساكنة وحاء مفتوحة).

المهراز: يصنع من النحاس وأحيانا من الحديد يشبه إناء الماء يستعمل لدق أي شيء من المواد الغذائية اليابسة ولغة مأخوذة من (الهرس وهو الدق الهريسة بالمهراس والمهروس بها والهريس ما هرس)[7] فاللفظ حافظ على أصالته مع إبدال حرف السين زايا بسبب تجاور الصوتين.

الرحبة: لغة (– ج – رحاب ورُحَب ورَحَبات: الأرض الواسعة المِنْبات الحلال) وعند أولاد نهار وغيرهم– وخاصة البدو الفلاحين– تنطق فصيحة وتستعمل لدرس السنابل بعد حصدها فهي فعلا أرض مسطحة مهيأة لتتحمل حوافر الخيل أثناء الدرس.

المطمورة: كذلك ينطق بها عندهم وهو نطق عربي فصيح وهي لغة قديمة عالية والمطمورة هي حفيرة تحت الأرض يوسع أسفلها وتخزن فيها الحبوب \ الحبس – ج– مطامر.

فاللفظ حافظ على صورة أصالته معنى ومبنى.

بعض الألفاظ اللغوية وعلاقتها بالمسميات: الأواني المنزلية

المجمر: يستعمل عندهم لوضع الجمر فهو يشبه الإناء الواسع يصنع من الطين وقد ينعتون ما نتج عن النار من جمر بالمجمر بدون وعاء.

أما لغة (المجمرة والمجمر التي يوضع فيها الجمر)[8]

ونلاحظ أن اللفظ حافظ على أصالته من حيث المعنى والمبنى.

القربة: ينطقونها بقاف قاهرية مفتوحة وهي تصنع من جلد المعز عند أولاد نهار والقبائل المجاورة بعد أن تمر بعدة مراحل، غير أنهم يحافظون على شعرها وبعد إعدادها يحفظ فيها الماء للتبريد.

وهي فصيحة لغة بكسر القاف، وبذلك تكون قد حافظت على أصالتها.

الجفنة: ينطقونها نطقا صحيحا، وهي تصنع من قارورات حديدية.

بعض الألفاظ اللغوية وعلاقتها بالمسميات: حقل الزواج والفنون الشعبية

الدفوع: ينطقون الدال وكأنها مائلة إلى السكون وأصل اللفظ في اللغة (الكثير الدفع كالصبور للكثير الصبر والشكور للكثير الشكر تبعا للمواقف أو الأحوال والدفع يعني: الأداء أو التسبيق أو التقديم في المعاملات التجارية ونحوها)، هذا من حيث اللغة، أما من حيث العادة فالدفوع عندهم لفظة تعني: أن أهل الرجل عندما يخطبون الفتاة يتقدمون بهدايا لأهل الفتاة ويكون ذلك قبيل حفلة الزفاف مباشرة أو قبلها بأيام كثيرة تبعا للمواقف أو الأحوال. ومنه شروط الدفوع نحو قنطار من القمح وكبش ونفقات أخرى، فكأن الذي يذهب بهذه الهدايا يدفع أمورا كثيرة فهو دفوع.

وفي الوقت الحاضر تغير دفع القمح بمواد غذائية مختلفة جاهزة كالدقيق والزيت والسكر والقهوة والشاي وغيرها وذلك تسهيلا على أهل العروس.

الحنا: عندهم وعند غالبية الجزائريين هي الحفلة التي تقام قبل الزفاف بيومين أو ثلاثة في دار كل من الزوج والعروس حيث يستدعي كل من الطرفين أهله وأحبابه للفرح معه أو معها. وسمي الفرح بالحنا لأنه يشهد تخضيب أيدي العريس والعروس والحضور هنا وهناك بالحناء. وهناك حفل آخر يقام عند أهل العروس يتكفل بمصاريفه أهل العريس يسمى (الملاك) وهو لغة (الإملاك) يجمع الأسرتين والجيران والبعض من الأحباب.

ونلاحظ أن اللفظين أصليان مع غياب النطق بالهمز في (الحناء) وتسهيل الهمز في كلمة (الإملاك).

الشيوخ: ينطقونها بسكون على الشين ويقصدون بها مجموعة من الفنانين الذين ينشطون يوم العرس بعد تناول وجبة العشاء – وهذا حاليا – أما قديما فكان نشاطهم الفني معلوما ينطلق صباحا إلى وقت العصر. وهم متمكنون من حرفتهم

يعرفهم العام والخاص كما يسمع بهم الكبير والصغير وبدونهم لا تقوم لعبة (العلاوي) المشهورة في الجزائر عامة وعند أولاد نهار خاصة لأن فرقتهم اكتسبت شهرة عالمية وما زالت إلى يومنا هذا تسافر إلى خارج الوطن قصد المشاركة في المهرجانات الثقافية الدولية.

ولفظ ((الشيوخ مأخوذ أصلا من كلمة الشيوخ بضم الشين فهي عربية قحة لأن الشيخ من معانيه في العربية: المتقدم في المهنة))، ونقول شاخ فلان في العلم أي أن له علما وافرا يجعله يكتسب مكانة مرموقة في مجتمعه.

وفرقة الشيوخ تتكون من خمسة إلى ستة أعضاء عازفين على الناي وضاربين على الدف ويصاحبهم منشط يسمونه البراح.

الصف: عند أولاد نهار هو لون من ألوان الغناء تقوم بأدائه مجموعة منظمة من النساء أغلبهن كبيرات في السن يقمن بتكوين صفين متقابلين وتحمل كل واحدة منهن بنديرا ويتفقن مسبقا على لون الأغنية التي يرددن كلماتها والمتمثلة في قصيدة شعرية من لون الحر.

وما يعطي لهذه الرقصة نكهتها هو تلك الحركات الجسدية المحتشمة التي تتناسب مع أصوات الطبول ورناتها.

واللفظ هنا عربي فصيح محافظ على أصالته معنى ومبنى.

القصعة: ينطقونها بقاف قاهرية ويقصدون بها القصعة الكبيرة التي تهيئها أم العروس للنساء الحاضرات بعد انتهاء العرس وفي اليوم الأول بعد الدخول وكأن القصعة صدقة تخرجها الأم تبركا وفرحا بابنتها لأنها دخلت عالم الزوجية.

الجهاز: ينطقونها بإسقاط اللام وإسكان الجيم وفي غالب الأحيان يوقعون على اللفظ قلبا مكانيا مبدلين حرف الجيم بحرف الزاي قائلين: (زهاج) وهذا هو الشائع عندهم اليوم. ويعنون به كل ما تجهز به العروس وهي تغادر بيت والدها ويتكفل بدفع مصاريفه الزوج بالإضافة إلى ما تعده عائلة العروس.

ولغة ((جهاز العروس وجهاز الميت جهازهما ما يحتاجان إليه وكذلك جهاز المسافر)).[9]

فقد حافظ اللفظ على أصالته معنى ومبنى.

بعض الألفاظ اللغوية وعلاقتها بالمسميات :الأمراض والعاهات

الداحوســة: وينطقها البعض (الدوحاسة) وهي عندهم ورم يصيب العضو بعـد جرحه فلا يعالج فتنفذ الميكروبات إلى باطن الجلد فينتفخ العضـو ولا عـلاج إلا بفتحة عن طريق العلاج الطبي أو العرفي الذي تستعمل فيه الأعشـاب لإزالتـه، واللفظ عربي فصيح لا يزال جاريا على ألسنة كثير من الفلاحـين والرعـاة ولـم يصبه أدنى تغيير إلى يومنا هذا.

أما لغة: فهو مأخوذ من (دحس – الدحس – التدحيس للأمر تسـتبطنه وتطلبـه أخفى ما تقدر عليه ولذلك سميت دودة تحت التراب دحاسة)[10].

وواضح أن الدوحاسة هي الأخرى مخفية تحت الجلد.

ويستعمل هذا اللفظ كناية عن تلاحق المشاكل والأحقاد بين طرفين ويأتي اليـوم الذي يشتد فيه الصراع والغضب فيقول أحدهما للآخر: يا أخي، تلك الدوحاسة التي بيننا نفقسها أي: (تذكر ما عندك وأذكر ما عندي ولا نترك أي غموض بيننا فنقف عندها على الصواب).

بعض الألفاظ اللغوية وعلاقتها بالمسميات: مختلفات

المسعور: يطلق عندهم هذا اللفظ على الرجل عندما يشتد غضبه فيتغيـر لـون وجهه فيسودّ ولا يفرق بين الجد والهزل في كلامه وأحيانا يوصف بها الكلب وهو يعيش حالة هستيرية مؤذية. ولغة ((سُعِر الرجل فهو مسعور إذا ضـربه السّـموم والعطش. ورجل مُسْعِرُ حَرْب أَيْ وَقّاد لها)).

جيب: بكسر الجيم يستعملونها للطلب والمقصود هو (هـات) أو (جـئ بكـذا) فيقولون مثلا: (جيب الخبز) أي (جئ بالخبز).

وإسقاطهم للهمز خلال التلف يجعلهم يقولون: (جيب) مع تمديد حرف الجيم.

الطرحة: يطلقونها على ما يطرح على ظهر الفرس قبل أن يوضع السرج على ظهره، فهي فصيحة حافظت على أصالتها.

لبزيم: والأصل فيه هو (الإبزيم) فاللفظ فصيح محافظ على أصالته. نلاحظ أنهم ينطقونه بإسقاط الهمز عندهم وذلك ما تفعله العرب.

وهو حديدة بسيطة تثبت في رأس الحزام لشد طرفه.

يستعمل عندهم للملابس وكذلك لشد الطرحةِ والسرجِ، بدونه لا يكـــون الحـــزام على ظهر الحصان.

الزايلة: ويقصدون بها الحيوانات من خيل وبغال وحمير. وواضح أنهـــم أســـقطوا الهمز في نطقهم واستبدلوه بالياء، فالأصل لغة هو الزائلة لكون هذه الحيوانات تزول.

الدراري: وهم صغار الأولاد ومع مرور الزمن أصبح اللفظ يطلق على الأبناء صغارا كانوا أم كبارا واللفظ فصيح وأصله الذراري الذي مفرده الـــذر – بتشـــديد الراء – ويقصد به صغار النمل . ولغة: ((الذر صغار النمل فالذر مصدر)).

النويرة: يستعمل هذا اللفظ عند البدو من قبيلة أولاد نهار وما جـــاورهم وهـــو أصيل إذ جاء في اللغة ((النويرة هي تصغير النار)).

نصلة: عند أولاد نهار ومن يجاورهم هو حديدة تعـــوّض الســـكين تســـتعمل – خاصة – في البادية بالمطبخ. فالأصالة بادية على لفظه مع تأنيثه خـــلاف اللغـــة: ((فالنصل هو حديدة الرمح والسهم والسكين، قال ابن الفارض:[11]

وقد علموا أني قتيل لحاظها.... وأن لها في كل جارحة نصلا.

(ج) نصال، وأنصل، ونصول)).

الميمون: هو الحظ عندهم فقد يكون كما يقولون (واقفا) وعنـــدها تتـــزل الخيـــرات على صاحبه وتفتح الأبواب، أما إذا كان كما يقولون (راقدا) فتغلق الأبواب في وجهه.

أما لغة ((فالميمون هو صاحب اليمن والبركة)).

الجرف: يقصد به الصخر الكبير، فاللفظ فصيح إلا أنهم يســـكنون الـــراء فـــي نطقهم أما لغة فالجرف هو شق الصخر إذ جاء في المعاجم: ((الجرف هـــو شـــق الوادي إذا حفر الماء في أسفله (ج) أجراف)).[12]

قـــال تعـــالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ١٠٩﴾[13]

سرح: يطلق اللفظ على الرجل يقود الغنم للرعي صباحا ويعود بها مساء ولغة الفعل ((سرح يسرح سرحا: المواشي أرسلها ترعى)). قال تعـالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾[14]

الساف: وهو معروف لديهم يقصدون به ذلك الطائر المنبوذ عندهم، فهو يحـوم حول الحمى يترقب خروج الدجاج إلى أن ينقض عليه، عند ظهوره يسرع السكان لحماية دواجنهم. أما لغة ((الساف طائر من الجوارح)).

كَوّع: اللفظ عندهم ينطلق فصيحا ويستعمل خاصة لما يضرب الشخص صاحبه بالحجر فيصيبه في جسمه إصابة حادة.

أما لغة فالفعل ((كوّع يكوّع تكويعا غيره بالسيف: ضربه بـه حتـى اعوجـت أكواعه)).

الكسرة: ينعتون بها قطعة الخبز الدائرية أما لغة: ((الكسرة هي القطعـة مـن الشيء المكسور ومنه الكسرة من الخبز (ج) كِسَر)) فاللفظ فصيح وأصيل.

الكحّة: تلفظ بكاف مفتوحة عندهم، أما لغة: ((الكحّة هـي السّـعال)) فـالمعنى واضح والمبنى كذلك، وقد حافظ اللفظ على أصالته.

كفتة: بفتح الكاف، اللحم عندما يطحن ويصنع أشكالا لاستعماله عـن طريـق القلي أو الشّيّ.

ولغة: ((الكُفتة هي لحم يدق وتضاف إليه التوابل وتجعل منه أقراص تقلى فـي الزيت)) واللفظ أصيل.

قوبع: وهو لفظ فصيح وأصيل المعنى والمبنى، فلغة: ((القوبع هو طائر أحمـر الرجلين)).

مُقلاع: تنطق عندهم بضم الميم ويقصدون به حبلا بسيط الصنع مـن الحلفـاء، يضعون له في وسطه عينا بقدر حمل الحجارة وأخرى في بدايته لدخول الإصـبع قصد الرمي للصيد أو للرعي وغيرهما. أما لغة فينطق بعين مكسورة وهو: ((مـا يُرْمَى به الحجر (ج) مقاليع)).

فاللفظ محافظ على أصالته.

اقتراحات

-هذه الألفاظ وغيرها كثير يستعمل في لهجات كل القبائل التي تحدثنا عنهــا، أقحمناها بالدرجة الأولى لتنبيه زملائنا في مجال التربية والتعليم من أجل قبولها من على لسان التلميذ، لأنها تُرْفَض عند استعمالها في بعض الأحيــان بــدعوى أنهــا دارجة وليست لغة عربية فصيحة. ولهذا ننصح المعلمين والأساتذة الكرام بقبولهــا حتى ولو كانت غير فصيحة والبحث في شأنها والتأكد فيما بعد من صحتها أومــن عدمها ثم يعاد بالصواب إلى التلميذ.

– نرجو من السادة المهتمين بالشؤون الدينية أن يلتفتــوا إلــى هــذا الجانــب ويسخروا كل ما يستطيعون إليه من أجل دعم هذا المشروع الهادف إلــى ترســيخ آمال الواقع اللغوي الأنوماستيكي الطوبونيمي، فهم قادرون – لا محالــة – علــى توظيف المساجد ومن ثمة دعوة الأئمة إلى توظيف خطاب جذاب من أجل حمايــة الشخصية الوطنية بكل أبعادها في شأن هذا الموضوع.

– وزارة الداخلية هي الأخرى معنية عبر مساهمتها في إعادة صياغة قــوانين تأخذ بعين الاعتبار نظام التسمية بالبلديات أو على الأقل تقوم بالتذكير بالمراسلات السابقة، فهذه الأخيرة فيها فائدة كبيرة وتحافظ على النظام الأنوماستيكي، فهي بدون شك – أي الوزارة – تملك القدرة على تأصيل أسماء الأعلام.

– ومن جهتها ينبغي أن تقوم وزارة الثقافة بضــبط خريطــة تعــرض نظامــا أنوماستيكيا نافعا ينشر عبر مختلف قنواتها الثقافية القائمة على مســتوى أنشــطتها بكافة الوطن.

– على وزارة السياحة الإسهام في ضبط ألواح إشهارية بالطرقات تحمل أسماء لأعلام تاريخية تحمل رموزا هي الأخرى قابلة لتوجهات ملامح المجتمع الجزائري من خلال واقعه اللغوي الأنوماستيكي.

– الدور الهام الذي نختم به اقتراحاتنا هو الذي ينبغي أن يقوم به الإعلام، عبر وسائله المسموعة والمقروءة والمكتوبة، فإن عزمت قنواته على الإفادة فلا يقف في طريقها أحد.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1- سورة الحجرات الآية: 13

2- سيرة سيدي يحي بن صفية ومسيرة أولاد نهار - دراسة تاريخية وأنثروبولوجية \ قويدر قيداري \ دار الغرب للنشر والتوزيع \ 2009 \ ص : 18 .

3- المرجع السابق \ بستان الأزهار \ ص: 20 .

4- المرأة الجلية\: بن عبد الحكيم\ص:34.

5- كتاب العين \الخليل بن أحمد الفراهيدي \ تح: عبد الحميد هنــداوي \ دار الكتــب العلمية \ بيروت \ لبنان \ 1999 \ ص: 270 باب الجيم

6- القاموس الجديد \ ص: 424

7- القاموس الجديد \ المرجع نفسه \ ص : 146

8- القاموس الجديد \ ص: 1010

9- كتاب العين \ المرجع السابق \ص: 270 باب الجيم

10 - كتاب العين \مرجع سابق \ص: 10. باب الدال.

11- القاموس الجديد \ جزائري تونسي \ 1974 \ ص: 251

12- سورة التوبة \ الآية 109

13- سورة النحل \ الآية 6.

الاحالات:

---

(1)- سورة الحجرات الآية: 13

(2)- سيرة سيدي يحي بن صفية ومسيرة أولاد نهار - دراسة تاريخية وأنثروبولوجية \ قويدر فيداري \دار الغرب للنشر والتوزيع \ 2009 \ ص: 8.

(3)- المرجع السابق\ بستان الأزهار \ ص: 20.

(4)- المرأة الجلية \: بن عبد الحكيم \ص: 34.

(5) - كتاب العين \الخليل بن أحمد الفراهدي \تح: عبد الحميد هنداوي \دار الكتب العلمية \بيروت \البنان \ 1999 \ص: 270 باب الجيم

(6) - القاموس الجديد \ ص: 424

(7)- القاموس الجديد \ المرجع نفسه \ ص: 146

(8) - القاموس الجديد \ص: 1010

(9) - كتاب العين \ المرجع السابق \ص: 270 باب الجيم

(10)- كتاب العين \مرجع سابق \ص: 10. باب الدال.

(11) - ابن الفارض هو أبو حفص شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي، أحد أشهر الشعراء المتصوفين وكانت أشعاره غالبها في العشق الإلهي حتى أنه لقب بسلطان العاشقين، والده من حماة في سوريا. ولد بمصر سنة1181 م، سلك طريق الزهد ثم رحل إلى مكة وبعد خمسة عشر عاما عاد إلى مصر (ويكيبيديا).

(12)- القاموس الجديد \ جزائري تونسي \ 1974 \ ص: 251

(13) - سورة التوبة \ الآية 109

(14) - سورة النحل \ الآية 6.

دراسة طبونيمية مقارنة بين المعنيين العربي والفرنسي لأسماء الأماكن في بلدية صبرة

د. الحبيب دحماني،
جامعة تيارت

مقدمة:

تؤكد الدراسات الطبونيمية أن نسخ أسماء الأماكن والمواقع واستبدالها بأسماء أخري هي ظاهرة عالمية قديمة في تاريخ الإنسانية.'وتكون نتيجة إعمار أو إسكان أو استعمار أو احتلال لهذه الأماكن. وقد ورد ذكر ذلك في القرآن الكريم ومنه مدينة (يثرب) كما في قوله تعالى: " وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يأَهْلَ يَثْرِبَ......."[1].

ويثرب هو اسمها القديم قبل الهجرة النبوية للرسول (ص)، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى (يثرب) ابن قاينة بن مهلائيل بن إرم بن عبيل بن عوض بن ارم بن سام بن نوح (عليه السلام) ويذهب المؤرخون أن مدينة (يثرب) أنشئت سنة 1600 سنة قبل الهجرة[2].

وقد ذكرها المؤرخون منهم بطليموس اليوناني باسم (يثربا) (yathripa) وسماها سوطفان البيزنطي باسم (يثرب) (yathrp) 'ووجد اسمها في نقش بمدينة حوران (اثريو itribo)[3].

وبعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم أصبحت تسمى (بالمدينة المنورة) لقداستها، وذاك لبناء مسجد ثاني الحرمين الشريفين، وسميت بطيبة وطابة.

وقد ذكرت أيضا (مدين) في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾[4].

وقيل: اسم (مدين) هو بلد فلسطين وقيل: اسم قبيلة بكر وتميم وقيل: اسم ولد مدين بن إبراهيم الخليل عليه السلام، وكان اسمه بالسريانية بيروت[5].

ويتجلى من هذا أن أسماء الأماكن تسمى بأسماء الأشخاص سواء كانوا جماعة أم فرادى.

- دراسة طبونيمية مقارنة

- مدينة صبرة.

1 - الموقع الجغرافي:

لأسماء الأماكن دور مهم في ترسيخ وتثبيت هو ية الأمة الجزائرية وحضارتها' فهي مثل الجبال الراسيات تمنع الارض من الزلازل والبراكين ' وهي التي تمنع ريح الاستعمار المدمر للحضارات الانسانية

وهدا ما فعله الاستعمار الفرنسي للجزائر اذ بدا في بدايته بطمس المعالم الحضارية والثقافية للأمة الجزائرية' ومنها تغيير أسماء الأماكن واستبدالها بأسمائه كما استبدل اللغة العربية بلغته الفرنسية، والهدف من هذا هو محو ذاكرة الأمة الجزائرية.

وهذه الظاهرة ما زالت موجودة رغم محاربتها منذ الاستقلال' ومن واجبنا اليوم الاستمرار في اجتثاثها من جذورها بكل ما اوتينا من قوة وتخليص الأجيال منها' لأنها داء مثل السرطان ينخر الأمة كما سنبين من خلال هذه المداخلة المتواضعة.



تقع بلدية صبرة في أقصى الغرب الجزائري على امتداد الطريق الوطني الرابط بين مدينة تلمسان شرقا ومدينة مغنية غربا. وتحدها شرقا بلدية بني مستار وغربا بلدية بوحلو وجنوبا تيرني وشمالا بلدية أولاد ارياح وحمام بوغرارة. تبلغ مساحتها 16000هكتارا منها 12800 هكتارا صالحة للزراعة.

-التضاريس منطقة صبرة منطقة سهلية في معظمها تقع شمال سلسلة جبال الأطلس التلي الفاصلة بينها وبين بلدية تيرني لهذا تعتبر صبرة منطقة زراعية بالدرجة الأولى. إذ تبلغ مساحة الأراضي الزراعية حوالي 12800هآ يقع معظمها في الناحية الشمالية (في قرية الشريعة وقرية تيلفت). أما الجبال فتقع جنوبا وأهمها بويغزل وقريعن ...حيث تبلغ ا لمساحة الجبلية والغابية حوالي 2000هآ.

واستناد إلى إحصائيات سنة 1997 يبلغ عدد سكان بلدية صبرة 24336 نسمة بنضوون تحت 4060 أسرة. عدد الذكور 12059. وعدد الإناث 12277 يمثل نسبة 78%.

تتوزع نشاطا تهم بين الزراعة وخدمات اقتصادية وتجارية وإدارية واجتماعية ومهن حرة هذا من حيث الموقع الجغرافي والسكان. كما انها تعد من قلاع الثورة النبي قهرت الاستعمار.

أما من حيث الجانب الإداري فتعتبر صبرة بلدية عريقة وقديمة إذ نصبت كبلدية في عهد الاستعمار وذلك منذ سنة 1897 حيث ألحقت إداريا ببلدية سبدو المختلطة إلى غاية1905 و في سنة 1906 ألحقت ببلدية الرمشي إلى غاية 1955 وابتداء من سنة 1956 استقلت إداريا.

أما بعد استقلال فقد ألحقت بدائرة تلمسان من سنة 1963 إلى سنة1974 ثم تحولت إلى دائرة مغنية إلى غاية1985 .

وفي إطار التقسيم الإداري لسنة 1986 أصبحت دائرة تضم البلديات التالية صبرة –بوحلو–بني مستار–أولاد رياح وفي سنة 1992 انفصلت عنها كل من بلديتي بني مستار –أولاد رياح يبلغ عدد سكان دائرة صبرة (بوحلو –صبرة) حسب إحصائيات 97 حوالي30.000 نسمة[6].

2– الموقع التاريخي:

تحتوي بلدية صبرة على عدة اسماء لاماكن تاريخية منها صبرة' سميت هذه المدينة ب (عين صبرة) قديما نسبة إلى المرأة الشريفة الفاضلة الصابرة على حسب الرواية التي تقول: أن الجيش الانكشاري التركي أثناء حقبة حكم الأتراك في الجزائر (1518–1830) اعترض سبيل هذه المرأة محاولا التعدي على شرفها، ولما رفضت أخذوا منها ولدها عنوة مقابل إذعانها واستسلامها وهددوها بقتله، غير أنها أبت على شرفها، فقتلوه أمام عينيها فصبرت واحتملت تلك الفعلة الشنيعة. فسمي ذلك المكان باسم (عين الصابرة) ثم أصبح يسمي (عين صبرة) ثم اختصر (صبرة)[7].

غير أن هذا الاسم (صبرة) لم يذكر أول مرة في الجزائر، فقد ذكر في فلسطين باسم (صبرا) بالألف الممدودة وهي البلدة التي وقعت فيها المجــزرة الصـــهيونية، وليس هناك – فيما اعتقد– دراسة تاريخية تبين العلاقة بين الاسمين .

وهذا الاسم لمدينة (صبرة) هو الاسم المتداول بين سكانها وله شـــهرة عالميـــة يعرف بها.

وتعود أسرة صبرا أو صبرة وهي من الأسر الإسلامية بجذورها التاريخية الى القبائل العربية الأولى التي اسهمت في فتوحات مصر وبلاد الشام، ومن ثم المغــرب العربـــي والأندلس 'وقد انتشرت أسرة صبرا في بيروت والعديد من المناطق اللبنانية في العصـــور الوسطى، وفي العصر الحديث وصل فرع منها الى سوريا لاسيما اللاذقية وإدلب.

وقد كان العرب قديما يسمون رجالاتهم ب "صبرة" منهم: صبرة ابـــن شـــيحان وصبرة ابن كعب وكانت صبرا وصبرة بالألف والتاء المربوطـــة تعنـــي الرجـــل الشديد الصبر كما تعني حارس البلد والمعسكر.

ويشير العالم الشريف الإدريسي في رحلته المشهورة بأن مدينة قيروان في المغـــرب العربي كانت مدينتين احداهما القيروان والثانية صبرة، وصبرة كانت دار الملك[8]

–اسمها في عهد الاستعمار الفرنسي:

تعد مدينة (صبرة) من أهم الأماكن التي اختارها الاستعمار الفرنســـي لإنشـــاء مدينة بها، وقد أنشاها الاستعمار الفرنسي في عام–1897– بعد أن اغتصـــب هـــذا المكان من العائلات الجزائرية التي كانت تسكنه وهي:

- عائلة دحماني
- عائلة بوريش
- عائلة ابن يعقوب
- عائلة ابن طاهر
- عائلة مهيدي

وهذه العائلات لها صلة القرابة في الرحم[9]

وقد غير الاستعمار الفرنسي اسم المكان (صبرة) إلى اســـم أخـــر لطمـــس معـــالم الأماكن الحضارية والتاريخية في الجزائر الذي كان يريد آن تصبح جزءا من فرنســـا، وأطلق عليها اسم هنري دو تورين henri de turenne (1611–1675): هـــو مارشـــال

فرنسي قاد الجيش الفرنسي في انتصارات السنين الأخيرة من حرب الثلاثين سنة، انحاز إلى الأمراء في ثورة الفرو ند، ثم عاد وانضم إلى قوات الملك وانتصر على كونده. قاد الجيش في حرب الوراثة 1668 وهولندا 1672 واحتل الألزاس 1675 وقتل بعد انتصاره في السنة نفسها. كان بروتستنتيا واعتنق الكثلكة على يد بوسوية من كبار رجال الحرب في فرنسا. عرف بالشجاعة والنزاهة والاستقامة(10).

كما يقول عنه النص الاصلي باللغة الفرنسية

Henri de Turenne (1611 - 1675)

«Tu trembles, carcasse ? Tu tremblerais bien davantage si tu savais où je te mènerai tout à l'heure.»

Cette formule pleine de panache est attribuée à Henri de la Tour d'Auvergne, vicomte de Turenne, l'un des plus grands chefs de guerre qu'ait eu la France. Sa bravoure, son aptitude au commandement et son sens de la stratégie lui valurent de recevoir en 1643, à 32 ans, la dignité de Maréchal de France puis en 1660, celle, très rare, de maréchal général.

Il est tué d'un boulet de canon lors d'un nouvel engagement à Sasbach (ou Salzbach) le 27 juillet 1675. Le comte Montecuccoli, qui commande les troupes autrichiennes, se serait alors écrié: *«Il est mort aujourd'hui un homme qui faisait honneur à l'homme!»*(11).

وهو من قادة الحرب في فرنسا اشتهر بشجاعته وبسالته في الحروب

وهناك عبارة تقول: "لما تراه ترتعش كالذبيحة"، وهذه الصيغة تعبر عن المهارة المنسوبة إليه (Henri de la Tour d'Auvergne, vicomte de Turenne)، وقد توفي في الحرب اثر طلقة مدفع عام 27 جويلية –1675– والذي قال عنه قائد القوات النمساوية حين هتف: "توفي الرجل الذي يستحق التكريم والذي لا يستحقه رجل بعده ". كما يقول النص الأصلي السابق.

وإذا ما قارنا بين هذين الاسمين اسم المرأة الجزائرية التي تسمى عين (صبرة) واسم القائد الفرنسي (تورين)نجد هناك تقاربا دلاليا ومعنويا. هو إنهما بطلان' فالمرأة اكتسبت بطولتها من الحادثة التي وقعت لها وصبرت عليها' وهي قتل ابنها ولم ترض أن يدنس شرفها. وقليلات هن اللائي يصبرن على هذا الابتلاء. أما

البطل الفرنسي (تورين) فهو يعد من الإبطال البارزين في العالم' وقـد خلـد كـل منهما اسمه في التاريخ' فهما بطلان عالميان' وفـي اعتقـادي أن اختيـار الاسـم الفرنسي لمدينة (صبرة) وتسميتها باسم القائد الفرنسي العالمي دليل علـى مكانتهـا التاريخية والحضارية وشهرتها العالمية.

وقد لعبت مدينة صبرة دورا بطوليا في حرب التحرير وذلك لكثرة أبطالهـا لمحاربـة الاستعمار ووعرة تضاريسها وقد استطاعت أن تصمد في وجه الاستعمار حتى الاستقلال.

وهناك أماكن كثيرة في نواحي صبرة منها

قرية توريرين (touririne)

1- موقعها الجغرافي: تقع شرق مدينة صبرة بحوالي 7 كلم وبهـا دار بلديـة ملحقة لبلدية صبرة وهي ارض فلاحية اشتهرت بأشجار الزيتون نسبة إليها.

2- الموقع التاريخي: سميت القرية في عهـد الاسـتعمار باسـم (touririnne) وانشأ بها مدرسة سميت ب (مدرسة توريرين)، نسبة إلى معمرفرنسي.

وقد حشد الناس فيها في حرب التحرير قصد عزل الثورة والقضاء عليها.

أما بعد الاستقلال سميت بـــ (قرية وادي الزيتون) نسبة إلى أشجار الزيتون

والوادي الذي يمر بجانبها.

-قرية-torro-:

1-الموقع الجغرافي: تقع قرية –torro gouph– شمال مدينـة صـبرة تبعـد بحوالي 10 كلم 'و قد غير الاستعمار اسمها باسم المزارع الفرنسي(torro gouph) 'و هو مزارع كبير قد استولى على كثير مـن الأراضـي الزراعيـة للفلاحـين الجزائريين' واشتراها بثمن بخس، وقد تقدر مزرعته ب حوالي 4000 هكتار فأقـام فيها مزرعة سميت باسمه.

وقد كانت تسمي قديما قبل الاستعمار الفرنسي ب (تيلفت) نسبة الـى وادٍ كـان يسمى واد تيلفت لكثرة الخضر والفواكه' وهي في اعتقادي كلمة مركبة من (تيـل) وهي السهل و(لفت) حبة اللفت.

وإذا قارنا بين الاسمين (torro) و(تيلفت) فهناك تقارب دلالي ومعنـوي وكـل منهما يعبر عن الزراعة.

-قرية بوحلو:

1-**الموقع الجغرافي:** تقع بلدية بوحلو غرب دائرة صبرة تبعد عنها ب حوالي 7 كلم تشتهر بالفواكه كالتفاح والخوخ والفراولة.

2-**الموقع التارخي:** كانت تسمى هذه المدينة بـ (تمكسالت) وهو اسم قديم في اعتقادي هو اسم أمازيغي، لأن جل الأسماء التي تبدأ بالتاء وتنتهي بالتاء هي أسماء أمازيغية ' مثل تملاحت تمازيغت وتيسمسيلت. وتقبالت وغيرها، وأما في عهد الاستعمار الفرنسي قد غير هذا الاسم باسم أخر وهو (بوحلوف) وهي كلمة تطلق على شجرة البلوط التي تعد طعما للخنازير و(بوحلوف) كلمة شعبية مرادفة (للخنزير)، ثم حذفت (الفاء) فأصبحت (بوحلو)' أما بعد الاستقلال فقد سماها الجزائريون بـ (بوحلو) أي حافظوا على اسمها، والاسم المتداول اليوم بين سكانها هو (بوحلو).

-قرية برباطة barbata:

تقع هذه القرية غرب بلدية صبرة تبعد عنها حوالي 2 كلم أنشأها الاستعمار الفرنسي إبان حرب التحرير وسماها barbata وأصل هذه الاسم. يعود john barbata وهو أمريكي الأصل وموسيقار ولد في مدينة pssaic سنة 1945 وقد اتخذها الاستعمار الفرنسي محتشدا لجمع الناس قصد عزل الثورة والقضاء عليها. وكانت تسمى عند أهلها أثناء الاستعمار (poste sinigal) نسبة إلى المعسكر الفرنسي الذي كان بها وكان أكثر جنوده من السينغال المجبرين على التجنيد في جيش الاستعمار الفرنسي.

وبعد الاستقلال سماها الجزائريون قرية (محمد بن حليلم) اسم مجاهد في حرب التحرير.

إن الاسم المتداول اليوم بين الناس هو الاسم الفرنسي وهو (barbata)، فالقرية تعرف بهذا الاسم. وذلك لخفة النطق.

وخلاصة القول أن علم أسماء الأماكن أو طوبونيم علم قديم عرفه الإنسان واعتمد عليه في تأصيل انتمائه الحضاري والثقافي.

كما نلاحظ أن أسماء أعلام الأماكن لها علاقة وطيدة بأسماء أعلام الإنسان، إذ المكان يسمى غالبا باسم الإنسان وذلك نتيجة لربط حدث تاريخي وقع لذلك الإنسان في ذلك المكان، على نحو ما رأينا في هذه المداخلة في تسمية مدينة (صبرة) في حادثة المرأة. كما استنتج ان هناك علاقة دلالية الاسم العربي صبرة كعب الذي

كانت تسمي به العرب ' والذي يعني الرجل الشديد الصبر 'والمراة العين الصـــابرة التي اتصفت بالصبر الشديد على قتل ابنها امام عينيها'

أما السر الذي لم اكتشفه هو لماذا سميت مدينة (صبرة) في عهد الاستعمار باسم المارشال هنري دي تورين، وهو قائد عالمي مشهور وقد استنتجت احتمالات منها:

-إستراتيجية المكان للحرب ضد الجزائر

-إرضاء سكان المكان لاكتساب شهرة عالمية

ويبقى السؤال مطروحا حول هذا السر في تسمية مدينة (صبرة) بالمارشال الفرنسي.

واخيرا ارجو ان اكون قد أسهمت ولو بقليل في هذا الملتقى الهادف الذي يعالج قضية مصيرية تتعلق بالأمة الجزائرية.

المراجع

---

(1) الأحزاب الآية 13

(2) ينظر القرطبي الجامع لأحكام القران –دار أحياء التراث العربي–بيروت. لبنان–147/14، 148 وموقع يثرب الالكتروني.

(3) ينظر دار المعارف الإسلامية الطبعة الألمانية 183/3.

(4)الأعراف 85.

(5) ينظر القرطبي الجامع لأحاكم القرآن 247/7.

(6) ينظر موقع (صبرة) الالكتروني.

(7) ينظر موقع (صبرة) الالكتروني.

(8) الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق 1 /284

(9) عقد توثيق المحافظة العقارية (وهران) 1897

(10) المنجهد في اللغة والإعلام– دار المشرق– بيروت ص182
موقع(turenne) الالكتروني

(11) موقع(turenne) الالكتروني

مساهمة الشعر الشعبي الجزائري في حفظ المخزون الأنوماستكي الطوبونيمي في مجتمع المعرفة، والمحافظة على الهوية.

د. أحمد بن الصغير- م. ب. في ع.ل. وح.ب الأغواط.

د. بوداود بومدين - جامعة غرداية.

ملخص الدراسة:

لا يزال الشعر الشعبي الجزائري منذ عهود المخزون الأسخى والأوفر لحفظ الكثير من معالم التسميات وتوظيفها في تشكيل ملامح الهوية الوطنية وبيان تقاسيمها الخفية، فقد حفظت النصوص الشعرية الشعبية لنا كما غير يسير مما يعبر عن الانتماء، ويسهم في حفظ اللحمة الاجتماعية، والرابطة الوطنية لأبناء الشعب الواحد.

وإذا كانت الدلالة في السابق تحمل رمزية الانتماء والارتباط بالأرض، وتدل على مرجعية معينة واتجاه ظاهر بما يشهد بمدى العمق الحضاري والعراقة الأصيلة فإنها اليوم تسهم بشكل كبير في التموقع والتميز على مختلف الأصعدة بما يحفظ للأمة تميزها وحفظ كيانها في عالم يتسارعه التغير.

من هنا يتجلى الإشكال المعرفي المفاهيمي التالي: كيف يسهم الشعر الشعبي في اثراء وحفظ المخزون الأنوماستيكي والطوبونيمي للمجتمع الجزائري في ظل الانفتاح الإعلامي الكبير على عوالم المعرفة، وما بعد الحداثة؟

وتوصلت الدراسة إلى: ضرورة العناية بجمع وتدوين المخزون الكبير من الشعر الشعبي المرتبط بأسماء الأعلام والأماكن الجزائرية ولا سيما الممجد للشخصيات الوطنية والمخلد لأسمائها وملاحمها بما يحفظها للناشئة.

ضرورة تشجيع البحث العلمي في انشاء وتطوير قاعدة بيانات تجمع القصائد التي تذكر أسماء الأعلام الوطنية والأماكن الجزائرية الأصيلة وتشجيع الابتكار الفني في استغلالها وتداولها من طرف الفنانين والاعلاميين باستخدام وسائط التكنولوجيا وآليات التواصل الاجتماعي الحديثة.

الكلمات المفتاحية: الشعر الشعبي الجزائري، الأنوماستيكي، الطوبونيمي، مجتمع المعرفة، الهوية الوطنية.

مقدمة:

تتخذ الأسماء في الجزائر أشكالاً عديدة ومتنوعة للغاية، وهو ما يمثل غنى المجال الأنوماستيكي الطوبونيمي بها. ويبين البحث في هذا المجال أن مجموعات أسماء الإنسان والمواقع الجغرافية وأصولها تشمل تشكيلات من جميع آفاق البحر الأبيض المتوسط وأفريقيا وآفاق أخرى، ويبدو أن مخزوناتها غنية للغاية. وقد تم تسليط الضوء على بعض أسماء الأماكن وتم توضيحها، في حين أن البعض الآخر لا يزال غير واضح لمعناها. تظهر أسماء طوبونيمية جزائرية اليوم كأداة للذاكرة الجماعية وهوية مرجعية وتوجيه الرمز ومعنى حقيقي أو خيالي

فقد شهدت الجزائر مرور العديد من الشعوب من أصول مختلفة من الحضارات القديمة، بلغاتها وتقاليدها. وهي تقع بالفعل على طريق الغزوات والهجرات البشرية، وشهدت مهناً متعاقبة طويلة الأمد تميز كل من بصماتها، المشهد الجغرافي من خلال تسمية الأماكن والأماكن في شكلها المألوف. هذه التسمية هي نتيجة لعوامل متعددة، قديمة أو حديثة، لأنها تمثل الانعكاس الحي لبنية جغرافية أو تاريخية أو لغوية أو إثنوغرافية.

إن البحث في الهوية الجزائرية ، والحاجة إلى عدم نسيان التاريخ، والعودة إلى المصادر الثقافية الإقليمية هي مواضيع كانت تظهر حيوية في مجال البحث لعقود عديدة، خاصة في سبعينيات القرن الماضي بعد إنهاء الاستعمار، وقد ولدت إرادة قوية نحو الهوية الجزائرية ، متحركة بالعودة إلى الجذور، هذه الظاهرة تأخذ بعدًا خاصّا، حيث تميز مختلف مناطق البلاد عن بعضها البعض من خلال مراعاة الثراء الثقافي المختلفة ألوانه في مجالات عدة كالموسيقى والرقصات والتقاليد الأخرى، ولكن أيضا من خلال اللغات وما ينعكس منها على تعدد اللهجات، مبرزا

بذلك مدى التعايش بين عدة لغات، وبالتالي عدة ثقافات، وهنا نجد أنفسنا أيضا أمام عدة مستويات من اللغات: لغة رسمية، ولغات إقليمية، وأخرى أجنبية.

هذا الجانب اللغوي ينقل أيضًا أسماء الأماكن التي تكون لغويتها هي أساسها، وهي موضوع بحثنا الذي سيشير بلا شك إلى تأثيرات الطبقات الحضارية المتعاقبة على البلاد جراء التراكم الزمني التاريخي وإسهامات المجموعات بثقافاتها المختلفة، بالرغم من أن المحور الأساسي للبحث يقوم على تأثير عنصر معين دون سواه في المجال "الأنوماستيكي الطبونيمي"، ألا وهو الشعر الشعبي.

يعتبر الشعر الشعبي الجزائري مخزون ذاكرة الأمة الجماعية، ولسان حالها في الأزمنة السابقة، وهو إلى الآن لا يزال يحتل مساحته الثقافية المحترمة، حتى وإن انحسرت رقعة تأثيره، وانتشاره، وقد أسهم الشعر الشعبي الملحون في تشكيل رصيد معتبر من التراث الأدبي والمعرفي، بأشكال وأغراض متعددة، وحمل في خزانه اللغوي الكثير من شواهد التأثير على المستووين "الطبونيمي" و"الأنوماستيكي"، بما يشهد له بقوة التأثير، وحضور المشاركة، وهو اليوم يواجه مزاحمةً أدت -كما ذكرنا- إلى انحسار دوره، وتراجع رقعة انتشاره، وتأثيره، مزاحمةٌ أملتها الحضارة المتسارعة، والعولمة المتنامية، والتي أدت بوسائل التعبير التقليدية كالشعر والأدب إلى التراجع، وأصبحت تطالبها بالتكيف والمرونة للتأقلم مع متطلبات العصر، ومستجدات الزمان، ومسايرة المتطلبات الحداثية.

إننا أمام هذا كله نجد أنفسنا في مواجهة سؤال معرفي جوهري ملح لهذه الورقة البحثية، مفاده:

كيف ساهم، وكيف أسهم الشعر الشعبي الجزائري في إثراء وحفظ المخزون "الأنوماستيكي" و"الطوبونيمي" لمجتمعنا، والحفاظ على هويته، في ظل الانفتاح الإعلامي الكبير على عوالم المعرفة، وما بعد الحداثة؟

للإجابة على هذا السؤال لابد أن نستعرض جانبا من تاريخ الشعر الشعبي الجزائري، وتعريفه، وأهم مواضيعه، وأغراضه وأشكاله، وبالطبع فلن يكون هذا موضوع بحثنا، فهو لا يعدو أن يكون ممهدا للإجابة عن السؤال الذي أشكلناه.

الشعر الشعبي الجزائري، الماضي والحاضر:

لا يمكننا أن ننكر أن الشعر الشعبي الجزائري الملحون المتوارث بلغته العربية الدارجة هو امتداد طبيعي للشعر العربي الفصيح وأعاريضه، وهو لا يكاد يختلف عن الشعر الفصيح إلا في بعض الموازين، أو بعض مظاهر اللغة التي تحورت من الفصيح إلى الدارج، ولو أردنا أن نلخص التطور "الكرونولوجي" لهذا الفن، لقلنا أن الملحون إنما وجد بوجود اللحن الذي هو كما قال ابن منظور: (الخروج عن الاعراب، ومخالفة وجه الصواب..)[1]، لأنه بانتشار الإسلام في مختلف البقاع، ومخالطة العرب للأعاجم، فسد اللسان الفصيح، وطرأت عليه المتغيرات، وانحسرت رقعة اللغة العربية الفصيحة، وأصبحت لغة الخاصة، ومنطق أهل الدواوين، بينما فشا اللحن في العامة، فأوجدوا لمنطقهم الدارج ما يتناسب معه من الأعاريض التي غيرت من موازين الشعر، فوجد الشعر الملحون بمختلف أشكاله في الشرق والغرب.

وفي الجزائر –التي هي جزء من بلاد المغرب– كانت نشأة الملحون وفق هذه الظروف، والمتغيرات، وهذا وفق الرؤية الخلدونية، التي تقر بأن ملكة الشعر وسليقته لا تختص بلسان، وأنها قد تتغير بتغير النطق والتفكير، وأنها ملكة إنسانية صرفة، لا يستطيع أي كان أن يحتكرها لنفسه من دون الآخرين، رادا بذلك على من ينسب الشعر لفصاحة العرب دون سواهم، ويرى ابن خلدون في المقدمة ذلك، ويوضحه بقوله (إعلم أن الشعر لا يختص باللسان العربي فقط، بل هو موجود في كل لغة سواء كانت عربية أو عجمية...)[2] ، ثم يقول مستطردا يشرح وجهة نظره: (ثم لما كان الشعر موجودا بالطبع في أهل كل لسان، ولأن الموازين موجودة في طباع البشر ، فلم يهجر الشعر بفقدان لغة واحدة و هي لغة مضر... فأما العرب أهل هذا الجيل المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر، فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الأعاريض... و يأتون منه بالمطولات مشتملة على مذاهب الشعر، و أغراضه من النسيب و المدح و الرثاء و الهجاء...)[3].

ويرى "ابن خلدون"، وكثير ممن سار على رأيه أن للشعر الملحون في بلاد المغرب رافدان أساسيان بهما كان التأثر، وعليهما سار النظم، هذان الرافدان هما: (الرافد البدوي=الهلالي/ والرافد الحضري=الأندلسي)[4]، وإن كنا لا ننكر أن هناك مجالات أخرى للتأثر على عدة مستويات في الموازين، وحتى في اللغة، والمعاني،

المستمدة من الثقافة المازيغية، ومن الثقافة الأورباوية، ومن الزنجية الإفريقية، ومن مختلف طبقات التاريخ المتعاقبة بحضاراتها على البلد.

وإذا كان "ابن خلدون" يرى أن شعر البدو في زمانه يعد امتدادا لأشعار عرب الجاهلية، ويورد نماذج منه للتعليل لذلك فإنه يتكلم أيضا عن الرافد الثاني الذي ذكرناه، ويرى أن شعر الحضر يعد امتدادا للموشح الأندلسي الذي خرج عن مألوف الوزن، مما مهد للخروج عن اللغة أيضا، وأوجد ما يعرف أدبيا بالزجل، الذي يعد العباءة الحقيقية التي خرج منها ملحوننا الحضري الحاضر، يقول "ابن خلدون" في مقدمته عن تطور شعر أهل الحضر: (استحدث أهل الأمصار بالمغرب فنا آخر من الشعر في أعاريض مزدوجة كالموشح، نظموا فيه بلغتهم الحضرية، أيضا و سموه عروض البلد....)[5]، ولن نذهب بعيدا حتى لا نغرق في التأصيل لهذا النوع من الشعر، فهو مجال أوسع من أن نناقشه هنا، لكننا سنسرد جملة من التأثيرات والعوامل التي أوجدت الشعر الشعبي الملحون، وساعدت على انتشاره وتقبله، وهي كما نراها كالآتي:

أ- استغناء المجتمعات العربية عن اللسان العربي الفصيح، واستبداله باللسان العامّي الملحون، خاصّة في مجال الحوار، والتعامل اليومي، واكتساء اللسان العامي لسائر الفنون، والأجناس الأدبية (النثر، الشعر، القصة، الحكمة، اللغز، المثل...).

ب – انحسار إدراك قواعد اللغة العربيّة الفصحى عند طبقة معينة من الخاصة كالكتاب، والشعراء، وعلماء الدّين، ممن لهم اضطلاع بكنه اللغة ومغاورها، واعتناء بقلائدها، وفرائدها، ما جعلها تغادر الرتبة الشمولية العامة، إلى الرتبة الجزئية الرسمية.

ج – تحول دور الشّعر العربي الفصيح من تصوير الوقائع وتسجيلها، وبيان حال المجتمع، إلى أراجيز علمية تعليمية جافة، خالية من الأساليب، والفنون، والرونقات الشعرية المعهودة؛

د- ظهور حركة تجديدية أدبية في الأندلس بظهور فن الموشحات والأزجال، مما فتح مجالاً للتصرف في أشكال الأبحر، والوحدات والأوزان، وأثر ذلك على أدب المغرب العربي بشكل مباشر؛

هــ- أثر الأدب الهلالي خاصة الشعر على البدو الرحل، وانبهار الناس به لما كان يحمله من البطولات والأمجاد، ويصور لحياة الأنفة والعز والإباء، وحمله للقيم التي كان الأشراف ينشدوها؛

و- سهولة فهم الملحون عند العوَام، واستساغة حفظه، ونظمه عنــد بعضـــهم، كونه محـــــاكاً بلغة التّخاطب×

ز- تبنّى الطّرق الصُّوفية للشّعر الملحون، و العكس صحيح لهذا النّـــوع مـــن الشّعر الذي أصبحت المواجد الصّوفية أهمُّ أغراضه، مما أدّى إلى ظهور مجموعةٍ كبيرةٍ من شعراء الصوفيّة[6]، ساعدت على نشر الشّعر الملحون بين أتباع الطـــرق ومريديها، وذلك بظهور ثنائية: (الشاعر = الولي الصالح) التي سادت في المغرب العربي مدةً طويلةً، إذ كان لهؤلاء الشّـــعراء مـــن مُـــدّاح النبـــي ﷺ وأوليـــاء الله الصالحين، كرامات كثيرة، و مواقف شهيرة، ساعدت على اعتقـــاد البركـــة فـــي كلامهم باعتبار بعضه من الفتوحات الغيبيّة، والمنح الإلهية، ما زاد القابليـــة فـــي حفظه، وتدوينه، وروايته وانتشاره بين أفراد المجتمع؛

ح- كان الشاعر الشعبيٌّ لسان حال قبيلته، أو مدينته، أو وطنه، أو نزعتـــه، يـــدافع عنها بلسانه، مما ساعد على تقوية العصبية التي تساعد على تلقي شعره، وتقبّله؛

ط- إقامة المنافسات والمجامع الأدبيـــة الشـــعرية، كمجمـــع الشـــيخ "بوديســـة المختاري"[7]، ومجمع الشيخ "بن دحلاب"[8]، ومجمع "مازونة" بالغرب الجزائـــري، وساباط "سيدي خالد بن سنان" بالزيبان، حيث يلتقي الشعراء من المناطق المختلفـــة للإنشاد، وللتباري، والتنافس بالأشعار والقصائد؛

ي - الدّورِ الذي لعبته شخصية المدّاح في نشر الشّعر الملحون، والتـــي تَمَثَّـــلَ صاحبها عادةً، إمّا في عالمٍ صوفي زاهدٍ، يجتمع حوله المريدُون والأتباع للاستماع إلى أشعاره ومواعظه..، أو مغنّ مطرب، يعقد المجالس في الأسواق، والسّـــاحات وأثناء المناسبات والأفراح، فيروّحُ عن الناس بشخصيته المرحـــة، ويســـمعهم مـــا يستهويهم ويستقطبهم للالتفاف حوله وحضور حلقاته؛

ي - حملُ الشعر الملحون لقضايا الشّعب، وذلك بالتعبير عن آلامـــه وآمالـــه، كونَهُ في عصرنا الحديث لسان حال المقاومات، والثورات التي خاضـــها الشـــعب

لتحرير أرضه وتطهيرها من دنس الاحتلال، إضافة إلى أن الشعر الملحون قد أدى نفس الدّور الذي كان من الواجب أن يؤدّيه الشعر الفصيح لو كان حاضرًا.

لقد لعب الشعر الشعبي دورا مهما في الكثير من مراحل الكفاح الوطني، وأصل للكثير من التسميات فسماها بأسمائها مجابها بذلك الاحتلال الفرنسي، يرد هجماته الثقافية، ويجابه حربه النفسية بكل قوة، وإذا كنا سنستعرض جانبا من الحقول الدلالية "الطبونيمية" و"الأونوماستيكية"، فإننا من خلال وظائف هذه الدلالات نستطيع أن نكتشف ونتلمس مواطن هذا الجهاد الكبير، والدور الخطير الذي لعبه الشاعر الشعبي مدافعا عن هويته وانتمائه، واستماتته في الدفاع عنها، وحمايتها من الانسلاخ والذوبان في الثقافات الغازية.

ونحن قد استعرضنا في هذا المختصر جانبا من ماضي الشعر الشعبي وأسباب وجوده وانتشاره وقبوله، نتساءل معا عن المكانة التي لا يزال هذا النوع من الشعر يحتفظ بها، في زمن تتسارع فيه حركة التطور بشكل مرعب، ويمكن أن نرصد حضور الشعر الشعبي من خلال العديد من المشاهد الثقافية الراهنة نلخصها فيما يلي:

أ)الحضور الكبير للشعر الشعبي في الأوساط الاجتماعية البسيطة، ومرافقته لآلام الشعب وآماله، باعتباره لسان الحال لكل من تخونه تقنيات الخطابة الفصيحة؛

ب) تفاعل المجتمع مع النصوص الشعبية نظما وحفظا وسماعا، واستشهادا؛

ت) حضور الشعر الشعبي على مواقع التواصل الاجتماعي، وشبكة الانترنت العالمية؛

ث) حضور الملحون في الإعلام بكل أنواعه، وتحقيقه لأعلى نسب الإقبال والتلقي؛

ج) الكم الهائل للرسائل والأطروحات الجامعية حول الشعر الشعبي وأعلامه، وتزايد عدد الدواوين المطبوعة في هذا النوع من الشعر؛

يجرنا الحديث إلى موضوعنا الذي نحن بصدد الكشف عنه فيما يتعلق بالعلاقة بين الملحون وأشكال المسميات فيه، وهنا لن نبحث بالتأكيد في التأصيل للمصطلحات، لأن في ملتقانا هذا هناك الكثير ممن كفانا ذلك عبر محاوره المختلفة، ولكن لا بأس أن ننظر في أشكال المسميات "الأنومستيكية" و"الطبونيمية" في الجزائر، ونمثل لبعضها من الشعر الشعبي الجزائري.

أشكال المسميات الأنوميستيكية والطوبونيمية في الجزائر:

يرى الأستاذ "عمر دهينة" أنه (في الجزائر، يمكن أن تتخذ التسميات العديد من الأشكال المتنوعة، فقد تشمل مجموعات أسماء المواقع الجغرافية، وأصولها، جميع التشكيلات من جميع آفاق البحر الأبيض المتوسط وأفريقيا وآفاق أخرى، ويبدو أن مخزونها ذو ثروة عظيمة، وإذا كان قد تم تسليط الضوء على بعض الأسماء الجغرافية وتوضيحها، فقد ظل البعض الآخر غامضاً، فيما يتعلق بأصلها، ومعناها، والتي احتفظنا من بينها في المقام الأول بالفئات التالية:

1. يبدو أن بعض أسماء الأماكن هي أسماء الأشخاص (الأنثروبونيات) التي يمكن تطبيقها على مختلف العمليات: لإضافة لاحقة إلى هذا الاسم أو اللقب أو مجرد شكل من أشكال (القيمة الطبوغرافية) لتعيين مكان مّا ، ولقد تمكنا من تحديد وإعطاء أمثلة عن أسماء الأماكن التالية: "جبل مولاي عبد القادر" و"جبل لالا ستي"، ووادي "سيدي الناصر" ، قد تكشف هذه القراءة العلاقة بين شخص ما مع مساحته، أو فضائه الذي يشغله، إن أغلب أسماء الأماكن الجغرافية في مناطق عديدة من الجزائر ذات طبيعة تكريمية، أو تذكارية، تم القيام بها لتكريم شخص سياسي، أو ديني، أو علمي، أو تاريخي، له مكانته في المجتمع ، وكان تأثيره ملحوظًا على المستوى الوطني، أو الدولي في نطاق معين.

2. فيما يتعلق بالدين والثقافة الشعبية، توجد أسماء دينية أو روحية في جميع الأماكن، وفي جميع الأزمنة، ولعل الظاهرة الأبرز والأكثر تكرارا في الجزائر هي ظاهرة الأضرحة والقباب، المنتشرة في مختلف أرجاء البلاد، نجد على سبيل المثال: سيدي امحمد، سيدي قاده، عين سيدي علي، سيدي الهواري، سيدي أو مولاي عبد القادر، سيدي بومدين، القبة، الحويطة، لمقام، لمزار، لمرابطة... اسم المكان هو موضوع للثقافة في كثير من النواحي، فإنه نادرا ما يكون تافها، أو ساذجا، فهو يحمل دائما رسالة ذات طبيعة واقعية أو رمزية.

3. تتضمن التسميات أيضا أسماء الحيوانات، من الأنواع الحيوانية التي أصبح بعضها منقرضا، ولم يعد لها وجود على الأقل في الجهة التي سميت بها، ومن بين هذه الأسماء: "كاف النسور" و"قارة الحمام" و"عين السبع" و"منبع الغزلان" و"صور الغوزلان" و"عين الحجل" و"حسيان الذيب" و"رحبت الجمال"، "وادي السبوعة". يمكن تفسير هذه التسمية من ناحية، من خلال حقيقة أن هذا الحيوان، أو هذا

الطائر، كان فعلا يحتل مكاناً مهمًا في الحياة البرية لتلك المنطقة، أو أنه كان في خيال الإنسان من ناحية أخرى، لأن المكان أو المساحة التي يطلق عليها اسم الحيوان أو الطائر هي تلك التي كان يتردد عليها، مما حرض الإنسان المبتكر للتسمية على الإشارة إليها لتسمية بيئته أو مساحته.

4. في حالات عديدة، يرتبط المعرّف بالجانب القبلي، فكثير من التسميات لها علاقة مباشرة باستقرار قبيلة معينة في موطن معين، فتصبح التجمعات السكنية تستخرج عقودها مباشرة من التسمية التي تثبت حق الملكية أو الأقدمية بشكل ظاهر، ومن أمثلة ذلك:

بويرة الأحداب= تجعل من منطقة "البويرة" ملكا لقبيلة الأحداب، وتميزها عن "البويرة" الأخرى.. وهكذا يمكننا أن نتصور أهمية ومعيار احتلال الفضاء من قبل قبيلة أو كونفدرالية على شكل ملكية، أو بالأحرى وجود، واستقرار، ومدى مكانة ذلك في حياة الناس في المغرب العربي بشكل عام، والجزائر على وجه الخصوص.

يقول "محمد بوخبزة": (هذه الفرق التي كانت تسيطر على الفضاء، يمكن أن تكون إما أجزاء من القبائل، أو القبائل بأكملها أو اتحادات القبائل التي تغطي أجزاء كبيرة جدًا من الإقليم، على سبيل المثال أولاد سيدي الشيخ في الغرب، لاحرار في الوسط، و لحراكتة في الشرق، والأرباع في الجنوب)، يمكننا العثور على أمثلة أخرى على المستوى المحلي لإعطاء فكرة عن التحكم في المساحة المحدودة والمشار إليها باسم من خلال اسم القبيلة أو الجزء القبلي، أو حتى باسم عائلة كبيرة.

5. غالباً ما شجعت خصوبة الأرض على تثبيط وتثبيت الإنسان في مكان معين، وكانت هذه الخصوبة مرتبطة دائماً بلون محدد يدل على درجة كفاءتها، ونتيجة لذلك لم يتردد الإنسان الجزائري في تسمية أراضيه وفقاً لجودة ترابها، نجد على سبيل المثال، لبلاد لحمرا، لبلاد الكحلا، لبلاد البيضا، العرق الخالي، أو ببساطة استخدام الألوان لتسمية أماكن أخرى مثل "عين البيضا" و"عين الخضرا" و"الكاف لحمر" و"الجبل لخضر"... تتشكل هذه الأسماء أساسًا من خلال الربط مع الفئة المكانية (الجبل، النهر، المصدر...) اللون الذي يميزه، وقد تعدت الألوان ذلك إلى الخيم التي اصبحت ترمز للقبائل والأحلاف كـ"البيت الحمراء" لأولاد نايل أو "البيت لكحلا" لحلف قبائل الأرباع.

6. أسماء النباتات، وخاصة الأشجار، شائعة بشكل عام فـــي أســـماء المواقـــع الجغرافية، وقد سمى الإنسان مكانه، وبيئته بأسماء النباتات والأشجار هذه الأسماء التي تؤهل المكان ليسمى بها، والحق أن استخدام أسماء النباتات، في تسمية المواقع الجغرافية يكون في الغالب بمبادرة من الفلاحين، والرعاة، وغيرهم ممن هم علـــى اتصال مباشر مع الطبيعة؛ ويتم التحكم بها عن طريق المراقبة، والملاحظة، مـــن خلال وفرة أو غلبة هذا النبات أو ذاك الذي حدد الاسم المعني في هذا المكـــان، أو هو شجرة معزولة في المنظر الطبيعي، مثل شجرة الخروب ، التي تجذب الانتباه، و من أمثلة ذلك نجد"عين الدفلى" "واد الرتم"، "جنان الزيتون" ، حي الصنوبر، حي التفاح ، غابة البلوط، "جبل العرعار"، "وادي الرمان"، "بير توتة"، وتتنوع الأســـماء المستعارة من النباتات المزروعة، والنابتة على حد سواء.

7. في الجزائر، هناك أسماء أقل شهرة من الأسماء الســـابقة، نظـــراً لعـــددها المحدود أو تكراره في الفضاء، مثل استخدام الأسماء المعدنية: عين الذهب، عـــين الحديد ، عين الحجر ، شعاب الرصاص؛ منبع الكبريت، أو التسمية بأســـماء أيـــام الأسبوع: عين الأربعاء، سوق الأحد، سوق لثنين ، ثنية الحد، باب السبت....)[(9)].

إن هذا الثراء في المسميات يحيلنا وفقا لما تمت إثارته من إشكال جوهري فـــي أول هذه الورقة إلى الوقوف على بعض النماذج وبيان إسهام الشعر الشـــعبي فـــي حفظ الهوية الوطنية.

المخزون التراثي للأسماء "الأنوماستيكية" و"الطوبونيمية" من خـــلال الشـــعر الشعبي الجزائري وإسهامه في حفظ الهوية الوطنية:

إن الإحاطة بالمخزون التراثي للأسماء "الأنوماستيكية" و"الطوبونيمية" في الشعر الشعبي الجزائري أمر يكاد يكون تحقيقه مستحيلا، لكنه ليس من الصعب التمثيـــل لبعض مشاهد الحفاظ على الهوية والانتماء لكثرة أمثلة ذلك في دواوين ومجـــاميع الملحون، وحتى نتمكن من الاستفادة من هذه الأمثلة فسوف نوردها بسيطة ونحاول أن نأخذ منها الشواهد بشكل مباشر، وسنجعل لكل مثال عنوانه الذي يتناسب معـــه، ذلك أن التسميات في الملحون ليست اعتباطية أو عفوية بقدر ما يحـــددها مســـتوى الناظم وتوجهه الفكري، والعقدي، حتى كانت هذه المسميات بمثابة الدليل المرشـــد لدراسة الكثير من الجوانب الشخصية عند الشعراء الشعبيين:

أ-تسمية المستعمر، ونعته بالأوصاف القبيحة:

وقد سمى الشعراء الشعبيون الاحتلال الفرنسي باسمه، وكنوه بأبشع الألقاب، وأشنع الكنى، فسموا المستعمرين بـ"الكفار" مثل ما نجد في أشعار الشيخ "محمد ولد بلخير" شاعر مقاومة "الشيخ بوعمامة" الذي يقول:

يا حسراه منين كان الشط عبار   مشليه منا ومشليه منهيه
يا حسراه منين سلسلنا الكفار   ماذا من قبطان بعلامو طاويه[10]

أما الشيخ الشاعر سيدي أحمد بن الحرمة اليحياوي القادري الشريف (1835-1924م)، فقد كنى المستعمرين بـ "حزب العار" وقال في قصيدته "غزوة فتح افريقيا":

عدنا خدام نخدموا في حزب   طعنا كفارنا بخلاف عربنا
واحد منا صبايحي واحد سخار   واحد مكتوب عسكري في[11]

أما الشاعر المجاهد "محمد مويزه بوداود" فقد نظم قصيدته أثناء ثورة التحرير، وهو سجين في "سجن سركاجي"، وكانت مسمياته خاضعة لاطلاعه، وثقافته العالية، فالتزم في نصه الذي نورده بتسميات أكثر دقة للمتسعمرين، فقال:

أَيَّ تْسمعْ وَاشْ يخْلُقْ فِي الـدّنْيَا   وَاحْفَظْ عَنّي بَاهْ تحْكِي للأَجْيَالْ
هَذِي فِي التّارِيخْ تَبْقَى مرْوِيَّه   وُذَا الدَّوْلَه يَا نَاسْ مَا فِيهَا عُقَّالْ
اتّفْقُو جملَه رْجَالْ الْحَرْبِيّه   لاَكُوسْ وُمُولِي وُدِيغُولْ
جَابُو طَيَّارَاتْ وُجْنُودْ قْوِيّه   وُكَانشْ آلَه لازْمتْهُمْ للْقِتَالْ
يلْزمْنَا نقْضُو عْلَى هَذَا الفَيّه   وُاللّي رَاهَا غَلطَتْ ذَا الشَّعْب وُ عَالْ
قَالْ لْهُمْ: "لاَكُوس" هَذَا الشّي   اعْطُونِي تَفْوِيضْ نَسْحَقْهُمْ فِي
قَالُو لُو صَحّيْت وُتدّيرْ مْزِيَّه   تَحْتَ امْركْ تَصرِيفْ قُوّتْنَا وُ الْمَالْ
وُمنْ كذْبُو مُحَالْ مَا صَحّتْ حَيّه   وَلّى كَلْب النَّار يَصْفَارْ وُ يَذْبَالْ
قَالْ لْهُمْ بِينَا الدَّوْلَه الشّرْقِيّه   وُسْبَايبْ خُذْلاَنّنَا هُوَّ جَمَالْ

رَاهْ يْحـــبْ يْرُدْنَـــا لَيْـــه رْعِيّـــه   أَيّـــا دُورُو لَيْـــه نَبْـــدُو بالْقَتَـــالْ
هُومَـــا وُالْحَلِيـــفْ وُالصّـــهْيُونِيَّه   رَجْعُـــو مَقْهُـــورِينْ مَا نَـــالُوشْ
هَا هُـــمْ ضَرْوَكْ يُطَلْبُـــو فِـــي   وُفَسَّدْ رَبّي رَايْهُـــمْ زَادُو تخبَـــالْ
"بِيدُو" دَرْبَى دَوْلْتُـــو فِـــي الْهَاوِيّـــه   وُفِي ذَا الْمَرَّه لاَحْهَا لَوْحَتْ مُكْعَـــالْ
مَا تَتْلاَشْ تْتُـــوضْ تُغْـدَى مُوتِيَّـــه   مْنَ الرّجْلِينْ مْكَسْرَه فَوْقْ الْخَلْخَـــالْ
مرْضتْ مَرْضَ السّلْ وُقْـبَضْ فِـــي   وُبَعْد الضُّعْفْ تْكَاثْرتْ عَنْهَا لاَهْـوَالْ
أَوَّلْ هَزِيمَـــه الْهِنْـــدْ الصّـــينِيّه   وُيَوْم " دْيَانْ بْيَانْ فُـــو" بَاقِي مِثَالْ
تُـــونسْ ثَانِي زَادْت الْحَـــافرْ كَيّـــه   وُمنْهَا صَابْ فْرَانْسَا حَمْقَـــه وُهْبَـــالْ
وُمُـــــرَّاكشْ بالدّمْ حَمْـرَا مطْلِيّـــه   وُفِي سَاحتْهَا مَاتْ كَمْ مـــنْ جنِـرَالْ
وَقْعـــتْ وَادْ الـــزَّمْ أَكْبَـــرْ بلِيّـــه   مَاذَا فِيهَا مَاتْ منْ نسْـوَه وَاطْفَـــالْ
وُحْنَا قَصتّنَا فَايْتَـــه كُـــــلْ قْصِـيّه   وُعْمْر الثَّوْرَه لَيْه سَبْع سْنِينْ كْمَـــالْ
مْـــنَ الْعَاصِـــمَه للصّـــحُورْ الْقِبْلِيّـــه   شَـــعّلْنَاهَا نَـــارْ وَاوْسَـــاعْ الْمَجَـــالْ
الْحَمْد لرَبّي جْيُوشْنَا ضَـــرْكْ قْوِيَّـــه   فِيهَا اسْباعْ الْغِيبْ وُمْعَـــاهُمْ لاَشْـــبَالْ
مْسَـــلَّحْ بسْـــلاَحْ خدْمَـــه عَصْـــرِيَّه   خْمَاسِي "فَانِتْ كَاتْ" مَدْفَعْ بالرَّفَـــالْ
يَا منْ هُــــــو زَعِـيمْ يتَّـــاوُل لَيّـــا   ثَبّتْ رُوحكْ زَيْن وُامْشِـــي بالتّمْهَـــالْ
هَـــذَي الامَّـــه لَيْـــك رَاهَـــا ذريّـــه   أُسْلُكْ بيهَا فِي الطّرِيقْ اللّي تَسْـــهَالْ
أعْمَالـــكْ جَمِيـــعْ رَاهَـــا محْصِيـــيَّه   فِي التّارِيخْ مْسَـــجْلَه عَنّـــكْ تسْـجَالْ
رَاهَـــا مَكْتُوبَـــه الْحَسْـــنَه وُالسّـــيّه   وُاللّي مُخْلِصْ صَبّار لاَزمْ رَاهْ يْنَـــالْ
لاَ جَبْهَـــه لاَ جَـــيْشْ لاَ مَصَـــاليّه   كُونُــــو متّحْدِينْ هَاكِذْ رَبّـــي قَـــالْ
خَـــاطبْكُمْ رَبّـــي بْصَـــرِيحْ الآيَـــه   واذَا خَـــالْفتُوهْ تسّـــمُّو ضُـــــلاَلْ
عَادُوهَا كُولْـــــونْ عَيْـنِهمْ عَمْيَـــا   بَعْدَ ايَّامْ يْنَدْمُو وِيْفُـــوتْ الْحَـــالْ
قَدْ قَـــامُو بَـــادْوَارْ شَـــيْنَه وَحْشِـــيَّه   وُهَذَا الأُمّه نَكْلُـــو بِيهَـــا تتْكَـــالْ

تَلْقَى ذَا مَكْسُــورْ رجْلُـــــو مثْنِيَّـــه وُذَا سَجِينْ مْكَنبْلِينُـــــو فِي لاَغْــلاَلْ
وُتَلْقَـــى ذَا يَتِـــيمْ وُامُّـــو بَاكِيَّـــه وُالدّمْع عْلَى خَــدْهَا يجْــرِي سَــيّالْ
كُــــــلْ الْعَــائِلاَتْ رَاهَــا مرزْيَّــه وُمَا تَلْقَاشْ السَّالْمَه منْهَا مُحَــــــالْ
هَــذِي فَقْــدتْ زَوْج هَــذِي ذريّـــه وُهَاذِي فَقْدتْ عَمْ لُخْـــرَى فَقْـدتْ
لَكِنْ يلْــزمْ نُوكْــدُو فِــي التّضْــحِيّه وُنْضَــحّي بنفُوسْــنَا وُنْزِيــدْ الْمَــالْ
ازْهَــى قَلْبِــي شَــمْ رِيــحْ الْحُرِيّـــه وُتْــتَّمْ الفَرْحَـــه بْعِيــدْ الإسْــتقْلاَلْ
وِيْجِي جُنْد الْحَقْ مَرْفُـــوعْ الرَّايَـــه وُمْنَ البعْد تْبَانْ لكْ نجْمَــه وُهْــلاَلْ
وُشُـــبّانُو لاحْرَارْ فِي كُـــل ثْنِيّــه تسْمع فِي بَــارُودْهُم قَــاوِي فَعّــالْ
تــــتْخَلّطْ عُرْبَانّنَـــــا وُالْبَلْدِيّـــــه وُرَانَا عُــــدْنَا قَاعْ نسّــمَّاوْ عْيَــالْ
نصَّــافحْ جَمِيــعْ بــاخْلاَصْ وُنيّـــه الْحَمْد لربّي كِي حَقّقْنَـا لاَمَــالْ[12]

في هذا النموذج العديد من التسميات ذات العلاقة بالاحتلال الفرنسي، وأفعالــه الوحشية التي ارتكبها تجاه الأمة الجزائرية بل إن النص يحوي حتى الكثيــر مــن الأسماء للعسكريين الفرنسيين وقادتهم من أمثال "مــولي"، "لاكوســت"، "ديغــول"، ويصفهم بـــــ "الأنذال"، كما يسمي أنواع الأسلحة عندهم، ويصف محاولاتهم في المكر والخديعة، وأعمالهم الوحشية في التنكيل بالأمة.

ومن خلال المسميات الواردة يمكننا أن نستتشف توجه الشاعر، بل توجه بيئتــه، وتأثره بذلك باعتباره مرآة عاكسة للحقيقة في أجلى صورها.

ب – تسمية الوطن، بأسمائه الأصيلة:

من نماذج التسميات في الشعر الجزائري الملحون للوطن الجزائري، إيراد كلمة "الدزاير" التي هي جمع لــلمفرد "دزيرة" التي تقابلها "جزيرة" التي جمعها "جزائر" يقول الشيخ الشاعر "سي علي بن سيدي أحمد بن الحرمة":

قولي على "الدزاير" زينت لاوصــاف فيها الخير واجد فــي كــل زمــان
لجوامع الصلا تدخل نـــاس ظــراف ديمــا معاشــرين الــدرس وقــرآن
فيهـــا مــرابطين وســادات أشــراف منهم الشيخ "سيدي عبد الرحمن"[13]

ج – توظيف التسميات التاريخية المحلية:

في الشعر الشعبي توظيف بالغ للتسميات التاريخية للمنــاطق المحليــة، فمــن المعروف أن الوطن الجزائري، المتكون من أجزاء متكاملة، هو نتاج هذا التكامــل المناطقي الجهوي المشكل للوحدة، وقد كانت مناطقه عبر التاريخ لهــا مســمياتها التاريخية، فـــ "الساورة" هي الاسم التاريخي لولاية "بشار" الحالية، و"الزاب" هــو الاسم التاريخي لولاية "بسكرة"، و"مكرة" لـــولاية "ســيدي بلعبــاس"، و "تــوات وقورارة" لولاية "أدرار" هذه الأسماء كانت توظف بدون أدنى عقدة لــدى الشــاعر الشعبي، بل كانت مقصودة هذه الحركات، فمثلا بالرغم من محاولــة الاســتعمار الفرنسي استبدال الأسماء المحلية للمدن الجزائرية، كاسم "جريفيل" لبلــدة "البــيض" فإن الشاعر الشعبي لا يكاد يعترف بهذه التسمية، يقول "محمد ولد بلخير":

يا حسراه منين كان الشــط اعبــار　　كان العز الا من "البــيض" ولهيــه

فاستعمل الشاعر الإسم الأصيل هنا، ولم يعبأ بإدعاءات الاستعمار، وسعيه الملح لطمس معالم الهوية، واستبدالها بما هو دخيل وحادث، باعتبــار الأســماء مفــاتيح حقيقية للمسميات.

ولم يكن الاستعمال للأسماء المحلية بهذا الداعي فقط فهناك استعمالات للأسماء المحلية كانت بدواعي سردية، اتسمت بالفخرية أيضا، فمثلا يقول الشــيخ "ســيدي أحمد بن الحرمة" عن انتشار الطريقة القادرية الصوفية معددا أماكن انتشارها فــي الجزائر، وفي مختلف بلاد العالم الإسلامي:

بجاه شــيخك ذاك زهــو الخــاطر　　جلــول تنــده بيــه ربــع أركــان
من سد ذا القــرنين وارجــع دايــر　　من بــر ملــك الــروم للوصــفان
للساقية الحمــرا لشــرقي ماصــر　　لعمالـــت اســـطنبول للســـودان
الواســـطة للشـــيخ كـــل تغـــافر　　حتى لفــاس وســوس لتلمســان[14]

د– توظيف اللغات الأجنبية في الأسماء:

لقد كان تأثير الاحتلال الفرنسي بالغا على المجتمع الجزائر فقد عمل لأكثر من مائة وثلاثين عاما على طمس كل معالم الهوية الجزائرية، وركز بالخصوص على الدين واللغة، هذان المقومان اللذان يعتبران رمزا للتميز والدلالة، وقــد أصــبحت

الكلمات الفرنسية الدخيلة بداية من أوائل القرن العشرين تستعمل بشكل عاد في النصوص الشعبية باعتبارها من كلمات التداول العام، من أمثلة ذلك، قول الشاعر "سي علي بن سيدي احمد بن الحرمة" في قصيدة نظمها يصف فيها مشاركته في الحرب العالمية الثانية، فيقول:

هذا الوقت اللي تبدل ما منوش   وقدات النيران لا من طفاها
كل آخر بعساكرو للفتن يحوش   بمدافع بارود والكور معاها
"فيزي ميترايوز أدروات وقوش"   تفني في العباد برصاص (15)،

إن هذا التوظيف العفوي للمصطلحات الفرنسية كان نتاج التأثير البالغ للتعليم، والمخالطة والاتصال المباشر بالفرنسيين في المجتمعات المختلطة، ولذلك فإننا نجد المصطلحات الفرنسية أكثر شيوعا عند الشعراء الحضريين في المناطق الشمالية، حيث كان التواصل دائما ومباشرا، فيما تقل حدة هذه الاستعمالات في الأرياف، والمناطق الجبلية، والصحراوية، حيث يكون الاتصال بالأجنبي بشكل أقل.

ه- توظيف أسماء ذات دلالة للبيئة والطبيعة والجغرافيا:

يحمل الشعر الشعبي الجزائري في ثنايا قصائده ومقطوعاته الكثير من الأسماء التي تتصل بشكل مباشر بالبيئة والحياة الطبيعية وتصور التضاريس، والمظاهر العامة للمناطق الجغرافية، وإذا أردنا أن نحصرها فإنه لا تكاد تخلو قصيدة من أسماء النباتات، والجبال، والأنهار، والأودية والسهول، والتلال وغيرها، أو تصور للحياة عادات الناس وتقاليدهم، كما إلى جانب ذلك أسماء أدق تفاصيل الحياة، كأسماء الأطعمة والألبسة والحلي، التي تعد من الرموز الدالة على صميم مكونات الهوية ولعلنا هنا نستشهد بقول الشاعر الشعبي "عبد الحفيظ قفاف" البوزيدي الأغواطي، إذ يقول:

"الصحرا" ربات هلها جيل بجيل   كانت مرتع للنجوع بلموالي
"امصور" ياتيك حامي في "منديل"   و"مسمن" معجون بدهان الفالي
و"حليب الخلفات" محلوب من   بايت في "شكوه" مطعم يا (16)

و- توظيف الأسماء الجزائرية الأصيلة للنساء والرجال:

لا يزال الإسم دالا على صاحبه، ولا تزال بعض الأسماء دالة على جماعات إقليمية معينة، وهناك أسماء تكاد تكون خاصة بالجهة التي ينتمي إليها الفرد، فأسماء مثل "أكلي"، "أمقران"، "تاسعديت"، تكاد تكون مخصوصة بمنطقة القبائل، وأسماء مثل "بكير"، "باحمد"، "باعلي"، "حمو"، "فافة" تكاد تكون خاصة بالميزابيين دون سواهم، فيما نجد العديد من الأسماء تخص قبائل عربية معينة كأسماء "مويزة"، "حويط"، "بن حرز الله"، التي تكاد تختص بها قبيلة الحرازلية بالأغواط، وهنا نستطيع أن نمثل لورود أسماء تعتبر كثيرة الانتشار عند الجزائريين، ونختار أسماء النساء في قول الشيخ "سيدي أحمد بن الحرمة":

جبت القول على "فطيمة" رضي الله عنها
تتعرني يوم القيامة نتحرر في حرمتها[17]

فتحوير الشاعر لاسم "فاطمة" إلى "فطيمة" كما ينطقه الجزائريون، فيه دلالة مباشرة على المنطقة ناهيك عن أن أسماء أخرى تكاد تختص بها كل منطقة دون سواها.

ز- توظيف الأسماء ذات العلاقة بالمرجعية:

من المعروف أن المرجعية الدينية لهذه البلاد قد بنيت منذ قرون على ثلاثة دعائم ظاهرة، وهي كما قال "الإمام عبد الواحد بن عاشر المالكي الأندلسي" في "المرشد المعين":

في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد
[18]

وإذا كانت شواهد العنصرين الأولين قليلة نسبيا في الملحون الجزائري، فإن شاهد السلوك الصوفي المنسوب لسيد الطائفة الإمام الجنيد رضي الله عنه يحضر بكثرة في الموروث الشعري، فنجد العديد من الأسماء دالة على أعلام التصوف ومدارسه، من أمثلة ذلك قول الشيخ "سيدي أحمد بن الحرمة":

يا اهل النيه طولتو الغيبه وينكم للمداح افجو غليلو
وين لاعرج من قلبي ليه لبى وين بلحسن ساداتي تعالو
يا ابن الرفاعي طلبه قريبه كي البداوي وابراهيم صالو

يا شريف الغربـــي مـــولى العقبـــه ابنو مشـــيش اللـــي ســـاكن فـــي (19)

في هذه المقطوعة ذكر الشاعر الشيخ "عبد القادر الجيلاني" وكناه بـــ"الأعرج"، كما ذكر الشيخ "أبا الحسن الشاذلي"، و"الشيخ الرفاعي"، و"البدوي"، و"إبراهيم بـــن أدهم"، وجده "الشيخ عبد السلام بن مشيش المغربي"، وكـــل هـــؤلاء مـــن أعـــلام التصوف وأقطابه.

الخاتمة:

إننا أمام دور بالغ يمكن للشعر الشعبي الملحون الجزائري أن يلعبه في الحفـــاظ على الهوية، وإثراء المعرفة في ظل العالم الذي تتسارع وتيرته التنمويـــة بانفتـــاح كبير، وهو من خلال توظيفه في هذه العالم يمكنه أن يكون خير مشارك في هـــذا المشروع، خاصة إذا تم تكوين الشعراء وتوجيههم الوجهة الصـــحيحة مـــن أجـــل اعتناق أفكار أكثر دقة ووضوحا، وتوظيف القواميس الأصيلة التي تشـــهد دومـــا بأصالة الانتماء إلى الوطن بكل قيمه وثوابته.

الاحالات:

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط9، 1988م، ج7، ص333.

[2]عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، مكتبة البابي الحلبي، مصر، ط1، 1936م، ص644.

[3] نفسه، ص665.

[4] عاشور سرقمة، الشعر الشعبي الديني في بلاد توات، دار المغرب، ط1، 2008م، ص47.

[5] ابن خلدون، مرجع سابق، ص651.

[6] منهم، الشاعر والولي الصالح سيدي لخضر بن خلوف، و سيدي محمد بن مسايب التلمساني، وسيدي الميهوب الأول الحرزلي، والشيخ الشاعر سيدي أحمد بن الحرمة اليحياوي، والشاعر سيدي بن لمسقم، والشاعر سيدي السائح السعيداني.....

[7] الشيخ بوديسة المختار بناحية قصر البخاري كان يجمع إليه الشعراء للتباري والتسابق أشار إليه الشاعر سي بن حرزالله بن الجنيدي الحرزلي في قوله (وعييت نقول عند بوديسة المختار)، أما مجمع ساباط الشعراء بسيدي خالد بناحية الزيبان، فقد كان

مجلسا يعقد للشعراء ينشدون فيه أشعارهم، ويتبارون فيه، (ينظر: أحمد الأمين، من فحول الشعر الملحون بسيدي خالد، دار هومة، الجزائر، ط2، 2011م، ص 12).

(8) الشيخ بن دحلاب من أولاد سيدي عيسى بن امحمد شاعر مجيد، كان كاتبا عند الأمير عبد القادر الجزائري لسنوات برتبة خوجة، كان محبا للشعر والشعراء، وكان يقيم مجمعا سمي باسمه (مجمع بن دحلاب) في منطقة قصر الشلالة للتنافس بين الشعراء.

(9) A. DHINA .Notes sur la phonétique et la morphologie du parler des Arbâ'. R.A.1938,pp313-352.

(10) العربي بن عاشور، أشعار محمد بلخير، دار هومة، الجزائر، ط1،2009م، ص 130.

(11) أحمد بن الحرمة، ديوان سيدي أحمد بن الحرمة، جمع: عمار مطلق، مطبعة بن سالم، الأغواط، الجزائر، ط1،2006م، ص122.

(12) محمد مويزة بوداود، ديوان سي مويزة، مخطوط سنة 1982م، جمع الأستاذة: خيرة بوداود، غرداية.

(13) مريم الحرمة وآخرون، الشيخ علي بن أحمد بن الحرمة، حياته، وشعره، مذكرة ليسانس أدب عربي، جامعة غرداية، دفعة 2009–2012م، ص23.

(14) ديوان الشيخ ابن الحرمة، ص 186.

(15) مريم الحرمة، مرجع سابق، ص32.

(16) مجموعة الأستاذ مصطفى حران، مخطوط خاص، الأغواط، 1988م، ورقة 19.

(17) ديوان الشيخ ابن الحرمة، ص 226.

(18) عبد الواحد بن عاشر، نظم المرشد المعين، المطبعة الثعالبية، الجزائر، د ط، 1928م، ص 02.

(19) ديوان الشيخ ابن الحرمة، ص239.

أسماء الأعلام في الجزائر
(مقاربة أنثرولسانية)

د. أسماء حمايدية
جامعة قالمة

المداخلة:

تمهيد:

ماذا لو نتخيّل العالم من غير أسماء!؟ سؤال على قدر غرابته تفشل استقامته! لأنّنا ببساطة ألفنا محايثتها للوجود وملازمتها لكلّ موجود، ممّا جعلها شاهد عيان يصف تمظهرات الحضارة عبر التّاريخ، خصوصا أنّها من لوازم الكينونة الإنسانيّة؛ لأن الذّات من غير اسم نكرةٌ، لا يمكنها الانتساب إلى المنظومة الجمعيّة.

إذن، أسماؤنا علامة علينا، كونها في مقدّمة الرّموز التّي تمنحنا تفرّدا توصف به أولى معالم الهوية الفرديّة ثمّ الجماعيّة؛ ذلك أنّ الاسم جزء من اللّغة، ينسحب عليه ما تستدعيه قضاياها الاصطلاحية، فلا يستطيع حينها تعدّي دائرة الإطار الاجتماعي الذّي أبدعه، محمّلا إيّاه رؤية جماعيّة للأشياء.

فالاسم بهذا المعنى ليس شكلا لغويّا متجرّدا من مرجعيّته، ولا يمكن أن يكون مجرّد قالب لغوي خاوي الوفاض، وإنّما هو خطاب متكامل يُحسن تصوير تلك المسالك الاجتماعية التي ذلّلتها الذهنية الجماعية، بله مرآة جاد صقلها لتعكس أنماط الحياة الإنسانية والمظاهر الثّقافية الموازية لها.

علاقة الاسم بحامله:

إنّ الحديث عن وصال الأسماء بمسمّياتها في عالمها الفضفاض جنس من معترك اللّغة الفلسفي، الذّي ولّد تيّارات فكريّة متباينة شدُّت جوانحها بين المنطق واللاّمنطق، إذ مال فريق إلى أنه ما يجعل من اسم إلاّ لعلّة، فما "سمّي الإنسان

إنسانا إلاّ لنسيانه، وما كانت البهيمة بهيمة إلاّ أنها أُبهمت عن العقل والتّمييز، فإن قال قائل: لأيّ علّة سُمّي الرّجل رجلا والمرأة مرأة، قيل: لعلل علمتها العرب وجهلناها"[1].

ومع ذلك، تتفوّق كثرةً الفئةُ المتبنّية لفكرة الاصطلاح، إذ لا تؤمن بوجود علاقة طبيعية أو حتميّة بين طرفي الدّليل اللّغوي، وإنمّا الأمر جار بالعرف وقائم على الاعتباط، وهذا ما ثمّنته النّظرية اللسانيّة الحديثة.

أماّ ما خصّ الأنا فالمسألة على ذات الشّاكلة، فهي" لا تفيد وصفا للمسمّى، وإنمّا وضعت لمجرّد التعيين والتعريف، فلو قلبت وسمّيت زيدا بعمرو، وعكسه لصَحَّ، إذ كل اسم منها لم يختص بمن سمّي به لمعنى حتى لا يجوز أن يعدل به إلى غيره"[2] ضف إلى ذلك أنها قد "جعلت لضرب من الاختصار وتنكّب الإكثار، فالاسم الواحد قد يؤدّي بنفسه تأدية ما يطول لفظه ويملُّ استماعُه، ألا ترى أنّك إذا قلت: كلّمت جعفرا فقد استغنيت بجعفر أن تقول: الطّويل البزّاز الذي نزل مكان كذا وكذا ويدعى ولده كذا (...) ويلبس من الثياب كذا، ثم لا يستوفى؛ لأنه لا يمكنك في التفصيل أن تذكر جميع أحواله التي تخصّه (...) فلما رأوا ذلك أنابوا عن جميعه اسما واحدا علَما يغني عن الإطالة والملالة، وقصور المعنى مع حسور المنّة"[3].

هذا يعني أن أسماءنا هي التي تخلّص ذواتنا من ربقة الهنا والآن، لكن في ظلّ الوثوق بالتعسّفية القائمة بين الاسم وحامله لا يمكن الإيمان بغياب أطر مرجعيّة معلومة تنتقى على أساسها أسماء الأعلام، بدليل أنّه لا يكاد ينجو أحدنا من مساءلة أهله عن المسمّي ودواعي التسمّي إمّا من باب القناعة أو التّثريب، والمدخل إلى أولاهما سلاسة الاسم وجمال وقعه ومواكبته لأسماء الجيل الذي ينتمي إليه، ويولج إلى ثانيها ما تستغربه الأذهان لصلته بما قبح من الأعيان أو ما خبث من معان.

والأمر في ذاك آيب بالدّرجة الأولى إلى سمك الوشيجة بين فعل التّسمية وملابسات الحياة بظروفها اللامتناهية، ولهذا يصلح التعامل مع أسماء الأعلام كرموز لغوية قابلة للمعالجة التاريخيّة والاجتماعيّة والنّفسية والثقافيّة؛ بحكم أنّ منهج التسمية يتأثّر لزاما بتغيّر النّظم التّي تؤسّ المجتمع، وكفى بثوابت ديننا بيانا في ضرورة تسامي العقل عن الفجاجة العقدية، فانقلبت على إثره موازين التسمية، حيث مال الفرد المسلم إلى استحداث أسماء وتغيير أخر على أساس من المرجعيّة الدّينية، بعد أن كان السّلف ممّن تقادم عهدهم يحتفون بأسماء الحيوانات وأوصافها

لاسيما ما استوحش منها، ومن المفارقات العجيبة أن أصـــاب ذلـــك أبناءهـــا دون عبيدها، فمن الأوائل كلب وأوس وأسد، وتنادي الأخر بسعد ويمن ويسر [4].

وعلة ذلك أنّ العرب كانت تسمّي عبيدها لأنفسها؛ لذا تطلب من أسمائهم سكينة الرّوح وراحة الخاطر، في حين تتوعّد أعداءها بأسماء أصلابها لذا تشـــبعها قـــوة وتشحنها تهديدا وتحذيرا، مستثمرة في ذلك ما تجود به الطّبيعة بمؤثّثاتها المختلفـــة يقول ابن فارس:" كانت إذا ولد لأحدهم ابن ذكر سمّاه بما يـــراه أو يســـمعه ممّـــا يتفاءل به، فإن رأى حجرا أو سمعه تأوّل فيه الشدّة والصّلابة والبقاء والصّبر، وإن رأى ذئبا تأوّل فيه الفطنة والنّكر والكسب، وإن رأى حمارا تأوّل فيه طول العمـــر والوقاحة، وإن رأى كلبا تأوّل فيه الحراسة وبعد الصّوت والإلف"[5]. ويقـــوم هـــذا القول دليلا على أنّ الاسم يتمّ حسب مرجعيّة عقديّة تضمن حركته الدّلالية، التي قد تفقد أصولها التّفسيرية الأولى ويظلّ تواتره مُمتهَنا بغير علّة في نظر مستعمليه.

ولهذا، فإن تفسير الاسم وتأويل دلالته لا يخرجان عن السّياق الاجتماعي والإطـــار المرجعي الذي وجد فيه، والذي ألهمه الحياة والكينونة والاستمرارية، وبالتالي يصـــبح الاسم" نصّا، ووثيقة اجتماعية وثقافية، وخطابا تاريخيا وإيـــديولوجيا، وصـــورة فنّيـــة وجمالية، إنه كل هذا بصورة مفتوحة، لأنّه ليس نظاما لغويّا مغلقا يعكس نفسه فقط، بل ترجمان صادق وحيّ لثقافة المجتمع، وعقيدته وإيديولوجية أفـــراده" [6]. وهـــو بهـــذا المفهوم ليس له وجود عينيّ إلا بفضل مرجعيّاته التّي ألهمته المادّة والميلاد والحركـــة ضمن بنيات اجتماعية وثقافية مخصوصة؛ ليغدو حقيقـــة تواصـــلية تجـــوب الأزمنـــة والأمكنة مختزلة مجمل التّصورات الذّهنية للأفراد والجماعات.

وهذا ما يجعله مادّة اثنية؛ لأنّه جزء من اللغة، واللّغة اثنولوجيّا " انعكاس لفظي لحياة الناس وبيئتهم الجغرافية، ونشاطهم الاقتصادي وعلاقاتهم العاطفية والقانونيـــة والسّياسية والدّينية في الماضي والحاضر، كما أنّها انعكاس لطموحهم وآمالهم فـــي المستقبل، ولهذا فكلّ اللّغات مليئة بوقائع الحيـــاة وتجـــارب الماضـــي وتخـــيّلات المستقبل، وفوق هذا مليئة بأعماق النّفس وعوالم الأرواح وما وراء الطّبيعة"[7].

وبناء على هذا، فإنّ تلك المنعكسات تحديدا تتمظهر في أسماء الأشخاص، فهي ليست مجرّد رفيق حياة بقدر ما هي الذّوات نفسها، بمعنى آخر" إن اسمك هو أنت" [8] لأن" الحديث عنك لا يتمّ في الأحوال العادية إلا من خلال ذكر اسمك الشخصي

واقتصار التعامل معك عليه لا يدلّ إلاّ على حميميّة أكثر في العلاقة، لما فيه من رفع للكلفة."[9]

ثمّ إنّ تتبّع المسار التطوّري للاسم يكشف عن تعدّد مهول في المحمولات الاجتماعية، التي تشهد على الزّمن الذّي احتضنه، مع تمثّل الفضاء المصاحب له والواقع الذي ابتدعه، والانتماء الذي فرضه، وبهذا يمكن القول:" إن الاسم الشخصي تواصل اجتماعي– ثقافي بين المولود ومجتمعه، إنه لا يوفّر أكثر عناصر المنظومة التسموية فحسب، بل إنّه يمثّل أولى خطوات إقحام الفرد في النّظام الرّمزي الاثني الخاص بفضائه الاجتماعي، حيث يؤمّن فعل منحه إيّاه بداية حلقات سيرورة بناء هويته."[10]

واعتبارا لهذا كله، "يعدّ الفعل التّسموي حدثا أنتروبولوجيا مشحونا بالعديد من الدلالات التي تشهد على الواقع، وتفصح عن الاعتقاد السائد، وتعبّر عن الثقافة المحلّية الموروثة، وتكشف عن الهويّة الثقافية وحتّى العقليةّ الجمعيّة المشتركة"[11]. وانطلاقا من هذه القيمة تحديدا اندرج الاسم الشخصي ضمن حقل معرفي واسع يعرف بـــ: علم أسماء الأعلام.

في الأعلاميات:

عجّلت الثورة المعرفية الحديثة بظهور توجّه معرفي جديد يختصّ بدراسة أسماء الأعلام، فاتّخذ بذلك اسم "الأعلاميات" كمقابل للفظ الأجنبي l'onomastique.

وتنقسم إلى فرعين رئيسيين هما[12]:

الطوبونيم (toponyme): ويعنى بدراسة أسماء الأمكنة، وهو بدوره أقسام معلومة.

الأنثروبونيميا (l'anthroponymie): وتعنى بدراسة أسماء الأشخاص من حيث بنيتها وتركيبها ودلالاتها ومرجعياتها، ويندرج ضمنها مباحث اسمية مختلفة.

والحقيق بيانا هنا تداخل هذين الفرعين وتفاعلهما، إذ يأخذ كل منهما من الآخر فمثلا قد يُتجاوز اسم الفرد إلى اللّقب الذي يلحقه نتيجة انتسابه إلى مكان ما، فلا يُعرف إلا به بفعل كثرة تداوله.

كما تجدر الإشارة إلى أنّه يمكن إلحاق ظواهر اسمية أخرى ترتبط ارتباطا وثيقا بالحقل الأنثروبونيمي، من ذلك الاسم الرّمزي والاسم المستعار والاسم الإضـــافي ناهيك عن قضايا التّأصيل اللغوي للأسماء، وكذا البحـــث فـــي ظـــروف أفولهـــا واندثارها أو انبعاثها من مراقدها لتؤدّي أدوارا حياتية جديدة... وهذا ما يجعل ذلك المجال المعرفي منفتحا على مناهج بحثية وعلوم كثيرة، فبقدر ما يقرضها المـــادّة الوافية يمتح منها أصول التفسير والتعبير، من ذلك: علم الاجتماع وعلـــم الـــنفس والأنثروبولوجيا، والاثنولوجيا والاثنوغرافيا... وبهذا تتّســـع إمكانـــات المقاربـــات العلمية له وفقا لطبيعة العلوم القائمة عليها.

المقاربة الأنثرولسانية:

اعتمادا على ما سبق، سنتوجّه هنا إلى مقاربة أسماء الأعلام في بلادنـــا وفقـــا للمنظور الأنثروبولوجي، ذلك أن" وظيفة التّسمية تتعدّى الجانـــب التعريفـــي إلـــى جانب تعبيري، حيث تعكس مختلف تصـــنيفاتها الدلاليـــة خلفيّـــات سوســـيولوجية وعقائدية وعقدية واثنية خاصّة، كما ترسّخ انتشارًا ثقافيّا بين فضاءات محدّدة" [(13)]. وسننطلق في ذلك من مادّة اسميّة منوّعة لا نربطها بفضاء معلوم زمانا ومكانا، بل سنكتفي بأمثلة إشاريّة شخصيّة ممّا نحسبه يمثّـــل مشـــتركا اســـميّا بـــين معظـــم الجزائريين عُموما، سواء في ما تقادم عهـــده أم ممّـــا اســـتحدث اســـتخداما؛ لأن الأنتروبولوجيا في خاصية منهجها "ميّالة إلى الأخذ بمبدأ المقارنـــة الموسّـــعة، أي مقارنة أوجه النّشاط الإنساني عبر الأماكن وعبر الأزمنة"[(14)].

ونحن في ذاك، نمتلئ يقينا بأن انتقاء الأسماء ينمّ عن توجّهـــات إيديولوجيـــة معلومة، قد يدلّنا عليها الاسم في بداهته كما يحدث مع الأسماء التي يمكن تســـميتها بالدّينية، وقد تواريها الأسباب العائلية مثلا، كرغبة الكثيرين في الحفاظ على أسماء الجدود وإن خالفت حداثة المجتمع وعصرنته، وقد تجهل أغراض التســـمّي تمامـــا ويبقى الاسم مجرّد عنوان للتّمييز في نظر مستخدميه، لكن يبـــدو لنـــا أن الطاقـــة اللغوية للمادّة المعجمية للاسم كفيلة بتقديم رؤى لسانية قد تكون هي الأصـــل فـــي التسمّي ثمّ توارت تلك الأصول مع تعاقب الزّمن وظلّ الاسم (لغة) كفيلا بترجمـــة عقلية مانحيه، والشّواهد على ذلك كثيرة، إذ لا يمكن للأسماء التنصّل مـــن جـــذور لغوية معلومة إذا ثبت انتسابها إلى لغات أهلها، مع ضرورة التّنبيه إلـــى إمكانـــات التّغيّر التي تطرأ عليها لعوامل لغوية أو غير لغوية .

وعمادا على هذا، سيكون المعجم اللغوي رافدا تيسيريا يذلّل لنا ما استصعب تحصيله من مرجعيّات أنتروبولوجية تحكم فعل التسمّي، والمقصود بذلك استخلاص تلك القيم التي تؤسّ الأسرة الجزائرية، وتكشف عن نمط العلاقات الاجتماعية التي تهندس نظامها، وتبرز مكانة كل فرد فيه؛ بناء على ما ينشط من عادات وتقاليد وأعراف ومعتقدات وعقائد على علاقة بعملية التسمية، والسند في ذلك ما يُتلاغى من أعلاميات لا يمكنها بأيّ حال من الأحوال أن تتفلت من ربقة اللغة، وعلى هذا الأساس فإن علماء الإناسة يعتبرون اللغة الحجر الأساس في الأنتروبولوجيا؛ لأنه من طريقها يمكن فهم صور الحياة الاجتماعية على اختلافها يقول في ذلك ليفي شتراوس:" إننا حين نقول: إنسان فإننا نعني اللغة، وحين نقول: اللغة فإننا نقصد المجتمع."[15]

وبناء على هذا المنطق، كان من فروع الإناسة ما يعرف بالأنتروبولوجيا اللغوية التي تركن إلى اللغة لاستنباط المحتوى السوسيوثقافي للمجتمع الذي يوظّفها.

ولهذا كلّه، سنتّخذ أمثلة ممّا ذاع استخدامه من الأسماء ومتعلّقاتها في مرحلة سابقة وأفل نورها في المتداول حاليا علّنا ندرأ عنها شيئا ممّا رميناها به، وكان سببا عظيما في عزوفنا عنها، ومن جانب ثان نحاول- من باب الاجتهاد- أن نوليها مقاما دلاليا يليق بالذّات الجزائرية التي لطالما حمّلناها مشقّة وِزر لم ترتكبه!.

ثم إنّنا لا نزعم البتّة بأنّ ما سنشير إليه من معان مستقيم صوابه؛ لأنه من الأسف تجاهل ذلك التاريخ العظيم الذي أعاد هيكلة الذات الجزائرية من جوانب كثيرة، بما في ذلك ما وسمت به نفسها، ومع ذلك نؤمن بأن جلّ المعاملات الاسمية لا يمكنها أن تخرج عن حدّ اللّغة إن في أصلها (الفصحى) أو في فرعها (العامية).

وعليه، فقد تراءى لنا بأن كثيرا من الأسماء ذات أصول لغوية فصيحة، عدنا إليها استنادا إلى المعجم العربي؛ سعيا وراء معانيها الاستعمالية، التي قد تمنحنا جزءا من الخلفيات التي من الممكن أن نفسّر بها ثقافة التسمية. أمّا ما كان منها موصولا بالعامية واضح المقصد فقد يسّر لنا بعض الاستنباط على أساس أن استعمالها لا يزال حاضرا في أذهان كثير منّا.

والقمين ذِكْرا، أنّنا ألفينا بعض الأسماء التي لها أصل في اللغة الفصحى، لكن تغيّرت بعض صفاتها الصوتية حين ابتذلتها العامة. ومن هنا تعاملنا معها باعتبارها رموزا مشحونة ثقافيّا، حيث تسهم في التّعرف على محدّدات التّفكير الجزائري

انطلاقا من تحليل مضمونها اللّغوي/ القيمي، ويمكن توضيح بعض الجوانب منـــه انطلاقا من جرد بعض المواضيع التي تعلقت بها تلك القضية. وقبـــل ذلـــك، مـــن الضرورة أوّلا التنبيه إلى ذاك التداخل الوظيفي بين الأسماء والألقاب والكنى.

الأسماء والألقاب والكنى:

مثلما تنال الأسماء حظوتها من الاستعمال يوازيها تواترا الكنى والألقـــاب، وإن كانت في حقيقتها اللّغوية لواحق تعلق بالمسمّى إيذانا بقيمة ما، ومع ذلك قد تغالـــب الاسم استخداما فتغلبه وتنوب عنه، فكم من شخصية علمية وأدبية يتوارى اســـمها في متون الكتب، في حين توكل إلى كناها وألقابها مهمّة التّعريف بهـــا، كـــالمتنبي والجاحظ وابن طفيل والخوارزمي، وابن الهيثم!...

وفي هذا الصدد يقول ابن الجوزي: " إن تكريم المخاطب وبيان مرتبته بـــأن لا يواجه باسمه بل بكنيته، وإذا نال من الرّياسة نهاية المقصود لم يخاطب إلا باللقـــب المحمود، فالاسم موضوع للتعريف واللقب الجميل مذكور للتّشريف"[(16)]، ويقتضـــي هذا أن كلاّ من الكنية واللّقب ليس علامة اسمية مصاحبة للذّات في ميلادها، وإنّمـــا هي مضاف اجتماعي تستدعيه عوامل مختلفة.

ويبدو بحسب ما ثبت في المعجم العربي أن لفظ اللقب قد كثر في موضع التّقبيح والتّجريح بدليل النهي القرآني ﴿وَلَاتَنَابَزُواْبِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ [الحجـــرات آ11]، والتنـــابز: التداعي بالألقاب، ويكثر فيما كان ذَمًّا"[(17)]، ومع ذلك قد تضمن الحركـــة التداوليـــة للقب تجاوز حمولته الأصلية السيئة، فيصبح علما من غير نبز، كالجاحظ مثلا.

وقد عرف فيما تلا انتباجا، حيث أُجيز استعماله في موضع النّعت الحســـن"[(18)] فغدا بذلك كيانا لغويّا تتجاذبه تيّارات المدح والذّم، معتضدة أساسا بالجوانب الخَلقية والخُلقية، ونمت إلى جوار ذلك ألقاب اتّخذ فيها عمل الملقّـــب، وبلدتـــه، وحرفتـــه ومكانته ... علّة في ذلك. والغاية منه عموما" أن تتباين درجة الرفيـــع والوضـــيع وتتميّز مرتبة الصغير من الكبير والخاص من العام"[(19)].

هذا هو الأصل في التّلقيب، لكن جرت العادة في العرف الإداري الجزائري أن يطلق مصطلح اللقب على الاسم العائلي مترجمـــا باللغـــة الفرنســـية بمصـــطلح: (Nom) مُشعرا في حالات لا تعدّ بدلالات السخرية والتهكم من الذات، التي حاول بها طمس معالم الهوية الأنثروبونيمية للمجتمع الجزائري.

أمّا الكنية فقد ارتبطت في وضعها الأول من حيث البنية التركيبية بلفظتي (أب) أو(أم) من باب مواراة الاسم، يقول ابن فارس: "كنيتُ عن كذا، إذا تكلّمت بغيره مما يستدلّ به عليه، وكنوت أيضا"[20].

ومع هذا، إذا استقرأنا تراثنا القديم نجد كنى كثيرة جرت مجرى الأسماء بمعنى أنها وضعت أصلا للتعريف بالشّخص لا باعتبارها شيئا يضاف إلى اسمه.

ومن المؤكد أن هذا التداخل الوظيفي بين الأسماء والكنى والألقاب مشروط بتركيبة العقلية العربية من جهة، ومظروف بالمكان في طرف آخر، وموصول من ناحية أخرى بما ينال اللغة من تطور عام، على أساس أن مجملها جزء من اللغة ينسحب عليه ما ينسحب على الكل من حياة واندثار وموت وبعث وعدول ... ثم إن هذا الانتماء سيكفل لها تلك الحمولة الدلالية الضخمة التي ستتأرجح لا محالة بين ما شان منها وما زان.

في سيرورة الفعل الأنثروبونيمي الجزائري:

إنّ البحث عن المشوار التاريخي الذي ارتحل عبره الاسم الشخصي في الجزائر يفضي إلى نتاج مفاده أنه قد وازى مسارها الحضاري حركة واسعة، لاسيما قد" دخلتها من قديم عناصر كثيرة: إفريقية وآسيوية وأوروبية بجانب سكانها الأصليين من البربر، وقد فتحها وعاشت فيها أمم كثيرة: فينيقيون، ورومان، ووندال وبيزنطيون، وعرب، وترك، وقد أفادت منها جميعا في نظمها وطرق معيشتها وزراعتها وصناعتها."[21]

والأجدر أنّ لتلك المداولات الاجتماعية أثرها العميق أيضا في تنوّع الممارسات الأنثروبونيمية، فقبل الفتح الإسلامي كثر تداول الأسماء الأمازيغية التي تعلّقت كثيرا بديانات البربر القديمة، ثمّ نما عود الفعل الأنثروبونيمي مع انتشار الثقافة الإسلامية، ويتضح ذلك من خلال ما حفظته الذّاكرة التاريخية من أسماء مَن نهضوا لنصرة الدين الإسلامي، ولكن هذا لا ينفي امتزاج الاسم البربري بالاسم العربي حتى غدا من الصعوبة التمييز بينهما نتيجة انصهار الفرعين في بوتقة الدين الواحد. كما تسرّب إليها مع حكم العثمانيين من العادات والتقاليد ما كان سببا للألفة، ولعلّ ما تواتر من تسميات خاصة تلك الدّالة على الرّتب الإدارية (آغا باشا، شاوش، خوجة، خزناجي، قهواجي...) أجلى برهان على ذلك.

وبمجيء الاستدمار الفرنسي تنقلب موازين التسمّي في حـدّها الباترونيمي، إذ أرغمت سلطاته الأهالي الجزائريين على حمل اسم عائلي (patronyme) يميّـز بعضهم من بعض، فأعاد بذلك هيكلة العائلة الجزائرية من طريـق تفكيـك بنـى المجتمع القبلي الجزائري، مستثمرا بذلك اللّغة لاندلاع حرب نفسيّة لم تخمـد إلـى يوم النّاس هذا، بسبب تلك الألقاب المُفرغة من القيم الأخلاقية والإنسانية!

وقد عرفت عجلة الظّاهرة الباترونيمية تقدّما بعد الاستقلال مـن خـلال تلـك القرارات والمراسيم التي أتاحت للجزائريين إمكانيّة تغيير ألقابهم بمـا يليـق بهـم ويرفع من معنوياتهم ويشعرهم بذاتيّتهم الاجتماعية وهويتهم الحضارية[22].

أمّا بالنسبة للأسماء فقد شهد تداولها على ما مسّها من تغييـر بفعـل عوامـل تاريخية وثقافية واجتماعية، وقد أمكن للباحثين رصدها في أربع دوائـر نجملهـا إيجازا فيما يلي [23]:

– **الدائرة الأولى:** وتشمل العقد الزمني بين الستينيات والسبعينيات، خضعت فيه المنظومة الاسمية لتأثيرات المرجعية التّاريخية المرتبطة أساسا بالثورة الجزائريـة فتسمّى الناس بأسماء القادة والشهداء والأبطال الثوريين، وما غذّى هـذه المرحلـة تحديدا قصر المسافة بين حاضر الجزائر وماضيها، إذ لا يزال المخيـال الشـعبي يتحرّك وفق إيقاع نغمة الثورة ولذّة النّصر ونشوة الحريّة.

– **الدائرة الثانية:** وتضمّ العشرية الموالية لسابقتها، تأثّر فيها الفعـل التّسـموي بالمرجعيّة الفنيّة بسبب شيوع الرّوافد الإعلامية الشّرقية عبر قناة التّلفزة الوطنيـة الوحيدة آنذاك.

– **الدّائرة الثالثة:** وتمتدّ بين الثّمانينيات والتّسعينيات، تغلّبـت فيهـا المرجعيّـة الدينيّة، حيث مال الناس إلى انتقاء أسماء الأنبياء والخلفاء والفقهاء وعلماء الـدين معلنين من خلالها انتماءهم الديني، الذي أثارته تلك الحركات الجديدة ضـمن مـا يسمّى بثقافة الصحوة.

– **الدّائرة الرّابعة:** وتتّسع لذلك المدّ الزمني الفاصل بين نهاية القرن العشـرين وبداية رديفه، عرف خلالها النّظام الاسمي تجديدا ملحوظا بنـاء علـى مفـرزات الدمقرطة في ظل تعدّد الأحزاب والمنظّمات والجمعيات والمنابر الثقافية، ومن أهمّ تمظهراتها اختراق الحدّ الجغرافي والحضاريّ في اصطناع الأسماء وإبداعها، وقد

تفاقم هذا الأمر مع السّنوات الأخيرة ذات الشُّحنة العولمية حتى صرنا نسمع منهـــا ما لم تألفه الحاسّة العربية!

عُموما، إنّ هذا النّظام الأعلامي/الإشاري الجزائري هو مجمـــوع التّراكمـــات التّسموية التّي أسهمت في تكوين الهويّة الأنوماســـتيكية الوطنيّـــة، مختزلـــة فيهـــا ذاكرتها الأنتروبولوجية، التي قد تتبدّى عياناً بمجرّد لفظ الاسم، نظرا إلـــى بيـــان متعلّقاته الطبيعية، وقد تتوارى فلا نستطيعها بفعل تقادم الممارســـة الاســـمية مـــع انحسار في المرجعيّة، ممّا يستدعي تنويع سبل الاجتهاد للإمساك بإمكانات التّـــدليل فيها، من ذلك السّبيل المعجمي الذي قد يصلح به تفسير التّوجهات الأنثروبونيمية.

ثقافة التّسمي عند الجزائريين:

يصطدم كثير منّا بمواقف عدة تدفعه إلى التّساؤل عن جدوى تلك الطّقـــوس التـــي نمارسها، والعادات التي نتوارثها، والتقاليد التي نحرص عليها ومدى تمنطقها، وكيـــف نتفلسف في تطبيقها على الرّغم من تلك المنارات الدّينية الهاديـــة، بـــل ترانـــا نقـــدّس بعضها، ونجتهد من غير قصد في تفعيلها؛ بحكم ذاك القهر الذي يعدّ خصّيصـــة مـــن خصائص الثقافة الشعبية. ولا يخفى على ذي نهية أن تلك المفرزات الســـلوكية التـــي تعكس إرثنا الثّقافي إنّما هي حواصل تلك الدّواعي النفسية –غالبا– التـــي تتـــرجم فـــي شكل ممارسات مادّية أو معنوية، نفسّر بها ما نتعرّض له من ظواهر كالصّحة والسّـــقم والحظ، والربح، والخسارة، والحياة، والموت، والنجاح، والجمال...

والظاهر أن عالم الأعلاميات شديد الانتماء إلى صنفها المجرّد، بحيـــث تثـــوي خلفه تلك القضايا مجتمعة، وأخر لا تحصى؛ لأنها على حدّ قول الزبيدي: "عنـــوان لكلّ مجد ومفتاح لكل باب"[24] ، وفيما يلي تفصيل لبعض نتاجهـــا الـــذي ارتأينـــا تجميعه في بعض الثنائيات تيسيرا للبيان:

الموت والحياة: شكّلت هذه الثنائية هاجسا عقديّا في الفكر الإنساني، إذ تكـــرّرت في حضارات متعدّدة بل ما تزال تحظى بالعناية في مختلف الثّقافـــات، حتـــى إنّ كاسيرر(Cassirer) "عدّ الفكر الأسطوري بأجمعه إنكارا عنيدا لظـــاهرة المـــوت وأقوى تأكيد للحياة عرفته الحضارة الإنسانية "[25]. ويبدو أن الفعل الأنثروبـــونيمي الجزائري قد عبّر بعمق عن هذه القضية انطلاقا من ميل الأفراد إلى ما يُعتقد معه الخلاص من الهلاك، خاصة إذا أخذت الموت من نسلهم بحظ وافر، فجعلوا للـــذكر أسماء من قبيل: العايش، العياشي، العشي، وللأنثى: عايشة، عويشة، وهي جميعها

من أصل واضح (عيش) بمعنى الحياة [26]. ويمكن أن نلحق بهذا التوجّه بعض الأسماء استنادا إلى شهادة ممارسيها، كالطّايش، لمطيشة من باب استغناء الموت عن حامليها، على أساس من دلالة الفعل في العامية. ومن الممكن أن نضمّ إليها اسم الواهمة لكي توهمها الموت[27]، ويتوسّم كذلك الترك مع اسم " تْراكي" التي من الممكن أن تكون على صلة بـ"تَرَاكِ" الفصيحة بمعنى اترك [28]. وقد يصدق ذات المعنى على اسم "الهاملة" على أساس أن مادتها الاشتقاقية تحمل معنى الترك والإهمال [29].

ومن الأسماء الغريبة التي من المحتمل أنها بنيت على هذا المعتقد (منبودة) التي من المحتمل أن تكون (منبوذة) في الأصل، خاصة إذا علمنا أن الكلمات عرضة للانحراف في المستوى العامي، وإذا كان الأمر كذلك فهي من باب أن تنبذها الموت، كما تسمّى النّاس ب: فاضل، والفاضلة لذات المغزى، إذ يعتقدون– بشهادة أعيان– أن الاسم يحمل في إطاره العامّي عدم الحاجة إليه، وكأنه يتحوّل بذلك إلى لعبة يضلّلون بها الموت! .

ويبدو لنا أن (الحاج، الحاجّة، الشّيخ، شايخة، شويخة) على مقربة من هذا التوجّه النفسي أيضا على أساس أنها من الشيَخ وهو استبانة السّن[30]، ويمكن أن نلحق بهذا المجال اسم الشّهلة إن أخذناه بمعنى العجوز كما يشير إلى ذلك المعجم[31]! وقد يصلح اعتبار "دايخة" و"جبارية" من هذا المنحى إذا انطلقنا من الدّعامة اللغوية المعجمية، إذ كل منهما محمول على القهر[32]، وكأنّه كاف لقهر الموت وردّها، ولعلّ اسمي: هاجر وهجيرة من ذات المدخل أيضا! ومن يقين التمسّك بالحياة والتعلّق بها تجري أسماء من قبيل: حياة، دنيا، دنى...

الفرح والحزن: تنتهج الكينونة النفسية الإنسانية عامّة سبلا شتّى ملاحقة للسّعادة وأملا في أسبابها، من ذلك المنهج الاسمي، وقد تسمّى الجزائريون بأسماء مشبعة فرحا أو مستدعية إيّاه، كالسعيد، السعدي، ساعد، سعيد، سعدية، سعيدة، ومُسَّاعد (أم السعد)، سعاد، فرَيْحة، فرحات، بْهَيجة، البهجة، ومن صراحة التوجّه تلك الأسماء المتداولة في يومنا هذا كـ: أفراح، فراح، فرح، وقد يكون للسبب ذاته سمّوا: هنيّة، ومهنيّة، امْهاني (أم هاني)، هناء، لا سيما إذا علمنا أنّ من هنئ بالشّيء فقد فرح [33].

الجمال والكمال: جُبل العبد على حب الجمال والافتتان به والأمل فيــه، متّخــذا سبلا كثيرة ابتغاءه، وهو بطبعه أيضا ميّال إلى الكمال، ويبدو لنا أنّ من الأســماء التي استخدمها الجزائري ما يتماشى وهذه الجبلّة، فسمّى: الباهي، جميلــة، باهيــة الزين، الزينة، الكامل، الكاملة... وقد تكون حبْارة للمعنى ذاتــه باعتبــار أصــلها اللغوي[34]، ونحتمل ذاك أيضا في اسم "جَغمومة"، والأصل الفصيح فيه شُــغمومة يقال في اللغة: الشّغموم: الطّويل التّام الحسن من النّــاس والإبــل، والمــرأة منــه شُغمومة وشُغمُوم[35].

ولربما كان الأمر كذلك في اسم "مزية" الذّي وجــدناه متــواترا فــي الأجيــال المتقادمة، وقد ألفيناه بحاله بمعنى: التمام والكمال.[36] ولعلّه من الجواز أن نــدرج ضمنها اسم "زعرة" الذّائع تداوله في الجزائر في المراحل المتقدمة، واحتملنا ذلــك من باب أن الأزعر لغة: قليل الشعر، والمرأة زعراء[37]، ومن غير الممكن طبعــا أن نواري تلك الممارسات الثقافية التي مازال يحيا طرف منها مــن بــاب توسّــم الكمال في جمال المرأة ، ولعلّ في هذا الاسم شيء من مخلّفات هــذه الثّقافــة. ولا يزال اسم الجزائري اليوم حريصا على ذاك الطّلب (الجمــال) وإن كــان حــداثيّ الصّبغة، من ذلك: جميل، وسيم، قاسم، بهاء...

الفقر والغنى: من غير الممكن أيضا أن نداري أثر هذه الثّنائية فــي التّركيبــة النّفسية للفرد الجزائري، وحبور ذلك فيما يهبه لضنئه من باب التفاؤل والأمل فــي الاكتفاء، فسمّى: غنية، رزيقة، دراهم، ومن المحتملة أن تكون "بحرية" مــن هــذا الباب؛ لأنه يقال في اللغة: تبحّر فلان في المال، إذا فاض كفّه بالعطاء كما يفــيض البحر! [38]. وربما يقع هذا على اسم " نافجة" أيضا، فقد ثبت في اللّسان أن العرب كانت تقول في الجاهلية للرجل الذي تولد له بنت: هنيئا لك بالنّافجة، أي المعظّمــة لمالك، ذلك أنّه يزوّجها فيأخذ مهرها من الإبل فيضمّها إلى إبله فينفجها؛ أي يرفعها ويكثرها [39].

الصحّة والمرض: ينمو في معتقد الجزائري أيضا أنّ الأسماء كفيلة بإتمام مــا يُوكل إلى بعض الممارسات من مهمّات درء الأمراض والاحتفاء بالصّحة، فســمّى سليم، سالم، سليمة، سلمى...

ومن المفيد هنا أن ننوّه بأنّ العامّة تربط هذه القضيّة أيضا بمدى ثقل الاسم على اللّسان أو خفّته؛ بمعنى أنّ الاسم العسير النطق – من منظورهم– يكون سببا فــي

دوام المرض أو السلوكات غير المرغوبة على خلاف ما يسُر منه، ولهذا قد يُعدل عن الاسم الأوّل إلى اسم ثان طلبا للمأمول، كالانتقال مناداة – بشهادات حيّة– على غرار الاسم الأصلي إلى صلاح، هادية، رحمة...

المذكّر والمؤنث: يعلو شأو الإنجاب بصفة عامة في الثّقافة العربيّة والمحلّية حيث يغزو ذهن المرأة الجزائرية أن الذريّة ضمان الاستمرار والاستقرار، فتراها تنتحي لذلك طرائق كثيرة، فإن حلّت المشيئة الإلهية بدأت ممارسات ثقافية أخرى يفرضها الطّابع الذّكوري الذي يميّز المجتمع العربي–في عمومه– بدليل ما نشط من أسماء قديمة تتابعت دلالاتها الاجتماعية القاضية بالعدول عن الخلَف المؤنث إلى المذكر، من ذلك: حدّي، حدة، حدودة، بركو، بركاهم إيمانا منهم بأن "اللّيِّ ما عندو ذْكَر ما يَتَذْكر".

ومن المفارقات العجيبة أن لا تزال هذه الذهنيّة سارية المفعول في زماننا، ولكن بمقاس أنثروبونيمي جديد لا يوهم بدسيس النيّة، من ذلك " كِفاية "، "ختيمة" !

الأبيض والأسود: لم تسلم الألوان أيضا من الاستثمار في إطار التسمّي؛ تثبيتا لبعض المعتقدات التي جرى عليها ديدن الجزائري في زمن سابق، إذ يسمّي من عظُم حُسنها وبياضها بـ:"السُّودة" دفعا للحسد، ويداري ما استوحشه باسم: البَيْضة.

كما تنشط في الواقع اللّغوي بعض الصّفات التي تجري مجرى الأسماء كالكحلة من باب التغنّج أو التهكّم، والزّرقة من باب الاقتدار، والشّهبة من باب المجاملة، والصّفراء من باب الاستهزاء وهكذا...

الجدّ والجدّة: ينزع الجزائري – فيما تلد من الحقب–إلى تخليد اسم الجدّ، ويكفي لبيان علّة ذلك التّذكير بما يناله الجدّ من مكانة خاصّة في ذهن كلّ منّا، لكن ما يجذب الانتباه أن يورَّث اسم الجد للأب دون الأم، وكذا الحال بالنسبة للجدة، وهنا تظهر خصّيصة المعتقد الجزائري، إذ يجري فيه أن التسمية بمن هم من أهل زوجه إشعار بانفلات سمة من سمات الفحولة، وإيذان بفقدانه للسلطة الأسرية، بل إن الأمر شبيه بخذلانه لعائلته وانتسابه! والظّاهر أنّ القضيّة قد عرفت نوعا من الأفول على الصّعيد الحاضر؛ لأنّه اقتضى تخطيطا أنثروبونيميّا جديدا فرضته الانقلابات السوسوثقافية حديثا، ثمّ إنه قد لوحظ بأنّ ما بقي منها يمارس ضغوطا نفسية على حامل الاسم نظرا لتقادمه، وعدم استساغته وزنا أو سمعا حين يركّب

مع أسماء عصريّة، مثيل ذلك: مسعودة نور الإيمان... فشتّان بين الاسمين إيقاعــا ومعنى وأثرا!

مرجعيّات أنثروبولوجية أخرى:

ممّا جرى في عرف التسمّي الجزائري أيضا مــا تعلّــق بالأيّــام، والأشـــهر، والفصول، والأعياد، والمناسبات، والنّبات، والبلدان، والحيوان، ولا نرى أن هــذا في حاجة إلى تمثيل؛ نظرا إلى كثرة امتهانها، ونستبعد أن يكون فيهــا مــا تعلّــق بالطّوتمية؛ لقرب عهدنا بتلك الأسماء التي عاشت في كنف الجزائري المســلم، إلا ما كان قد وصل إليه منها على تلك العلّة الأصلية، ثم أهملت دلالتهــا الاجتماعيــة الأولى واستقرّت على هيئتها التداولية دون اعتبار لماضيها الغائر!

وممّا لفت انتباهنا من جهة أخرى تلك الأسماء التي تتعدّد في المســمّى الواحــد ويتبدى ذلك واقعيّا من خلال موضوعين أساسيين: العروس والطّفل.

العروس: لا يخفى على أحد منّا ما تحظى به العروس من طقوس خاصّة مــن باب استشراف الخير والبركة فيها، وينسحب هذا على الاسم أيضا، إذ كانت بعض العائلات الجزائرية – في مرحلة خلت – تعمد إلى تحميل كنائنها لواحــق اســمية أخرى قد تكون اسما أو لقبا أو كنية، وعادة ما يعقدونها بفأل الرّبح والحــظّ، لــذا جنحوا إلى بدائل اسمية كـــ: مبروكة، مباركة، مسعودة، مسّاعد(أمّ السعد)، ربــح ربيحة، خيرة، الجيدة... ومن الأولى بالإبانة أيضا ما كان يوضع ابتغاء ستر نقص أو قبح فيها، فلقّبوها بـــ: الكاملة، الباهية، ظريفة...

الطفل: ينال هو الآخر حظوة عظيمة تبدو من خلال تلك المعاملات الثقافيــة التــي يتوارثها الجزائريون، ومن اللطف أن يسهم اسمه بقسط كبير فيهـــا، بـــدليل أن بعــض الأسر الجزائرية إذا لاحظت عليه نشاطا غير طبيعي نصحت بمنحــه اســما للتــداول اعتقادا منها أن تغيير الاسم كفيل بتغيير السلوك، ويتخيّرون لذلك اسما ذا صبغة دينيــة كـــ: رحمة، وآية، وإيمان... وينسحب هذا العمل على الرضيع أيضا، إذ تُنصــح الأم باسم الهادي، أو مهدي كنظير اسمي حتى يقبل عليها، والظاهر هنا ميلهم إلى اســتثمار المرجعية اللغوية للاسم، وقد تعود هذه القضية فــي جوانــب أخــرى إلــى تهافــت الجزائريين على عالم الشّعوذة طلبا لشفاء أبنائهم، فيؤمرون باستبدال أســمائهم! وكــأنّ هذا التّحوير سينعكس إيجابا على حال الابن، فينقلب إلى ما يرغب فيه!

وفي معرض حديثنا عن الأجيال المتقادمة نرى أنّه من الضّروري الإشارة إلى ما كان يجري من حظر اجتماعي فيما يخصّ المناداة بين الزوجين، إذ يعمد الرّجل إلى طلب أهله باسم من أسماء أبنائه، أو يسخّر ألفاظا أخرى كـ: "مْـرَا" أو"مخلوقة"، ويحمّلها طاقة الاسم، والحال نفسه بالنسبة للمرأة، حيث تحتفظ بـ: "راجل"، "عبد"، "مخلوق" كنظائر اسمية؛ والفروقات الاجتماعية عظمى إذا ما قورنت هذه المعطيات بما هو كائن اليوم، لقد انقلب ميزان السّلطة الذكورية، وتراجعت تلك القيم، واستحدثت أخر بناء على ما استجد من معاملات اسمية، اقتضاها التّغيّر الذي أصاب المنظومة الاجتماعية الجزائرية، وأعاد هيكلتها وفقا لما فرضه التثاقف، حتّى صار من غير الحرج تجاوز الأسماء الأصلية إلى أسماء المحاباة والدّلع، كـ: سوسو، شوشو، نونو، توتو، مينو، دودو، ديدو، كوكة، سومة...!

والحقيق بيانا أيضا، ذاك المُنطلق الدّيني الذي وقّره الجزائريّ منذ وعيه به، والدّال على ذلك ما ينشُط من أعلاميّات اتّخذها على أساس تعلّقها بشخصيّات دينية وتاريخية، والأمثلة في ذلك لا تعدّ، لدرجة أنّ العامل الدّيني قد غيّب الدّلالة اللغوية، ومجّد مخلّفاتها الحضارية! ومن الجميل هنا الإشادة بالتطور الأنثروبونيمي في يومنا هذا، إذ مال الجزائري إلى إحياء كثير من الأسماء ذات المرجعيّة الدينية وملتزما في آنٍ بتصريفها اللّغوي، مضفيا عليها طابعا حداثيا ناهض به ممارسة أسلافه، من ذلكَ: أَحمد، عَلي، رقيّة، خَديجة...

ولنا من الفخر أيضا أن نزهو بقاعدتنا الدينية حين نرى أن "محمّدا" اسم لا يتناهى استخدامه في المجتمع الجزائري، بل إن الفرد منه لا يستعير غيره (محمد) حين يطلب شخصا يجهل اسمه فتراه يقول:(أ سي محمد) وإن كانت السابقة (سي) هنا تحمل بُعدا ثقافيا إضافيا!.

وممّا يلفت الانتباه أيضًا في الاستخدام الأنثروبونيمي الجزائري المعاصر تراجع الكنى التي تؤدي وظيفة الأسماء، عدا ما يشيع منها من باب تورية اسم المرأة، ويلاحظ ذلك بكثرة في تلك الحوارات التي تفتحها وسائل الإعلام المرئية منها والمسموعة مع العائلات الجزائرية لمعالجة قضية ما، فنرى أن المرأة لا تصرّح باسمها غالبا وإنما تواريه بكنية؛ لأنّ مداراة اسم الزوجة خاصة، وكذا الأم، والبنت جزء من حفظ العرض في الذهنية الجزائرية قديما وحديثا، بدليل أنه لا يزال

رجالنا – بفئاتهم المختلفة– لحدّ اليوم يتجنّبون ذكر اسم الزّوجة جهارا، ويعـــدلون عن ذلك إلى مقابلات لغوية من مثل: الدّار، العَايْلَة...!

البعد الميثولوجي في الأسماء:

يعتبر الأنثروبولوجيون الأسطورة مفتاح المجتمعات القديمـــة؛ كونهـــا حمولـــة رمزية لمجمل المظاهر الثقافية والأشكال الاجتماعيـــة الســـائدة فيهـــا، ويعتـــرف الميثلوجيّون أنفسهم بأن الأسماء هي كلمة السر من أجل فهم كثير من الأســـاطير؛ لأن الاسم فيها مشتق من وقائع القصة الواردة فيها، كما يتناسب مع الـــدور الـــذي يضطلع به صاحبه[40].

وقد بدا لنا من بعض كتب الميثولوجيا أن هناك أسماء شيوخ – يكثر تداولها في المجتمع الجزائري إلى غاية اليوم– ذات حضور قيمي في بعـــض مـــا روي مـــن الأساطير، ولكنّنا لا نزعم البتّة هنا بأن الأصل في التسمية بها ميثولوجي محـــض؛ لأنّ لها في اللغة حضورا تجمل معانيه، وإنما نبتغي الإضافة الفكريـــة مـــن بـــاب الاجتهاد لا أكثر، من ذلك نذكر:

– **الزّهرة:** يحضر هذا الاسم بقوة في تلك الأسطورة التي بنيت علـــى أســـاس الرّبط بين عالمين متناقضين جوهرا ومادّة، عالم الإنس، وعـــالم الملائكـــة، مثّـــل أولهما امرأة بالغة الحسن والجمال، وبالملكين هاروت ومـــاروت تعلّـــق ثانيهمـــا، وترتكز الأحداث على فكرتي الخطيئة والمسخ، إذ تسببت تلك الأنثى في معصـــية الملكين، حيث وقعا فيما نُهيا عنه، وكان جزاؤها أن مسخت إلى كوكب الزهرة[41].

ويُذكر أيضا أن الزّهرة ربة الحسن والجمال، كانت تعبد عند عرب الجزيـــرة، وأن لها علاقة بعشتار البابلية إلهة الحب والجمال[42]، وبناء على هذا السّـــند فـــإنّ رمزيتها تلك على صلة بمادّتها الاشتقاقية " زهر" ومعناها أشـــرق وتـــلألأ وكـــان أبيضا[43] ، وجميعها تلتقي دون شك في سرّ الحُسن.

– **زازية:** أخال أن الفكرة هنا تتجلي أكثر لو نستشهد بما قد استودع في الذهنية الجزائرية في مقام التعبير عن المرأة التي تغترّ بحسنها وجمالها (حَاطّـــة رُوحْهـــا زَازْيَة وَرْدَاحْ)!.

فزازية الممثّل بها هنا هي الجازية الهلالية، نسبة إلى بنـــي هـــلال أصـــحاب الأحداث التاريخية والآثار الأدبية التي توارثتها الأجيال، وأحاطتهـــا بهالـــة مـــن

التقديس جعلتها تأخذ بعدا ميثولوجيّا، احتفظت الذاكرة الجزائرية بشذرات منه وقيدتها في أدبها الشعبي، فتناقلتها الرّوايات الهلالية الجزائرية، والتي تصوّر في عمومها صراعا مديدا بين فئتين: عربية وبربرية [44].

واسم "الجازية" قد تسمّت به تلك الأميرة الهلالية الحكيمة التي تسمو على العواطف في مواقفها، ذات أنفة وكبرياء، تقوم بأدوار يعجز عن القيام بها الأبطال من الرّجال، صاحبة جمال وذكاء وقدرة نادرة في تخليص الهلاليين من المواقف الصعبة الحرجة؛ لرجاحة عقلها وحدّة فطنتها، والتضحية لأجل أهلها على رأس مبادئها! والمتتبع لهذه السّيرة تبدو له الجازية كإلهة مسؤولة عن النصر، لأن إسهاماتها في الحروب يحفّها نجاح متواتر! ولعله من هذا الموروث نما في التصور الشعبي أن الجازية امرأة بديعة الخَلق، ونفاذ بصيرتها لا يحدّ، فقدّس اسمها قداسة فعلها الأسطوري!

– **حوريّة:** لا مراء في أن هذا الاسم يذكّرنا بتلك الأسطورة التي تحيا في ثقافات كثيرة، وتتعلّق بكائن أسطوري نصفه الأعلى أنثى وما دونه سمكة، يسمّى بحوريّة البحر، وقد اعتنت به الميثولوجيا اليونانية والرّومانية، كما يتضمّن القَصص العربي شيئا قريبا من هذا كما هو وارد في ألف ليلة وليلة، والمتّفق عليه رغم اختلاف الرّوايات ما توسم به هذه الحوريّة من سحر الحُسن والبياض [45]، وهذا ما يحرص عليه الفنّ التّشكيلي الذّي يحاول تجسيد ما تناقلته المخيّلة الإنسانية. ومن المحتمل أيضا ارتباطه بحور العين اللائي وصفن وصفا عجائبيا! وهذا استنادا إلى ما نتوارثه في عاميّتنا من ممارسات لغوية/ ثقافية.

– **حيزيّة:** تعلق هذا الاسم في الموروث الشعبي الجزائري ببطلة قصّة تشبه قصص العذريين في التراث العربي القديم، غير أن الرّواة سردوها بأساليب مختلفة جعلتها تتأرجح بين كفتي الواقع والخيال، ومع ذلك شاع منها ما نظمه ابن قيطون، الذي وصفها وصفا بديعا فكانت رمزا لكمال الخَلْق والخُلُق، فضلا عمّا تعلّق بها من معاني الإخلاص والوفاء، فمارس الفنّانون نصّه كمادّة غنائية وسينمائية ممّا زاد في شهرتها وتوارثها، فحازت بذلك عقول المعجبين والعاشقين.

المعجم يُعزّ المنفور من الأسماء:

من الضّرورة أوّلاً الاتّفاق على أننّا نروم الاجتهاد في تفسير ما غمُض علينا من ظواهر أنثروبولوجية حكمت الفعل الأنثروبونيمي الجزائري، اعتمادا على

جهود المعجم العربي الذي يحفظ لنا الأصول اللّغوية وفروعها اللّفظية، على أساس أنّ الأسماء لا تنفلت من ربقة اللّغة، ولكن هذا لا يعني الحكم المطلق في تعيين المرجعيات الدّلالية؛ لأنّ مسائل التّداخل اللّغوي قد فرضت نفسها على محكّ الاستعمال فبات الاسم الغريب غير الأصيل عربيّ التداول.

ثمّ لا يمكن أن ننكر دور العامّيات واللهجات في التدخل في عمليّات التسمية استنادا إلى المبتذل من معانيها، ممّا يعسّر الإمساك باتّجاهاتها الثقافية، فضلا عمّا تسبّبه من تغييرات في ما صحّ انتسابه إلى الفصيح. ومع ذلك، يستدعي الأثر الدلالي المعجمي[46] الإشادة بقيمة حامله (المعجم) الذّي يترجم تلك الحمولات الاجتماعية في الأسماء، التي فيها من الدلالات الزاهية ما فتره عنف العاميّة فأسأنا النّظرة إليها ثمّ صرفها الدّهر...

مثلا، كم سيحسن ظنّنا باسم "صرهودة" إذا أخذناه مأخذ تركيب مزج فيه طرفان (صر+هودة)؛ لأننا سنجد أن أوّلهما قرين بالشدّة لغة، وبالتّوبة يتعلّق ثانيهما، وكم سيعلو شأو "بيّة" إذا احتملنا أنّها الأبية التي خدشت العامّة إباءها حين أسقطت فاءها، بل ستقلب الفصحى رأينا حين تواجهنا بأنّ "برنية" هي الواحدة من أجود التمر وأعذبه حلاوة، وتجعلك تعكر على "العكري" إذا سلمت بأن العِكْر لغة يخرج إلى معاني العطف والحنان، ومن اللطيف أن نلفي "الوغدة" خادمة قومها، وتجري في مجراها "خدّومة".

ومن المفاجئ أن يصحّ نسب "رهويّة" إلى الرَّهْو وهو السّكون أوالمطر السّاكن، ويعلو شأو "الجدلة" بوصفها الجارية مجدولة الخَلق وحسنة التّصوير، ولعلّ "فيّالة" تنتسب إلى التّفيّل وهو زيادة الشّباب ومهكته، وغير بعيد عن بَحْتَة "بَحْتُوتَة" فلربّما جنس من تصغير العامّة، وقد جاء في اللغة: "إن شئت قلت: امرأة عربيّة بحتة، أي خالصة النّسب". وتصادفنا "الوَزْنَة" لغة بمعنى المرأة القصيرة، وأجمِل بالوَازْنَة إن احتملنا فصاحتها فكانت من ثقُل ميزانها واستكان غيرها في مرتبة الدّونيّة!.

ومن أسمائنا المستغربة "خبَّالة"، ولعلّ ما في اللّغة يشفع لها، حيث يقال: خبّله الحُبّ إذا أفسد عقله وأذهب فؤاده، ومن المحتمل أيضا أن تكون "الفاخت" هي الفاختة، يقال: تفتّخت المرأة إذا مشت مشية الفاختة، وهو ضرب من الحمام المطوّق، وقيل أيضا: هي مشتقّة من الفَخْت، وهو ضوء القمر أوّل ما يبدو.

وممّا أثار استغرابنا أيضا اسم "شرموخة" الذي افتُقد جذره في المعجم، ومع ذلك وجدنا الشُّمْرُوخ دالاً على ما اعتلى شيئا ما، فلعلّه الأصل الذي تحوّر منه الفرع وتشوّه، خاصّة إذا سلّمنا بطواعيّة اللغة للتّحريف على لسان العامّة.

كما نعتقد أيضا أنّ اسم "فرهودة" قرين الفُرهد، وهو النّاعم التّار من الغلمان وما أغلى وزن" تبر"! لأنه لا يقال إلاّ للذّهب، وكم يشيع اسم "عَدْرة"! وتلقّب به في الواقع العامّي أيضا المرأة القويّة، ممّا يجعلنا نرجّح انتماءها الفصيح، إذ جاء في اللّغة: العُدْرَة، الجرأة والإقدام...

إنّ هذه النّماذج الاسمية بهذا الانفتاح الدّلالي المختلف بإمكانها الإسهام في بلورة الرّؤى الأنثروبولوجية لمستعمليها الأوائل؛ والظّاهر أنّها تعكس تعلّقهم بالطّبيعة ومؤثّثاتها المختلفة، كما تحيي ذاكرتهم الاجتماعية المحتفِظة بجميل القيم التي تشغل المتخيّل الإنساني باستمرار، فضلا عمّا تستثمره من معطيات الحياة في عمومها...

لكن ماذا عن أنثروبونيميا السّاحة الجزائريّة اليوم؟ يبدو أنّنا نستخدم الأسماء استخداما وظيفيّا محكوما بعلل كثيرة، بدليل أنّ الأغلبيّة لا تعي كُنه الوثاق بين الاسم ودلالته اللّغوية، بل لا يكترثون البتّة لنسبة قرابته من اللغة العربية أو شطئه عنها، والأنكى اللاكتراث في تحسّب درجة انتمائه اللغوي الأصيل وإن كان لغير العربية، ناهيك عن اللاّمبالاة المتحكّمة في مزاج التّسمية مع الانتصار لما جذب السّمع وأثار النُّهى!

لقد صار الفعل الأنثروبونيمي حقيقة مدار رحى التّنافس بين أغلب الجزائريين الآن، فترى الواحد منهم يتخيّر ممّا استجدّ من أسماء الأعلام لاسيما تلك التي تمنحها الشّبكة العنكبوتية عبَثا! ويشدّد على مداراته ليفاجئ أقرانه وأهله به، وكأنّه رفع عن الإنسانية حرَجا! فإذا ساءلته عن المعنى استنكر لسُؤْلك أو قد يهذي بما شاء ليقمَعك! والأغرب أن يجني على اللغة ويحمّلها مالا طاقة لها به! والأشدّ غرابة تسليم السّلطات بتقييد الاسم رغم عُجمته! وعجيبٌ أمرها حين تستشيط غضبا أحيانا على من يريد منح خلفه اسما يعلم أصالته بحجّة أنه غير عربي! نحن لا نسرد خيالا، وإنّما هي وقائع حييناها وأخرى بشهادات أعيان!

ممّا يمكن التّمثيل به هنا اسم "ركان"، لقد عجبنا لتعصّب موثّقي المواليد في بلدنا وإصرارهم على حرمان الرّاغبين فيه منه، في الوقت الذى تناهى المشرقيون في التّسمي به، ألَسنا ننهل من ذات المَعين؟! إنّ قوائمنا الاسمية الهزيلة والمتقادمة

المرخّص بها أوْلى بالإجابة! ثمّ إذا هي لم تحظ بالرّعاية المستحَقّة فلم يحاججون بما ليس لهم به علم؟ فالأولى بالحجّة الواهية الوفرة اللاّمحصية من الأسماء الأعجمية (ليديا، سيليا، شيراز، نريمان، اسكندر، نادين، جُلنّار، جوري، جوليا إلين...) إن كانوا حقّا ذوو أنفة على التأصيل! أمّا "ركان" فخالص العروبة، يقال: ركِن إلى الشّيء أي مال إليه وسكن.

وممّا يستحثّ الفطن ميل العربيّ إلى استحداث تصاريف لغويّة لم تسردها المعاجم لذات الدّلالة المطلوبة، قاصرا إيّاها على التّسمّي، من ذلك- على سبيل التّمثيل لا الحصر- "رتال"، ويتمسّك مانحوه بقصدية مرتّلة القرآن! وقد تعاملوا أيضا مع "رِناد" على أنّه جمع للرّند الذي هو أصلا جمع، واحدته رندة، وما ذكرت المعاجم شيئًا من ذاك! وفي مقابل هذا، يكثر في العقود المتأخّرة امتهان أسماء الفنّانين إعجابا، ويغيب عن موظفيها أصالة بعضها، كاسم "لميس" مثلا، وهو في اللغة المرأة اللّيّنة الملمس، ومهنّد صفة للسّيف المصنوع من حديد الهند، والأدهم الضارب إلى السّواد، والأيهم الجريء الذي لا يستطاع دفعه، ودارين اسم موضع ينسب إليه المسك، ونحتمل أن يكون الأصل درين ولحقها المدّ تخفيفا، والدّرين الشّيء العتيق...

وممّا يجذب الأنظار كذلك، جنوح بعض الآباء إلى منح أبنائهم أسماء يتوسّمون فيها دلالاتها الصّريحة، لكن بمنطق العامّة في كلامها، من ذلك اسم "قائمة بالدين"! المشعر بلزوم ما قد لا يلزم معه!....

كانت هذه نماذج اسميّة من وافرٍ لا يحدّ، قد يستغرق البحث فيه العمر كلّه ولا ينفذ! لأنّ الفعل الأنثروبونيمي فعل لغوي دينامي منفتح على كلّ باب حياتي، وهو دقيق الوصف لمجمل التّصوّرات والممارسات الأنثروبولوجية السّاعية من ورائه إلى تحقيق التّفاعلية الاجتماعية؛ نظرا إلى تعلّقه بما يؤثّث الوجود عامّة وما يعمّر المخيال الإنساني خاصّة.

وهذه النّظرات العجلى إلى تلك الكينونة الجزائريّة المميّزة بفعلها الأعلامي الرّامي إلى تعميق آثار هوّيتها قد أسفرت عن تفرّد أنوماستيكي حينا واندماجا في التاريخ اللغوي العربي حينا آخر، ولكلّ منهما عوامله الخاصّة، وقوام ذلك جميعا تلك الرؤى الثّقافية والسّلوكات الاجتماعية والأهواء النفسيّة للذّوات، حيث شغلها الذّكر، وأجهدها قهر الموت، كما ترصّدت الجمال، ورهبت الخسارة، وتأمّلت

الفوز، واستنكفت المرض، ومجّدت اللون، واستبشرت بالغنى، وتجاهلت الحزن وناشدت كلّ مرغوب... وابتغاء ذلك لم تجد حرجا في تجاوز المتاح إلى استحداث أسماء تليق بطموحها، مشترطة فيها جمال الإيقاع وبعد الأثر!

والملاحظ أنّ هذا الأمر كثيرا ما يطال اسم الأنثى دون الذّكر، ممّا يؤكّد على أن اسمها جزء من الرّغبة فيها والتّمسّك بها، إذ تصف قرائنها الأنثروبونيمية بالغ الاجتهاد في حمايتها من عوارض السوء، فتوسّموا فيها الخير كلّه، وبحثوا فيها عن الأنوثة ومكمّلاتها...ولكن في الآن ذاته رغبوا عنها حين اعتقدوا بأنها ستسلبهم مفخرة الذّكورة التي يحيون عليها!...

وفي ضوء هذا كلّه، من الضرورة الدّعوة إلى استثمار الدّرس اللساني في معالجة واقعنا الأنثروبونيمي؛ لمكاشفة خصائصه الإبلاغية، التي تواجه تحدّيا حقيقيا مشدودا بين التّحديث الوضعي المنحرف وعشوائية التداول! ويقتضي هذا الأمر لزوم الإشادة بدور المعجم العربي في إماطة اللثام عن المحتوى الأنتروبولوجي لأسماء الأعلام، بله تصحيح المسار العقَدي للفرد العربي /الجزائري!

الهوامش:

(1) ابن الأنباري، كتاب الأضداد، تح: محمد إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان،(دط)،1987 ص 235

(2) السيوطي، المزهر، ضبطه وصححه: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، ط1998،1، 49/1 .

(3) ابن جني، المبهج في تفسير أسماء ديوان الحماسة، نقلا عن: إبراهيم الشّمسان أسماء الناس في المملكة العربية السعودية، مكتبة الملك فهد للنشر، السعودية ط2005،1، ص 13 .

(4) الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، شر: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا لبنان،(دط)،2003 ص 408 .

(5) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، تص: المكتبة السلفية، مطبعة المؤيد، القاهرة (دط)، 1910، ص62.

(6) محمد سعيدي، الاسم دلالته ومرجعيّته، مقاربة أنثروبولوجية (http://www.aranthropos.com)

(7) محمد رياض، الإنسان دراسة في النوع والحضارة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة،(دط)، 2012، ص331.

(8) هدى جباس، الاسم هوية وتراث، مجلة إنسانيات، عدد مزدوج:30/29، جويلية- ديسمبر،2005، ص145.

(9) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(10) المرجع نفسه، ص146.

(11) المرجع نفسه، ص168.

(12) هدى جباس، الاسم هوية وتراث، مقاربة انثروبولوجية لدلالة الاسماء في قسنطينة، مذكرة ماجستير، قسم علم الاجتماع، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005، ص34، 35.

(13) هدى جباس، الاسم هوية وتراث، ص169.

(14) حسين فهيم، قصة الانتروبولوجيا، عالم المعرفة، الكويت،1986، ص19.

(15) ليفي شتراوس، الأنتروبولوجيا البنوية، تر: مصطفى الصالح، دار الثقافة دمشق، (دط)،1977، ص91

(16) ابن الجوزي، كشف النقاب عن الأسماء والألقاب، تحقيق: ع العزيز الصاعدي،ط1، 1993، ص 55.

(17) بن منظور، لسان العرب، (دتح)، دار الحديث، القاهرة، مصر،(دط)،2003 (نبز)، 431/8.

(18) حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية مصر،(دط)،1989،ص 01.

(19) مصطفى بركات، الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب، القاهرة، (دط) 2000، ص11.

(20) ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هـــارون، دار الفكـــر، (دط)، 1979، 139/5

(21) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات(الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان)، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1992، ص54.

(22) ينظر: إبراهيم براهمي، في أعلاميّات الأشخاص الجزائريـــة، مـــدخل لســـاني تداولي، مجلة اللغة العربية، الجزائر، ع30، 2013، ص148-156.

(23) المرجع نفسه، ص159،158.

(24) الزبيدي، تحفة الأحباب في الكنى والألقاب، تح: محمد فاتح قايـــا، دار البشـــائر الإسلامية، بيروت، ط1، 2009، ص19

(25) ريتا عوض، أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربـــي الحـــديث، مـــذكرة ماجستير، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1974، ص25

(26) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (عيش)،445/6

(27) جاء في الصحاح للجوهري (تح: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيـــروت، لبنان، ط1948،1): أوهمت الشيء إذا تركته كله (وهم)،1513/2

(28) ينظر: ابن فارس، المقاييس في اللغة، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، لبنان،(دط)،(دت) ،(ترك)، ص170

(29) ينظـــر: مجمـــع اللغـــة العربيـــة، المعجـــم الوســـيط، المكتبـــة الإســـلامية، مصر،(دط)،(دت)، (همل)، 995/2

(30) ينظر: لسان العرب، (شيخ)،245/5

(31) ينظر: لسان العرب، (شهل)،221/5

(32) يقال في اللغة: دوخناهم إذا قهرناهم وذللناهم، ينظر: الفيروزبـــادي، القـــاموس المحيط، مكتبة تحقيق التراث، بيروت ط2003،7، (داخ)، ص250.

(33) ويقال: أجبرته على كذا: حملته عليه قهرا وغلبة، ينظر: الفيـــومي، المصـــباح المنير، دار الفكر، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، (جبر)، ص89

(34) ينظر: المعجم الوسيط(هنأ)،996/2

(35) الحبر: الجمال والبهاء، ينظر: أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، رتبه محمــود خاطر، دار الفكر، بيروت، (دط)، 2006 (حبر)، ص60

(36) ينظر: لسان العرب(شغم)، 141/5

(37) ينظر: لسان العرب (مزي)، 276/8

(38) ينظر: المقاييس في اللغة،(زعر)، ص455

(39) ينظر: المقاييس في اللغة،(بحر)، ص114

(40) ينظر: لسان العرب، (نفج)، 637/8.

(41) ينظر: جمعية التجديد الثقافية، الأسطورة توثيق حضاري، البحرين،ط2005،1، ص198

(42) ينظر: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، 211/1

(43) ينظر: المرجع نفسه، 212/1

(44) ينظر: لسان العرب، (زهر)، 420/4

(45) ينظر: بوخالفة عزي، تغريبة بني هلال بين التاريخ والروايــات الشــفهية الهلاليــة الجزائرية، رسالة دكتوراه، قسم اللغة والأدب العري، جامعة الجزائر، 2003، ص 349.

(46) وهذا ما يوافق مادتها اللغوية (حور)، حيث جــاء: حــوّرت الشّــيء: بيّضــته والحواريّات: النّساء البيض، ينظر: المقاييس في اللغة، (حور)، ص 288

(47) سنتجاوز هنا الإحالة إلى المتون المعجمية حرصا على تقليص مساحة التهميش، وبإمكان القارئ الاستدلال على كل اسم بمجرّد العودة إلى مادّته الاشــتقاقية فــي لســان العرب لابن منظور.

"أسماء الأعلام الغريبة
في سجلات الحالة المدنية الجزائرية".

داه أمال بوقرة جامعة الجزائر2.

د. مليكة بلقاسمي جامعة الجزائر2.

الملخص: تهدف الدراسة إلى تبيان واقع الأسماء الغريبة في السجلات المدنية الجزائرية وأثرها على المجتمع من مختلف الجوانب وقد اتبعنا المنهج الوصفي التحليلي، وقمنا بوصف هذه الأسماء ومظاهرها، إذ حللنا هذه الظاهرة، أسبابها مخاطرها على المستوى الإجتماعي والثقافي وحتى اللغوي وتوصلت الدراسة إلى أهم النتائج التالية: إن دخول الأسماء الغريبة في الموروث الثقافي الجزائري يؤثر بشكل سلبي ومباشر على الهوية الوطنية.

Le résumé: L'étude vise à montrer la réalité des noms étranges dans les archives civiles algériennes et leur impact sur la société sous différents aspects Nous avons suivi l'approche descriptive analytique Nous avons décrit ces noms et leurs manifestations Nous avons analysé ce phénomène, ses causes et ses risques au niveau social, culturel et même linguistique. Ce qui suit: L'entrée de noms étrangers dans le patrimoine culturel algérien affecte directement et négativement l'identité nationale.

الكلمات المفتاحية: الأسماء، الهوية، الأبعاد اللغوية.

مقدمة: تعتبر الأسماء الغريبة ظاهرة من الظواهر الاجتماعية المتفشية في مجتمعنا اليوم ويصعب التعامل معها والتحكم فيها والحقيقة ولقد أصبح اختيار الأسماء خاضعًا لتيار المحاكاة والتقليد إلى جانب خضوعها للمناسبات والمزاج والظروف والعفوية والتلقائية، والعربي شغوف باللفظ الخفيف، فكان طلب الخفة وحسن الجرس عاملاً من عوامل اختيار الاسم. أما تقليد الناس بعضهم بعضا في الأسماء فله عدة أسباب، فالأمر أتاح للأسماء الوافدة والمثيرة أن تنحي جانبا أسماءنا الأصيلة التي تعيد إلى أذهاننا صورة الماضي الحافل بالأمجاد وتثير في نفوسنا المعاني النبيلة والقيم الفاضلة الجليلة. وقد تناولت العديد من الدراسات موضوع الأنوماستيكي وأشكاله بصفة عامة

وعلى الرغم من انكباب المختصين حول هذا الموضوع، إلا أن ما قدم بشأنها لم يبلغ بعد الاهتمام اللازم، خاصة بعد أن ظهر بشكل ملحوظ ومؤثر هذا ما دفعنا إلى البحث فيه والتطرق بصفة خاصة ومعمقة إليه.

الإشكالية البحثية: تحتل إشكالية التسمية البشرية الأنوماستكية الغريبة قطب الأهمية المركزية في مجال الدراسات الاجتماعية الحديثة، وتطرح هذه المسألة نفسها بقوة في خضم القضايا الاجتماعية التي تواجه المجتمع الجزائري المعاصر لقد أثارت هذه المشكلة نقاشات حادة ومستمرة أدت إلى بروز الكثير من التفسيرات التي تهدف إلى فهم هذه الظاهرة ومعرفة اتجاهاتها في دائرة ارتباطاتها الديناميكية مع أشمل قضايا الحياة الإنسانية وانعكاساتها على الهوية الوطنية. ولهذا اردنا التعمق في دراسة الأسماء الحديثة والغريبة ومعرفة أسبابها ودوافعها الاجتماعية واللغوية وما يترتب عنها، ومن هذا المنطلق وبغرض المعالجة والإحاطة بموضوع" واقع أسماء الأعلام الغريبة في المجتمع الجزائري وانعكاساتها عليه" نطرح الإشكالية التالية: **ما هو واقع أسماء الأعلام في المجتمع الجزائري؟** ومن خلال هذه الإشكالية نتجت التساؤلات التالية:

1- ماهية أسماء الأعلام؟

2- ما هى الحقول الدلالية لأسماء الأعلام؟

3- مدى تأثير التصنيفات الدلالية الجديدة للأسماء بالأوضاع السوسيوثقافية الجزائرية؟

منهج الدراسة:

أما المنهج الذي سنتبعه في هذه الدراسة لكي نصل إلى النتائج المرجوة هو **المنهج الوصفي التحليلي** لأن البحث متعلق بوصف ماهية الأسماء الأعلام الغريبة بصفة عامة، بالإضافة للتحليل الذي يخص واقع هذه الأسماء في المجتمع الجزائري ومخاطرها.

أهمية الدراسة: تكمن أهمية هذه الدارسة فيما يلي:

- اهتمامنا بالدراسة اللغوية الدلالية الأنوماستيكية في الحفاظ على وحدة للهوية الوطنية.
- التعريف بموضوع أسماء الأشخاص وبشكل خاص الجانب اللغوي منه.
- تبيان أسباب الولوج إلى تسمية المواليد بأسماء امازيغية في السجلات الحالة المدنية بالجزائر.

أهداف الدراسة: تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف يمكن تلخيصها فيما يأتي:

حديث عن الاسم الشخصي في مُحاولةٍ لإبراز مكانته ضمن النظام التسموي ككل في الجزائر، وذلك عبر التركيز على الكشف عن أهم ملامح المخيال التسموي مع الإشارة إلى مسألة التشويه الدلالي الذي تعرّض له اسم العَلم الجزائري خلال مُحاولة هيكلة نظام حالته المدنية وفق الأُسس التِّي وَسَمت به نظام الأمازيغي.

يهدف إلى إعطائنا وصفا دقيقا وواقعيا لموضوع أسماء الأعلام في الجزائر والمتغيرات المتعلقة بالحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية.

الكشف عن أهم الوحدات الدلالية للمنظومة التسموية في الفضاء المدني الجزائري فيما يخصُّ شقَّها المُتعلِّق بالاسم الشخصي-الأنثوي والذكوري- وذلك باستقراء دلالات التغيُّر في خارطة الاختيارات التسموية.

رصد أهم القوائم المتبعة فيما يخص التسميات المدرجة من طرف الدولة وهل تتناسب مع المستوى الثقافي والاجتماعي للفرد الجزائري.

الوقوف على الأسباب الحقيقية الكامنة وراء اختيار هذه التسميات ومحاولة إيجاد البديل لها.

تحديد المفاهيم:

الأسماء:

تعريف الاسم:

فالاسم لفظ موضوع على جوهر أو عرض لتعينه وتميزه: قال الزجاج: معنى قولنا اسم هو مشتق من السمو، وهو الرفعة، قال والأصل فيه سمو.

قال "إبن سيدة": الاسم اللفظ الموضوع على الجوهر أو العرض لتفضل بعضه على بعض

الاسم عند "الجوهري": مشتق من سموت لأنه تنويه ورفعة، وتقديره ارفع، والذاهب منه الواو لأن جمعه أسماء وتصغيره سمي.[1]

الهوية: وهي حصيلة لمجموعة من انساق العلاقات والدلالات التي يستقي منها الفرد معنى لقيمته، ويضع لنفسه في ضوئها نظاما يشكل في إطاره هويته بحيث تتوفر له من جراء ذلك إمكانية تحديد ذاته داخل الوسط السوسيوثقافي باعتباره نظاما مرجعيا على المستوى السلوكي.[2]

الاسم عند الكوفيين مشتق من الوسم وهو العلامة، والاسم وسم على المسمى وعلامة له يعرف به، ويذهب البصريون إلى أنه مشتق من السمو وهو العلو، لأن الوسم في اللغة هو العلو، والاسم يعلو على المسمى ويدل على ما تحته من المعنى. فالاسم علامة يحملها الإنسان أو المكان أو الحيوان يعرف بها ,ومن ثم فإن إختيار الاسم للإنسان يحمل الكثير من الدلالات، ويفسر الكثير من الظواهر الإجتماعية وغيرها.[3]

الأبعاد اللغوية: إن الأصل في أسماء الأشخاص أو الأفراد في أغلب الثقافات وكل المجتمعات تشكل ألفاظ لغوية، وتمثل أصواتا لغوية وتشكل ألفاظا لغوية، وتشكل مجالا خصبا للدارس اللغوي أو الألسني، فإذا كانت اللغة تمثل نظاما من القواعد أو الإشارات، فغن من وظائفها أنها أداة تنتج تفاعلا اجتماعيا كذلك الاسم الممنوح للفرد فإنه يشكل أداة اتصال بين الفرد والمجتمع.[4]

سنتطرق بالتفصيل في هذه الدراسة لأهم نقاط هي عبارة عن محاور تتدرج فيما يلي:

المحور الأول: مفهوم أسماء الأعلام وحقولها الدلالية.

ا- **تعريف اسم العلم:** هو الاسم الذي يدل على مسماه بذاته، ودون قرينة خارجة عن لفظه. مثل: محمد، ومكة، وفاطمة، والقدس، وأبو يوسف، وعبد الله.

فالكلمات السابقة دلت بلفظها، وحروفها الخاصة على معنى واحد معين محسوس، ولا تحتاج هذه الدلالة إلى مساعدة لفظية، أو معنوية لتساعدها على أداء المعنى، بل تعتمد على ذاتها في إبراز تلك الدلالة.

فالاسم العلم كما عرفه ابن عقيل هو "الاسم الذي يعين مسماه مطلقا". أي من غير تقيد بقرينة تكلم، أو خطاب، أو غيبي، أو إشارة حسية، أو معنوية، أو زيادة لفظية كالصلة وغيرها من الزيادات اللفظية الأخرى، أو المعنوية التي تبين وتعين مدلوله، وتحدد المراد منه لأنه علم مقصور على مسماه.

2 ــ **أنواعه:**

ينقسم العلم إلى أنواع مختلفة بحسب الاعتبارات الآتية:

أ ــ ينقسم باعتبار تشخيص معناه إلى علم شخصي، وعلم جنس.
ب ــ وينقسم من حيث الأصالة في الاستعمال إلى مرتجل، ومنقول.
ج ــ وباعتبار اللفظ إلى مفرد، ومركب.
د ــ وباعتبار الوضع إلى اسم، وكنية، ولقب.

أنواع أسماء الاعلام: ولكن يمكن عموما تقسيم أسماء الأعلام إلى الفئات التالية:

أسماء البشر (les anthroponymes): وتضمّ الأسماء الشخصية وأسماء الأسر والألقاب و الكنايات وأسماء الشهرة وغيرها من الأسماء الخاصة التي يتسمّى بها البشر، نحو محمد وعلي وزينب وذو الكفل ونابوليون.. إلخ

الأسماء الجغرافية les toponymes: وتتضمن أسماء القارات والبلدان والمقاطعات والمدن والشوارع وغير ذلك من الأماكن، وكذا أسماء المحيطات والبحار والأنهار والأودية والبحيرات وباقي الأسماء الجغرافية.[5]

ب- **الحقول الدلالية لأسماء الأعلام:** هناك عدة حقول دلالية تعبر عن أسماء الأعلام أهمها:

أسماء في حقل النبات: المجالات الدلالية لنقل أسماء الأعلام يمكن أن نصف الأعلام المنقولة عن الأسماء بحسب ما نقلت عنه على النحو التالي: أزهار، أفنان، بلحة، تمرة، ثمرة، ثمر، بنجر، حتاته، حرمل، حما ط، حنظل، حوذان، رمان، رمانه، زرعة، زيتونة، لومي، سوسن، شيحان، عرفج، عرار، عويشر، غرسة، مشمش، نبات.[6]

أسماء في حقل الحيوانات: يحتل الحيوان مكانًا مهمًا في حياة الإنسان فهو أقرب الموجودات إليه لأنه مخلوق ذو لحم ودم ونبض للحياة وقادر على التفاعل معه، فيه الكثير من الصفات كما أنه يحتل مساحة واسعة في المكان نصادفه في البيت والفناء ونلقاه في الحقل والصحراء فهذا الوجود له تأثير يتعدى إلى وجود لغوي فكري نظرا لضخامة معجم الحيوانات بكل الأجناس واللغات والألفاظ كما أن له دلالة لغوية اجتماعية فهذا التأثير نلتمسه في الأسماء المستعارة للإناث[7].

المحور الثاني: المؤثرات الأساسية في اختيار التسمية في المجتمع الجزائري.

عندما ترزق الأسرة الجزائرية بمولود جديد يفكر أفرادها في اختيار تسمية له، وقد ينفرد بهذا الاختيار الأب والأم ولاشك أن الظروف الاجتماعية والثقافية والسياسية التي تحيط بالمجتمع تتضافر كلها على توجيه هذا الاختيار والتأثير فيه، ومن هنا تكون دراسة هذه المؤشرات أمرا ضروريا :

1. **الدين:** إذا نحن أمعنا النظر في الأسماء الجزائرية أيقنا يقينا لا يقبل الشك أن للدين دورا هاما في عملية اختيار التسمية للمولود الجديد. يظهر ذلك في كثرة الأسماء

المركبة مــن كلمة (عبد) مضافة إلى اسم الجلالة، والأسماء المركبة من كلمة (محمد) مضافة إلى اسم من أسماء الرسول وصفاته. وأسماء الرسل والأنبياءء والخلفاء والصــحابة والصــحابيات والأولياء، وأسماء السور القرآنية وغيرها. وتشكل الأسماء المستوحية من الدين والمتصلة به النسبة الكبرى من أسماءء الجزائريين.

2. **السياسة:** يتأثر الفرد بالأحداث السياسية ويتفاعل معها ويكون لهذا التأثر والتفاعل أثره في اختيار التسمية للمولود الجديد فالذين عاشوا أحداث حرب التحرير اختاروا لأطفالهم أسماء القــادة والزعماء الثوريين مثل: "لطفي"، و"عميــروش"، و"بــن بلــة" و"يوســف"، "ورمضـــان"، و"حسيبة"، و"مليكة"، و"جميلة"، و"ديدوش"، و"مراد...." والذين عاصـــروا أحــداث الثورة المصرية سموا أطفالهم "جمال" و"عبد الناصر". والذين ولدوا بعيد وفاة الــرئيس ديسمبر 1978 الراحل "هواري بومدين" أو بعد سطوع نجم "صدام حسين" تسموا بهؤلاء وهكذا.

3. **المناسبات المختلفة:** يرتبط اختيار الإسم في المجتمع الجزائري بالمناسبات المختلفة فإذا ولد الطفل فــي أحــد الأشهر القمرية المعروفة سمي بهذا الشهر، مثل": رجب"، و"شعبان"، و"رمضان"، وإذا ولد ولد في يوم المولد النبوي سمي: "مولود" أو "ميلــود"، ليلة العيد أو نهاره سمي "العيد وإذا ولد أول الشهر القمري سمي "هلال" وإذا ولد أول الربيع سمي "ربيع" أو "ربيعة" وإذا،" وإذا ولد يوم عاشوراء سمي "عاشــور، وإذا ولد يوم الجمعة سمي "بو جمعة" وهكذا.

4. **وسائل الإعلام:** يتأثر الناس بوسائل الإعلام المختلفة ويكون لهذه الوسائل وخصوصا التلفزيــون تأثيرهـــا المباشر على الأسرة لاسيما بعد أن زادت مشاهدة التلفزيون مع تحسن الإستقبال وازديـــاد القنوات كل عام ووفرة الأجهزة، وكل ذلك ينعكس على سلوك الفرد والمجتمع ويكون لـــه تأثير على عملية اختبار التسمية للمولود فأسماء كثيرة لم تكــن متداولـــة فـــي الوســـط الجزائري قبل انتشار التلفزيون أضحت منتشرة فجددت بذلك مخزون الأسماء ومن أمثلـــة: هذه الأسماء: عبــد الحلــيم"، و"فريــد"، و"وحيــد"، و"فيــروز"، و"ســميرة"، "لطيفـــة". و"نجلاء،"

المحور الثالث التطبيقي: إحصاء أسماء الأعلام الغريبة في السجلات المدنيـــة الجزائرية – بلدية بوزريعة أنموذجا– دراسة ميدانية.

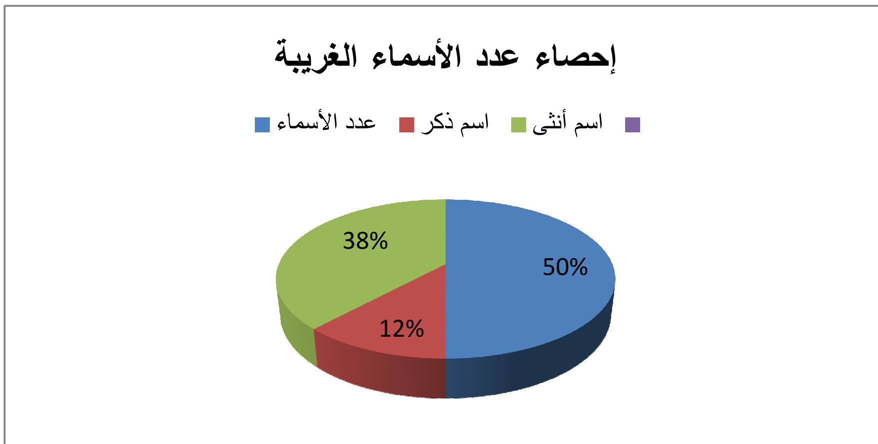
ترصدنا أسماء المواليد في سجلات المواليد في مصلحة الحالة المدنية لولاية الجزائر بلدية بوزريعة، التمسنا أسماء ذكور وإناث المميز فيها أنها تنتمي لحقول دلالية مختلفة وهي:

حقل النبات، حقل المماليك والآلهة، حقل المعادن النفيسة. حقل الأصوات، حقل الحيوانات، أهمية أسماء الأشخاص في الأديان.

الإحصاء ودراسة الأسماء: ونحاول أن نقدم القائمة التي تحصلنا عليها من مصالح الحالة المدنية لبلدية بوزريعة في العاصمة من خلال سجل مواليد سنة **2018 (فترة من 1 جانفي إلى 30 جوان)** وهي:

إيليناريز –أناييس – نليا – زوبيدة ليلس –أريام– إسراء درصاف –أصلان عبد المالك – أمال إلين –أكسيل –ميرال –ياني – أنيا مانيا –يوبا – أنيا – سرين – غيلاس –إيناس – أحمد بوبو – ملينا – ميسا جيهان –أليسار – ياني حسن –سيرين –دينا –وسيل –ثيزيري– رسيم–إيناس –إيليا–إيناس –أناييس–مليسة –رشا – رسيم عبد الرؤوف – نورهان –مرام– سيرين – إيناس – سيدرا –شيراز – أصيل إليان – ميرال زاهية – درين – أريام.

تم إحصاء **46** اسمًا منها **11** اسمًا لذكور و**35** اسمًا للإناث. وسيتم وصفها وإعطاء دلالاتها ومعانيها وتأثيراتها على المناخ العام للتسمية في الجزائر في جدول أسماء الأعلام.



من خلال الدائرة النسبية يتضح لنا أن عدد الأسماء الغريبة تتراوح بنسبة 50% من بينهم أسماء الإناث بنسبة 38% أما أسماء الذكور بنسبة 12%.

الجدول رقم 01: دلالة أسماء الذكور والإناث.

الإسم	الأصل	الدلالة اللغوية
إيليناريز	/	/
أنابيس	/	/
نليا	/	/
زوبيدة ليلس	عربي- أعجمي	**زوبيدة معناه تصغير زبدة وخلاصة اللبن وخلاصة الشيء وأفضل ما فيه ليلس معناه: الزهرة البنفسية.**
أريام	**عربي**	**الغزال الأبيض**
إسراء درصاف	**عربي**	**إسراء معناه: السير ليلا درصاف معناه: اسم من شقين، اولهما (الدرة)، ويعني الجمانة او الدانة، والثاني (صاف)، بمعنى النقي**
أصلان عبد المالك	**تركي-عربي**	**أصلان معناه: الأسد عبد المالك اسم من اسماء الله**
أمال إلين	**عربي- إيرلندي**	**أمال معناه: الأمنية في الحياه والطموح. إلين معناه: جميل وحسن المنظر.**
أكسيل	**أمازيغي**	**نمر-اسم ملك أمازيغي**
ميرال	**تركي**	**الغزال الأبيض**
ياني	**تركي**	**ذكر الفحل**
أنيا مانيا	**روسي- اجنبي**	**أنيا معناه: الكريمة والفاتنة مانيا معناه: المر والقاسي**
يوبا	**أمازيغي**	**المستجيب الأول**
سرين	**إغريقي**	**واحدة من بنات إلاهات الفن وحورية الماء**
غيلاس	**أمازيغي**	**شبل الاسد**
إيناس	**أمازيغي**	**القول الحسن والكلام الموزون.**
أحمد بوبو	**عربي- فارسي**	**أحمد معناه من تحلّى بأفضل الصفات، وهو من أسماء الرسول عليه السلام بوبو معناه طائر الهدهد**

ملينا	يوناني	العسل
ميسا جيهان	عربي- فارسي	ميسا معناه متمايلة مختالة جيهان معناه الدنيا بالفارسية المتبخترة، المتمايلة.
أليسار	عربي	السهولة واليسر
سيرين	إغريقي فارسي	اسم علم مؤنث فارسي الأصل مركب من مقطعين ألا وهما: "سير، ومعناه الشعبان ،وين معناه: علامة لاسم التفضيل العليا، أو تابع للتشبيه والنسبة "معناه: الممتلئة، كثيرة الشبع العبلاء.
دينا	أعجمي	الطاعة، القرض المؤجل
وسيل	عربي	المتوسل إلى الله
ثيزيري	أمازيغي	ضوء القمر ليلا
رسيم	عربي	الماء الجاري، العلامة، الممتثل للأوامر
إيليا	عبري	او إلياس من أنبياء اليهودية.
مليسة	يوناني	نحلة العسل
رشا	عربي	ولد الظبية أول ما يولد
نورهان	تركي	نور الملك
مرام	عربي	المطلب- المقصد
سيدرا	عربي	شجرة النبق
شيراز	فارسي	اللبن المصفىى /اللبن الرائب
أصيل إليان	عربي- لاتيني	أصيل معناه: ذو أصالة والوقت بين العصر والمغرب إليان معناه: شجر النخيل او الشاب اليافع.
درين	عربي	ثوب بال،ما بلي وييبس من العشب.
ريماس	فارسي	مؤخرة الغزال- صغير الجن

التحليل: من خلال هذا الجدول نستطيع القول أن أصول هذه الأسماء بين عدة اصول أهمها أو بالأحرى اغلبها عربي و أمازيغي وأجنبي.وهي على النحو التالي:

جدول رقم 2: أصول أسماء الأعلام وعدد تكرارها.

أصل الأسماء	عدد تكرارها
عربي	**15**
أمازيغي	**5**
فارسي	**4**
تركي	**4**
أجنبي	**3**
يوناني	**2**
إغريقي	**2**
عبري	**1**
روسي	**1**
إيرلندي	**1**
لاتيني	**1**

بالنظر إلى الحقول الدلالية السابقة الذكر يمكن أن نصف الاسماء بالجوانب التالية:

خلال ترصدنا لبعض الاسماء أعلام الإناث منها والذكور الخاصة بالعينة لاحظنا من الناحية الدلالية أن هذه الأسماء جلها لها معاني في اللغة العربية مثال: **اسم أصيل** معناه ذو الأصالة، **اسم أنيا** ومعناه: الكريمة والفاتنة. والباقي لا معنى لها بل تنتمي لعدة حقول منها الأسماء التي تنتمي لحقل الحيوانات مثال: **اسم ميرال معناه** الغزال الأبيض، **اسم أكسيل** معناه النمر، **اسم بوبو** معناه طائر الهدهد. وأسماء أخرى تنتمي لحقل النباتات مثل: **اسم ليلس** معناه الزهرة البنفسجية،

أما من الناحية التركيبية لاحظنا كثرة الأخطاء في بعض الأسماء وهذه الأخطاء منها ما يرتبط بالجانب الصوتي أو المعجمي، عادة ما تكون هذه الأخطاء عن سهو أو عمدا من أحد الطرفين، وهي بزيادة أو نقصان في بنية الكلمة مثال: **اسم ميسا** أصلها **ميساء**، كما نشير إلى ثنائية الاسم مثال: **أحمد بوبو، ميسا جيهان، أصيل إليان.**

من خلال تصفحنا لأسماء الأعلام المسجلة في البلدية لاحظنا أن معظمها غريبة تحمل دلالة مستهجنة والعبثية الغير مسوؤلة صنفناها في خانة الغرابة والدخيلة على العادات والعائلات الجزائرية والتي لا تملك دلالة لغوية واضحة المعالم فهي مزيج بين أسماء حيوانات ونبات ومماليك وآلهة وهذا بحجة أن الأسماء المعتاد تسميتها أصبحت قديمة وبالية ولا تليق إلا بالعجائز من وجهة نظر الأباء لا يهمهم من ذلك إلا مواكبة الموضبة للأسماء. الشيء الملاحظ أيضا عند قراءتنا لهذه الأسماء يأتيك الإيحاء أنها أسماء أجنبية مثال: **إيليناريز –أناييس– نليا– إلين – أكسيل – ميرال –ياني – أنيا مانيا –يوبا – أنيا – سرين.**

الجدول رقم 03: الأسماء وتكرارها

الاسم	عدده
أنيا	02
إيناس	04
أناييس	02
ميرال	02
سيرين	02

هذا جدول يوضح عدد تكرار الأسماء في المدونة المختارة.

نتائج الدراسة: من خلال الدراسة التي قمنا بها تحصلنا على النتائج التالية:

أثبتت نتائج الفرز الإحصائى والدلالى لمدونة بحثنا أن انتقاء الأسماء له دلالات مختلفة ويُعبِّر عن الثقافة المحلِّية الموروثة.

تدني المستوى الثقافي للفرد الجزائري حيث يطلق أسماء بدون تفكير أو أحيانا للنزعة النفسية وهي التفاخر دون إدراك معنى الاسم.

إن معظم الأسماء الحالية غير عربية غريبة ودخيلة على العـــادات والعـــائلات الجزائرية ولا تمتلك أي دلالة واضحة المعالم.

أسماء ترمز اغلبها إلى أسماء الآلهة وأسماء الجن أسماء الحيوانات... وأســـماء أخرى تبقى عديمة الدلالة اللغوية وفي خضم هذا الواقع الذي نعيشه نرى انتشـــارا رهيبًا للأسماء الغريبة في محيطنا وهي تعود لعدة أسباب اجتماعية.

وتكون بعض الأسماء نتيجة لطلب التميز بالتسمية والتفرد بما لا نظير له عنـــد الأقارب، دفعا للبس ورغبة في التميز.

الاقتراحات: من خلال النتائج المتوصل اليها فـــي الدراســـة، يمكننـــا طـــرح المقترحات والتوصيات التالية:

منح الجهات الرسمية قوائم لأسماء ذات دلالة دينية باعتبارنـــا دولـــة مســـلمة للحفاظ على الهوية الوطنية.

منع تسمية المواليد بأسماء غريبة وأجنبية لا تمتّ بصلة لا لثقافتنا ولا لمجتمعنا بل تشوه الطابع الأنوماستيكي الراقي.

ربط المؤسسات الإعلامية بمؤسسات الدولة عن طريق مكتب اتصـــال لغـــوي يتولى تعميم وترسيخ فكرة المواطنة من خلال تشجيع اســـماء الأعـــلام التراثيـــة والدينية وعدم نقل الأسماء الأعجمية للمواليد.

خاتمـــة: كانت هذه الدراسة عبارة عن رحلة قصَـــيرة الأمـــد تســـتهدف فـــي جوهرها تسليط الضوء على واقع الأونوماستيكية في الجزائر وإعادة النظـــر فـــي إختيار الأسماء على ضوء تراثنا الإسلامي العظيم لإحياء المواقف العظيمـــة فـــي صدور الأجيال حان الأوان أن نقضى على الفوضى فى الأسماء ونصل ما انقطع، لأن الاسم هو رمز الهُوية الجمعية المُشتركة الخاصّة، بل إنه **فاعل اجتمـــاعي** ذو دور كبير في التأثير على الحياة السوسيونفسية للأفراد والجماعات.

قائمة مراجع البحث:

باللغة العربية:

سجل الحالة المدنية للمواليد، 2018، مصلحة الحالة المدنية بلدية بوزريعة ولاية الجزائر.

النووي، ابن زكريا محي الدين، تهذيب الأسماء واللغـــات، دار الكتب العلميـــة، بيروت.

شفيق الأنرناؤوط: قاموس للأسماء العربية، دراسة شاملة للأسماء العربية ومعانيهـــا ودليل للأبوين في تسمية الأبناء، ط2 دار العلم للملايين، بيروت، 05.

مصطفى حدية، التنشئة الاجتماعية والهوية، ط1، كلية الآداب، الرباط، المغرب، 1996.

العيد جلولي –أحمد جلايلي، مقال "المؤثرات الأساسية في وضع الألقـــاب واختيـــار الأسماء في الجزائر، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 9، جامعة قاصـــدي مربـــاح ورقلـــة، مارس 2006.

صورية عولي، "أسماء الأعلام "إناث" في منطقة بجاية (دراسة وصفية دلالية) مذكرة ماستر في اللغة العربية وآدابها تخصص علوم اللسان، جامعة قاصدي مربـــاح، ورقلـــة، 2016-2017.

منير صايفين، ترجمة أسماء الأعلام في القرآن الكريم أسماء الأنبياء أنموذجا، مذكرة ماجيستير في الترجمة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009–2010.

الحسن، إحسان محمد، **الأسس العلمية لمناهج البحـــث الاجتمـــاعي**، بيـــروت، دار الطليعة للطباعة والنشر،1982 ، الطبعة الأولى، ص19 ، بتصرف.

الاحالات:

---

(1) شفيق الأنرناؤوط: **قاموس للاسماء العربية**، دراسة شاملة للأسماء العربية ومعانيها ودليل للأبوين في تسمية الأبناء، ط2 دار العلم للملايين، بيروت، 05.

(2) مصطفى حدية، **التنشئة الاجتماعية والهوية**، ط1، كلية الآداب، الرباط، المغرب، 1996، ص25.

(3) العيد جلولي –أحمد جلايلي، **مقال "المؤثرات الاساسية في وضع الألقاب واختيار الأسماء في الجزائر**، مجلة العلوم الإنسانية، العدد9، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، مارس 2006.

(4) صورية عولي، **أسماء الأعلام "إناث" في منطقة بجاية (دراسة وصفية دلالية)** مذكرة ماستر في اللغة العربية وآدابها تخصص علوم اللسان، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2016–2017، ص05.

(5) منير صايفي، **ترجمة اسماء الاعلام في القرآن الكريم أسماء الأنبياء أنموذجا،** مذكرة ماجيستير في الترجمة، جامعة منتوري، قسنطينة ،2009-2010، ص 13.

(6) أبو اوس إبراهيم الشمسان، **أسماء الناس في المملكة العربية السعودية،** مكتبة الرشد ،2005، الرياض، ص 15.

(7) صورية عولي، -مرجع سبق ذكره، ص13.

وحدة النظم التسموية في الجزائر تسمية الأشخاص والمرجعية الثقافية الاجتماعية في الجزائر موازنة بين عامي 1988م – 2018م منطقة الحضنة أنموذجا

ملحق بالبحث: خليف مهديد

مركز الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران.

ملخص:

يتناول هذا البحث قضية مهمة تتعلق بالتسمية، وأي تسمية إنّها تسمية الأشخاص التي تعكس ثقافة المجتمع وتبين عن هويته وأصوله الأولى بمختلف أعراقه، التي تبقى طابعا تتماز به كل أمة عن غيرها وكل شعب عمن سواه بفضل ما يكتنزه الاسم الشخصي أو اللقب أو الكنية من شحنة دلالية إبستيمية ترتبط بواقع العصر أيا كان قديما أو حديثا أصيلا أو معاصرا تقلب في عوالم العولمة بكل جوانبها.

وفي هذا البحث الموسوم: تسمية الأشخاص والمرجعية الثقافية الاجتماعية في الجزائر موازنة بين عامي 1988م – 2018م منطقة الحضنة أنموذجا، تم التركيز فيه على جانب مهم ألا وهو تسمية الأشخاص ومعرفة المرجعيات المتحكمة في هذه التسمية من إيديولوجيات وأفكار وطوابع ثقافية واجتماعية وغيرها رسخت في المخيال الجمعي الذي يكسو مجالات الحياة كلها، ويجعل المنفور منه مرغوبا فيه والمرغوب فيه مرغوبا عنه.

والإشكال الذي يريد البحث معرفته هو ما واقع التسمية في الجزائر (تسمية الأشخاص)، وما مدى تحكّم الأعراف الاجتماعية الثقافية في وضع الاسم

الشخصي؟ أو هل إنّ الاسم يأتي هكذا جزافا دون تخطيط، أو يأتي نتيجة رؤية ما؟ وما قيمة بناء الاسم وهندسته على الواقع الاجتماعي الثقافي؟

والمنهج المتبع في الدراسة الوصفي مع آلية التحليل مشفّعا بالمقارنة.

مقدمة:

هُوية الإنسان مِن أعظم المباحث الحياتية، ولِكل إنسان هُويته الخاصة سواء المتعلقة به تخصيصًا (الفرد، الشخص)، أم المتعلِّقة بالجماعة والمجتمع (البلد الأمة، الحضارة...)، ومبادئ الهُوية تختلف مِن أمّة إلى أخرى بفضل اختلاف عاداتها وتقاليدها وطقوسها وفلكلورها ودياناتها، فالأمة العربية مثلاً تعتز بمقومات ثلاثة رأس أمرها الدِّين الإسلامي الحنيف، والوطن، واللغة العربية، وكُلُّ هذه المقومات تنبع منها وتتفرع عليها عدّة شُعَبٍ تُثبتُ تعلُّق الإنسان بوطنه وانتمائه لحضارته المعينة –الإسلامية العربية الجزائريّة هُنا– ومن هذه الشُّعب والمتعلقات الاسم الشخصي، الاسم التعريفي الهُوياتي، أو بالأحرى انتقائية الاسم للمولود الجديد الذي يُعرف في علم الإبستيميا والأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بفعل التسمية أو أصل التسمية.

وفي هذا المقال نُريد معرفة المرجعيات الثقافية والاجتماعية المتحكمة في التأصيل الاسمي للأشخاص مِن خلال اختيار عيّنة جُزئية وهي منطقة بوسعادة من ولاية الحضنة التي عاصمتها المسيلة من حيث مقارنة –موازنة– بين المولودين عامي 1988 و2018م من خلال فعل التسمية.

وللتوغل في أغوار هذه الخصوصية التسموية للأشخاص بدأ البحث من إشكال أساس فحواه:

– ما علاقة المرجعيات الثقافية الاجتماعية بوضع تسمية الأشخاص في منطقة بوسعادة في عامي 1988م و2018م؟ وما أصل التسمية في الحقبتين، وهل علاقة الدّوال بمدلولاتها كان اعتباطًا؟

وتفرعت عن هذا الإشكال أسئلة فرعية كثيرة نذكر منها:

– كيف تؤثر المرجعيات بتبايناتها في وضع الاسم (فعل التسمية)؟
– كيف يُخلق الاسم الشخصي؟
– من المسئول عن اختيار الاسم الشخصي وإخراجه إلى الواقع؟

– هل الاسم الشخصي له أثر على صاحبه في سلوكاته وعاداته؟

– ما طبيعة العلاقة بين الاسم والمسمى؟ وبعبارة أخرى هل علاقة الاسم بمسماه إلزامية؟

– هل الأسماء تتطور بتطور الزمن؟ وهل تبقى مُحافظة على المنزلة الاجتماعية نفسها؟

– هل يكتسب الاسم دلالته ورمزيته من خلال ذاته (أصوله اللغوية والتركيبية) أم يستمدّها من خارجه (خارج بنيته اللغوية) الواقع الاجتماعي الثقافي؟

– كيف يؤثر الواقع الاجتماعي الثقافي على سلوك الأفراد في اختيار أسماء أولادهم؟

– هل الاسم الشخصي يعكس الفترة أو المرحلة التي وُجِدَ فيها؟ أم هي تعكسه؟

أمّا عن المنهج المتبع في هذا البحث فهو الوصفي مع آلية التحليل مُشفعًا بالمنهج المقارن، فالوصف حين وصف ما هو كائن وموجود حقيقة ونصًّا (الاسم) أمّا المقارنة فمن خلال معرفة الاختلافات والتشابهات الاسمية بين العامين المُختارين أنموذجًا 1988م/ 2018م وهذه المرحلة تُعادل جيلا تقريبًا.

ورُسمت خطة البحث على النحو الآتي إلى جانب مقدمته، جانب نظري وآخر تطبيقي، فالنظري تمثّل في تحديد مفاهيم البحث ومصطلحاته من تعريف الاسم والتسمية والمرجعيات الثقافية والاجتماعية وما يتعلق بها ويعتضد، أما الجانب التطبيقي العملي فتمثل في وضع جداول إحصائية للمرجعيات المتعدّدة التي تحكمت في وضع فعل التسمية بكل أبعاده الدينية، التاريخية، الوطنية، الثقافية، الاجتماعية والجمالية وغيرها في كلّ من المرحلتين المختارتين 1988م و2018م.

أولا: تحديد مفاهيم الدّراسة ومصطلحاتها:

مفهوم الاسم: الاسم في اللغة يعني "ما يُعرف به الشيء ويُستدل به عليه وجمعه: أسماء، أسامي، وأسام، والاسم عند النحاة: ما دل على معنى في نفسه غير مقترن بزمن"[(1)] على غير الفعل الذي يقترن بزمن ما، والاسم الأعظم هو الاسم الجامع لمعاني صفات الله عزوجل سبحانه.

والاسم أيقونة على صاحبه ودال من دواله الأولية، و"مهما كانت طبيعته ومهما كانت أصول عناصره البنيوية فهو في اعتقادنا مؤشر دلالي ورمزي لمجموعة من

الأنساق والسياقات الثقافية والنحوية والاجتماعية التي كانت سببا في ميلاده وفي تكوينه وفي وحيه للمخيال الشعبي من خلال عدد من التفاعلات المختلفة من حيث المصادر والمقاصد، فالاسم هو البؤرة الدلالية والرمزية التي لا يمكن دونها التعريف والتعرف بالأنساق البشرية والثقافية والاجتماعية والحضارية والمحلية"[2].

فالاسم علامة دالّة على العصر وعلى ظروفه وملابساته المتعددة سواء السياسية أم الثقافية الاجتماعية، أم الحضارية أو العقدية الدينية الهُوياتية باعتباره "يشكل بناء دالاً على الانتماءات الثقافية والاجتماعية والعقائدية للجماعات في تحديد هوية أفرادها، فالأسماء هي إشارات الهوية التي لا تدرك بالعقل بل بالحدس"[3]، ومادام الاسم يُحدّد الهُويّة أو هو الهوية عينها فإنه كفيل بتحديد جنس الجماعة أو نوعها أو أصولها، وهو مؤشر وبالأحرى إشارة تمييزية "بين الثقافات وأنظمتها الفكرية واللغوية وأصولها الحضارية والتاريخية وعبقريتها الرمزية والتأويلية"[4] والمرجعية والإيديولوجية والإبستيمية وغيرها والجدول الآتي يُبين ذلك:

الاسم	هُوية الانتماء (عربي، أمازيغي، فارسي)	الجنس ذكر/ أنثى	الدلالة اللسانية اللغوية
محمد	عربي	ذكر	الحمد
خديجة	عربية	أنثى	الولادة في الشهر السابع
إبراهيم	سرياني كنعاني	ذكر	الرفعة والكرامة والأبوة
سارة	(وإن بدا عربيا) سريانية،	أنثى	السرور والفرح والبهجة
ماسينيسا	أمازيغي	ذكر	اسم ملك
خداوج	أمازيغية	أنثى	تحبيب لاسم خديجة وتغنج
روميو	لاتيني (غربي)	ذكر	التضحية من أجل المحبوب
جولييت	لاتينية (غربية)	أنثى	التضحية من أجل المحبوب
آدم	يُمثل كل الأجناس	ذكر	نسبة لتربة الأرض وأديمها
حواء	تُمثل كل الأجناس	أنثى	اجتماع الحمرة والسواد

وهذا الاسم الشخصي بما حمل "يشكّل البطاقة التي يتقدم بها الفرد للتعريف بنفسه وسط المجتمع في دائرة من العلاقات تتوسع باستمرار" [5]، وهذا الاسم "في حدِّ ذاته يُعدُّ سؤالاً حاملاً لجوابه، ونصًّا مفتوحا على دلالاته المتعدّدة التي قد تكون

بائنة وظاهرة وصريحة كما قد تكون مختفية وباطنة ولا يُمكن إدراكها إلاّ باقتحام بِنيته اللغوية وما قد تُشيعُه مِن دلالات مختلفة" (6).

وليست البنية اللغوية وحدها بكافية لِفهم معنى الاسم وتحديد دلالته إذْ لا بد من استنطاق واقعه الاجتماعي الثقافي الذي وضع فعل التسمية (الأنوماستيكي)، ووضع الاسم هذا بالذات والمواصفات دون ذلك، لهذا فـ "مقاربة الاسم ومساءلة أبعاده التأويلية ليست سهلة وبسيطة دائمًا، فهي مغامرة صعبة ومعقدة أحيانًا وقد نُخطئ في التحليل ونُحمّل الاسم ما لا يحتمل مِن دلالات وقيم، لأننا نتعامل في أغلب الأحيان مع أنساق ثقافية تقليدية شفوية غير ثابتة في الزمن وفي المكان" (7). وهذه التقليدية بالمفهوم الإقليمي المحلي والخارجي معًا، فهناك تقليد محلي في وضع الاسم ومنه تتشابه الأسماء العربية التي في بيئة واحدة، إمّا مسمّاة على أب أو جد أو عمّ أو خال... أو على نمط ديني إسلامي أو على أبطال ثوريين وغير ذلك... وهُناك تقليد مستورد مِن خارج البيئة من الغرب، خاصة من الثورات وأبطالها أو الثقافات الفيلمية – إنْ جاز التعبير والنسب– ثقافة الأفلام المُدبلجة خصيصًا أو الرسوم المتحركة وهكذا أو فنانين ولاعبين رياضيين خاصة من لاعبي كُرة القدم... وهكذا.

والاسم له عوالم وأحوال فقد يُسمّى الإنسان قبل ولادته أثناء فترة الحمل أو حتّى قبل تكوين جيناته نتيجة تنبؤات منامية كالرؤيا الصالحة أو يُحدّد سلفًا قبل عقد الاقتران والزواج أو في بدايات هذا الزواج وتكوين الأسرة لأسباب مختلفة متعدّدة أصلها الدّين والثقافة الاجتماعية السائدة بالخصوص آنذاك –زمن وجود المولود– والاسم ليس حكرًا على أحد ولا على منطقة دون أخرى أو على ثقافة دون أخرى فهو في سفرية وترحال عبر خطوط الزمان وجغرافيات المكان، فاسم آدم هو الأول في عالم البشر –كما نعلم– (آدم عليه السلام)، وهو يُسمّى إلى الآن في كلّ اللغات وفي كل الثقافات العالمية الإنسانية.

والاسم يُوضح الأطاليس اللغوية الاجتماعية والثقافية والعقيدية... على الرغم مِن أنّها هي التي أوجدته إلى العيان بعد ما كان في الأذهان، فهذه المرجعيات أنتجت الاسم وهو بدوره أصبح تُرجمان واقعها ومخيالها الجمعيين معًا، فعلاقة اسم الشخص بمرجعياته الدينية والثقافية الاجتماعية... وعلاقتها به هي شبيهة بعلاقة وجه الورقة بظاهرها، فكلمّا خُرِم الاسم خُرِمت هُوية المرجعيات والعكس صحيح فلا سلامة لظهر ورقة ووجهها خَرِم، ولا سلامة لمجتمع أو أمة وتسميات أشخاصها مُشوهّة أو منزوعة الهُوِية والأصل.

التسمية (فعل التسمية، ويمكن أن نجعله في علاقة الاسم بالمسمى أو علاقة دال الاسم بالمدلول المسمى:

تتكون العلامة اللّسانية عند دي سوسير من دال صورة سمعية ومدلول صورة ذهنية ويرى دي سوسير أيضا "أنّ العلامة اللّسانية Signe linguistique لا تربط بين شيء ولفظ كما يذهب إلى ذلك الأسيمويّون[8]، ولكنّها تربط بين مفهوم concept وصورة سمعية Image acoustique. بهذا المعنى، فإنَّ العلامة اللّسانية لا تربط اللفظ بالشيء الموجود في العالم الخارجي رَبْطًا مباشرًا، أي إنّها لا تربط الشيء المُسَمَّى بالاسم، بل يُسند الشيء الموجود في العالم الخارجي صورة مفهومية Image conceptuelle تقابلها صورة سمعية. ليست الصورة السمعية هي الصورة الصوتية المادية الفيزيائية فحسب، ولكنّها الانطباع الذي تُثيره الصورة في أنفسنا [9]. وهذا تأكيدًا على أنَّ الصوت هو ليس الصوت المادي بل الآخر المحدث في النفوس (الأثر النفسي).

إنّ العلامة اللّسانية كيان نفسي ذو وجهين وإنّ تصوُّر الشيء ذهنيا يستدعي بالضرورة الصورة السّمعية والعكس صحيح[10].

وعلى كلّ هذا فالعلامة اللّسانية عند دي سوسير تتكون من صورة سمعية سَمَّاها الدّال Signifiant وصورة ذهنية (المفهوم) سمّاها المدلول Signifié، فالدّال هو المجموعة الصوتية المنطوقة/ Kltabun/، وأمّا المدلول فهو مجموع الخصائص المعنوية التي تُثير فينا الدّال/ كتابن/ ومدلوله هو: مؤلف+ له عنوان+ عدد من الصفحات+ صفحات مطبوعة+ محتوى فكري ويلاحظ بشأن تصور دي سوسير للدلالة اللّسانية أنّه أبعد المدلول عليه (المرجع) (Référent)، وهو الشيء الموجود فعلاً في العالم الخارجي[11]. والمرجع استبعده دي سوسير إلاّ أنّ تلميذيه ريتشاردز وأقدن أضافا المرجع[12].

اعتباطية العلامة بين الدال والمدلول:

إنّ العلاقة التي تربط الدّال بالمدلول هي علاقة اعتباطية عفوية تعسفية هذا في بداية وضع اللّغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية. لكن لمّا كُتب للغة الانتشار والذيوع والاستعمال أصبحت العلاقة بين الدّال والمدلول علاقة ضرورية إلزامية.

ويرى دي سوسير أنّ العلاقة بينهما (الدّال والمدلول) هي علاقة اعتباطية Arbitre... والمقصود بالاعتباطية أنّ المدلول ليس مرتبطًا بالدَّال بأيّة علاقة مهما

كان نوعها... فلا علاقة بين الوحدات البنيوية: /ك/+/ت/+/ا/+/ب+ن/ (بالإضافة للحركات)، والوحدات المدلولية، فالكاف في العلامة "كتاب" لا تقابل الوحدة المعنوية و"التاء" لا تقابل "له عنوان" و"الباء" لم توضع للدلالة على الوحدة المدلولية/ التصورية "عدد من الصفحات" وهكذا[13].

إضافة إلى أنّ الدّال يتميّز بمبدأ الخطية [14]، "وتتضح العلاقة أكثر عندما يرتسم في الخيال مسموع الاسم يرتسم فورًا معنى المفهوم في النفس، فتعرف النفس أنّ هذا المسموع (الاسم أو الدّال) لهذا المدلول أي لحامل الاسم، وهكذا كلّما أورده الحس على النفس، التفتت هذه الأخيرة إلى معناه وعلمت أنّه لهذا المدلول دون غيره، وهُنا تتشكل العلاقة القوية بين الاسم وحامله" [15] على الرغم من التواضع الاعتباطي الأوّل.

اختيارية الاسم الشخصي

المسئول عن هذه التسمية متعدّد متنوع فقد يُسمّي المولودَ والداه أو جدّه أو جدته أو أحد أفراد العائلة أو الجيران أو تُسميه القابلة وهكذا، وقد يُسمّيه الصديق أو العدو في الحرب مثلاً- أو غيره من شرائح المجتمع، وعلى الرغم مِن أنّ الاسم من مُمتلكات الشخص إلا أنّه ملك للجميع، فلا شيء للإنسان أكثر من الاسم ينزعه منه غيره -ليس بالسلب- وبعبارة أخرى إنّنا نسْمع أسماءنا مِن غيرنا أكثر ممّا نذكرها نحن، ويكتُبها غيرنا أكثر ممّا نكتُبها - إلاّ إذا كان الشخص مريضًا نفسيا فإنّه يكتبها أكثر من غيره ويُكرّرها- وهذا الغير أليس هو مَنْ وضع تسميتنا؟ بلى هو، فلا حول ولا قوة لنا في اختيار أسمائنا، ذلك أنّ الاسم ذو طابع اجتماعي ووسم ثقافي.

البناء الاجتماعي وأثره على مرجعية تسمية الأشخاص

يُعدُّ المجتمع الإنساني قوة الفرد وضعفه معًا، بمعنى أنّ عملية انسجام الفرد وإعطائه كامل حقوقه ليتمتع بها وفيها، ومُطالبته بواجباته كلّها ليقوم بها على أكمل وجه لا تتحقق له إلاّ بانغماسه في المجتمع، فلا فرد خارج الجماعة (المجتمع) كما يُعرَّف في علم الاجتماع الخلدوني الإنسان مدني بطبعه، حيث إنَّ المجتمع "يُعدُّ أكبر وحدة في التحليل السوسيولوجي، أي أكبر وحدة من وحدات الحياة الاجتماعية، فهو يحتوي على عدد من المجتمعات المحلية والوحدات والمؤسسات فكثير من علماء الاجتماع يعتبرون أنّ علم الاجتماع يتخذ من المجتمع الوحدة الأساسية في التحليل أي إنّه يهتم بدراسة الحياة الاجتماعية في عموميتها، وكذلك عقد المقارنة بين المجتمعات، وهذا ما ذهب إليه "برنارد فيلبس" في مؤلفه علم

الاجتماع من النظرية إلى التطبيق (1979م)... أمّا المفهوم الثاني لمصطلح المجتمع فهو مفهوم أكثر عمومية لتحديد موضوع الحقل السوسيولوجي وبهذا يكون مرادفًا للبناء الاجتماعي" [16].

ويستخدم لفظ المجتمع للدلالة على وحدة اجتماعية مثل (القبيلة) أو (الدولة الأمة) والتي لها مؤسساتها السياسية والاقتصادية والأسرية، وقد تأثر هذا المفهومٍ بالسيادة والنظرية السياسية، وبذلك يُعتبر المجتمعٍ بمثابة بيئة مغلقة ومرتبة سلفًا يتجسد في الأرضِ (الإقليم)، اللغة، النظم، فضلاً عن مجموعة من الرموز المشتركة مثل العَلَم والنشيد الوطني... "[17] وللمجتمع عدّة تعريفات.

ونوجز الحديث عن البناء الاجتماعي وأثره في تحديد مرجعيات الأسماء الشخصية من خلال تلخيص خصائص النظم الاجتماعية باعتبارها تحكم الإنسان (الفرد) وحتّى (الجماعات) مِن كلِّ زاوية ومن كلِّ اتجاه وفي كل سلوك حياتي معين، ومن خصائص النظم الاجتماعية ما يأتي[18]:

أ- **يتميز النظام الاجتماعي بأنه تنظيم لنماذج التفكير والسلوك:** ويظهر هذا التنظيم من خلال النشاط الاجتماعي وما يتصل به من إنتاج مادي، وتخضع النظم لمجموعة من القواعد الاجتماعية السائدة في المجتمع، وبذلك فهي ذات سلطة معنوية وتتمثل هذه القواعد في العادات والتقاليد والقيم والقوانين...

ب- **أنها تلقائية:** فهي ليست من صنع الفرد ولكنها من صنع المجتمع والحياة الاجتماعية فالنظام سابق لوجود الفرد، فكل مجال من مجالات الحياة الاجتماعية يخلق النظم الملائمة له التي تنظم العلاقات والتفاعلات الاجتماعية المرتبطة بذلك المجال، وتتميز المجتمعات الحديثة بانتشار وتعدد النظم المقننة التي ينشئها الفرد بطرق واعية مقصودة لتحقيق أهداف معينة تحكمها قوانين وإجراءات رسمية.

ج- **للنظم الاجتماعية صفة العمومية:** وذلك لأنها تشمل كافة جوانب الظاهرة ويخضع لها جميع الأفراد المنخرطين ضمن هذا النظام.

د- **للنظم الاجتماعية قوة الجبر والإلزام** فهي تفرض نفسها على أفراد وجماعات المجتمع فهي تدعم بجزاءات معيارية قوية...

ه- تتداخل وتترابط النظم الاجتماعية فيما بينها، من خلال عملية تفاعلية يُبرز تأثر الأجزاء في إطار البناء الكلي، لأنها تتكامل وظيفيا فيما بينها لأن كل نظام يختص بجانب من جوانب الحياة الاجتماعية.

و- تتميز النظم بالتعقيد، إذ يدخل في تركيبها عناصر متداخلة ومتشابكة، فالنظام الأسري على بساطته يتضمن العديد من أنماط العلاقات الاجتماعية لكل منها وظيفتها: علاقة الزوج بالزوجة، والابن بالآباء، والعلاقة بين الإخوة...

ز- يتميز النظام الاجتماعي بدرجة نسبية من الاستمرار والدوام، فأنساق العقائد وطرق العمل وغيرها لا تصبح نظما إلا بعد أن تصل إلى مرحلة القبول بصفة عامة خلال فترة مناسبة من الزمن، فلها نوع من الثبات والاستقرار مما يؤدي إلى تثبيت دعائم الحياة الاجتماعية واستقرارها[19]. فالفرد وإن كانت له حُريته فهي نسبية داخل مجتمعه، وهذا ما يُعرف بالضبط الاجتماعي الذي له تعريفات متعددة متنوعة "واقعية ومثالية وثقافية فنية ورمزية وسيكولوجية الأطفال خلال مراحل التنشئة الاجتماعية ويقوم الطابع التراكمي للتفاعل الاجتماعي على قدرة الإنسان على نقل خبرته وأفكاره وتجاربه بطريقة رمزية إلى الأجيال اللاحقة، وبإيجاز فالتفاعل الاجتماعي هو تفاعل مُنَمّط"[20] يُمليه الواقع في جوانب الحياة كلُها مِن عادات وتقاليد وطقوس وتسميات وموضة... لكن بآليات عقلية وتخطيط ذهني ومعايير معلومة مُسْبقا (اتفاق الجماعة) أو معايير مُستجدّة تُمليها المرجعيات دائمًا بالاتفاق الشعوري أو اللاشعوري أحيانا على طريقة سِر على ما سارت عليه الجماعة.

وعلى كلّ ما سبق فكيف أثّر الواقع الاجتماعي الثقافي ومرجعياته على وضع التنمية في عامي 1988م/ 2018م على التوالي في منطقة بوسعادة جنوب الحضنة/ المسيلة.

<u>ثانيا: المرجعيات الثقافية الاجتماعية ودورها في وضع التسمية الشخصية بين عامي 1988م/ 2018م في بوسعادة</u>

أ- المرجعيات السوسيوثقافية المتحكمة في فعل التسمية في عام <u>1988</u>م

لبيان هذه المرجعيات اخترنا وضع جداول خاصة بالأسماء التي تم اختيارها وهي (320 اسما)، وتم اختيارها عشوائيا لكثرتها وتكرارها كثيرا كذلك، وجدول خاص بالمرجعيات (الإيديولوجيات) المتحكمة في وضع الاسم.

الجدول الأول: جدول الأسماء المختارة عشوائيا (320 اسما من ذكر وأنثى) في عام 1988م

الشهر	أسماء الذكور	أسماء الإناث
جانفي	توفيق، يوسف، جمال، الهامل، الجموعي، النذير، محمد، سليمان، نصر الدين، عمّار.	حكيمة، فاطنة، نصيرة، الزهرة، صفية، شائعة، راضية، صونية، ياسمين.
فيفري	عبد الوهاب، الربيع، قنتار، أيوب، الطاهر، حميد، عمر، دليل، حمزة مصطفى، زكرياء، سيف الدين، صهيب.	هجيرة، خضراء، نادية، الزهراء، العالية، سعاد، مليكة، فتيحة.
مارس	ياسين، بن صوشة، أحمد، جمال الدين، موسى، وليد، صلاح الدين، الطاهر، خليل، سليمة، إسماعيل، عز الدين، إبراهيم، عبد العزيز.	بختة، كريمة، مرية، سهام، عائشة، نورة، سليمة، فتيحة، هاجر، فائزة، أم الخير، أم سلامة.
أفريل	خليل، النذير، عبد اللطيف، توفيق مُراد، عُقبة، جمال الدين محمد، عقبة، التونسي، محمد، عادل، عمّار، طارق.	شهرزاد، صورية، صباح، فاطمة الزهراء، عائشة، سمية، سعيدة، عائشة، جوهرة، صفية، عتيقة، نجاة، رحمة.
ماي	بولنوار، يوسف، معاوية، الحاج، المهدي، مفتاح، لخضر، رضوان، أحمد، أبو بكر، عبد الرؤوف، خالد الوليد.	زينب، رقية، خيرة، حنان، فريدة، فاطمة الزهراء، هُدى، أم الخير، فاطنة، سارة، حليمة لينة، وهيبة.
جوان	أحمد عمّار، وليد، كمال، بلخيذر، الهاشمي، وليد، راشد، عطية، أسامة، سعد، محمد الفاتح، إلياس، موسى،	ريمة، عَنَيَّة، وداد، حورية، أحلام، فطوم، سميرة، دلال، هجيرة، آسية، نصيرة.

	بلال، علية، محمد الصالح، يونس.	
جويلية	فاتح، عبد القادر، عبد السلام، إبراهيم، محمد عماد الدين، عبد القادر، زكرياء، بن يحي، عثمان، عبد الرحمان، معاذ، بوبكر، هشام.	بحرية، بسمة، زليخة، حليمة، نجاة، عتيقة، وفاء، كريمة، آسيا، وحيدة، مروة.
أوت	سليمان، مروان، مالك، محمد، فاروق، جلول، أحمد أمين، آدم أبو الأنوار، محمد زكرياء، إبراهيم، يوسف عمّار، أسامة.	زهور ليلى، عامرة، حنان، أسماء دنيا، خولة، اسمهان، مُنى، آمينة، حدّة، مليكة، إبتسام، زينب، خديجة، أسامة، خضراء.
سبتمبر	عاصم، رابح، يوسف، خليل، رياض، بلقاسم، المسعود، وحيد، مصطفى، عبد الكريم، محمد فتحي، الوليد.	أمباركة، ربيحة، زكية، صفاء، نور الهدى، نَدى، الزهراء، جهاد، فتيحة، أحلام، سمية، أم السعود، فاطمة الزهراء، فائزة، إسمهان، هالة.
أكتوبر	لخضر، جابر، صالح، المداني، محمود، عيسى، جيلالي، ياسين، هشام شمس، العيد، زيان، الحملاوي، المختار، مناعي.	نخلة، نوال، إيمان وفاء، عزيزة، فاطنة، هناء، نزيهة، فافة، رزيقة، فوزية رحمة، حبيبة، أمينة مروة، كلثوم.
نوفمبر	فاتح، إبراهيم الخليل، محمد، عياش، قويدر، جلول، محمد رشيد، فتح الله، علي، إسحاق، عامر، شعيب، النذير، البشير، محمد الخليل، حمزة هشام.	إلهام رباب، ليلى، نريمان، أسماء، عائشة، حياة، هند، آمال، ألفة أمال، خرفية، مارية حنان، خيرة، جنينة.
ديسمبر	نيزار، الصالح، عادل، علي، رابح،	فائزة، سكينة، حنان، الياقوت،

	بلال، زيوش، بلعباس، عبد الباسط، سليمان، بلعباس، عبد الباسط، شعيب، عثمان، حسام الدين، عز الدين، عيسى، ثامر، عبد القادر، قويدر، عبد الوهاب.	وفاء سامية، رشيدة، علجية، وهيبة، زوينة، فضيلة، حكيمة، مريم، رقية، قائمة، جميلة، مسعودة، عفاف، راضية، منيرة، آمال.

فالأسماء ذات الصبغة الدينية هي التي أخذت حصة الأسد والنسبة الكبيرة لما في تلك الفترة والمرحلة من حراك إسلامي وتوعية إصلاحية، ومن هذه الأسماء ذكرًا لا حصرًا وعدّا: محمد، أحمد، إبراهيم، يوسف، يونس، أبو بكر، عمر، علي عمَّار، خديجة، زينب، عائشة، رقية، فاطمة، حبيبة... ومحمد الفاتح وهارون معاوية، المهدي، عبد الكريم، عبد السلام، عبد الكريم، صلاح الدين، عز الدين... وعقبة وطارق... وغيرها موزعة في أصلها وعمومها على أسماء الأنبياء والرسل وما عُبّد وحُمّد من الأسماء، وأسماء الصحابة والتابعين وأتباعهم والفاتحين والمصلحين وكل ما له علاقة بالدين من ذكر وأنثى.

أما باقي الأسماء فتشبّعت على رمزيات ودلالات متعدّدة منها ما حمل الطابع البشائري من البشارة والتفاؤل سواء ما تعلّق بالجنس الذكوري أم الأنثوي كسعيدة ورحيمة وحنان ومسعودة وأم السعد وفضيلة وفائزة ونجاة وكلٌّ هذه تدعو إلى عاطفات ملؤها التفاؤل كالعطف والسعادة والحنان والرحمة والفضل والنجاة في الدنيا وفي الآخرة يومئذ، أمّا من أسماء الذكور في هذا السياق التفاؤلي فنذكر اسم رؤوف وفاتح، آدم أبو الأنوار وبولنوار وتوفيق ونصير وبشير وهكذا في دلالة إلى الرأفة والتوفيق والنصرة والانفتاح والفتح والتزين بالنور والأنوار في الدنيا والآخرة بفضل تباشير خير الإسلام والصحوة من أجل التمسك به، إلى جانب ذكر أسماء أخرى تحمل دلالات تُوحي بالزمان والمكان الجميلين كالربيع والخريف والصباح والرياض والندى والزهر والصفاء والتزكية والجمال في مثل تسميات الربيع وخرفية ورياض وجمال وندى وزهرة وصفاء وزكية إلى جانب دلالات العفة والربح والفطنة والعناية والسلامة وجبر الحال والخاطر وإرشاد الطريق كرابح وربيحة وعفاف وفاطنة وجابر ورشيدة وعنية وسليمة.

كما سُجّلت حالة اسمية تدعو إلى التدبر والتأمل والبحث من حيث تعلُّق المجتمع البوسعادي (عينة الدراسة) بأسماء آبائها الأوائل وترسيخهم، كما يعرف بسيد العرش أو كبير العرش مثل الهاشمي الذي هو مشترك بين كل عربي يُريد الانتساب إلى الدين (بني هاشم باعتبار الرسول صلى الله عليه وسلم هاشمي الأصل) وكُلٌّ يُريد الانتساب إليه ولا ضير في ذلك.

إضافة إلى اسم الهاشمي نجد تسميات بكبار العروش من أمثال أحمد، وعامر وزيان والحملاوي وثامر وابن صوشة وراشد وزكرياء وبن يحي وإبراهيم وعطية وبن علية... وكُلٌّ هذه الأسماء من عروش مدينة بوسعادة سواء داخلها أو بجوارها... حتّى إنّنا سجلنا اسم عامرية وكأنّ المولود كان يُنتظرُ ذكرًا فجاءت أنثى، وكان اسمه قبل الولادة عامرًا لكنّه لمّا خالف المتوقع أُلحقت به تاء التأنيث –والله أعلم– فبدل عامر عامرية... ووجدنا أسماء غير عربية تُنسب إلى الدين على غرار أسماء الأنبياء والرسل محل اسم آسيا وسارة ومارية... كما سُجلت حالة أخرى نُوجزها في قول دلالة الاسم على التشاؤم أو الانتهاء موشجة بأسماء الإناث في مثل اسم أم مباركة أو حدة أو وفاء بنية وفاة، فأم مباركة يعني البركة في اللواتي ولدن وكفاية منهن، وحدة لكي يأتي حَدُّهن وانتهاؤهنَّ ووفاء يعني الوفاة والانتهاء.

كما وجدنا أسماء ذات صبغة وطنية باعتبار الوطن من عزة الدين لاحظنا تردد نسب كبيرة منها عبد القادر الذي يحمل ازدواجية دلالية رمزية دينية ووطنية ثورية مكافحة (الأمير عبد القادر)، كذلك فاطمة للدلالة على فاطمة نسومر البطلة الثائرة في وجه سالب الدين والأرض، وأخرى تنادي بعزة الدين كسيف الدين ونصر الدين وصلاح الدين ونور الدين...

ولاحظنا أسماء تدل على الألوان كأخضر وخضراء قد تكون للتفاؤل، أما الأسماء الجمالية المعاصرة فلم نجدها متكررة بكثرة إلا نادرا كاسم إيمان وفاء ممزوجين، واسمهان وياسمين، ونيزار وإلهام ورباب، أما ذات الطابع الجمالي الديني العتيق فهي كثيرة جدًا.

ولاحظنا أسماء تبدو غريبة كشائعة وڤنتار وجلول وعنية وفاطنة... إلا أنها بقراءة متمحصة دقيقة توحي بدلالات منها الانتشار كشائعة، يعني انتشار الخير والسلم، والإيحاء بأعذب الألحان والموسيقى كڤنتار، أما جلول فللجلال والعظمة وبلاغة الوضوح، وعنية للعناية الربانية لهذا المولود، وفاطنة لازدواجية المعنى إما من الفطنة والذكاء أو هي محورة عن فاطنة بفضل اللهجة واشتراك الحرفين (نون

وميم) في الصفة وهي صفة الغنائية ففاطنة هي فاطمة، وعموم دلالتها فطامها عن الشر وعن كل سوء.

وهناك أسماء حملت طابعا تفاؤليا وآخر تشاؤميا مثل حدة، أم مباركة، رقية وفائزة؛ فحدة للحد من جنس الأنثى لكثرتهن، أم مباركة للاكتفاء منهن والبركة في اللواتي ولدن ولا حاجة لأخرى منهن، أما رقية فللرقية وفائزة للفوز بولادتهما، وكذلك لوحظت تسميات على الأيام كالجموعي والسبتي... والمولود والعيد... (من الجمعة والسبت ومولد النبوي الشريف والعيدين الأضحى أو الفطر) ويمكن نعتها بتسميات مناسبتية لأن مواليدها ولدوا في هذه الأيام والمناسبات، كما تردد اسم مناعي إما تسمية على الفنان عبد الله مناعي أو نسبة إلى مكان في بوسعادة مناعة ببلدية أمجدل.

ولو فتحنا باب التأويل لا تنتهي الدلالات والمعاني لما للاسم من تعددية في وضعه سواء في كيفية الاختيار ومَن المسئول عنها وهل وُضعت قبل الولادة أو بعدها أو هل سُمي المولود في البيت أو في المستشفى أو في مكان عمل والده أو أمه...إلخ.

وعموما اتسمت هذه المرحلة 1988م من حيث النظام الأنوماستيكي (التسموي للأشخاص) بالتقيد الجمعي، فكانت جميع الأسماء المختارة هنا تصب في حقول واحدة أو حقل واحد بالخصوص هو الحقل الديني التفاؤلي الذي يدعو إلى تثبيت الاسم العربي الإسلامي بميزة الحراك المنتشر آنذاك والمرجعيات التي صقلت أفكاره.

ب- المرجعيات السوسيوثقافية المتحكمة في فعل التسمية في عام 2018م

لبيان هذه المرجعيات أيضا اخترنا وضع جداول خاصة بالأسماء التي تم اختيارها وهي (320 اسما)، وتم اختيارها عشوائيا لكثرتها وتكرارها كثيرا كذلك وجدول خاص بالمرجعيات (الإيديولوجيات) المتحكمة في وضع الاسم.

الجدول الثاني: جدول الأسماء المختارة عشوائيا (320 اسما من ذكر وأنثى) في عام 2018م

الشهر	أسماء الذكور	أسماء الإناث
جانفي	أكرم، هارون، إسحاق، إسراء، مهدي، عبد الكريم، معتز بالله، أنس ياسين، وليد محمد، خليف	مريم، رهف ساجدة، جنان رهف، حلا، سيرين نورة، أنابيس، ريتاج، فرح، هنادي،

	سيف، مُنذر.	أبرار، منار، ملك.
فيفري	عهد بيـــان، إســحاق، محمــد منصف، آدم، أنيس عبد الجليل، جواد، ســاجد لله، محمــد عبــد الإله، محمد أمين، يحي وليــد، إســلام جــواد الــدين، محمــد إسحاق، جمال، إسلام، سليمان.	رؤية حنين، شهرزاد، رميصاء، جنى، رتاج، لوجين، ســندس، نصيرة، نور الهــدى، نهــال، أروى، ألاء، لينا.
مارس	محمد، لؤي، ســاجد لله، وســيم يوسف، فاتح، آدم، إياد، أحمــد، أمير بوخالفــة، حيــدر، عمــاد الدين، نوح، عبد الله.	هديل، فاطمة الزهراء، منــار، أشواق، صوفيا، غفران، رهف، مارية، أريج، أســيل إســراء، آلاء، إسراء، خليدة أسيل، خلود عائشة، وئام.
أفريل	سبأ، يعقوب نصر الدين، معتز، محمد إسماعيل، الصديق، عبــد الباسط، عبد الصــمد، أســامة، قُصي، أنس، جمعي، يونس.	أميرة، ميساء، جوري، سجود، جميلة، هند، لجــين، إينــاس، ريهام، نجلاء، ريماس، كــوثر، ندى.
ماي	عبد الرحمان، أنــس، ريــاض، ضياء الدين، آدم محمد، جــواد سيف الدين، هيثم، شمس الدين، علي، ريان وائل، صهيب، إيــاد الصديق، أحمد، رســتم، لــؤي ضياء الدين.	آية، أسينات، أميرة مرام، مــريم أشرقت، ريان، سلسبيل، إنتصار، وصال، صفا مــروى، مهــى، سراب، رفقة، نصيرة، نــرجس هند، غصون، رزان، نورهــان إيناس، ريمان، تسنيم، رفيدة ريم.
جوان	مهدي علاء، آدم بوزيد، أنــس،	تقوى، شهلة، ليان فضيلة، نور

	عمّار، لؤي، بلقاسم براء، سامي، داود يزن، حاتم يزيد، نزيم، يحي ولاء الدين، عيد، نجم الدين، لقمان، غسان.	الهدى، جوري هاجر، سيرين، نور اليقين، وئام، سلطانة تسنيم، دعاء جنة، آيات رقية، مريم البتول، حدّة.
جويلية	أيمن علي، هارون، طه، يعقوب، إسحاق، عبد اللطيف، عادل، محمد رفيع، تيم عبد الرحمان، المعتصم بالله، صفوان.	رتاج كنزة، رؤيا، بلقيس جنى، تسنيم، هنادي، إيريام أروى، أسيل، رشا، أنفال، بشرى، دانية، سناء أسيل، سلسبيل، جوري، أناهيد فتيحة، لويزة، رزان، سجود رهف، شروق.
أوت	محمد صابر، محمد، رؤوف، فارس، ساعد الساجد، رفيق، باسم تاج الدين، تيم أحمد، العربي، إسكندر، رائد، أبو بكر الصديق، حمزة.	رتاج الجنة، دنيا أماني، أمينة مليكة، وجدان، إستبرق منهاج، حنين، فاطنة، نريمان أميرة، شيراز، أسيل، رزان، خديجة، ليندة، أميمة، سيرين.
سبتمبر	إسحاق، محمد نضال، عمر الفاروق، صهيب، عمر صلاح، علي، نوح، فارس، عبد المؤمن، علي شهاب الدين.	تقوى الله، ملاك، زهراء، مريم البتول، رتيل، صباح جوري، تالين، سيلا نهلة، أريج، سبأ خولة، جوري، سلسبيل، ميسم بلقيس، هناء، ياسمينا
أكتوبر	أمير نصر الله، عبد العالي، عمر، نبيل جليل، آدم إدريس، ياسين، عميروش أيت حمودة،	رشا، سحر، أسيل، سارة، وصال، رناد، آسيا، مُنى، خولة، رانيا أسينات، إكرام

	فراس، السبتي، محمد آدم.	ميادة، دليلة، حنان أم مباركة، كوثر صفاء، عمرة، ميسون أماني، إنصاف.
نوفمبر	يونس رافع، يوسف، خليف، عبد الرحمان، مال شام. سيف عمر، عبد الحميد، الطيب.	نسمة الصباح، حنين، راحيل، تسنيم، الربح، إحسان، رؤيا، ماريا، أشرقت، العارم، ليديا، يمنى.
ديسمبر	عاطف حسن، بوعلام، ياسر يحي، معاذ، وسيم عبد الله، محمد عيسى، الطاهر الأمين، رمزي.	لينا جيهان، مرام، قطر الندى، عائشة، بيسان، رودينا، دعاء، بشرى، آلاء، آنيا، توبة، يقين الجنة أبرار.

ومن خلال هذه الجدولية العشوائية للأسماء في عام 2018م لاحظنا دلالة ترمز إلى التباين التسموي بين الجنسين، فأسماء الذكور أخذت رمزية دينية كما كان في عام 1988م مثل هارون، عبد الكريم، محمد، غير أنّ هذه الأسماء متوشّحة بدلالات فنية جمالية كإلحاق نعت أم صفة ما باسم كان من قبل مثل خليف سيف، إيمان وفاء، نسمة الصباح، عاطف حسن، عمر الفاروق، وليد محمد، إسلام جواد الدّين، محمد إسماعيل، مريم أشرقت... وهكذا، أمّا أسماء الإناث وإن حملت دلالة دينية لكنها بدرجة أقل من الذكور، وبدرجة أقل من التسمية على الثقافات الدخيلة المستوردة خاصة من الأفلام التركية، فالتسمية الأنثوية في هذه الفترة تتماز بكثرة التقليد للغرب خاصة (الترك) في استوحاء من تسميات الفنانين والمشاهير في الأفلام كاسم أسيل، وسيلا، وجيهان، لقمان، غسان تيم، رافع، سجود، رهف نرجس وهكذا، وهذا لا ينفي التأثر بالأسماء الدينية التي تبقى صفة وعلامة تميزية على وحدة المجتمع البوسعادي الذي هو عتبة صغرى من كل (الجزائر) التي وإن اختلفت بعض المشارب ودخلت عوالم عولمية بنسبة إلى العولمة بكل إيديولوجياتها وثقافاتها ومرجعياتها الاجتماعية وغيرها فإن المجتمع الجزائري يبقى مُحافظا على عُرفه التسموي التقليدي وأي تقليد إنه تقليد الدين والمواطنة والوطن والاعتزاز بالتاريخ القديم والحديث معا وكلّ ما له خصوصية بمجتمعنا الذي لا يذوب في

الآخر ولا ينصهر انصهارا مائعًا، بل إنّه حتى وإن استقى من هذه الإيـديولوجيات المعرفية فطابعه الأول باقٍ وأصله مُتجـذر مثلمـا لمسـناه فـي وضـع النظـام الأنوماستيكي الذي اكتسى بطابع الدين والوطنية واللغة العربية فـي عـام 1988م وفي عام 2018م كذلك على الرغم من دخول تسميات جديدة لكنّها شُفِّعت بالأصل الديني الوطني العربي مثل: محمد رفيع، محمد إسماعيل، إسلام جواد الدين، يقـين الجنة أبرار، نريمان أميرة، رهف سجود، مريم أشرقت، خلود عائشة...

وسجلت أسماء سواء ذكورية أو أنثوية تحمل دلالات أخرى متنوعة منها الدلالة على الأزمنة والأمكنة الدنيوية والأخروية والتفاؤل والتشاؤم والاشـتياق والأيـام وأسماء حملت دلالات على حالة طبيعية وأخرى علـى دلالات تحمـل أيقونـات الموسيقى والعذوبة اللحنية وغيرها تدل على التـأثر بـالزهر والشـجر والحجـر وهناك ما حملت طابعا مآليا بمعنى التوبة إلى الله والاعتراف بالخطـأ، وسـجلت تسميات حملت دلالات على الأولياء الصالحين وأخرى تدل على أسـماء غربيـة بحتة وأمازيغية توحي بالانفتاح وقبول التسمية الأخرى وهناك دلالات كثيرة.

تسميات دالة على الأزمنة منها مثلا: صباح، نسمة الصباح، سـحر، أشـرقت صباح جوري، مساء، شروق تعلقت بالإناث أكثر.

تسميات دالة على الأمكنة منها مثلا: ما تعلق بأسماء أماكن الجنة مـن أنهـار وعيون ككوثر وتسنيم وسلسبيل...، وهناك أمكنة أخرى كصفاء ومـروى ودعـاء جنة...

تسميات دالة على التفاؤل منها مثلا: الطاهر الأمين، ياسر يحي، الطيب، براء جواد، ساجد، محمد صابر، باسم تاج الدين، ساجدة، فرح هنـادي، ملـك، جنـى نصيرة، أريج، أسيل، مريم البتول، رقية، عائشة...

تسميات دالة على التشاؤم والاشتياق منها مـثلا: حـدة، أم مباركـة، حنـين رهف... وهي قليلة ومنعدمة في جنس الذكور.

تسميات دالة على الأيام وعلى حالات طبيعية منها مثلا: جمعي، أشرقت بمعنى الشمس، سراب بمعنى سراب الحر، قطر الندى لحالة الغيث...

تسميات دالة على الموسيقى والأزهار والشجر والحجر والأصـوات منها مثلا: قنتار، رتيل، أنابيس، أريج، أسيل، نرجس، غصون... وصفوان... هديل...

تسميات دالة على الاعتراف والتوبة منها مثلا: غفران، توبة، الطاهر، عفاف دعاء...

تسميات دالة على أسماء الأولياء الصالحين والمقدسين منها مثلا: المهدي بوعلام نسبة إلى عبد القادر الجيلاني، مريم...

تسميات دالة على أسماء غربية بحتة وأخرى أمازيغية منها مثلا: رستم جوري، تالين، نريمان، شيراز، بيسام، جيهان... عميروش، آيت حمودة...

كما لاحظنا تسميات أخرى محولة من الذكور إلى الإناث أو العكس مثل سيرين فهو ذكر لكن وجدناه بتسمية على الأنثى، وعمرة فأصلها عمر وأضيفت التاء للتأنيث، وكوثر هو نهر في الجنة غير أننا وجدناه بتسمية الأنثى.

وسجلت ملحوظة مفادها أن التسميات لجنس الأنثى في فترة 2018م تكاد لا تحمل تاء التأنيث في الأخير عكس ما كان سائدا وشائعا في وضع التسميات في مرحلة 1988م وغيرها.

فانظر إلى الاسم الواحد كيف يتكرر في الزمن ذاته (1988م/ 2018م)، فهذا يدل على التفاعل الاجتماعي الثقافي بين الأفراد في جميع أعرافها، وأن المجتمع يسير في حلقة واحدة في نظمه التسموية (تسمية الأشخاص هنا)، فتجد نفسك أمام صخرة مجتمعية تذوب وتتصهر داخلها ثم تتصلب بحصاها وتصبح مناديا بما تنادي به، وهذه الصخرة ليست متسلطة قاهرة وإنما فيها نوع من الاختيارية والحرية داخل هذه الثقافة الجمعية، والاسم هو أحد متعلقات اللغة والتي "بوصفها مخلوق اجتماعي توجد في مؤسسة اجتماعية يسكن فيها الأدب في السياق الاجتماعي كجزء من الثقافة. ولهذا، فإنّ الأدب يقترب أكثر فأكثر من علم الاجتماع واللسانيات كما يرى ليفي ستروس الذي يقول: أنّك إذا قلت لغة فإنّك تقول المجتمع" [21].

الجدول الثالث: المرجعيات المتحكمة في وضع التسمية للأشخاص عام 1988م

المرجعية	عددها	نسبة تكرارها
دينية	197	61,56
تاريخية وأصولية عن (الأباء)	16	5
غربية	04	1,25
على الأمكنة والأزمنة	09	2,81

ملاحظة: وباقي الأسماء موزعة على تسميات أخرى كالتفاؤل والتشاؤم والألوان والأيام... لهذا لم تصل النسبة إلى 100% وقد تفوقها لأن من طبيعة الاسم التداخل بين ماهو ديني وتاريخي وغير ذلك.

الجدول الرابع: المرجعيات المتحكمة في وضع التسمية للأشخاص عام 2018م

المرجعية	عددها	نسبة تكرارها
دينية	167	52,18
تاريخية وأصولية عن (الأباء)	14	4,37
غربية	84 أكثرها إناث	26,25
على الأمكنة والأزمنة	44	13,75

ملاحظة: وباقي الأسماء موزعة على تسميات أخرى كالتفاؤل والتشاؤم والألوان والأيام... لهذا لم تصل النسبة إلى 100% وقد تفوقها لأن من طبيعة الاسم التداخل بين ما هو ديني وتاريخي وغير ذلك.

خلاصة البحث

وفي خاتمة هذا البحث تم التوصل إلى نتائج أولية نرجو أن تجد المتابعة من فرق بحثية متخصصة وغيرها، ومن هذه النتائج نذكر:

- الاسم الشخصي لا يخرج من فراغ بل له أسس وضوابط وإيديولوجيات متعددة أصولها نابعة من الدين والأعراف الاجتماعية الثقافية.

- نظام التسمية في الجزائر قد يظن الفرد أنه يأتي عشوائيا وبلا وعي، لكنه في حقيقة الأمر منظم ومؤسس وبوعي، وهذا من خلال اتفاق النظام التسموي ذكرا أو أنثى، وعادة ما يحمل الوسم الديني والعربي والوطني الجزائري على الرغم من أطياف المجتمع الجزائري المتعددة.

- إن الاسم لا يعد اسما وفقط من أجل معرفة الأشخاص وتعريفهم وإثبات هويتهم، بل هو أيضا تاريخ وهوية للمجتمع الواحد؛ فاختلاف التسميات يوحي باختلاف المجتمع، واتفاقها يوحي بالألفة واللحمة المجتمعية والطابع الحياتي الواحد أو المقارب للواحد.

– يخلق الاسم الشخصي في مراحل مختلفة قبل الولادة أو بعدها... والمسئول عن اختياره كذلك متعدد فقد يسميه الأب أو الأم أو العائلة عموما أو خارج العائلة...

– العلاقة بين الاسم والمسمى في بدايتها اعتباطية ومع مرور الزمن تصبح إلزامية بصاحبها وقد تؤثر على حياته من إيجاب وسلب حسب مرجعية دلالة اسمه.

– الأسماء تسافر عبر الزمن بتطور دلالي، فقد يحمل اسما دلالة عادية لكنه مع مرور الوقت يكتسب دلالة أكثر من الأولى منزلة ورتبة وتأثيرا على النفس وعلى المجتمع، وقد تكون عكسية...

– للاسم دلالتان واحدة من أصوله اللغوية والأخرى من واقعه الاجتماعي الثقافي، ومرات تغلب الدلالة اللغوية وفي كثير من الأحيان تغلب الدلالة الاجتماعية السياقية بفضل قوة الجماعة.

– للاسم الواحد أكثر من دلالة فهو يتوزع على دلالات دينية ثقافية تاريخية وطنية...

– الاسم الشخصي نابع من ظروف اجتماعية ثقافية معينة وهي التي أوجدته، إلا أنه فيما بعد يصبح هو ترجمانها ومؤرخها؛ فلو عرفت تاريخ مرحلة ما عرفت نمط تسميات أشخاصها، ولو عرفت تسميات الأشخاص في مرحلة ما عرفت تاريخها.

– مرحلة 1988م غلب عليها الطابع الديني في التسمية (ذكرا وأنثى)، أما في 2018م فغلب عليها الطابع الديني كذلك في فئة الذكور أما الإناث فالتَأَثُّرُ بالثقافات الأجنبية خاصة الأفلام التركية فهو بادٍ للأعيان، وتميزت مرحلة 1988م بنوع من التقيد الاسمي، أما 2018م فتميزت بنوع من الحرية في اختيار الأسماء.

وتبقى الدلالات مفتوحة على أنساق أخرى فأملنا أن تُبحث مستقبلا وما هذا إلا جهد فردي يحتاج إلى الدعم البحثي.

مصادر البحث ومراجعه حسب ورودها

(1) ابن منظور، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت (ا س م).

(2) محمد سعيدي، الاسم وأصوله الثقافية والاجتماعية، أسماء وأسماء دراسة الأعلام والحالة المدنية في الجزائر تنسيق فريد بن رمضان، منشورات مركز الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (كراسك)، وهران، الجزائر، 2005م، ص 13.

(3) المرجع نفسه ص 13.

(4) فاطمة الزهراء قشي، التركيبة السكانية لقسنطينة الأسماء والأنساب هوية وانتماء الأسماء والتسمية أسماء الأماكن (القبائل والأشخاص في الجزائر)، تنسيق فريد بن رمضان، إبراهيم عتوي، منشورات مركز الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (كراسك) وهران، الجزائر، 2005م، ص 5.

(5) محمد سعيدي، الاسم وأصوله الثقافية والاجتماعية، ص 15.

(6) المرجع نفسه، ص 15.

(7) الأسيمويون: هم المناطقة والفلاسفة ويُعدّ أرسطو قائدهم، ويعني هنا أنّ اللّسان لا يتعد كونه حشدا من الأسماء تقابل عددا مُمَاثلاً من الأشياء في العالم الخارجي.

(8) مصطفى غلفان: اللّسانيات العامة، ص 229.

(9) المرجع نفسه، ص 229، 230.

(10) المرجع نفسه، ص 230.

(11) ينظر الطيب ديه: مبادئ اللّسانيات البنيوية، ص 78.

(12) ينظر مصطفى غلفان : في اللسانيات العامة، ص 232.

(13) ينظر الطيب ديه : مبادئ اللّسانيات البنيوية، ص 78.

(14) فاطمة الزهراء قشي، التركيبة السكانية لقسنطينة الأسماء والأنساب هوية وانتماء ص 57.

(15) خالد حامد، المدخل إلى علم الاجتماع، ط1، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر 2008م، ص 14، 15.

(16) المرجع نفسه، ص 14.

(17) المرجع نفسه، ص 32، 33.

(18) المرجع نفسه، ص 39.

(19) المرجع نفسه، ص 48، 49.

(20) المرجع نفسه، ص 49.

(21) إلهام مرتاض سرير، اللهجة الأدبية عند الأدباء الإنجليز، إنسانيات، (مجلد 19 1)، منشورات مركز الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (كراسك)، وهران، الجزائر 2015م، ص 40.

أثر اللهجات المحلية

في تسمية الأماكن، منطقة بوسعادة نموذجا.

داه بن سمية اسعيدي

جامعة الأغواط

مقدمة:

يأخذ النظام التسموي نسقيته من روافد عديدة يتداخل فيها الاجتماعي والثقافي واللغوي...، ومن ثَمَّ تمرّ الطوبونيميا قبل تكوينها على تصوّر يبدو للوهلة الأولى بناء لا واعيا ينطلق منه المجتمع، ولكن يتجاوز الأمر ذلك من المنظور العلمي إلى خطاب يُطبِّع العلاقة بين الدال والمدلول، وفي زخم هذه المعطيات ينطلق تصورنا البحثي من تقصي تأثيرات اللهجة المحلية في النظام التسموي مع أَجْرَأَةِ ذلك على منطقة بوسعادة نموذجا دالاًّ على مدى انبعاث الهوية اللغوية في ترسيم دوال لمدلولات طوبونيمية، ومن هذا التأسيس تطرح الإشكالية العلمية الآتية: كيف تؤثر اللهجات المحلية في تسمية الأماكن؟ وما هي تجليات ذلك في تشكيل طوبونيما منطقة بوسعادة؟. ومن هذا المنطلق تأتي أهمية البحث في سياق المزاوجة بين متغير اللهجة وثوابت جغرافية المكان، لتظهر خصائص اللهجة على مستوى انبناء النظام التسموي في المنطقة، مما يجعل الورقة البحثية تسبر أغوار جيولوجيا الطوبونيميا من حيث هي نتاج لساني يتسّق والتكثيف الدلالي لمكون اللهجة المحلية.

تعريف اللهجة:

لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور: اللهجة في اللغة هي طرف اللسان أو جرس الكلام ويقال فلان فصيح اللهجة وهي لغته التي جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها[1].

ب. اصطلاحا: تعني العادات الكلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من الناس تتكلم لغة واحدة[2]، ويعرفها الدكتور إبراهيم أنيس بأنها " مجموعة من

الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تظم عدة لهجات لكل منها خصائصها ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من المظاهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات"[3].

وهذه الصفات اللغوية الخاصة تتدرج في أغلب الأحيان في الناحية الصوتية كما أن هناك فروقا تعود إلى النحو أو الدلالة، وفي هذا يقول فندريس "إننا نجد فروقا ذات بال بين قرية وأخرى حتى ليمكننا أن نميز بين لهجة كل قرية منهما بوصف مخالف لغيرها من حيث الصوتيات ومن حيث النحو ومن حيث المفردات[4].

2. تعريف اللهجة المحلية:

تقضي القوانين الخاضع لها تطور اللغات أن تختلف اللهجات في الأمة الواحدة تبعا لاختلاف أقاليمها وما يحيط بكل إقليم منها من ظروف وما يمتاز به من خصائص، وقد جرت العادة أن يطلق على هذا النوع من اللهجات اسم اللهجات المحلية، وتختلف هذه اللهجات بعضها عن بعض اختلافا كبيرا في المساحة التي يشغلها كل منها...

وتعمل كل لهجة من اللهجات المحلية على الاحتفاظ بشخصيتها وكيانها فلا تدخر وسعا في محاربة عوامل الابتداع والتغيير لأن اللغة نظام اجتماعي، وكل نظام اجتماعي يحمل في طيّه قوة المقاومة[5].

3. البناء الصوتي : لهجة(بوسعادة نموذجا):

أ. الميل إلى كسر الحرف الأول:

تتميز لهجة المنطقة بكسر الحرف الأول من الكلمة سواء في الأسماء أم الأفعال على خلاف اللهجات العامية في الجزائر ومثال ذلك في[6]:

- الأسماء: طِبِيب، حِلِيب، رِبِيع........
- الأفعال: يكتب، يسمع، نِكتِب........

إذا كانت الكسرة هي أقوى الحركات؛ فأهل المنطقة فضلوها على الضمة والفتحة على الرغم من خفتها على الكسرة، ويرجع احمد مختار عمر دلالة الكسرة

على الحضارة والضمة على البداوة حيث يقول: " إذا رويت لنا كلمة بروايتين إحداهما تشتمل على ضم في موضع معين من هذه الكلمة، والرواية الأخرى تتضمن الكسر في نفس الموضع من الكلمة زعمنا أن الصيغة المشتملة على الضم تنتمي إلي البيئة البدوية وان المشتملة على الكسر تنتمي إلى البيئة الحضارية"[7].

ب. قلب حرف الغين:

يقلب أهل منطقة بوسعادة حرف الغين حرف قاف، وهذا النطق امتداد لنطق قديم في بيئات عربية مختلفة ومن صفاته أنه " صوت مستعل، لهوي، انفجاري، مجهور " وطبيعة المنطقة لها تأثير في تحديد هذه الظاهرة الصوتية الصرفية فالبيئة تميل للشدة والقوة وكان ساكنوها كذلك[8].

ج. الإبدال الصوتي:

يعرف الإبدال بأنه "التغير الحاصل في لفظ من الألفاظ بتطور أحد الأصوات فيها إلى صوت أخر مع بقاء المعنى واحد"[9].

- **أنواع الإبدال في لهجة بوسعادة:**

. **تبديل الصاد:** حيث يقولون زباح الخير بدل صباح الخير، وكما يقولون زبيطار بدل صبيطار؛ أي المستشفى.

. **تبديل الشين:** في كلمة شجرة والتي تنطق صجرة.

. **تبديل الهمزة:** تبدل الهمزة إلى ألف في الأسماء الثلاثية التي عينها همزة، إذا كان فاؤها مفتوحا مثل فأر تنطق فار، ويتم تبديل الهمزة إلى واو إذا كانت فاء الاسم مضمومة مثل: مشؤوم تنطق مشووم

4. البناء الصرفي (لهجة بوسعادة نموذجا):

أ. تعريف علم الصرف:

هو العلم الذي يبحث في أبنية الوحدة اللغوية وتلوناتها على وجوه وأشكال عدة وبما يكون لأصواتنا من الأصالة والزيادة والحذف والإعلال والإدغام والإمالة وبما يعرض لتواليها من التغيرات مما يفيد معان مختلفة[10] .

ب. الصيغة الافرادية للفعل الماضي:

تتمثل الصيغة الافرادية للفعل الماضي لِلهجة بوسعادة فيما يلي:

- الفعل المجرد

. **الثلاثي:** وهو الأكثر دوارنا في لهجة المنطقة من حيث مقارنته بباقي الأبنية الفعلية الأخرى، وإذا ما نظرنا في اللغة العربية وجدنا أن ابن جني قد تكلم عن هذا الأمر في كتابه الخصائص وقدم تعليلا لذلك؛

إذ يقول:"... فقد وضح بما أوردناه وجه خفة الثلاثي من الكلام، وإذا كان كذلك فذوات الأربع مستقلة غير متمكنة تمكن الثلاثي؛ لأنه إذا كان الثلاثي أخف وأمكن من الثنائي على قلة حروفه ثم لاشك فيما بعد في ثقل الخماسي وقوة الكلفة به..."، وللثلاثي المجرد بالنظر إلى ما فيه " ثلاثة أوزان لأن فاءه مفتوحة دوما أما عينه فتأتي مفتوحة أو مضمومة أو مكسورة وهذه أوزانه: فَعَلَ، فَعُلَ، فَعِلَ، وقد وردت صيغة فَعَلَ في لهجة المنطقة بكسر فاء الوزن فِعَلْ نحو: دِخل ، خِرج، كِسر أما الفعل أكل فحذفت فيه الهمزة وكسرت عين الفعل وتحول إلى كِلَ وفي الفعل جَاء تحذف لام الفعل أي الهمزة وينطق الفعل دون همزة، و"تسهيل الهمزة ميزة من مميزات اللهجة العربية القديمة فقد كانت تلتزم تميم الهمز وتحقيقه في حين أن القرشيين يتخلصون منها بحذفها أو تسهيلها أو قلبها إلى حرف مد"[11].

. **الرباعي:** للرباعي وزن واحد وهو فَعْلَلَ ومنه زلزل ودحرجِ وهذان الفعلان موجودان في اللهجة كما هما موجودان في الفصحى ومثال ذلك: قفلط، زلبح.

الفعل المزيد:

للفعل المزيد أنواع منها[12]:

. **مزيد الثلاثي بحرف:** فاعل: ورد في اللهجة على هذا الوزن: سافر، هاجر، شارك

فعّل: للتكثير غالبا نحو: قّيد، كثّر.

. **المزيد بحرفين:** انفعل: للمطاوعة غالبا، وفي لهجة المنطقة تبدل النون تاء نحو:

أنهد ← اتهد

انكسر ← اتْكّسر

افتعل: للمطاوعة غالبا نحو: لممته فالتمّ، وفي اللهجة العامية: لَمَيّتُهُ فَالْتَمِّ، وبذلك يقدمون التاء عن اللام ويدغمون ميم الفعل.

. **المزيد بثلاثة حروف:** استفعل: في اللهجة وردت هذه الصيغة نحو: استسمح، ووردت في الفعل استركب بصيغة. اصركب فحذفت السين والتاء وأبدلتا بالصاد ودلت على طلب الاستعلاء والمكان العالي.

افعالّ مثل: احمّارَ، اشهابَّ ووردت هذه الصيغة في اللهجة بتخفيف لام الفعل افعالْ والوقوف عليها ساكنة نحو اصْفارْ، اخْضارْ.

ج . القلب:

من تجلياته واستعمالاته في لهجة منطقة بوسعادة نذكر (عجوز) تنطق (عزُوجْ)، حيث يتم تقديم حرف الزاي وتأخير حرف الجيم مع الاحتفاظ بالمعنى الأساسي، وكذلك القلب في كلمة (شمس) التي تنطق (سَمش)، وقد ذكر ابن فارس في فقه اللغة" من سنن العرب القلب، وذلك يكون في الكلمة مثل جذب وجبذ"(13).

5. البناء النحوي (لهجة بوسعادة نموذجا):

إن أغلب ما ورد في لهجة منطقة بوسعادة لا يخرج عن الكون العام للقاعدة النحوية العربية، فليس ثمة خصائص للهجة واضحة، وتراكيب اللهجة في منطقة بوسعادة تشرك مع معظم المناطق المجاورة لها مثل: الحضنة والجلفة؛ بل إنها تشرك حتى مع بعض اللهجات العربية وسنذكر بعض التراكيب اللغوية للهجة بوسعادة وكيفية انتظامها.

أ. نظام اللهجة في لهجة بوسعادة:

يقوم نظام الجملة في لهجة بوسعادة على وجود عقد الإسناد بين المسند والمسند إليه وتتفق لهجة بوسعادة مع العربية الفصحى في المبادئ العامة لنظام الجملة التي تمتاز بعموميتها وبساطتها وبعدها عن التعقيد لأن الفكر الاجتماعي والذهنية العامة يميلان إلى البساطة والوضوح.

ومن المبادئ العامة التي تحكم نظام الجملة في لهجة بوسعادة أيضا أن يأتي المسند إليه دائما اسما أو ما يقوم مقامه في أداء الوظيفة اللغوية كالتركيب الإضافي

بينما يأتي المسند اسما أو فعلا وقد يأتي تركيبا لغويا جملة أو شبه جملة والجـــدول التالي يبين ذلك:

جدول رقم (01): يوضح نظام الجملة في لهجة بوسعادة

نظام الجملة	المثال
المسند إليه: اسم +المسند (اسم)	محمد مِريض
المسند إليه: اسم+المسند (فعل)	رابح خِرج
المسند إليه:اسم +المسند (جملة)	البقرة بِنْتَهَا مَاتِتْ
المسند إليه:اسم + المسند شبه جملة	القِلم في الزريبة
المسند إليه: تركيب إضافي +المسند جملة	قمح البلاد ياكلوه البرانية
المسند إليه: تركيب إضافي + المسند شبه جملة	كِسر الشعير في المنديل

المصدر: محمد بن صالح، لهجة الحضنة وظواهرها التركيبية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، ص:105.

أساليب الاستفهام في لهجة بوسعادة:

يمكن تقسيم الاستفهام في لهجة بوسعادة إلى أسلوبين هما[14]:

الاستفهام بالنغمة:

يقصد بالنغمة هنا الاستفهام الذي إذا صاحب اللفظ كان الغرض منه الاســتفهام وليس الإخبار، والجملة الاستفهامية تأتي مطابقة تماما للجملة الإخبارية في تركيبها والفرق بينهما يظهر في اللغة المنطوقة، وهذا النوع مــن الاســتفهام يطلــب بــه التصديق أو التكذيب لمضــمون الجملــة التـــي تــأتي تامــة الأركــان واضــحة الدلالة، خالية من أدوات الاستفهام ومثال ذلك ما يلي:

رُحت ليهم؟ ←——— هل ذهبت إليهم؟

وقد يشتمل اللفظ على الخبر ونقيضه مثل:

راك فرحان ولا مش فرحان؟ ←──── هل أنت فرح أم غير فرح؟

وأصل لفظ (ولاّ) كلمة منحوتة من ثلاث كلمات هي (واو الاستئناف + إن الشرطية + لا النافية)

الاستفهام بالأداة:

إن عدد أدوات الاستفهام التي تترد على ألسنة أهل منطقة بوسعادة أربع أدوات، الأولى يستفهم بها عن العاقل، والثانية يستفهم بها عن غير العاقل، والثالثة يستفهم بها عن الزمن وأما الرابعة فيستفهم بها عن المكان.

. أداة الاستفهام عن العاقل:

يستفهم عن العاقل في لهجة أهل بوسعادة بويناه مثل: ويناه لي قالك روح. أي: من قال لك اذهب؟

. أداة الاستفهام عن غير العاقل:

يستفهم عن غير العاقل بلفظ (واش) ومن ذلك قولهم: واش عندك؟ واش كِلِيت؟

وأصل الكلمة أنها منحوتة من واو الاستئناف التي يفتح بها الكلام، ولفظ (أيّ) التي يستفهم بها عن كل شيء، والكلمة الثالثة هي كلمة شيء التي هي من أنكر النكرات.

. أداة الاستفهام عن الزمان:

يستفهم عن الزمان بلفظ (وِكتاه) وقد تختصر ب (وِكت) وهذه الأخيرة أصلها (وقت) فأبدلت القاف كافا ومثال ذلك: وِكت جيت؟

. أداة الاستفهام عن المكان:

يستفهم عن المكان بلفظ (وِينْ) وهي كلمة مكونة من واو الاستئناف وأداة الاستفهام أين، ومثال الاستفهام عن المكان: وين كنت؟

6. البناء الدلالي (لهجة بوسعادة نموذجا):

يهتم المستوى الدلالي بدراسة معاني الألفاظ وتغير دلالتها عبر الزمن واختلافها من منطقة لأخرى أو حتى داخل المنطقة الواحدة

الترادف: لفظ الكثير في العربية الفصحى يستعمل في لهجة بوسعادة بلفظ: هدَا، حيَا.

التضاد: ومثال ذلك في لهجة منطقة بوسعادة ما يلي:

ديما/ساعات ← دائما /في بعض الأحيان

كاين /مكانش ← يوجد/منعدم

جيب/ادّي ← احضر/خذ

قليل/ياسر ← قليل /كثير

ج. النحت في لهجة بوسعادة

وهو نحت كلمة واحدة من كلمتين أو أكثر، والنحت ليس مجرد وصل كلمتين معا لتصبح كلمة واحدة، بل يشمل أيضا اختصارا للكلمة المنحوتة بحذف بعض حروفها [15].

ومثال ذلك في اللهجة البوسعادية ما يلي[16]:

لابِقَى: منحوتة من أحسن البقاء
لِسع: منحوتة من (ليس بعد)
فِسع: منحوتة من (في هذه الساعة وتستعمل لدلالة على طلب التسريع والاستعجال)
ياو: منحوتة من يا ولد

. التعبير المجازي في لهجة بوسعادة:

ومثال ذلك ما يلي[17]:

تَخلعْ: الاستعمال العام لها يشير إلى الخوف والبشاعة، لكنه في المنطقة يعبر عن الشيء بالغ الروعة، ونفس الأمر بالنسبة للفظتي تهبل، وتقتل فهما أيضا تعبران عن الجمال الذي يصل بك إلى حد الخبل والموت.

ثقيلة: تستعمل في الفصحى لدلالة على الوزن، لكنها تستعمل مجازيا لدلالة على الرقي ورفعة المركز كما تستعمل للإشارة إلى الشيء الثمين الغالي.

الله الله: في الفصحى تعني اسم الجلالة لكنها تستعمل مجازيا لدلالـــة علـــى الإعجاب والإطراب

7. تأثير اللهجة المحلية لمنطقة بوسعادة في النظام التسموي الطوبونيمي:

للهجة المنطقة تأثير في النظام التسموي المحلي من حيث هو انعكاس لخصائصـــها، لتتضافر مجموع المستويات اللسانية في تكوين أسماء الأماكن المحلية ولعـــل معالجـــة ذلك ستكون برصد مجموعة من أسماء الأماكن في المنطقة وتحليل مستوياتها:

اَلْعُرْقُوبْ: وينطق في لهجة المنطقة بتغيير حرف القاف إلى قـــاف صـــعيدية أو يمنية، وهو على وزن فعلُول، ويأتي للصفات، ويطلق عادة على "العَصَبُ الغلـــيظُ، الموتّر، فوق عَقِب الإنسان، وعُرْقُوبُ الدّابّة في رجلها بمنزلة الرّكبة في يدها[18].

وقد أطلقه سكان المنطقة على الأماكن التي تكون في مناطق جبليـــة وأرضـــها تتميز بصعوبة المسلك، وهذا له تأصيل في المعاجم العربية فقـــد ورد فـــي لســـان العرب "وعُرقوب الوادي ما نحنى منه والتوى والعرقوب هو طريق في الجبل؛ قال الفراء: "يقال ما أكثر عَراقيبَ هذا الجبل، وهي الطرق الضيقة في متنه"[19].

لُقْصيعات: ويتميز هذا الاسم بتصغيره، وهو جمع لفُعيْلـــة، ويكـــون فُعـــيْلات والتصغير في كلام العرب يكون لأغراض منها التحبـــب، وقـــد ورد فـــي لســـان العرب: القصع: ابتلاع جُرع الماء والجِرّة، وقَصَعَ الماء قَصْعا ابتلاعه جرعا[20]، ويعود سبب تسمية هذه المنطقة نظرا لتضاريسها الجغرافية حيث تحيط بها سلســـلة جبلية من جميع الجهات، وبذلك أطلق عليها هذا الاسم لأنها تشبه القصعة.

بئر الفضة: وتنطق في لهجة بوسعادة ب (بير الفضة) بحيث يتم التخلص مـــن الهمزة لأنها عسيرة النطق إذ يحصل بانحباس الهواء خلـــف الـــوترين الصـــوتيين بعدها ينفرجان فجأة وهذه العملية تحتاج إلى جهد عضلي كبير، وظـــاهرة التـــزام الهمز وتحقيقه من خصائص قبيلة تميم في حين أن القرشيين يتخلصون منها بحذفها أو تسهيلها أو قلبها إلى حرف مد[21].

يقال أن سبب تسميته بهذا الاسم هو وجود بئر بمركز المدينة كانت توضع بـه حلي الفضة أثناء ترحال السكان، ويقال كذلك وجود صخرة في هذا البئر أو جانبه لونها فضي تستعمل للغسيل سواء الصوف أم الملابس لتوفر الماء بالمنطقة.

ضَاية لُبْطم: وتنطق بتشديد حرف الضاد عند التعريف (الضّاية)، والجملة تركيب إضافي (ضاية لبطم)، ودلالة اللفظين الأولى (ضاية): كلمة عربية وهي أشبه بالبحيرة تجتمع فيها مياه الأمطار النازلة من الجبال المجاورة وتحطها أعشاب وخضرة 1، أما لبُطم، جمع بُطمة وهو شجر من فصيلة البطميات[22]، ويعود سبب التسمية إلى أن هذه المنطقة عبارة عن مساحات زراعية بها أشجار تدعى بالبطم.

عين غراب: وتنطق في لهجة بوسعادة ب (عين قراب) بحيث تبدل الغين بحرف القاف وهذا النطق امتداد لنطق قديم في بيئات عربية، وقد ذكر هذا ابن خلدون في رحلته بقوله "وجدت قوما ينطقون الغين قافا فهم من أقحاح العرب والقصد أنهم أقرب للعربية الفصحى"[23]، وكلمة غراب من الجذر غرب على وزن فُعال، والجملة تركيب إضافي (عين)، و(غراب)، وتذكر الروايات أن سبب التسمية هو الغراب الذي كان يأتي لشرب الماء من تلك العين.

الجَنّة: وتنطق في لهجة بوسعادة ب جِنّة بكسر الحرف الأول والجنة في اللغة هي البستان ومنه الجَنّات وتصغيرها جُنَيْنَةَ والعرب تسمي النخيل جنة والجنة الحديقة ذات الشجر والنخل وجمعها جنان، وفيها تخصيص ويقال للنخيل وغيرها[24]، ويعود سبب التسمية إلى أن هذه المنطقة كانت عبارة عن بساتين تحتوى على أشجار ونخيل.

جبل كردادة: هو جبل من سطوح جبال أولاد نايل، يتميز باللون البني الداكن ويحتوي على كتل صخرية وتوجد بها أشجار مثل السدرة والحلفاء، وتعددت الروايات في سبب التسمية فمنهم من يقول انه اسم أمازيغي (آكر آدادة) اكر بمعنى: قم ادادة، بمعنى أخي الكبير ومنهم من يقول أن الكرداد هو الحجر الصم ونقول كارده بمعنى ضربه بالكرد أي الحجر.

جبل بوكحيل: وينطق في لهجة بوسعادة بكسر حرف الجيم (جِبل بوكحيل)، وهو تركيب إضافي من جبل: وهو اسم لكل وتد من أوتاد الأرضِ إذا عظم وطال من الأعلام والأطواء والشّنانيب، وأما ما صغر وانفرد فهو من القنان والقور والاكم، وجمع أجْبل وأجبال وجبال[25]. أما بوكحيل فهو: كنية.

تذكر الروايات أن سبب التسمية هو أنه نسب لسيدي العجال المكنى ببوكحيل ويقال أنه كان في رحلة العودة من الحج واعترض مسيره عصابة وهناك ظهرت إحدى كراماته ومن ثم تمسك به الأهالي واستقر هناك، وقد شهد هذا الجبل معركة سميت بمعركة جبل بوكحيل، وقد ذاع صيتها في الداخل والخارج وكتبت عنها صحف أجنبية شاهدة على تلك المقاومة الباسلة والرافضة لأي مساومة على الصحراء التي هي جزء لا يتجزأ من الوطن.

عين الملح: وتنطق في لهجة بوسعادة بحذف أداة التعريف (ال) وكسر الحرف الأول، أما أصل الكلمتين فهما عربيتان فالعين "عين الماء والعين التي يخرج منها الماء، والعين ينبوع الماء الذي ينبع من الأرض وهي اسم مؤنث والجمع أَعْـين أو عيون، ويقال غارت عين الماء وعين الرُكْبَة مفجر مائها ومنبعها، أما لفظ ملح: ما يطيب به الطعام ،يؤنث ويذكر والتأنيث فيه أكثر وقد ملح القدر يملحها ويملحها ملحا وأملحها :جعل فيها ملحا بقدر[26]، والجملة تركيب إضافي من (عين) وكلمة (الملح)، وأما سبب التسمية فيعود إلى الماجن وهو عبارة عن مكان يتواجد فيه الملح بكثرة وقد كان مصدر رزق الأهالي وذلك من خلال مقايضته ببقية المواد الغذائية التي يجلبها سكان المنطقة.

عين الريش: الريش بالكسر للطائر كالرّاش أرياشُ، ويكون الـرِيش للطائر كالثياب للإنسان، وذات الرِيش لنبات من الحمض ورقا ورديا ينبت خيطا من أصل واحد وهو كثير الماء[27]، وسبب التسمية يعود إلى العين التي كانت تحوم بها الطيور مخلفة الأرياش فيعتقد الجميع أنها عين يخرج منها الريش.

جبل امساعد: الموقع الطوبونيمي لهذه المنطقة هو جنوب ولاية المسيلة، والجملة تركيب إضافي من (جبل) و(امساعد)، وتذكر الروايات أن سبب التسمية هو أن هذا الجبل كان مليء بالخيرات وكأنه جنة ساحرة وفيه عناصر من المياه وكان اسمه جبل يساعد وبعد مرور الوقت أصبح جميع سكانه يساعدون الناس حتى قيل فيه "اذهبوا إلى جبل امساعد فهناك الجميع قاعد يساعد".

واد العليق: إن تسمية الواد، الوادي، جمع أودية ووديان تدل على انتظام المياه التي لا تجف لكنه يدل كذلك على مجرى ماء غير منتظم أو مجرى ماء يسيل بمياه أمطار رعدية أو رافد"[28]، أما العليق فهو نبات عشبي يتميز برائحة صنوبرية وهذا النوع من النبات موجود بكثرة في هذا الوادي.

تامسة: الموقع الطوبونيمي لهذه المنطقة هو جنوب ولاية المسيلة وكانت تعرف بعين تامسة، وتذكر الروايات أن سبب التسمية يعود إلى أن ملكة تركية يقال لها (تاها) وقد كان لها خادم، وعندما كانت تنام للقيلولة يوقظها بقوله يا تاها تمسات ويقصد من هذا غروب الشمس.

الظّلعة: وتنطق في لهجة بوسعادة بحذف أداة التعريف (ال)، وورد في لسان العرب أن: الضِّلَع والضّلْع لغتان محْنِية الجنب مؤنثة والجمع أضلع أضالع وأضلاع وقيل الإضلاع الإمالة[29]، وتسمية المنطقة يتناسب مع جغرافية المكان.

بوسعادة: تعددت الروايات في أصل تسمية هذه المنطقة منها أن مؤسسيها لفرط ابتهاجهم وغبطتهم بهذا الموقع المختار أطلقوا عليها "سعادة" وهي مأخوذة من كلمة السعد وهو نقيض النحس، وجاء في رواية أخرى أن الولي مر على امرأة تنادي ابنتها سعادة، وآخرون يرجعون أصل التسمية إلي "بوفادة" من العهد الروماني، كما ذكر الرائد كوفي وروج له، ثم حرف الاسم إلى بوسعادة[30].

الخاتمة:

إن الغرض من هذه الدراسة اللغوية الطوبونيمية هو التعرف إلى أصل تسمية الأماكن وكذلك معرفة مدى تأثير اللهجة المحلية في ترسيم دوال لمدلولات طوبونيمية مع أجْرأة ذلك على منطقة بوسعادة وقد عرضنا لخصائص اللهجة المحلية لمنطقة بوسعادة على جميع المستويات اللغوية الصوتية منها والصرفية وكذلك المستوى النحوي والدلالي ومن أهم النتائج المتوصل إليها ما يلي:

. خصائص لهجة منطقة بوسعادة أبانت عن تماهي هذه اللهجة مع اللغة العربية الفصحى؛

. تؤثر اللهجات المحلية في تسمية الأماكن سواء على المستوى الصوتي أم الصرفي أم الدلالي؛

. تسمية الأماكن قد تكون مرتبطة بجغرافية المكان أو مع نوع النبات أو الحيوان أو أسامي تربط الشعوب بقبائلهم.

الهوامش:

[(1)]ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، دت، ج3، باب اللام، ص: 241.

[(2)]أبو الفرج، مقدمة لدراسة فقه اللغة، بيروت، دار النهضة،1995م، ص93.

[(3)]إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، القاهرة، مكتبة لأنجلو المصرية،2003م، ص:15.

[(4)]فندريس، اللغة، ت: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القناص، القاهرة ،1950م، ص: 130.

[(5)]ينظر، على عبد الواحد وافي، علم اللغة، دار نهضة مر للطباعة والنشر، ط1، 2004م، ص: 179.

[(6)]ينظر، عامر يحياوي، الدلالة الافرادية لصيغة الفعل الماضي في لهجة منطقة بوسعادة، الإشعاع، العدد: 8، جوان،2017م، ص: 326.

[(7)]احمد مختار عمر، علم الدلالة، ط5، مصر، 1998م، ص:34.

[(8)]ينظر، الدلالة الافرادية لصيغة الفعل الماضي، مرجع سابق، ص: 326

[(9)]عبد الله درويش، دراسات في علم الصرف، مكتبة الشباب المنيرة، دت، ط2، ص: 72.

[(10)]عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، سلسلة الدراسات اللغوية، ط8،1998م، ص: 37.

[(11)]عامر يحياوي، الدلالة الافرادية لصيغة الفعل الماضي في لهجة منطقة بوسعادة، مرجع سابق، ص:327.

[(12)]ينظر، يحياوي عامر، الدلالة الافرادية لصيغة الفعل الماضي في لهجة منطقة بوسعادة، مرجع سابق، ص ص:328-329.

[(13)]فقه اللغة، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص:476.

[(14)]محمد بن صالح، لهجة الحضنة وظواهرها التركيبية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، ص ص: 109-111.

(15)خالد الصناديقي، المثل والكلام في حديث أهل الشام (دراسة في اللهجة الشامية أصولها وأمثالها)، دار طلاس، دمشق، ط 1، 1993 م، ص:31.

(16)فاطمة الزهراء بوديسة، المداورة الابلاغية في الأمثال الشعبية منطقة بوسعادة نموذجا، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجيستير في الأدب العربي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2014م – 2015م، ص:24.

(17)فاطمة الزهراء بوديسة، المداورة الابلاغية في الأمثال الشعبية منطقة بوسعادة نموذجا، مرجع سابق، ص:23.

(18)ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، الجزء العاشر، مادة عرقب.

(19)لسان العرب، المرجع سابق، مادة عرقب.

(20)لسان العرب، مرجع سابق، مادة قصع.

(21)ينظر، إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مرجع سابق، ص: 67.

(22) Foudil Cheriguen–Dictionnaire d'hydronymie générale de l'Afrique du Nord (Algérie–Maroc–Tunisie), p13.

(23)ابن خلدون، المقدمة (ديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والبربر)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، دت، ص: 1079.

(24)ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، المجلد الثالث، مادة جنن.

(25)محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، المجلد الثاني، مادة جبل، ص:225.

(26)لسان العرب مرجع سابق، مادة ملح مجلد 14.

(27)محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق، مجلد 4، مادة ريش، ص:.719.

(28)ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثاني، مادة ودي ص:903.

(29)ينظر، لسان العرب مرجع سابق، مادة الظلع.

(30)http://www.bou_saada.info/bs/modules/smartsection/item.php?itemid=182 , 2018/10/01.14:00.

المصادر والمراجع:

- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، القاهرة، مكتبة لأنجلو المصرية، 2003م.

- احمد مختار عمر، علم الدلالة، ط5، مصر، 1998م.

- خالد الصناديقي، المثل والكلام في حديث أهل الشام (دراسة في اللهجة الشامية أصولها وأمثالها)، دار طلاس، دمشق، ط 1993،1 م.

- عامر يحياوي، الدلالة الافرادية لصيغة الفعل الماضي في لهجة منطقة بوسعادة، الإشعاع، العدد:8، جوان،2017م، ص: 326.

- عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، سلسلة الدراسات اللغوية، ط8، 1998م.

- عبد الله درويش، دراسات في علم الصرف، مكتبة الشباب المنيرة، دت، ط2.

- على عبد الواحد وافي، علم اللغة، دار نهضة مر للطباعة والنشر، ط1، 2004م.

- فاطمة الزهراء بوديسة، المداورة الابلاغية في الأمثال الشعبية منطقة بوسعادة نموذجا، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجيستير في الأدب العربي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر،2014م – 2015م

- ابو الفرج، مقدمة لدراسة فقه اللغة، بيروت، دار النهضة،1995م.

- فقه اللغة، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- فندريس، اللغة، ت: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القناص، القاهرة ،1950م.

- محمد بن صالح، لهجة الحضنة وظواهرها التركيبية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر.

- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، دت، ج3، باب اللام.

- Foudil Cheriguen-Dictionnaire d’hydronymie générale de l’Afrique du Nord (Algérie-Maroc-Tunisie), p13.

- http://www.bou_saada.info/bs/modules/smartsection/item.php?itemid=182 , 2018/10/01.14:00.

قراءة مواقعية للانحرافات الاسمكانية في الوسط الحضري لمدينة تلمسان

د. حاج محمّد الحبيب و د. بلعباس عبد القادر
م. ب. ع. ت. ت. ل. ع. وحدة البحث تلمسان

مقدّمة:

تفرض مقاربة الانحراف الأنوماستيكي الالتزام بنفس الآليات الموظّفة في البحث الطوبونيمي، من معرفة دقيقة للعوامل الاجتماعية، والأحداث التاريخية الّتي أدّت إلى وجوده. وحري أنّ يميّز في بادئ الأمر بين المواقعية الزمانية، المهتمة بالتغيّرات الاسمية الّتي تعرفها الأماكن على لسان موظفيها تبعا للفئات العمرية (شباب، وكهول، وشيوخ)، وبين الانحراف الاسمكاني الّذي يترتب بالخصوص عن عوامل محدّدة ضمن أطر سياسية وثقافية، وتقلبات تاريخية، وكونهما متداخلين في الكثير من الجوانب باعتبارهما مواد علمية لا تتضب نتيجة اهتمامهما بالجوانب اللّسانية، والاشتقاقية، والجغرافية، والتاريخية، يصعب على الكثير من غير ذوي الاختصاص في مجال الدراسة المواقعية التفريق بينهما، وتحديد حقول اشتغالهما[1].

نماذج من الانحرافات الاسمكانية في الوسط الحضري لمدينة تلمسان:

كولمبيا:

يعدّ طبونيم "كولمبيا" مظهرا من مظاهر الانحراف الاسمكاني الكلّي، من خلال تغيّر المستويات البنيوية، والصوتية، والدّلالية، والتداولية للطوبونيم الأصلي "الكيفان"، ممّا يستدعي التوقف للنظر في العوامل، الّتي أدّت باسم مكان ذو أصول أمازيغية يدّل على المغارات التي أدّت إلى الانحراف بشكل رهيب إلى صيغة أجنبية جديدة، فرضت نفسها على الصفة القديمة، الّتي عرفت بها هذه المساحة الجغرافيا. ولعلّ المتتبع للأسباب الّتي

أدّت إلى هذا الانحراف الاسمكاني الخطير، يدرك أنّه ترتب عن ظواهر اجتماعية عرفها هذا الحي الشعبي العتيق، تزامنت بالخصوص مع فترة العشرية السوداء، الّتـي عرفتهـا الجزائر بصفة عامة، والأحياء الشعبية بصفة خاصة، في عموم القطر الـوطني. ولعـلّ أبرزها انتشار آفات اجتماعية جمة، على رأسها تجارة المخدّرات، والمهلوسات الّتي راح ضحيتها الكثير من شباب هذا الحي القديم، من منطلق ّأنها كانت ملجأهم الوحيد، للهروب من جحيم الواقع المر الممثل في عدم توفر فرص الشغل، وانعدام وسائل التسلية والترفيه، الّتي تخفف من وطأة الضغط النفسي، وغياب شبه كلّي لمساحات خضراء، بالإضافة إلى عدم قيام مراكز التكوين المهني، ودور الشباب بواجبها على أحسن وجه، لاستقطاب هـذه الفئة العمرية وثنيها عن الانحلال الخلقي، من خلال تـوفير حـرف يدويـة كالحـدادة، والنجارة، والتعدين...إلى غير ذلك، وقاعات خاصة بتعلّم الإعلام الآلي، ومكتبات مجهزة بأحدث الوسائل، ممّا دفع بفئة كبيرة من شباب هذا الحي العتيق، لتبني التسـمية الجديـدة الممثلة في "كولمبيا" واعتناق أبعادها التداولية بسهولة والسعي للترويج لها، حتـى غـاب بشكل شبه كلي الاسم القديم "الكيفان" إلاّ في الوثائق الرسمية، وفواتير المـاء والكهربـاء، وأصبح يسري الجديد على لسان الشباب ممّا انعكس بالسّلب على سمعة قاطني الحي. كما أنّ اختيار هذا الاسم "كولومبيا" ليس عشوائيا، بقدر ما هو يعكس الصورة الّتي رسخت في أذهان شباب "حي الكيفان القديم" من أنّ هذا البلد الأمريكي اللاّتيني يعد معقل المخـدرات، وجماعات المافيا ومن منطلق أنّه بلد "بابلو اسكوبار" تاجر المخدرات الشهير.

بالإضافة إلى هذا فإنّ تسمية "كولمبيا" وإن كانت تقتصر على جهة بعينها فـي حي الكيفان القديم، والممثلة في المنطقة المسماة بـ "الوادي" إلاّ أنّها تشـمل مـن منظور من هم خارج الحي من سكان تلمسان أربعة أحياء صـغيرة، هـي علـى التوالي "لعري" الّذي حافظ على تسميته، وإن كانت غير موظّفة بشـكل كبيـر، إلاّ على لسان كبار السّن من سكان حي الكيفان القديم الّذين يعرفون سـبب التسـمية، والّذي يعود إلى كون الكثير من منازل هذه الأحياء، كانت في وقت سابق مكوّنـة من فناء غير مغطى، وهو ما يقابل مصطلح " حوش" بالعامية محاط بسور قصـير يسمح للمارة برؤية من هم بداخل المنزل، وكلمة "لعري" مشتقة من العراء الّـذي

كان يمّيز المنازل ذات البنيان الهش، وليس العري بالمفهوم اللّغوي. وحي" فـيلاج اللّيل" الّذي سمّي نسبة إلى كون المقيمين به سابقا، بنوا منازلهم في جـنح الظـلام وبشكل فوضوي، حتى لا تتمّ متابعتهم من مصالح البلدية، والتهيئة العمرانية، وقـد تغيّرت ملامح هذا الجزء من حي الكيفان القديم من حيث العمران، بحيث هـدمت بيوت "فيلاج اللّيل" لتعوّض بعمارات "إقامة الميثاق"، والّتي ترتـب عـن وجـود أرصفة بجوارها، يستغلّها المتقاعدون، وكبار السّن للجلوس، اسم مكان جديد هـو "لانتريتيا" والّذي يقابله بالفرنسية مصـطلح “les retraités”، أمّـا حـي "أرض بوصلعة" فهو بخلاف الأحياء الثلاثة، يتميّز بالبنايات الجديدة إلى حدّ ما ولم يمسّـه انحراف اسمكاني بالشكل الّذي لحق بباقي الأحياء المشكلة لحي الكيفان القديم.

جوطيا:

يعد باب زير من أقدم أحياء تلمسان، وسمي بهذا الاسم نتيجة وجود باب قديمة، كانت تعدّ بمثابة مدخل يتيح الوصول إلى وسط المدينة، وهو من ضـمن الأبـواب القديمة المعروفة على غرار باب القرمادين، وباب وهران، وباب الحديـد، وبـاب سيدي بومدين، وباب الجياد، وباب الخميس...إلى غير ذلك. وكلمة زير مقتبسة من اسم الوزير زيري بن عطيّة كما جاء في بعض الكتب التاريخية، غير أنّها في اللغة العربية تدّل على العِجبُ، وهو الرّجل الّذي يحـب مجالسـة النسـاء، ويسـتأنس لأحاديثهم، والسهر معهم، وقد عرفت هذه المنطقة بتفشي ظواهر بعينهـا لا تمـت بصلة للمجتمع الجزائري الأصيل لا من قريب ولا من بعيد، ممّا دفـع السـلطات المحلّية، لوضع حدّ للنشاط الذي كان يسود هذا المكان والّذي شوّه سمعة المدينـة، غير أنّ هدم بعض البيوت خلق نوعا من الفضاء الفسيح، سمح بنشأة سوق صغيرة تعرض فيها مختلف السّلع المستعملة من ملابس، وخـردوات، وعقـاقير، وأدوات كهرومنزلية، ممّا جعل اسم مكان "باب زير"، ينحرف اسمكانيا ليصبح "جوطيـا"، وقد تكون الكلمة مقتبسة من الحروف المختصرة باللغة الفرنسية لـ UGTA الدّالة على الاتحاد العام للعمال الجزائريين، غير أنّه لا يقصد بها النقابة العماليـة لـدى مستعمليها، بل للدلالة على وجود هذه السوق الفوضوية الّتـي أضـحت تسـتقطب

أفرادا من داخل تلمسان، ومن المناطق المجاورة لها نتيجة الأثمان البخسة للسلع المعروضة بها، والّتي تتناسب وأصحاب ذوي الدخل الضعيف، كما يمكن أن تكون كلمة "جوطيا" تحريف للفعل الفرنسي "jeter" بمعنى رمي الأشياء الّتي لم تعد صالحة للاستعمال، وفي تقديري أنّ هذه الفرضية هي الأقرب للصواب كون أنّ استعمال كلمة "جوطيا" يعود إلى فترة زمنية بعيدة، قد تكون حتى قبل دخول الاستعمار الفرنسي للجزائر، أو ربما تزامنت مع وجوده.

قنده:

على عكس ما ورد فيما سبق، فإنّ الانحراف الاسمكاني الّذي عرفه هذا الحي كان في الجانب الايجابي، حتى مع ما يحمله من تبدّل كلّي للبنية الشكلية، والصوتية، والدلالية، وحتى التداولية، بحيث أصبح "حي النجمة" مع العلم أنّه من حيث الاستعمال، طبونيم "قنده" موظف بشكل لافت للانتباه من لدن شباب الحي بعكس كبار السّن من سكان الحي، وغيرهم ممن هم خارجه، الّذين يوظّفون لفظة "حي النجمة" للدلالة على هذا الحي، كما أنّ المراسلات الإدارية، والفواتير الخاصة بالماء والكهرباء، تحمل تسمية الشهيد حامد عكاشة للدلالة على هذه المساحة الجغرافيا، ولكن هذا الشكل الرسمي لم يمنع من ذيوع استعمال لفظة "قنده".

الباطوار:

حتى مع تغيير اسم هذا المكان، وتعويضه "ببختي بومدين" إلاّ أنّ وجود مذبح عمومي للماشية بالمنطقة، أسهم في بقاء طوبونيم "الباطوار"، وتداوله بشكل واسع النطاق، ولافت للانتباه من لدن سكان مدينة تلمسان، مع العلم أنّ "الباطوار" كلمة تمّ اقتباسها من المصطلح الفرنسي «l'abattoir» وتم تحريفها مراعاة للتخفيف في الاستعمال من لدن عامة الناس، ممّا يوحي أنّ بعض أسماء الأماكن لا يمكن تغييرها بسهولة، نتيجة علاقتها بمهنة، أو حرفة، أو صفة خاصة تميّز المكان، بعكس أخرى الّتي قد يسهل تجاوزها، واستبدالها بأسماء أخرى بحسب الحاجة.

درب بوحسينة:

يعد درب بوحسينة اسم شهرة محل بامتياز، وهو ما يقابل باللغة الفرنسية "l'apothiconyme"، الّذي يدل في علم المواقعية على اسم مكان خاص بمحل تجاري، أو سوق كانت أو لا زالت قائمة بالمكان المسمى بها. وفي غالب الأحيان يكون هذا النوع من أسماء الأماكن من أصل باترونيمي "patronymique" يحمل اسم صاحب المحل أو لقبه. وبمجرد نطقه نفهم أنه يدل على حرفة، أو بيع بضاعة معينة. وقد انحرف هذا الطوبونيم في الاتجاه الإيجابي، وعوّض القديم الّذي كان يدلّ على قاعة السينما "كوليزي" الّتي كان يعرف هذا الزقاق باسمها، نتيجة ذيوعه بين فئة الشباب على وجه الخصوص من سكان مدينة تلمسان، وحتى من خارجها.

القران:

لا يزال اسم مكان القران يسري على لسان كبار السّن من أهالي تلمسان، غير أنّه غير معروف بشكل كبير عند الجيل الجديد، الّذي يفضل تسمية نفس المكان بباب وهران نسبة إلى كونه يوجد في الجهة الشمالية الشرقية من مدخل مدينة تلمسان، وقد عرف هذا المكان تسميات أخرى غير القران، وهي الفخاريين من منطلق وجود حرفة الفخار في الماضي البعيد بهذا المكان. وإذا ما حاولنا فهم دلالة اسم هذا المكان من خلال عملية الإسقاط، والتشبيه فنجده أقرب إلى كلمة " القرآن" وكأنّ التسمية ناتجة عن وجود كتاتيب بهذا المكان في غابر الزمن، كانت تستقطب طلبة القرآن الكريم من كافة القطر الوطني. كما أنّ هناك من المؤرخين من يعزو دلالة هذا الطوبونيم إلى قبيلة " القران".

تافرطة:

تسجّل نفس الملاحظة الّتي سبقت بالنسبة لاسم مكان تافرطة، والّذي هو الآخر غير معروف بشكل كبير عند الجيل الجديد الّذي يسميه بساحة الشهداء نسبة إلى سقوط أحد عشر شهيدا بهذا الموقع المحاذي لسوق الخضر المغطى بوسط المدينة إبان الاستدمار الفرنسي، أمّا بالنسبة لدلالة اسم هذا المكان فهي الصرفة المالية، أو

ما تبقى من نقود بعد شراء شيء معين ما. ولعلّ التسمية الجديدة هي أقرب للواقع الجزائري من منطلق أن كلمة "الفراطة" موظفة بشكل كبير من لدن المشارقة وليس المغاربة. غير أنّ كبار السّن من أهالي مدينة تلمسان لا يزالون يوظّفون اسم مكان "تافرطة" مثله مثل باقي أسماء الأماكن القديمة كالمدرس، و"بلاصة" الخادم، ومسوفة، وشنوغة... إلى غير ذلك من الطوبونيميات. ويعود السبب في ذلك إلى كون المنطقة كانت مكانًا لمقايضة السلع التجارية دونما استعمال للنقود، ولهذا ترسّخت الكلمة القديمة في أذهان كبار السّن على وجه التحديد.

درب السّجان:

ورد هذا الطوبونيم بحرف السين في قصيدة من قصائد الشاعر التلمساني بومدين بن سهلة موسومة "يا ضو عياني"، وظاهرة إبدال حرف السين بالشين لدى أهالي تلمسان ضاربة في القدم، وقد تمّت الإشارة إليها سابقا في ذكر دلالة طوبونيم "تلمسان"، ولهذا فإنّ هناك من ينطق هذا الطوبونيم بالشكل الآتي "الشجان". أمّا عن سبب تسمية هذا الدّرب فهي تعود إلى وجود بائعي الأقفاص الخاصة بالعصافير وبعض الحيوانات الأليفة الأخرى، غير أنّ هذه التسمية اندثرت مع مرور الزمن، ولم تعد متداولة بشكل واسع كما كانت في عهد سابق، وهذا شيء طبيعي مسّ الكثير من أسماء الأماكن بالوسط الحضري التلمساني على وجه الخصوص.

الدرب المقبي:

هو طوبونيم قديم في الوسط الحضري التلمساني يقع من ناحية باب علي، وقد سمي بهذا الاسم نتيجة الشكل المقوس للسقف الّذي يميّز هذا الدرب، والّذي يوحي لداخليه على أنّهم في قبّة ممتدة على مسافة معيّنة ومترامية الأطراف، وقد اندثر بشكل شبه كلّي هذا الطوبونيم من الاستعمال، من منطلق عدم تداوله على لسان السكان المحليين، ومن منطلق التغييرات العمرانية التي مسّته، حتى وإن كانت جزئية مقارنة بغيره من الدروب.

راس المصدّع:

أصبح هذا الطوبونيم يحمل تسميتين مختلفتين، فأمّا الأولى فهي "راس البحـــر" من منطلق أنّ المكان هو مقابل لجهة البحر، ويسمح في الوقت نفسه بالإطلالة على مساحات واسعة، وأحياء عتيقة في مدينة تلمسان، مثـــل ســـيدي ســـعيد، وســـيدي الحلوي، وفدان السبع...ومن منطلق وجوده في مكان عال إلى حـــدّ مـــا، وهـــذه التسمية تسري على لسان كبار السّن على وجه الخصوص، وأمّـــا الثانيـــة فهـــي "السّور" نسبة إلى وجوده بالمنطقة الممتدّة من سوق الربط، إلى غاية مرتفع ســـيدي الحلوي، وهذه التسمية الثانية هي الأكثر تداولا بين سكان مدينة تلمسان من مختلف الفئات العمرية. وقد بني هذا السّور القصير الممتد على مســـافة حـــوالي نصـــف كيلومتر لتنظيم حركة المارّة والسّيارات على حدّ سواء في هذه الجهة. أمّـــا فيمـــا يخص التسمية القديمة "الدرب المصدّع" فهي ناتجة بالأساس عن البنايات الهشـــة، الّتي تتميّز بالتّصدعات الموجودة بجدرانها، كونها قديمة ومبنية من حجارة وطوب، وذات سقوف بالأخشاب.

درب الطحطاحة:

يعد درب الطحطاحة من أعرق الدّروب في الوسط الحضري لمدينة تلمســـان، من منطلق وجوده بمحاذاة درب سيدي حامد المشهور بالمحلاّت التجارية الخاصـــة بالألبسة، والصياغة، والأواني المنزلية. وقد استمد هذا الدّرب العتيق الّذي تغيّـــرت بعض ملامح تسميته من تلك المساحة الفارغة الموجودة به، وهي عبارة عن فضاء يتوسط مجموعة من المنازل القديمة والهشة. وكلمـــة "الطحطاحـــة" فـــي اللّهجـــة التلمسانية دالة على كل فضاء جغرافي فارغ، قد يســـتغل لأغـــراض تجاريـــة، أو كساحة للعب الأطفال الصغار، أو موضعا للاستراحة، ولا علاقة لهذه الكلمة بالبعد التداولي الدّال على "طحطحا"، الّتي تستعمل للدّلالـــة علـــى مـــا قـــد ينـــال أحـــد المتخاصمين من خصمه من أذى وبلية.

طريق باريس:

تمّ استبدال هذا الطوبونيم باسم الشهيد الدكتور تيجاني دامرجي في الخريطة الرسمية للوسط الحضري لمدينة تلمسان، غير أنّ السكان المحليين يجنحون في التوظيف إلى استعمال طوبونيم «طريق باريس Rue de Paris» وباللّغة الفرنسية، وهذا نتيجة وجود محلاّت تجارية تميّز هذا الشارع عن غيره، والّتي هي شبيهة إلى حدّ ما بمحلات في باريس، من منطلق أنّها تعرض سلعًا باهظة الثمن، وذات قيمة من ملابس، وأدوات كهرومنزلية، وأدوات تزيين إلى غير ذلك من البضائع.

درب الشول:

تدلّ لفظة الشول في الاستعمالات اللّهجية لسكان مدينة تلمسان على موسم الحصاد، ولعلّ تسمية درب الشول لها علاقة بتجمع الحصادين بهذا المكان، وانتظارهم لفلاحي المنطقة قصد تقديم خدمة الحصاد لأراضيهم، غير أنّ هذا الطوبونيم لم يعد متداولا وأندثر مع اندثار الطابع الفلاحي، الّذي كان يميّز ما جاور الوسط الحضري لتلمسان، والّذي عرف بأشجار الكروم، والزيتون، والكرز، واللّوز...إلى غير ذلك بحيث لا تزال بعض الأحياء تحمل تسميات لها علاقة بالزراعة، والأشجار المثمرة.

درب الحشايشيا:

تختلف استعمالات أسماء الأماكن في الكثير من الأحيان بحسب الفئة العمرية، فقد يستعمل الشيوخ، والكهول تسميات لأماكن بعينها، بخلاف ما تستعمله فئة الشباب، وكأنّ المتتبع يعتقد بأنّ الفئتين تتحدّثان عن أماكن مختلفة، غير أنّ الاختلاف هو في الحقيقة عمري زماني بدرجة كبيرة وليس بمكاني، حتى وإن طرأت تغييرات عمرانية على الجهة المعنية بالدّراسة، وهذا ما يدخل في إطار ما يسمى بالطوبونيميا الزمانية، ومن أمثلة ذلك اسم مكان "متوسطة المقرّي" الّذي يطلق على مؤسسة تربوية في وسط المدينة، غير أنّ انحراف فئة من المراهقين المنتسبين إلى هذا الفضاء الجغرافي، واجتماعهم في أحد الأزقة القريبة من هذه

المؤسسة التربوية لتعاطي السجائر، وحتى المخدرات أحيانا، أسهم في ظهور اسم "درب الحشايشيا"، بحيث أنّ الكلمة مستوحاة من الحشيش، والمقصود بها عموما كل ما يؤثّر على العقل.

درب النّش:

تسري كلمة "النّش" على لسان سكان مدينة تلمسان، من مختلف الفئات العمرية، والجنسية، والمستويات الثقافية، ويقصد بها في المفهوم الفصيح "الإزعاج" فكثيرا ما توظف أثناء الأحاديث للدّلالة على هذا المعنى، والتعبير بها على الإحساس بالمضايقة، وبخاصة أمام الغرباء أثناء تجاذب أطراف الحديث، أو صدور تصرّف غير لائق من لدن شخص ما. ويعود سبب تسمية هذا الزقاق بهذه التسمية، نسبة إلى كثرة تعرض المارّة من خلاله للمضايقة، من لدن فئة المراهقين على وجه الخصوص.

درب الباشيات:

قد تتسبب ظاهرة مستحدثة لها علاقة بنشاط تجاري في انحراف اسمكاني يجعل حيّزا جغرافيا معيّنا ما، يحمل تسمية غير تلك الّتي كان يعرف بها سابقا وهذا بالضبط ما جعل "حي فدان السبع" العتيق، وبالخصوص المكان المحاذي لمسجد الهدى، ونتيجة لوجود نوع من السّيارات مخصصة للنقل، يحمل تسمية "الباشيات" «Auto bâchée» نتيجة توقفهم بهذه المنطقة. وقد أسهم وجود هذا النشاط في ذيوع التسمية الجديدة، وبالخصوص لدى مستعملي هذه الوسيلة لنقل بضائعهم، وسلعهم.

درب زلاميط:

ممّا يؤسف له أنّ الكثير من الأحياء الشعبية، تغيّرت تسمياتها تبعا لتفشي ظواهر بعينها كالعنف بشتى أنواعه اللّفظي والجسدي، والّذي يكون عادة السبب الأوّل في استحداث اسم معين، يعكس بشكل سلبي صورة المكان. ومن أمثلة ذلك "درب زلاميط/ la ruelle d’allumettes" بحيث أنّ اللّفظة لغة تعني "عود

الثقاب" غير أنّ البعد الدّلائلي، والتداولي الّذي تحمله غير ذلـــك المتعـــارف عليـــه والممثل في إشعال النار لطهي الطعام، أو التدفئة، أو غير ذلك، بـــل تحيـــل هـــذه الكلمة في مفهومها التداولي، إلى السرعة الّتي تميّز وقوع أحـــداث الشـــجار بـــين الأفراد، والجماعات، على أتفه الأسباب وما قد يترتب عنه من تـــداعيات ســـلبية. فالمتتبع لمسار نشأة هذا النوع من التسميات المستحدثة، يجد أنّها تشترك فيما بينها من حيث إنّه غالبا ما تترب عن ظواهر اجتماعية بعينها كالفقر، والبطالة، وطبيعة المباني الهشة، وانعدام أبسط وسائل العيش الكريم، ونقص فادح في الخدمات.

المراجع:

[1]- DORION Henri ,POIRIER Jean ;lexique des termes utiles à l'étude des noms de lieu,les presses de l'université Laval 1975

[2] - Ibrahim ATOUI, toponymie et espace en Algérie .

[3] -Faudel CHERIGUENE, toponymie algérienne des lieux habité.

الاحالات:

([1]) DORION Henri, POIRIER Jean; lexique des termes utiles à l'étude des noms de lieu, les presses de l'université Laval 1975

جرائم فرنسا الشنعاء
في حق أسماء وكنى الشعب الجزائري

د/عمر بن عيشوش
أ. جامعة الجزائر1

ملخص المداخلة باللغة العربية: دام الاستدمار الفرنسي للجزائر 130 سنة وخلال هذه الفترة الطويلة، عملت فرنسا على نهب الثروات الطبيعية التي تزخر بها الجزائر؛ وحاولت طمس مقومات الشعب الجزائري: الإسلام، اللغة العربية العادات والتقاليد، حتى الكنى والألقاب العائلية للجزائريين لم تسلم من ذلك، فقد قامت فرنسا بإصدار قانونها العنصري الصادر بتاريخ 23 مارس 1882 والذي أجبر الأسر الجزائرية على حمل ألقاب عائلية قبيحة لم يختاروها هم ولا آباؤهم بل فُرضت عليهم فرضا.

ألقاب منسوبة لأعضاء الجسم: بوسنة، بوكراع، بوكرش... وأخرى لأسماء الحيوانات كبوقطة، بومعزة، بوبقرة، غراب، جرانة، وهذه الألقاب لها أثر كبير على نفسية الأطفال خصوصا؛ لأنهم يتعرضون لسخرية من قبل زملائهم في المجمعات المدرسية، مما يتسبب في تشكل عقد نفسية لهم، وتأثر بالسلب على نتائجهم المدرسية، لذا تشهد أروقة المحاكم قسم الأحوال الشخصية عددًا كبيرًا من الدعاوى القضائية الرامية لتغيير ألقابهم العائلية القبيحة.

- أهمية الموضوع:

تنبع أهمية الورقة البحثية من كونها تناولت موضوعًا من الأهمية بمكان حيث يندرج ضمن التاريخ الاجتماعي إذ يهتم بتاريخ نظام الحالة المدنية في الجزائر حيث تم ترسيخ الألقاب العائلية بصفة إجبارية في الجزائر من قبل الإدارة الفرنسية بالقانون الصادر في: 23 مارس 1882.

- **منهج الدراسة:** أتبع المنهج الوصفي، وذلك من خـــلال تجميـــع المـــادة العلميـــة والبيانات المتعلقة بـــ: جرائم فرنسا الشنعاء في حق أسماء وكنى الشعب الجزائري؛ مـــن مصادرها المختلفة، ثم أقوم بتحليلها التحليل المناسب واستخلاص النتائج منها.

-**الإشكالية المطروحة:** أن الإشكالية الرئيسية: تتمحور حول مواصفات الألقاب العائلية التي أفرزها قانون التلقيب الفرنسي للجزائريين، والبحـــث عـــن الآليـــات القانونية لتصحيح ألقاب وكنى الجزائريين؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية أتبع الخطة التالية:

مقدمة

المطلب الأول: مفهوم الكنى والأسماء

المطلب الثاني: جرائم فرنسا في حق كنى وأسماء الجزائريين

المطلب الثالث: اجراءات تصحيح الكنى والأسماء

خاتمة أضمنها أهم النتائج والتوصيات

المطلب الأول: مفهوم الكنى والأسماء:

الفرع الأول: تعريف الكنى والأسماء:

أولاً: الكني لغة: فالكُنْيَةُ: كل مركَب إضافي صدر بـــ(أَبٍ) كـــ: أبي بكر، وأبي عبد اللّه، أو(أُمٍّ) كـــ: أم كلثوم، وأم عمرو؛ وإنما كانوا: يعدلُون عن الاسم واللقـــب إلى الكُنية قَصدًا إلى تعظيم المَكْنى وإجلاله؛ لأنّ بعضَ النّفـــوس تَـــأْنَفُ أن تُـــذكَرَ باسمِها أو لَقَبها، وليس طريق التعظيم باللقب كطريق التّعظيم بالكُنية؛ لأنّ التّعظـــيمَ باللّقب إنّما هو بمعنى اللّفظ، كما تقولُ: زين العابدين، وتاج الملَّة، وسيف الدّولـــة؛ الرجل بأبي فلان، وأبا فلان كنية: سماه به[1].

وتسمى الكنية كنية، لأنها تورية عن اسمه، أن يقال يكنى بـــأبي عبـــد الله، ولا يقال يكنى بعبد الله. يقال: كنيت عن كذا. إذا تكلم بغيره مما يستدل به عليـــه[2]، أو ابن أو بنت على الأصح في الأخيرين.

أما الأصوليون فقالوا هو ما يدل على المراد بغيره لا بنفسه، وتنقسم أعراضـــه عندهم إلى ثلاثة أقسام[3]:

أ-أن يكنى عن شيء يستفحش ذكره.

ب-أن يكنى الرجل الرجل توقيراً له و تعظيماً.

ج–أن تقوم الكنية مقام الاسم فيعرف صاحبها بها كما يعرف باسمه كأبي لهب.

وعند أهل البيان أن يعبر عن شيء بلفظ غير صحيح في الدلالة عليه لغرض من الأغراض كالإبهام على السامع أو لنوع فصاحته.

ثانياً: الاسم: لغة: اسم العلم الذي يقول فيه ابن مالك[4]:

سمّ يعيّن المسمّى مطلقا علمه كجعفرٍ وخرنقا

وقرنٍ وعدنٍ ولاحق وشدقمٍ وهيلةٍ وواشق

واسماً أتى وكنيةً ولقبا وأخّرن ذا إن سواه صحبا

فالعلم في اللغة هو الحبل والراية والعلامة.

اصطلاحاً: كملة دلت على معنى في نفسها ولم تقترن بزمان مثل: محمد فإنه دال على معنى غير مقترن بزمان[5].

الفرع الثاني: أهمية تسمية الولد: يعد الولد من أعظم النعم التي منّ الله بها على عباده، فإنما ذكر الإنسان يخلد بالنسل والذرية قال تعالي: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ٧٢﴾[6].

وعند وشك استقبال الزوجين لمولود جديد، فإن اختيار اسم الولد القادم هو من المهام التي تحير بعض الآباء والأمهات، لكون الاسم الذي سيطلق على الطفل عند ولادته، قد يتخذ لقبا يلازمه طوال حياته، فإذا لم يكن لقبا مستحبا، فإنه يمكن أن يحرجه في المدرسة عند الصغر، وفي العمل عند بلوغه سن الرشد.

كما أن الاسماء تعمل على ترسيخ توقعات معينة من حامل الاسم أو حاملته ويمكن أن تؤثر على أفكار الناس المحيطين بهما، وحسن الاختيار ضروري فعلى الوالدين أن يدققا في اختيار الاسم لأنه واجب منوط بهما، فيستحب للزوجين أن يحسنا اختيار اسم المولود؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: **(إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ، وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ، فَأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ)**[7].

المطلب الثاني: جرائم فرنسا في حق كنى وأسماء الجزائريين

لا تقتصر مخلفات الاستعمار في المجتمع الجزائري على المجازر ومعطوبي الحرب وضحايا الألغام والقنابل النووية المفجرة في صحراء جنوبنا الحبيب

وغيرها من الجرائم الشنيعة، بل امتدت حتى لألقاب وأسماء الجزائريين من خلال فرض ألقاب أقل ما يقال عنها أنّها مشينة ومهينة على العائلات الجزائرية خلال حقبة احتلاله للجزائر (1830-1962)، تتمثل في أسماء حيوانات وأوساخ وأعضاء تناسلية وألقاب تنابز وغيرها؛ فرغم مرور أكثر من 56 سنة على استرجاع السيادة الوطنية لا يزال حاملو هذه الألقاب يعانون في صمت رهيب.

ويعد لجوء الإدارة الاستعمارية إلى تغيير أسماء وألقاب الجزائريين وتعويضها بأسماء مشينة وقبيحة ما تزال يتوارثها الأبناء والأحفاد منذ عام 1882، تاريخ سن قانون الحالة المدنية الفرنسي، أو قانون الألقاب كما يعرف، إلى الوقت الحالي: محاولة جديدة من المحاولات المتواصلة لطمس الهوية الجزائرية، أهم ملامحها إجبار الأهالي -وهو التعبير الشائع لتوصيف الجزائريين- على تسجيل المواليد الجدد وعقود الزواج لدى مصلحة الحالة المدنية الفرنسية، بعدما كانوا يقصدون القاضي الشرعي أو شيخ الجماع.

صدر القانون المتعلق بإنشاء الحالة المدنية للأهالي المسلمين في الجزائر في 23 مارس 1982م؛ ولقد ضم هذا القانون فصلين: الفصل الأول يتعلق بكيفية تأسيس الحالة المدنية للجزائريين وتدوينها في سجلات خاصة سميت السجل الأم (REGISTRE MATRICE) والفصل الثاني يتعلق بعقود الحالة المدنية ذاتها وبداية تنظيمها وتسجيلها في سجلات معينة هي سجلات الحالة المدنية.[8]

وبموجب أحكام هذا القانون يتوجب على كل بلدية أو فرع بلدية أن يقوم بإحصاء كافة السكان الجزائريين بواسطة ضباط الحالة المدنية أو مفوضيهم ثم بعد ذلك تحفظ نتيجة هذا الإحصاء في السجل الأم (REGISTRE MATRICE) على أن تتضمن لقب المواطن واسمه ومحل ولادته ومهنته وتاريخ ميلاده إن أمكنP كما أنه يجب على أي جزائري أن يختار لقبا او اسما عائليا خلال إنشاء الحالة المدنية وتأسيس السجل الأم.

وبموجب هذا القانون أصبح الجزائريون مجبرين على استعمال اللقب المختار ولا يمكن العدول عليه أو استعمال غيره ومن جهة أخرى أصبح من الواجب على كل جزائري أن يصرح بالولادة والوفاة والزواج والطلاق إلى رئيس البلدية (الحاكم العسكري)[9].

أمثلة عن الألقاب المشينة:

من خلال استقراء ألقاب الأسر الجزائرية نجد جملة من الألقاب المشينة المستمدة من أعضاء الجسم وبعض العاهات الخلقية، مثل: بوكراع، بودماغ، العايب، لعور، فرطاس، معيوف: (ومعناه الانسان العفن)، بومنجل (مشتقة من أداة يدوية للحصاد المنجل)، لطرش (الأصم)، عقون: الأبكم، مجراب (المصاب بالجرب) ،بوذيل(ومعناها بالعربية أبو ذنب) و مهبول وتعني مجنون. وأخرى من أسماء الحيوانات والحشرات مثل: صاحب البقرة، قنفود، دماغ العتروس (صاحب دماغ التيس)، بوبغلة (صاحب البغلة)، جرانة (بمعني ضفدعة)، حلوفة (بمعنى خنزيرة)، بلفار (من اسم الفأر)، جحيش (معناه اسم تصغير للجحش وهو صغير الحمار). وتيغيدات (وهي عبارة أمازيغية تعني أم العنزات).

وفي الأخير يمكن القول أن قيام فرنسا بتشويه أسماء الجزائريين، بإطلاق ألقاب غريبة عليهم كان بهدف تفكيك نظام القبيلة والاستيلاء على الأراضي وطمس الهوية الإسلامية لأبناء الوطن، بحيث إن نسبة أسمائهم للألوان وللفصول ولأدوات الفلاحة وللحشرات وللملابس وللحيوانات ولأدوات الطهي والشتائم، من أجل تحطيم معنويات الجزائريين، من خلال منح الفرصة لترديد أسمائهم المشينة طول الوقت وعلى مرّ الأزمان.

المطلب الثالث: اجراءات تصحيح الكنى والأسماء.

يعد قانون الألقاب العائلية الفرنسي هو واحدة من أبشع جرائم الاحتلال الفرنسي التي ارتكبها في حق الهوية الجزائرية من خلال تغيير الأسماء ذات الدلالة الدينية والتي كانت ثلاثية التركيب: الابن و الأب و الجد؛ واستبدالها بأخرى هجينة ومشينة وذلك من أجل طمسها وسلخها عن انتماءاتها العربية والإسلامية. فقد ورث الشعب الجزائري غداة الاستقلال ألقابًا مشينة خلفت اضطرابات وعقدًا نفسية واجتماعية للملقبين بها، جرتهم إلى أروقة المحاكم من أجل تغييرها بألقاب حسنة وطيبة تفاديا للإحراج وتخلصا من هذا العبء الذي لازمهم .

وتمر عملية تغيير الألقاب غير اللائقة بجملة من الإجراءات يمكن إجمالها فيما يلي:

بداية بتقديم طلب إلى وزير العدل يوضح مبررات تغيير الاسم وتداعيات استمرار حمله، ليتم بعد ذلك إحالة الطلب إلى النائب العام في المجلس القضائي المختص ليحقق في أسباب إيداع طلب التغيير، حيث ينص المشرع الجزائري على

أنه: "كل من يرغب تغيير لقبه لسبب ما، ينبغي عليه أن يوجه طلبا مسببا الى وزير العدل، حامل الاختتام الذي يكلف النائب العام للدائرة القضائية حيث مكان ولادة الطالب لإجراء التحقيق"[10].

الخطوة الثانية تتمثل في قيام الشخص المعني بإعلان طلبه لتغيير اللقب في الجرائد الوطنية، حيث ينص المشرع الجزائري على أنه: "ينشر الطلب، في نفس الوقت في الجرائد المحلية لمكان ولادة الطالب وعند الاقتضاء لمكان سكناه اذا كان منفصلا عن مكان الولادة، وبناء على طلبه"[11].

بعد انتظار ستة أشهر كاملة من تاريخ إعلان الطلب للتأكد من عدم وجود اعتراض، ليقوم بعدها النائب العام بإصدار تقرير مفصل يرسله إلى وزير العدل الذي يقوم هو الآخر بعرض الطلب على لجنة مختصة من ممثلين عن وزارة العدل ووزارة الداخلية والجماعات المحلية من أجل دراسة الطلب من جديد، وكتابة تقرير جديد وإحالته على رئيس الجمهورية لموافقته النهائية على اللقب الجديد[12].

4-وفي الاخير ينشر القرار في الجريدة الرسمية ويوجه المعني إلى مصالح الحالة المدنية على مستوى الإدارة الإقليمية لتغيير لقبه واستخراج وثائق باللقب الجديد، مع الإشارة في شهادة الميلاد إلى اللقب القديم[13].

الوثائق الخاصة بملف تغيير اللقب العائلي:[14]

1- طلب خطي يوضح فيه اللقب المختار باللغتين العربية واللاتينية لكل شخص بالغ سن الرشد.

2- عقد ميلاد نسخة كاملة لكل شخص بالغ سن الرشد تتضمن التأشير بالزواج على هامش العقد، بالنسبة للأزواج.

3-عقد الزواج نسخة أصلية من السجلات لا يزيد تاريخها عن سنة.
4-شهادات ميلاد أصلية وحديثة لجميع الأبناء القصر.

5- مستخرج من صحيفة السوابق العدلية (رقم 03).

6- شهادة الجنسية الجزائرية.

7-صفحة كاملة من الجريدة التي نشر فيها الإعلان المتعلق بتغيير اللقب لإحدى الجرائد اليومية الوطنية أو المحلية مع وجوب ذكر اللقب المختار باللغتين الوطنية واللاتينية.

8-مستخرج من جدول الضرائب لكل شخص بالغ سن الرشد.

9-03 صور شمسية حديثة للأشخاص البالغين فقط.

10-شهادة عائلية للحالة المدنية.

12-نسخة طبق الأصل من عقد الميلاد S12.

ملاحظات:

* يجب أن يكون العنوان الشخصي لصاحب الطلب هو نفسه المكان الذي يقيم فيه بصفة دائمة ومستمرة وفيما يخص البنات المتزوجات فعنوانهن هو عنوان الزوج، في حالة تغيير مقر الإقامة يتعين إخطار المصلحة المختصة بتغيير اللقب بوزارة العدل بالعنوان الجديد.

* يرسل الملف كاملا إلى العنوان التالي: وزارة العدل، 8 ساحة بئر حاكم، الأبيار الجزائر العاصمة.

* يكون ملف لكل شخص بالغ.

وفي الأخير عند الحصول على اللقب الجديد عليه بالقيام بتصحيح الأخطاء الواردة في الوثائق الرسمية (جواز السفر وبطاقة التعريف الوطنية ورخصة السياقة...) لكون الاسم الرسمي للشخص في يومنا هذا يعادل البصمة الرقمية الخاصة به.

خاتمة: بعون الله وتوفيقه أتممت هذه المداخلة الموسومة بـ: **جرائم فرنسا الشنعاء في حق أسماء وكنى الشعب الجزائري**، وفيما يلي بيان لأهم النتائج والتوصيات التي انتهت إليها هذه الدراسة:

أولاً: النتائج:

الإدارة الفرنسية فرضت ألقاباً قبيحة على الجزائريين بغرض إهانتهم وسلبهم ممتلكاتهم.

2-أقر المشرع الجزائري الحق في تقرير الألقاب المشينة، وأصدر المرسوم رقم: 71-157، المتعلق بتغيير اللقب، المؤرخ في10 ربيع الثاني 1391هـ الموافق لـ: 3 يونيو 1971.

للأسماء والكنى أهمية بالغة في نباء الشخصية المتكاملة والسوية.

4- بوصول الفرنسيين إلى الجزائر، أدى الوجود الاستعماري إلى اختلال في بنية المجتمع الجزائري ومقوماته .

5- قانون الأهالي جريمة شنيعة تمس الهوية الجزائرية، بل تمس كرامة الإنسان لأنها تخص شخصه وهو مرغم على أن يورثها لأولاده وأحفاده.

ثانياً: التوصيات:

1-على القائمين على وزارة العدل سن قوانين اتخاذ إجراءات لتسهيل وتسريع وتيرة اجراءات تغيير الألقاب القبيحة العمل حتى نقضي على محنة الألقاب الموروثة بأقرب وقت.

2-القيام بحملات تحسيسية عبر مختلف وسائل الإعلام والاتصال المسموعة والمرئية والمقروءة لحاملي الالقاب القبيحة والمشينة إلى التقدم لتغييرها كونها تؤثّر على معنويات ونفسية حامليها لاسيما الأطفال، فإلى متى يظل الجزائري يحمل ألقاب الحشرات والحيوانات والعيوب الخَلقية؟

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أولاً الكتب:

1- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان،1399هـ - 1979م.

2- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير السِّجِسْتاني ، سنن أبي داود، باب: تغير الأسماء، رقم الحديث:4948،تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، لبنان.

3-أبو عماد وهبان بن مرشد المورعي، بشارة أولي الألباب بجعل التحفة السنية في سؤال وجواب، دار عمر بن الخطاب للنشر والتوزيع، القاهرة ،مصر، الطبعة الاولى1429هـ-2008م،ص12

4 – محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين، ألفية ابن مالك، دار التعاون، د ت ط.

5-مسلم بن الحجاج، الكنى و الأسماء، دراسة وتحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القتيري، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنـــورة، الطبعـــة الأولـــى،1404هـــــــ-1984م،السعودية.

6- سعدي أبو حبيب، القاموس الفقهي لغة واصـــطلاحا، دار الفكـــر، دمشـــق سوريا، الطبعة: الثانية 1408 هــ- 1988 .

7- شـــارل روبير أجيرون ، تاريخ الجزائـــر المعاصـــرة، ترجمـــة عيســـى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، لبنان 1982، ، ص. 17و ما بعدها

ثانياً: المقالات:

8 –article de:Ould –ennebia karim, Histoire De L' état Civil Des Algériens–Patronymie et Acculturation,In revue Maghrébine des études des etudes Historiques et Sociales/édité par le Labo Algérie modeme et comt, UDL Sidi Bel Abbés, n°01/Sept2009,p05–24.

ثالثاً: القوانين:

9-المرسوم رقم:71-157، المتعلق بتغيير اللقـــب، المـــؤرخ فـــي10ربيـــع الثاني1391هـــــ الموافق لـــــ:3 يونيو1971م، الصـــادر بالجريـــدة الرســـمية رقم47 الصادرة بتاريخ:11 يونيو1971، المتمم بـــــالمرسوم التنفيذي رقم:92 – 24 المؤرخ في8رجب1412هــ الموافق لــــ:13يناير1992، الصادر بالجريـــدة الرسمية رقم:05، الصادرة بتاريخ: 22 يناير1992.

رابعاً: مواقع الأنترنت:

10-تصفح الموقع الرسمي لوزارة العدل الجزائرية: www.mjustice.dz

الهوامش:

---

(1) سعدي أبو حبيب، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، دار الفكر، دمشق سوريا، الطبعة: الثانية 1408 هــ- 1988 م،ج1،ص325.

(2) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان،1399هــ - 1979م، ج5، ص139

(3) مسلم بن الحجاج، الكنى والأسماء، دراسة وتحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القتيري، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى،1404هـــ-1984م، السعودية، ص9.

(4) محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين، ألفية ابن مالك، دار التعاون، د ت ط، ج1، ص14.

(5) أبو عماد وهبان بن مرشد المورعي، بشارة أولي الألباب بجعل التحفة السنية في سؤال وجواب، دار عمر بن الخطاب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى 1429هـــ-2008م، ص12.

(6) سورة النحل، الآية72.

(7) أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير السِّجِسْتاني، سنن أبي داود، باب: تغير الأسماء، رقم الحديث: 4948، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، لبنان، ج4، ص287.

(8) –voir article de:Ould –ennebia karim، Histoire De L' état Civil Des Algériens- Patronymie et Acculturation،In revue Maghrébine des études des etudes Historiques et Sociales/édité par le Labo Algérie modeme et comt، UDL Sidi Bel Abbés،n°01/Sept2009،p05-24.

(9) انظر: شـــارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، لبنان 1982، ص. 17و ما بعدها

(10) المادة الأولى، من المرسوم رقم: 71-157، المتعلق بتغيير اللقب، المؤرخ في 10 ربيع الثاني 1391هـــ الموافق لــــ:3 يونيو 1971م، الصادر بالجريدة الرسمية رقم47الصادرة بتاريخ:11يونيو1971، المتمم بالمرسوم التنفيذي رقم: 92-24المؤرخ في 8 رجب 1412هــ الموافق لــــ: 13 يناير 1992، الصادر بالجريدة الرسمية رقم: 05، الصادرة بتاريخ: 22يناير1992.

(11) المادة الثانية، من المرسوم رقم:71-157، المرجع السابق.

(12) انظر، المادة الثالثة، المرجع نفسه.

(13) انظر، المادة الرابعة، المرجع نفسه.

(14) تصفح الموقع الرسمي لوزارة العدل الجزائريـــة: www.mjustice.dz اليـــوم: 2018/10/02م، الساعة: 12.30

المعجم الطوبونيميّ
بين الضرورة الحضاريّة والضرورة العلميّة

الأستاذة: نصيرة شيادي

جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان.

الملخص:

الطوبونيميا أو ما يسمى بالمواقعية أو الأماكنية أو علم الأعلام الجغرافية علـــم يقوم على تأصيل أسماء الأماكن، وهي فرع من الأنوماستيكية التي بدورها تدرس أصل ودلالة أسماء الأعلام. فالطوبونيميا تعتبر بنكا لغويا ومرآة عاكسة للكثير من الحقائق المتعلقة بحياة الشعوب بمختلف نواحيها، فهي الواجهة الحضارية للمجتمـــع الجزائري وهذا كلّه يقودنا إلى ضرورة إعداد معجم طوبونيمي يعكـــسُ الواجهـــة الحضارية للمجتمع الجزائري، ويتناسبُ وقيمه وخاصة وأنّ فعل التسمية والتلقيـــب بفعل التحولات والتراكمات التاريخية غدا إلى مزيج غريب وخليط عجيب يبعـــث في كثير من الأحيان على السّخرية والتهكّم، هذه الأسماء تُصادف الإنســـان وهـــو يقرأ الجريدة أو اللافتات أو أسماء الشوارع والقرى إلـــى غيـــر ذلـــك وبالتـــالي فالإشكالية التي تطرح نفسها بقوة في هذه المداخلة هي: ما هي آليات وضع معجـــم طوبونيمي يجمع بين القيم الجزائرية والحضارية للمجتمع الجزائري؟

هل إعداد معجم طوبونيمي ضرورة حضارية أم علمية أو مزيج بينهما؟

إلى أيّ مدى يمكن للمعجم الطوبونيمي أن يسهم في الحفاظ على القيم الجزائرية ووحدته الاجتماعية؟

الكلمات المفتاحية: المعجم الطوبونيمي، القيم الحضارية، الوحدة الاجتماعيـــة، الضرورة العلمية.

Abstract:

Toubunemia or so-called realism or localism or science of geographical education is based on rooting place names, which is a branch of the Anomastic, which in turn studies the origin and significance of the names of the flags. It is the cultural facade of the Algerian society. All this leads us to the need to prepare a dictionary that reflects the cultural facade of the Algerian society, its values and its relevance, and that the act of naming and purification by the historical transformations and accumulations tomorrow into a strange mix and mixture. It is often strange to ridicule and ridicule, these names coincide with man reading the newspaper or signs or the names of streets and villages, and so the problem that raises itself strongly in this intervention is: What are the What is the status of a Tuponist dictionary that combines the Algerian and civilizational values of Algerian society?

Is the preparation of a tabuneme dictionary a cultural or scientific necessity or a combination of them?

To what extent can the Tuponist dictionary contribute to the preservation of Algerian values and social unity?

Keywords: Toubunemi glossary, Civilizational values, social unity, scientific necessity.

مقدمة:

الطوبونيميا أداة منهجية، وآلية علمية، قد تكون لسانية تنير الجوانب المعتمة من مضامين ودلالة النصوص المصدرية التي هي أساس البحث التاريخي، وقد تكون تاريخية تفيد البحث اللساني في تحديد مضامين أسماء الأماكن، ورسم مبيان التطور الذي لحق اللسان المسمى به، وتحديد صيغ كتابتها ونقلها، كما قد تكون أركيولوجيا تفيد البحث الأثري في التعرف على المواقع المندثرة، والتعريف بها، وتيسير التنقيب عنها، وقد تكون غير ذلك لكنها في كل ذلك وغيره تعلن تواصلا قائما بين العلوم، تواصل يُعلن إمكانية اعتماد آلية واحدة في أكثر من حقل معرفي نظرا للتكامل الواقع بين العلوم ، تكامل لا يفضي إلى تنازع بل يفيد في أنّ آلية الطوبونيميا لا يمكنها أن تضطلع بمعرفة الخصوصية الثقافية لمنطقة ما، أو أن تحدد مدى قدرة المنطقة على التعبير على خصوصيتها من خلال أسماء الأماكن، أو أن تعرّف بحجم التأثير الخارجي الذي لحقها فأثر على أسماء أماكنها، أو أن تجلي أسباب التسمية في علاقتها بالمحيط دون أن تنفتح على علوم مختلفة وتخصصات متنوعة هي بحاجة إليها؛[1] ولذلك فإنّ إعداد معجم طوبونيمي لن يعدّ بمعزل عن فكرة الاستعانة بعلوم أخرى.

1 ـ مفهموم الطوبونيميا:

الطوبونيميا أو ما يسمى بالمواقعية أو الأماكنية أو علم الأعلام الجغرافية[2] هي مصطلح إغريقي مركب من طوبو(Topos) التي تعني المكان وأونوما(Onuma) الدالة على الاسم أي اسم المكان، وهو علم يقوم على تأصيل أسماء الأماكن، وهو فرع من الأنوماستيكية التي بدورها تدرس أصل ودلالة أسماء الأعلام من أنتروبونيمات (أسماء أشخاص) ولجميع الأصناف الأنوماستيكية. المرتبطة بالمحيط الطبيعي من أسماء الأماكن وأسماء القبائل والأنساب...الخ[3]

إنّ الطوبونيمات تُحيل إلى أسماء النبات والحيوان، وجغرافية المكان، والطبيعة والمناخ، والأرض وخصوصيتها والأشكال الطوبوغرافية وإلى شخصيات تاريخية وهيئات سياسية وإدارية، واجتماعية ودينية، وكذلك إلى قدّيسين ومجاهدين وشخصيات أسطورية وإلى أجناس وشعوب وحضارات، وإلى قصص خرافية ومعتقدات وآلهة وإلى نمط العيش وحرف ومهن، وإلى مزاج الإنسان وتصوراته وتخيّلاته.[4]

ولكن تعريف الطوبونيميا على هذا النحو لا يمنعنا من القول إنّ فعل التسمية والتلقيب بفعل التحولات والتراكمات التاريخية غدا إلى مزيج وخليط عجيب من الأسماء والألقاب يبعث في كثير من الأحيان على السخرية والتهكّم؛ هذه الأسماء والألقاب تصادف بصر الإنسان وهو يتصفح الجريدة، وهو يمشي في الشارع، وهو يقرأ أسماء القرى والمدن، والشوارع والأحياء...وبالتالي فكرة إنشاء معجم طوبونيمي من هذا المنطق يبدو اليوم أحد أبرز قضايا التخطيط اللساني المهمة التي يجب أن توليها السياسات اللغوية العناية البالغة للتخلص من الأسماء التي لا علاقة لها بالقيم الجزائرية ولا تهدف إلى تحقيق الوحدة الاجتماعية، وهذا ما يحمل على ضرورة التحسيس بأهمية الموضوع بوصفه إشكالا معرفيا لغويا حضاريا له آثاره السلبية في واقع الاستعمال اليومي العام.

إنّ شيوع أسماء أمكنة غريبة أو مستفحشة أو بعيدة عن ذات الإنسان وهويته وقيمه يشكل شرخا في شخصيته مما يستدعي تظافر جهود عدّة لإعداد معجم طوبونيمي يعكس وبشكل واضح وحدة المجتمع الجزائري وقيمه وهذا ما يحيلنا للحديث عن الضرورة الحضارية والعلمية للمعجم الطوبونيمي.

2 ـ المعجم الطوبونيمي بين الضرورة الحضارية والضرورة العلمية:

أ ـ المعجم الطوبونيمي ضرورة حضارية:

إنّ إعداد معجم طوبونيمي ضرورة حضارية لذلك لا بدّ من إجراء مسح شامل لأسماء الأعلام الجزائرية وذلك للحفاظ على قيم المجتمع الجزائري.

إنّ الرسالة الحضارية للمعجم الطوبونيمي الجزائري تتجاوز حتما حدود الوطن إلى حيث ينبغي أن يزحف المعجم في إفريقيا الباحثة عن معجم إفريقي متحضر، وليس سوى المعجم الطوبونيمي يمكن أن يحقق هذا الهدف الاستيراتيجي الهام لأنّ المعجم في هذا المجال يستخدم كبطاقة تعريف بين أفراد المجتمع الجزائري وغيره من العرب. وإلى جانب أنّ المعجم بطاقة تعريف تُؤصّل للأماكن الجزائرية فهو أيضا حامل لقيم المجتمع الجزائري الذي ينبغي أن يزحف في موجة جديدة لتنوير أفراد المجتمع الجزائري من الناحية الجغرافية وهذا في حدّ ذاته هدف عظيم لأنه يعني الحدّ من استعمال أسماء الأماكن التي تتنافى وقيم المجتمع الجزائري حيث غدا فعل التسمية مزيجا عجيبا يبعث في كثير من الأحيان على السخرية والتهكم ولا علاقة له بقيم المجتمع الجزائري ومبادئه.

ب ـ المعجم الطوبونيمي ضرورة علمية:

هذا من الناحية الحضارية أما من الناحية العلمية الخالصة فإنّ وجود معجم طوبونيمي يجمع بين القيم الجزائرية والحضارية للمجتمع الجزائري يكون أعظم خطوة تُسجّل واقع المجتمع الجزائري وقيمه وتعمل على تجسيد وحدته. كما أنه سوف يزود الباحثين بأخصب مادة ليجروا بحوثهم انطلاقا مما يقدم من أصول لأسماء الأماكن، ولما يرسم من حدود، ولما يُقدّم من معلومات لا تتسنّى للباحث الفرد، ولعله يسهم في وضع مشكلة التقريب بين الأفراد والمجتمعات موضع الحسم.

إنّ عمل معجم طوبونيمي يحدث ثورة في كل الدراسات الخاصة بالطوبونيميا لأنه سيكمّل دون شك الدراسات التي تعتمد على المعاجم الخاصة بالبلدان حين يكشف عن أصول أسماء الأماكن وعلاقتها بالمكان وسيكون لهذا المعجم الطوبونيمي الفضل في إرساء الوحدة المجتمعية والحفاظ على القيم الجزائرية وغير ذلك من الكشوف التي لا يمكن أن تتم إلاّ إذا جمعت هذه المواد. إنه سيكون عملا ثقافيا من الطراز الأول وسيكون تحقيقه عنوان مجد وفخر في تاريخ الثقافة الجزائرية العربية.

ولا ريب أنّ إعداد معجم ممكن الحدوث في مجال الطوبونيميا، بل إنّ هذه القضية لتفرض نفسها على جهود العلماء والباحثين في مجال الدراسات المعجمية الطوبونيمية الحديثة في هذه المرحلة الكفاحية من تاريخ أمتنا العربية. فنحن أمة واحدة تربطنا روابط كثيرة منها العربية لغة الدين ولغة الحياة غير أنّ الاستعمار قد تربّع المجتمع الجزائري دهرا طويلا استطاع خلاله أن يقسم المجتمع الجزائري إلى مناطق مختلفة، وأثّر هذا التقسيم على فعل تسمية الأماكن فظهرت أسماء لا صلة لها بقيم المجتمع الجزائري ووحدته حتى أصبح بعضنا يضحك من تسمية مكان ولادة أو إقامة البعض الآخر.

أسماء هذه الأماكن التي لا تمتّ بصلة للمجتمع الجزائري وقيمه بحاجة إلى أن تدرس دراسة علمية دقيقة تبرز وتحدد أبعادها وأصولها والوسيلة الوحيدة إلى هذه الغاية هي عمل المعجم الطوبونيمي الشامل الذي يحدد القيم الجزائرية التي من خلالها تطلق أسماء الأماكن.

وليس عمل هذا المعجم بالأمر اليسير إذ أنه يقتضي جيشا من الباحثين اللغويين الذين يقومون بمسح البيئة الجزائرية مسحا شاملا شرقا وغربا، شمالا وجنوبا.

ولا شك أنّ هذه المهمة يمكن أن تشغل مئات من الباحثين سنوات عديدة إذا ما أتيحت لها الوسائل المادية، من الأجهزة والتكاليف والمعونات الرسمية والشعبية، ومن مستلزمات هذه العملية أن تنهض وسائل الإعلام بدورها الحاسم في توعية الجماهير بقيمة هذا المنجز وأثره في تأكيد القيم الجزائرية والوحدة الاجتماعية.

3 ــ آليات إعداد معجم طوبونيمي:

تُطلق كلمة معجم على كلّ ديوان يجمع مفردات اللغة ومرتب على حروف الهجاء، والمعجم العربي هو مجموع الثروة اللغوية العظيمة التي خلّفها علماء العربية على مدى العصور، فحفظوا لنا بها لغة العرب؛ لغة القرآن الكريم، اللغة التي نفخر بها ونعتز.[5]

وللعرب باع طويل في مجال التأليف المعجمي، وخاصة فيما تعلّق بمعاجم أسماء الأماكن، فلقد جاء في تعريف القدماء قول ياقوت الحموي (ت 622هـ) في معجم البلدان " على أنه قد صنّف المتقدمون في أسماء الأماكن كتبا وبهم اقتدينا وبهم اهتدينا وهي صنفان: منها ما قصد بتصنيفه ذكر المدن المعمورة والبلدان

المسكونة المشهورة، ومنها ما قصد به ذكر البوادي والقفار واقتصر على منازل العرب الواردة في أخبارهم والأشعار"[6]

ولقد انبهر اللغويون الغربيون بتفوق العرب في مجال التأليف المعجمي، وشهدوا لهم بالسبق والتميز. قال هاي وود (Hay wood) "إنّ العرب في مجال المعجم يحتلون مكان المركز سواء في الزمان أو المكان وفي العالم القديم أو الحديث وفي الشرق والغرب"[7]

أ ــ مفهوم المعجم الطوبونيمي:

المعاجم عبارة عن أعمال تعرض فيها كل المعارف الكونية، وذلك بطريقة منهجية حسب الأبجديات أو حسب المجالات المعرفية وهو ما يعرف بالمعجمات المتخصصة برسم الدقة العلمية واصطلاحاتها الخاصة في جنس من أجناس الوجود الإنساني الطبيعي أو الفلكي.[8]

ولهذا فقد تعددت المعاجم المتخصصة بتعدد التخصصات والصناعات فبعضها كان عاما للمصطلحات العلمية وبعضها كان خاصا بمصطلح فئة معينة مثل مصطلحات الصوفية مثلا أو معاجم المعرب والدخيل أو المجاز وغيرها ويندرج المعجم الطوبونيمي ضمن هذه الفئة من المعجمات، فهو الذاكرة الحية للأمة يقوم بدور الحفاظ على تراثها من الضياع، وهو كذلك مؤسسة اجتماعية تصون تكامل المعارف، ويعمل على الرقي بالحضارة والحفاظ على موروثها الثقافي والحضاري كما يعمل على حفظ القيم الحضارية للأمة، ويعمل على تحقيق الوحدة الاجتماعية.

إنّ المعجم الطوبونيمي وعاء يحوي مجموعة من أسماء الأماكن حيث يهتم بدراسة معنى وأصل أسماء الأماكن، كما يدرس التحولات والتطورات التي مرّت بها، فيعرفنا على أسماء الأماكن التي تعكس بعض الأبعاد الاجتماعية التي تحرّك حياة المجتمع، وكذلك بعض الأبعاد التاريخية والجغرافية والأنتروبولوجية والدينية فهو يتناول دراسة أسماء المواقع الجغرافية دراسة لغوية أو تاريخية لأصل أسماء المواقع الجغرافية.[9]

وبالتالي فإنّ إعداد المعجم الطوبونيمي والذي يمثل بنكا يجمع كل أسماء الأماكن والأعلام الجغرافية الجزائرية لا بدّ له من آليات يجب مراعاتها أثناء إعداده لأنه سيعكس حضارة المجتمع الجزائري بأكمله، ويعطي صورة حية عن قيمه.

ب ــ آليات إعداد المعجم الطوبونيمي:

ــ الاستعانة بالعلوم:

يتطلب إعداد معجم طوبونيمي الاستعانة بعلوم مختلفة (التاريخ، علم الآثار، اللسانيات، الجغرافيا...) فكما سبقت الإشارة في مقدمة البحث أنّ الطوبونيميا علم منفتح على علوم مختلفة وتخصصات متنوعة فكذلك إعداد معجم طوبونيمي لن يعدّ بمعزل عن هذه الفكرة.

ــ الأخذ من التراث:

تشكل أسماء الأماكن التراثية رصيدا مشتركا لا بدّ من الإفادة منه على نحو واضح في إيجاد أسماء الأماكن الجديدة.

ــ التركيب والأصول العربية:

اسم المكان المركب هو ما تكوّن من كلمتين أو أكثر، ويدلّ على اسم مكان جديد مؤلف من مجموع معاني عناصره مثل (عين الباردة) وهي قرية تقع في بلدية عين يوسف، وكانت تدعى سابقا (عين حليليفة) بمعنى أنثى الخنزير، وسمّيت بعين الباردة لأنها تمتاز ببرودة درجة مياهها.[10]

أما بخصوص الكلمتين فهما عربيتان ف (العين) عين الماء، والعين التي يخرج منها الماء، والعين ينبوع الماء الذي ينبع من الأرض ويجري، وهي اسم مؤنث والجمع أعين أو عيون يقال: غارت عين الماء، وعين الركبة مفجر ماءها ومنبعها، وحفرت حتى عنت أو أعينت، باغت العيون وكذلك أعان وأعين: حفر فبلغ العيون، وقال الأزهري (ت370هـ) حفر الحافر فأعين. وأعان أي بلغ العيون وعين القناة: محب مائها، وماء معيون ظاهر تراه العين جاريا على وجه الأرض.[11]

أما لفظ برد: فالبرد برودة وماء بردٌ وبرود وبَراد، وقد بردهُ يبردُهُ بردًا وبرّده جعله باردا.[12]

ــ النحت:

النحت هو" أن تنتزع من كلمتين أو أكثر كلمة جديدة تدل على معنى ما انتزعت منه"[13] فهو بذلك جزء من الاختصار وآلية الغاية منها توليد أسماء أماكنية جزائرية عربية تعبر عن قيم المجتمع الجزائري وترمي إلى الحفاظ عن قيمه.

ــ الترابط بين الدال والمدلول:

إنّ العلاقة بين الاسم والمكان أي الدال والمدلول تنقل أحداثا جرت في الماضي، وتكشف عن علاقة الإنسان بذلك المكان.(14) فأسماء الأماكن تمثل جزء من ذاكرة الشعوب؛ إذ أنّ التسمية ترتبط بذكرى ما في الماضي، وتساعد على إحياء تاريخ مضى، فهي رسالة تنقل فكرة سادت في ذلك الزمان وبالتالي الاسم هو رمز يحمل في طياته حقائق عن ذلك المكان.(15)

ــ تداولية اللغة:

لا بدّ من صياغة اسم المكان انطلاقا من لغة معينة كانت متداولة في البلاد، إذ كيف يسمي الإنسان مكانا باسم لا يعرف معناه ولا يرتبط بالعصور التي ينتمي إليها، ومن هذا المنطلق فاسم المكان يوحي بوجود رصيد لغوي هام يجب جمعه قبل أن يتعرض للاندثار، ودراسته بطرق علمية، وبكيفية تعتمد على النظريات المتطورة في علم اللسانيات لفك ألغاز هذه اللغات الغنية بالمعلومات.(16)

ــ البنية اللغوية:

إنّ بنية اسم المكان اللغوية الثقافية لا بدّ أن تكون تعبيرا صادقا عن قيم وتوجهات المجتمع، وعن انفتاحه وتشبثه بهويته وانتمائه الحضاري.

4 ــ أهمية المعجم الطوبونيمي:

إنّ إعداد معجم طوبونيمي جزائري عمل في غاية الأهمية؛ لأنّ أسماء الأماكن الواردة فيه ستطلق لفرض اللغة والدين من جهة وإثباتا للشخصية والانتماء الجزائري من جهة أخرى، فكل اسم مدون وصحيح الكتابة يعتبر مصدر معلومات هام من أجل البحوث والعلوم الأخرى، ومن أجل تراثنا الثقافي وتاريخنا وشخصيتنا الجزائرية.

هذا المعجم سيمثل الواجهة الحضارية للمجتمع الجزائري بأكمله، وسيكون له دور كبير في الحفاظ على قيم المجتمع الجزائري ووحدته الاجتماعية؛ ذلك أنّ جميع أسماء الأماكن الواردة فيه تعبر في حقيقتها عن مدارك عقلية ومعرفية وعن توجه ونمط حياتي في الثقافة والسلوك، فإطلاق الأعلام دليل على تقدم المجتمع الإنساني بصورة عامة؛ ذلك أنّ إطلاق الأعلام يؤلف مرحلة حضارية في التاريخ

الإنساني العام، ثم إن الأعلام تُعطي صورة للمستوى الحضاري الـذي يمـرّ بـه المجتمع ومن أجل ذلك فالأعلام عند الحضريين ذات دلالـة عاليـة تـدل علـى المستوى العقلي الخاص...[17]

التوصيات:

في سياق الاهتمام بهذه الظاهرة اللغوية في إطارها العلمي، فإنّ من أهـمّ مـا يجب التأكيد عليه في سياق تفعيل العمل المعجمي الطوبونيمي في معالجة قضـايا الوحدة والقيم الجزائرية فإنّ من أهمّ التوصيات التي أرغب فـي توجيـه أنظـار الدارسين إليها:

ـ تشجيع اهتمام الباحثين بموضوع المعجم الطوبونيمي الجزائـري، وتسـهيل مهامهم في إنجاز دراسات أكاديمية علمية رصينة.

ـ العمل على تأسيس فرق بحثية علمية ميدانية في الإطـار العلمـي وخـارج الإطار الأكاديمي تشتغل بالقضايا العالقة والمطروحة في الحقل الطوبونيمي، تسهم فيه مؤسسات متعددة، وظيفة هذه الفرق إعداد تقارير علمية رصينة.

ـ العمل على تفكيك الوعي اللغوي لأسماء القرى والشوارع والأحياء اعتمـادا على ما استحدث من مناهج الدرس اللغوي الحديث، وبالاستفادة من الدرس اللساني في دراسة واقعنا اللغوي للكشف عن خصائصه التواصلية الإبلاغية.

ـ العمل على تأسيس واقع طوبونيمي جزائري سليم يقوي من تماسك الوحـدة الاجتماعية ولا يمارس الإخلال بها.

الهوامش:

---

(1) الطوبونيميا بالغرب الإسلامي أو ضبط الأعلام الجغرافيا (مقدمات في الفهـم والمـنهج والعلائق): البركة محمد وآخرون، إفريقيا الشرق، البيضاء، ط1، 2012م، ص 5.

(2) الاسم الجغرافي تراث وتواصل: عبد الفتاح الزين، أعمال الندوة الوطنية الأولـى حول الأعمال الجغرافية، مطبعة فضالة، أفريل 1992م، أكتوبر 1994م، المغرب، ص23.

(3)Emilio Nieto Ballester Breve, dictionnaire toponimos espanoles con la colaboracion de araceli striano corrochano, Atianza editorial. S.A. Madrid, 1997, p11.

(4) Antonio Lorente Maldonado de Guevara, Toponimia Salmantina, edition compilada ordenada ycompletada por Rosario, Lorente pinto, p22.

(5) مقدمة الصحاح: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1379هـ، 1956م.

(6) معجم البلدان: ياقوت الحموي البغدادي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2، 1995م، 11/1.

(7) مجلة مجمع اللغة العربية من مقال بعنوان: صناعة المعاجم العربية وآفاق تطورها، أحمد عزوز، المجلد 84، الجزء 4، دمشق، ص 1040.

(8) مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي: حلمي خليل، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1 1997م، ص 399.

(9) قاموس المنهل فرنسي عربي: سهيل إدريس، دار الأدب للنشر والتوزيع، بيروت، دط، 2005م، ص 1208.

(10) الدراسة الإبستيمولوجية لأسماء الأماكن المأهولة ــ مقاربة لغوية تطورية ــ منطقة تلمسان أنموذجا، فاطمة الزهراء نجراوي، 1438هـ، 1439هـ، 2017م، 2018م، ص 74.

(11) لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، 1375هـ، 1956م، 2/ 947

(12) نفسه187/1

(13) فقه اللغة العربية وخصائصها: إميل بديع يعقوب، دار العلم للملايين، ط2، 1986م، ص 209.

(14)Foudil Cheriguen,Toponymie algérienne des lieux habités,les noms composés,Scribe Alger,1993,p19.

(15)Brahim Atoui, Toponymie et espace en Algérie, Institut national de cartographie, Alger, 2005, p34.

(16) معجم أسماء الأشياء ــ اللطائف في اللغة ــ أحمد بن مصطفى الدمشقي البابيدي، تحقيق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، مصر، القاهرة، دط، دت، ص 204.

(17) ينظر: فقه اللغة المقارن: إبراهيم السامرائي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 1983م، ص 272.

التأصيل الاصطلاحي لطوبونيميا الأماكن المأهولة (تلمسان أنموذجا)

بوتشيش زينب
جامعة تلمسان

ملخص:

يعد علم المواقعية أو ما يعرف الطوبونيميا العلم الذي يدرس دلالة تسمية الأماكن والحضارات المتعاقبة عليها عبر الزمن، حيث يربط التسمية إما مع جغرافيا المكان أو مع تاريخ المنطقة وحتى نوع النبات أو الحيوان. وهذا البحث هو محاولة للتعريف بهذا العلم ومحاولة تقديم مثال لمعجم طوبونيمي مصغر لولاية تلمسان.

الكلمات المفتاحية:

طوبونيميا، علم المواقعية، تلمسان، أسماء مناطق.

Abstract:

The science of mukkidia or what is known as tabunimia is the science that studies the significance of the designation of successive places and civilizations over time, where the label is linked either with the geography of the place or with the history of the region and even the type of plant or animal. This research is an attempt to introduce this science and try to provide an example of a small tabunim Dictionary of Tlemcen State.

Key words: tabunemia, al-Muqqaiya, Tlemcen, names of regions.

للحضارة والعمران دور هام في بناء نهضة الأمم والتعريف بتراثها، إذ أنها تعد نظامًا اجتماعيًا يعين الإنسان على الزيادة في الإنتاج الثقافي. وتعد تلمسان من بين المدن الجزائرية التي لها صدى كبير في العلم والحضارة والبنيان.

تعرف تلمسان كمنطقة جغرافية آهلة بالسكان تضم العديد مــن البلــديات والقــرى والأماكن الحضرية وهو ما يعرف بالأودونيمات (les odonymes) إذ أنهــا تحمــل أسماء متعددة تنحدر من لغات متنوعة كالأمازيغية والعربية والعبرية واللغات الأجنبية

ومن هنا سنتناول أسماء الأماكن المأهولة في هذه المنطقة من خلال دراســتها في إطارها الجغرافي والتاريخي وحتى اللساني.

تلمسان كقطر جغرافي تاريخي:

تعرف تلمسان على أنها ولاية من ولايات الغرب الجزائري وهي تقع في السفح الشمالي لجبل الصخرتين وهذا الجبل هو الطرف الشرقي لسلسة جبال الريف التي تسير بموازاة السهل الساحلي من المغرب الأقصى حتى تصل إلى منطقــة ضــيقة قرب تلمسان، وهذه المنطقة تعد الحد الفاصل بين المغــربين الأوســط والأقصــى الأمر الذي مكنها من التحكم بالممر البري بين الداخل والخارج للمنطقة.[1]

لقد تحدث الإدريسي عن تلمسان وقال أنها:" أزلية ولها ســور حصــين متــين الوثاقة وهي مدينة واحدة يفصل بينها سور، ولها نهر يأتيها من جبالهــا المســمى بالصخرتين، وهذا الوادي يمر في شرقي المدينة وعليه أرجاء كثيرة وما جاورهــا من المزارع كلها سقي وغلاتها ومزارعها كثيرة وفواكهها جمة وخيــرات شــاملة وهواؤها صحيح وهي كثيرة البرد والثلج في زمن الشتاء. وهي مدينة مسورة فــي سفح الحبل شجرة الجوز ولها خمسة أبواب ثلاثة منها في القبلة، باب الحمام وباب وهب وباب الخوخة وفي الشرق باب العقبة وفي الغرب باب أبــي قــرّة. وهــذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ولها أسواق تكثر بها الآثار، ومساجد ومسجد جامع ومقصد لتجار الأفارق وهي دار للعملاء والمحدثين."[2]

امتازت مدينة تلمسان باهتمام المؤرخين بدراستها فقد تحدث عنها الشيخ مبارك الميلي فقال: "وتلمسان مدينتان إحداهما قديمة تعرف بأغادير أسســها بنــو يفــرن الإسلام والثانية أحدثها يوسف بن تاشفين سنة 474م بمعسكره المحاصر بأغــادير وسمّاها تقرارت باسم المعسكر في لسانهم."[3]

وفي السياق ذاته يضيف أبو عبيد البكري عن قدم هذه المدينة فيقول: " دار مملكة قديمة البناء ودار مملكة زناتة وأهلها موسومون بالخير .... بناها ملك لمتونة يوسف بن تاشفين في حدود اثنيْن وستين وأربعمائة."[4]

لقد كان المؤرخون والعلماء ممن درسوا تلمسان أثر كبير في تعريفنا بهذه المدينة العريقة، كما أنه كان لهم الفضل الكبير في اتساع الحركة العلمية والفكرية.

الإطار اللساني لتسمية تلمسان:

اختلف العلماء والمؤرخون حول تسمية تلمسان ووضعت دراسات كثيرة في هذا الأمر، ولعله لابد من الإشارة إلى أن تلمسان لم تكن بهذا الاسم فقط عبر مراحل تاريخها العريق بل سميت بأسماء أخرى عديدة نذكر منها: أغادير وتقرارت وبوماريا. وما يهمنا في هذا الصدد كلمة تلمسان فقد اختلف الدارسون في دلالتها ومعناها كل حسب رأيه.

يرى ابن خلدون أنّ تلمسان كانت تتألف من مدينتين إحداهما: أغادير والأخرى تاقرارت ويذكر أنه: "دار ملكهم في وسط بين الصحراء والتل وتسمى بلغة البربر تلمسن كلمة مركبة من "تلم" ومعناه تجمع و"سن" اثنان أي الصحراء والتل. وعند البربر كلمة "تلمسن" وجمعها "تلمسين" معناها أرض تنعم بالمياه والأعشاب والأشجار.[5]

ومن هنا نرى أن معظم الدارسين أجمعوا على أن كلمة تلمسان بربرية الأصل وأنها مركبة وهي أرض منبسطة بين الجبال أي تجمع بين أمرين.

التعريف بعلم الطوبونيميا:

الطوبونيميا أو المواقعية أو علم أسماء الأماكن Toponymie وهي مشتقة من الكلمة اليونانية Topos وهي تعني المكان وOnoma تعني الاسم وبالتالي فهي العلم الذي يدرس أسماء الأماكن المعروفة بالطوبونيميات Toponymes.[6]

يترجم هذا الاسم إلى علم المواقعية في اللغة، والغرض من هذه الدراسة هو التعرف على أصل تسمية مكان ما، وتكون هذه التسمية مرتبطة إما بجغرافية المكان وإما بنوع نبات أو حيوان يكثر تواجده بالمنطقة، أو حتى بأسماء الشعوب والقبائل وأسماء لأولياء الله الصالحين.[7]

ويرى أبار دوزا (Albert Dauzat) أنها الطوبونيميا نظام في اللسانيات يبحث ويصف ويشرح الألفاظ التي تساعد في تعيين جوانب الطبيعة وعلاقتها مع الوجود الانساني.

إن العلاقة بين الاسم والمكان هي عبارة قفل لأحداث جرت بحيث تساعد على إحياء تاريخ مضى، بل وتمثل جزءًا من ذاكرة الشعوب وعلى هذا الأساس يصبح الاسم عبارة عن رمز يحمل بين طياته حقائق عن ذلك المكان.[8]

العلوم التي يعتمد عليها علم الطوبونيميا:

يرتبط علم الطوبونيميا أو ما يعرف باللغة المواقعية بأنظمة وعلوم لا يمكن فصلها عنه، إذ أنها تعتبر مكملة له لا يمكن دراسته إلا بوجود هاته العلوم.

اللسانيات:

تعرف اللسانيات على أنها العلم الذي يقرأ اللغة الإنسانية وفق منظور علمي دقيق. ويهدف إلى كشف الحقائق والقوانين ومناهج الظواهر اللسانية وبيان عناصرها، وكذا وظائفها وعلاقاتها التركيبية والإفرادية داخل النص وخارجه.[9]

اعتبرت اللسانيات إحدى أهم العلوم التي تقوم عليها الطوبونيميا، إذ أنها تسمح لدارس المواقعية بالرجوع إلى الكتابات القديمة ومعرفة الاشتقاق للعديد من الكلمات. وخاصة حينما يتعلق الأمر بالأصول الجذرية مثل بعض مفردات اللغة البربرية، فأسماء الأماكن ما هي إلا عناصر من اللّغة وهي تولد تلقائيا بل هي مختارة من الخزان المعجمي للغة.[10]

فأسماء الأماكن هي عبارة عن إشارة سميائية لمكان ما من قبل اللّغة، حيث تكمن عملية تسمية الأماكن على إرساء إشارة لسانية ترسخ في المكان المقصود بالتسمية. بالإضافة إلى أن هذه الدراسة تستوجب استحضار بعض علوم اللّسانيات كعلم الاشتقاق خاصة حينما يتعلق الأمر بأصول جذرية للكلمة كبعض مفردات اللغة البربرية وحتى العربية. وهناك من التسميات ما يسهل فهمها بالرجوع إلى اللّهجة موطن نشأة التسمية ومنها ما لا يمكن فهمه فقد تكون اقتبست من العصور القديمة أو نتجت عن حادثة قديمة توارت عن الأنظار ولم نعد قادرين على تحديدها.[11]

التاريخ:

هناك علاقة وطيدة بين التاريخ والطوبونيميا تمثل علاقة بينية مؤكدة وهذا هو الظاهر، فعلى سبيل المثال تشكل أسماء الأماكن في الجزائر شاهدا ثمينا على الماضي كما له علاقة بهجرة الشعوب والاستعمار وغزو الأقاليم وكذا الاستقلال، ومراحل التعمير والتطور والتنظيمات والقوانين المطبقة.[12]

تشير المواقعية من خلال دراستها تاريخيا إلى العلاقة الموجودة بين اسم المكان وكيانه في التاريخ، بحيث نطلع على تاريخ معيشة الشعوب القديمة وبصماتها من خلال أسماء منحوها للمناطق التي عمّروا بها.

ولهذا تتميز الطوبونيميا في الجزائر بالعديد من الأسماء المنحدرة من مختلف الحضارات التي توالت بالتناوب عبر القرون. وإذا كانت المدونة الكبرى تقوم على أساس عربي وبربري وفرنسي فهناك أيضا إسهامات من حضارات أخرى كالليبية والفينيقية والرومانية والبيزنطية إلى جانب الغزو التركي والغزو الإسباني.[13] وبهذا كانت هناك تسميات مختلفة ناتجة عن الاستعمار والتحرر منه وإعادة الاستعمار.

الجغرافيا:

تحاول الجغرافيا شرح ما يربط الإنسان بوسطه، ومنه يقال: "الإنسان ابن بيئته." وهذا ما يعبر عنه ذلك الشعور الذي يحسه الإنسان تجاه مكان عيشه أو ما يعرف بـ:" حب المكان" وهو الأمر الذي يجعل من كل مكان عبارة عن موقع مميز وفريد بالنسبة لشخص معين.

تعبر أسماء الأماكن عن وجود مساحة ما في المكان تسهم في تأسيس موقعه بالنسبة لأماكن أخرى، كما أنها تبين لنا معلومات تتعلق أساسا إما بطبيعة المناخ وتقلباته، أو الإنتاج الفلاحي والصناعي أو حتى طبيعة الأرض ونوع فلاحتها، الأمر الذي يؤدي إلى ظهور أسماء الأماكن.[14]

بالإضافة إلى هاته العلوم نجد بعض العلوم الأخرى التي تدرس المواقعية نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر: علم الاجتماع وعلم الآثار وعلم الأجناس.

أصناف الطوبونيميا الرئيسية:

تصنف الأماكن في علم المواقعية إلى عدّة أصناف:

الهيدرونيم:(Hydronyme) يطلق على أسماء الأماكن التي لها علاقة بالماء كـــ (عين بئر، واد، حمام....).

أورونيم: Horonyme) يخص أسماء الأماكن التي لها علاقة بالتضاريس كـــ جبل، تل، هضبة.....

الأجيوتوبـــونيم: (Hagiotoponyme) يخص أسماء الأمـــاكن ذات الصـــلة بالأولياء الصالحين والقديسين.

الأودونيم: (Odonyme) يخص أسماء الطرقات والشوارع.

في حين أسماء الأماكن التي لها علاقة بالحيوان والنبات تخل تحت المواقعيـــة الجزئية (La Microtoponyme).[15]

الهيدرونيم: أسماء المواقع التي لها علاقة بالماء.

واد مشتكانة:

كان هذا الواد قديما عبارة عن ساقية صغيرة وما إن يأتي الشتاء بما يحمله من أمطار وثلوج حتى يتحـــول إلـــى واد عميـــق وكانـــت حافتـــه مظللـــة بأشـــجار الصفصاف.[16]

وبالرجوع إلى الكتابات التاريخية نجد أنّ لهذا الوادي صدى تـــاريخي، حيـــث كانت تطل أسوار أغادير بأبراجها ومنشآتها المتقدمة على قسمه الجنوبي، غير أنه كان يشكل خطرا كبيرا على المدينة إذ أنه كان بإمكان الأعداء الدخول إلى المدينة باتباع الوادي. ولهذا السبب شيدت أبراج مراقبة لتشرف علـــى مجـــرى الـــوادي وتتصل إلى سهل الصفصاف والمرتفعات المحيطة به.[17]

أما فيما يخص أصل الكلمة فإنها تتكون من كلمتين عربيتين "واد" و" مســـكانة" فيدل الواد على كل مفرج بين الجبال أو التلال، أما سكانة فهي محرفة مـــن كلمـــة ساكن أي من الهدوء والسكينة وبالتالي تكون الدلالة العامة لهذا الاسم بمعنى الـــواد

الهادئ أي المياه الراكدة ومنه استبدلت السين شينا وأضيف حرف التاء قبله ليسهل على أهلها نطقه مسكانة، مشكانة، متشكانة.

وهناك من يرد أصل الكلمة الثنائية إلى الأمازيغية من جذر سكان SKEN التي تحولت إلى امسكاني Imeskani جمع Imeskane في الأمازيغية وهي تعني الأحجار القائمة على شكل هرم أو مخروط من حجارة جافة تستعمل في البناء.[18]

أورونيم (أماكن لها علاقة بالتضاريس)

رأس البحر:

سمي هذا الحي نسبة إلى موقعه الجغرافي نسبة إلى مكان تواجده. فنجده عال ويطل على باقي مدينة تلمسان كما أنه يهب فيه نسيم لطيف يشبه هواء البحر.

وفيما يخص دلالة الكلمة نجدها متكونة من جزءين: رأس: كل شيء أعلاه في القلّة: أرؤس وآراس على القلوب ورؤوس في الكثير، قال امرئ القيس: ويوما أحطّ الخيل من روس الجبال.[19]

فحذفت الهمزة في وسط الكلمة من رأس إلى راس لتسهيل النطق ومن ثم اختزل زمن النطق بالفتحة الطويلة (الألف) بين الرّاء والسين فتصبح كلمة " رس" بالفتحة القصيرة بدلا من الألف.[20]

في حين "بحر" تعد كلمة عربية غنية عن التعريف فالبحر هو كثير الماء سواء أكان عذبا أو ملحا وجمعه أبحر وبحور وبحار.[21]

الأجيوتوبونيم:

هضبة لالة ستي:

تدخل لالة ستي ضمن أسماء الأماكن التي لها علاقة بالأولياء الصالحين. فالولي هو الرجل المتعبد الصالح القريب من الله وعادة ما يرتبط اسم الولي ب كلمة سيدي وما يقابله في المؤنث " لالة " ويكون هذا الولي إما سكن في المكان المسمى عليه أو دفن فيه، وقد يكون أيضا وليا غير معروف.

أما لالة ستي فقد تعددت أسماء هذه الولية الصالحة وهي بنت الشيخ عبد القادر الجيلالي أحد الأولياء الصالحين أشتهر في العالم الإسلامي وهو ينحدر من سلالة

الرسول صلى الله عليه وسلّم. قدمت هذه الولية الصالحة من بغداد واستقرت بتلمسان ، عاشت خلال القرنين 6 و 7 ميلادي أمّا اسمها الحقيقي فهو " الضاوية" نسبة إلى الولية الصالحة لمدينة البصرة الملقبة ب ربيعة الضاوية .[22]

وبالنظر إلى أصل كلمة لالة ستي نجد أنّ الكلمة الأولى منها لالة أمازيغية وتعني المرأة المقدسة وقديسة ويقابلها في المذكر سيدي، فند هذه الكلمة أمازيغي وهو لا كانت تعني في بادئ الأمر اسم الماء وهو يحيل أيضا إلى اللاهوتية والخصب في حين دلالة كلمة ستي فهي عربية الأصل وتعني السيّدة.[23]

المواقعية الجزئية:

الحرطون:

تدخل ضمن الطوبونيميا ذات علاقة بالنبات هي منطقة في تلمسان تقع في جنوبها الشرقي بين القلعة والعباد والمنية والواقعة في شمالها حتى أنه ضرب بها المثل منذ القدم فقيل فيها " الحرطون والمنية نصف الدنيا".

بالإضافة إلى جمالها الجغرافي كان لها صدر تاريخي كبير حيث قيل عنه أنه مكان قديم جدا بني فيه العديد من البروج وله مناظر خلابة تشبه تماما تلك التي بالأندلس.

أما بخصوص دلالة الحرطون فيقال أنها كلمة مركبة من " حرط " و " أون" فحرط حرفت من حق بمعنى ملكية و" أون" دلالة على لقب تشريفي كابن خلدون، سيدون، زيدون. فيما يرى آخرون أن أصل الكلمة هي مزارع وحقول وهو لا يبعد عن المعنى الذي قال به الكاتب تيطورين: أن" أصل الكلمة من اللغة اللاتينئة وهي كالتالي" HORTUS" بمعنى البستان.[24]

إن تعاقب مختلف الحضارات والثقافات في تلمسان ولد أسماء مختلفة لأماكن بقيت راسخة وشاهدة على اللّغة والثقافة السائدة في وقت ما.

الاحالات:

---

(1) رشيد الناصوري، تاريخ المغرب الكبير العصور القديمة، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، ب ط: 1981، ص 33.

(2) الإدريسي أبو عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 210.

(3) مبارك بن محمد الميلي، تقديم وتصحيح محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1347، ص 444،445.

(4) أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري، كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، 1965، ص 120.

(5) محمد بن عمرو الطيار، تلمسان عبر العصور ودورها في السياسة وحضارة الجزائر، ص 09.

(6) Atoui Brahim, toponymie te espace en Algérie, institut national de cartographie , alger, 2005, p 33.

(7) نفسه ، ص08.

(8) نفسه، ص 34.

(9) عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2002، 1422م، ص 106.

(10)Faudil CHerguen, Toponymie Algérienne des lieux habités, Alger, p 21,22.

(11) ميدون عز الدين، تاريخ مدينة ندرومة، ج1، ص 183.

(12) Faudil CHerguen, Toponymie Algérienne des lieux habité , p 36.

(13) Atoui Brahim, toponymie te espace en Algérie, p39.

[14] ميدون عز الدين، تاريخ مدينة ندرومة، ج1، ص 184.

[15] هدية سارة، مواقيعية منطقة تلميان (دراسة لنماذج من بلدياتها) رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلميان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، 2007، 2008، ص 14/13.

[16] فاطمة الزهراء نجراوي، الدراسة الابتيمولوجية لأسماء الأماكن المأهولة – مقاربة لغوية تطورية (منطقة تلمسان أنموذجا)-، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، 2018/2017، ص 143.

[17] ويليم وجورج مارسي، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، تقديم وترجمة مراد بلعيد، على محمد بورويبة، فلة عبد مزيام، الأصالة للنشر والتوزيع، 2011، ص 142.

[18] نفسه، ص 399.

[19] ابن منظور، لسان العرب، مادة: رأس.

[20] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مطبعة نهضة مصر، دط، دت، ص 91.

[21] ابن منظور، لسان العرب، مادة: "بحر".

[22] فاطمة الزهراء نجراوي، الدراسة الابتيمولوجية لأسماء الأماكن المأهولة – مقاربة لغوية تطورية (منطقة تلمسان أنموذجا)-، ص 149.

[23] نفسه، ص 152.

[24] نفسه، ص 154.

الإيحاءات اللغوية لأسماء الشوارع والأحياء، ودورها في تكريس الوطنية

منطقة تلمسان نموذجا-

أ. محمد بوعزي
جامعة تلمسان

الملخص:

حظيت مدينة تلمسان العريقة بما تزخر من تراث معماريي عتيد، يمتد إلى مئات السنين بمكانة تاريخية تستحق الاهتمام، نظرا للطبيعة الخصوصية التاريخية للبناءات، كونت بها تلاحما حضاريا وثقافيا أفاد ساكنيها من الشعوب التي عمرت المنطقة، عبر تعاقب الأزمنة سواء من العرب أم البربر. وقد انصهرت فيها تركيبة التراث المادي، ممثلة في الشوارع والطرقات ومختلف دور العبادة بالتراث اللامادي، فأعطت تناغما وانسجاما انعكس على الطابع المميز للمنطقة، أسهم بصفة مباشرة في تنمية الإحساس بالهوية المحلية والوطنية، كون هذه المنطقة مرجعية في طابعها العمراني وخزان مليء بالمقوّمات الشخصية الجزائرية الحديثة، وإحدى الدعامات الأساسية المساهمة في تكريس اللحمة الوطنية.

الكلمات المفتاحية:

منطقة تلمسان– جغرافية المكان – الجغرافية البشرية – تكريس الهوية الوطنية

المقدمة:

نظرا للأهمية الكبرى لأسماء الأماكن والأشخاص في تعزيز هوية المكان وحقوق أصحابه من جهة، والحفاظ على خصوصية المجتمع الجزائري من جهة أخرى، غدا من الضروري علينا كباحثين، المشاركة في فعاليات الملتقى الوطني الأول الموسوم: "ملامح وحدة المجتمع الجزائري من خلال الواقع اللغوي

الأنوماستيكي الطوبونيمي في مجتمع المعرفة" حيث انصب اهتمامنا حول موضوع عنوناه كالآتي:

"الإيحاءات اللغوية لأسماء الشوارع والأحياء، ودورها في تكريس الهوية الوطنية (– منطقة تلمسان نموذجا–)". وهو موضوع يستمد مرجعيته من المحور الثامن المتعلق ب: [الأبعاد اللغوية في الأسامي والتسميات].

سنحاول في ثناياه إجراء دراسة مسحية لدلالات بعض أسماء الشوارع والأحياء لمنطقة تلمسان، وفق التقسيمات الأربعة التي شهدتها المدينة، بدءا بمدينة أغادير القديمة، وانتهاء بآخر توسيع إداري شهدته المدينة الحديثة. وستسمح لنا هذه الدراسة باستنباط مختلف المعاني التي تحملها أسماء الأمكنة والمضامين المرتبطة بها دينيا وتاريخيا واجتماعيا.

إن الغرض الذي سعينا إليه من وراء الدراسة هو أولا استعراض أهم التسميات التي تميزت بها المنطقة عبر أزمنة مختلفة، تعاقبت خلالها مجتمعات سكانية متعددة على المكان، ثانيا تسليط الضوء على عديد الأمكنة، وإماطة اللثام عن كثير من مدلولات الأسماء التي سميت بها المنطقة قديما وحديثا. وقد صغنا لها ثلاث فرضيات:

- **أولها:** ما مرجعيات أسماء الشوارع والأحياء في المنطقة المعنية؟
- **ثانيها:** ما مدى مشاركتها في الحفاظ على الضمير الجمعي للمجتمع الجزائري؟
- **ثالثها:** ما طبيعة المضامين التي تحملها هذه الأسماء؟

الصعوبات التي واجهت البحث:

نظرا لطبيعة العلم المسمى بالطوبونيميا من جهة، وارتباطه بعدة علوم أهمها اللسانيات، ثم الجغرافيا والتاريخ من جهة أخرى. ونظرا لندرة المراجع التي يتكئ عليها الباحث، لأجل تأصيل بحثه، وتدعيمه بالقدر الكافي من الوثائق والمراجع القوية الصلة بالموضوع. فقد أضحى بديهيا أن تكون أولى صعوبة تعيق عملية التقدم الطبيعي للبحث. فقد حاولنا التقرب من بعض الهيئات التي على علاقة بالأرض كمديرية مسح الأراضي، ومصلحة توزيع المياه، ومصالح الفلاحة. إلا أننا واجهنا منذ اللحظات الأولى رفضا متكررًا وبحجج مختلفة، تصب كلها في عرقلة مسار البحث، وعدم السير به في المسار الذي نرغب. وبقيت وجهتنا

الوحيدة التي أعطت لنا دفعا قويا لتحقيق المراد من عملية البحث، مصلحة الأرشيف على مستوى بلدية تلمسان، التي أمدتنا بمجموعة من الوثائق المكتوبة، وبعض الخرائط، كما استندنا إلى بعض الأشخاص خصوصا رئيس المكتبة البلدية لحي بودغن، والمسؤول السابق لمصلحة أرشيف البلدية.

1- الحدود المكانية للدراسة:

اخترنا لبحثنا حدودا جغرافية[1] قد تتداخل مع الحدود الجغرافية الإدارية الحالية للولاية، فيقع قارئ البحث في لبس يسببه له مصطلح (منطقة). فنحن لم نعن به الحدود الكبرى لولاية تلمسان، ضمن التقسيم الإداري الحاضر، الذي يضم عددا لا بأس به من البلديات والدوائر، وإنما أردنا به البقعة الجغرافية التي تتربع عليها عاصمة الولاية، بعد توسع خضعت له على مر السنين، بدءا ببوماريا، وانتهاء بمدينة تلمسان المعاصرة. ولأجل بلورة عملنا المنجز، والوقوف عند ثنايا الموضوع، شملت الدراسة المسحية خمسة أماكن من مدينة تلمسان الحالية. وهي:

* **الفترة الأولى:** وقد شملت التسمية القديمة للمدينة ونقصد بها (بوماريا) أيام الرومان.

* **الفترة الثانية:** وقد شملت (أغادير) في عهد الفينيقيين.

* **الفترة الثالثة:** مدينة (تاغرارات) أو (تاقرارات) أو (تاكرارات) في عهد المرابطين.

* **الفترة الرابعة:** مدينة (المنصورة) في عهد المرينيين.

* **الفترة الخامسة:** مدينة (تلمسان) الحالية.

2- الحدود الفلكية والجغرافية لمدينة تلمسان:

أ/- الموقع الفلكي:

إن المتتبع للموقع الفلكي للمدينة وما يقدّمه الخبراء والمهتمون بجغرافية الأمكنة، سيصادف العديد من التحديدات استنادا إلى الرقعة الجغرافية التي تحتلها تلمسان، باعتبارها ولاية أو بلدية أو دائرة. فإذا حددنا موقعها في إطار تراب الولاية، محصور موقعها الفلكي بين "درجة طول أربع عشرة درجة وأربعين دقيقة، ودرجة عرض ثلاث وثلاثين درجة واثنتي عشرة دقيقة."[2] أما إذا اقتصرنا

على عاصمة الولاية فقط، فإن موقعها سيكون بين خط طول "1° 28'، وبين دائرتي عرض34° 53."(3)

ب/- الموقع الجغرافي:

أما جغرافيا فهي تقع في الجهة الشمالية الغربية من الجزائر، تحدها دائرة الحناية شمالا، ودائرة بني سنوس غربا، ودائرة أولاد الميمون شرقا، وبلدية تيرني جنوبا. وهي "ترتفع عن سطح البحر حوالي 830 مترا، وتبعد عنه حوالي 60 كيلومترا."[4]

وقد حباها الله بطبيعة خلابة على مر السنين، جعلت العديد من زوارها يفتتنون بجمال عيونها الأخاذ، وأنهارها العذبة الصافية، فقد ذكرها العديد من المؤلفين في مؤلفاتهم، واعتبرها عبد المنعم الحميري قديما " مدينة عظيمة ... وكان لها ماء مجلوب من عمل الأول من عيون تسمى لوريط بينها وبين المدينة ستة أميال، ولها نهر يسمى سطفسيف."[5] ولم ينس أبو عبيد البكري المتوفى سنة 487ه حديثه هو الآخر عن المدينة وعلماء أجلاء، حيث جعلها " دارا للعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب ملك بن أنس..."[6]

2- تحديد الإطار المعرفي للبحث:

كما سبقت الإشارة آنفا لدى تطرقنا لأهم الصعوبات التي واجهتنا، فإن البحث يأتي في إطار الدراسة المهتمة بدراسة أسماء الأماكن، أي أنها "دوال وضعها الإنسان ليدل بها على حقائق جغرافية...والبحث عن معاني أصول أسماء الأماكن ودراسة تحولاتها."[7] على مستوى منطقة تلمسان التي تضم المدن القديمة والأحياء القديمة والحديثة.

وقبل الشروع في سرد مختلف أسماء الأماكن ودلالاتها بالمنطقة، لابد من التعريج أولا على تحديد الموقعين الفلكي والجغرافي للمدينة، فنسلك بذلك مسلك أبي القاسم بن حوقل في كتابه (المسالك والممالك). فقد منح أهمية أولى لدور التحديد قبل الغوص في تفاصيل أخرى متعلقة ب "ذكر جبالها ومدنها وأنهارها وبحارها والمسافات فيها..."[8]

أ/- مفهوم الاسم الجغرافي:

يحمل مصطلح (اسم المكان) عدة مسميات منها:

1- الاسم الجغرافي:

فقد عرفه الفريق المعني بالأسماء الجغرافية التابع للأمم المتحدة بأنه" اسم يطلق على معلم أرضي...وهو اسم العلم أو مجموعة محددة من الكلمات، يستعمل في اللغة استعمالا متسقا للإشارة إلى المكان أو معلم أو منطقة معينة..."[(9)]

2- المواقعية:

وتسمى أيضا بمسميات عديدة نظرا لاختلاف المعاجم العربية حولها ك: الطوبونيميا، أو الأماكنية، أو علم الأعلام الجغرافية. وهي " مصطلح إغريقي مركب من (طوبو) التي تعني المكان، و(أونوما) الدالة على الاسم أي اسم المكان."[(10)]

4- أغراضه:

يدرس مجموعة من الأماكن في زمن ما، سواء كتبت هذه الأسماء بلغة واحدة أم مركبة ونسبتها إلى المجال الجغرافي الذي تنتمي إليه، سواء كان صحراويا أم جبليا أو تليا.

وهو علم الغرض منه نشر التراث البشري، حيث إن" العديد من الأماكن سميت بتسميات بحسب الأحداث الاجتماعية والحقبات التاريخية التي عايشتها، وأنها تحمل في دلالاتها جوانب تراثية وإرثا حضاريا..."[(11)]

وتتوخى الطوبونيميا تحقيق أهداف علمية كبرى كتحصيل المعرفة بالإنسان وبالمحيط الطبيعي والثقافي، من خلال دراسات الأعلام ودلالاتها المختلفة، التاريخية والمواكبة. وهذه الأعلام ليست شيئا اعتباطيا، بل تعبيرا عن نظرة واضعيها في العالم. فالذي يضع اسم المكان، يضعه بناء على معطيات تعبر عن نظرته للعالم والمحيط والمجال. كما لا تعبر هذه الأسماء عن هوية ممتلكي هذا المجال بالعهود والمواثيق فقط، بل بالثقافة والحضارة التي أفرزت شبكة الأسماء المتحكمة في تقسيمه وتنظيمه.[(12)]

وقد قدم الجغرافيون العرب القدامى الذين صالوا وجالوا في أصقاع الأرض من أمثال المسعودي، وابن حوقل، والمقدسي، والبكري الأندلسي، والإدريسي تراثا فقد بذلوا أثناءه مجهودات جبارة، لأجل التعريف بالبلدان وحصونها، وذكر أهم أماكنها. وبفضل رحلاتهم التي قضوها في التنقل من بلد إلى بلد، وجمع المعلومات الكافية، نستطيع الاستدلال " من حيث الشكل الصحيح للاسم أو من حيث مدلوله الجغرافي."[13] كما أن العلم نفسه قد يساعد الباحث في فهم الوقائع التاريخية والاجتماعية لأي منطقة ما، عن طريق تمكينه من "استكشاف مجالات التوطين من زاوية مغايرة لمسار البحث المألوفة."[14]

وهو علم يتفرع من علم أول يدعى (أنوماستيك)، ترجمته بعض الأعاجم العربية بالإعلامية، وينحدر عنه فرعان كبيران هما:

*- الطوبونيميا الذي يهتم بأسماء الأماكن، وتنحدر تحته الهيدرونيميا أو المجاري المائية .

*- الأنتروطونيما المهتم بأسماء البشر أفرادا كانوا أو جماعات. وتندرج تحته الإيثنومينيا أو علم الأعراق.

وهو علم يزداد تفريعا من يوم لآخر، لكونه حديثا، تعود نشأته الأولى إلى أوربا. وقد وصل إلينا في العقد الأخير من القرن الماضي، ومازال يستأثر باهتمام الكثير من الباحثين، لأهميته في معرفة كثير من مستغلقات بعض المصادر العلمية.[15]

5- منهجية البحث في أسماء الأماكن والبشر:

يقوم الباحث بسلسلة من الخطوات من أجل التأسيس لبحثه وتأصيله، بدءا أولا باستحضار جميع الألسن المتداولة في المجال، لأن ذلك سيفيد في "توضيح طبيعة المجال واللغة، وهو ما يفرض عودة الباحث إلى التاريخ الشفهي للمجالات اللغوية الممتدة جغرافيا، ويكتب تاريخها بصيغة المفرد كالمقاطعات والأحياء..."[16] وإن مثل هذا الإجراء المستند إلى مجهودات المؤرخين، يمكن الدراسين من تحديد تاريخ ظهور الاسم، وكيفية تطوره، والاطلاع على التغييرات التي دخلت عليه. كما يمكن تحصيل المعلومة أحيانا أخرى من المواطنين شفهيا، عن طريق توظيف

عنصر الحوار الشفهي، للكشف عن أصل مفهوم مرتبط بدال معين، سمعوا عنه أو تداولوه بالنقل عبر الأجيال.(17)

6- الدلائل طوبونيميا لأحياء وشوارع مدينة تلمسان:

إن المتتبع للدراسة التي أجريناها على المدينة عبر حقب زمنية مختلفة، سيلحظ صنفين رئيسيين من أصناف الطوبونيميا :

أ/- الصنف الأول (الأودونيم)(18): وقد خصصناه لأسماء أماكن الدروب والطرقات والشوارع وهو الصنف الغالب في البحث.

ب/ الصنف الثاني (الأجيوتونيم): ويخص أسماء الأماكن التي لها علاقة بالأولياء الصالحين. وهو صنف أقل حضورًا في البحث.

7- طوبونيميا منطقة تلمسان قديما:

أ/-في العهد الروماني(بوماريا)

لا يعرف الكثير على ما تبقى من آثار رومانية بالمنطقة، نظرا لقدم الحقبة الزمنية التي تربط المدينة بهذه الشعوب، التي احتلتها ما بين "201م و675م، حيث بنى فيها اثنين وعشرين بناية محاطة بسور وهي عبارة عن ثكنة عسكرية... لا نجد فيها الكثير من الشواهد الأثرية التي توضح المعالم الكاملة للمدينة...إلا ما وجد سنة 1846 في منطقة أغادير... وهي عبارة عن قطعة أثرية تحمل كتابة لاتينية..."(19) أما المدينة المسماة بوماريا فقد بنيت داخل أسوار تمتد من ألطافيا (أولاد ميمون) شرقا إلى سيغا وآد فراتس (الغزوات) غربا إلى نوميروس سيروروم (مغنية)(20).

اسم المكان	طبيعته	دلالته	مكان تواجده	نوع الطوبونيم
بوماريا (21)	مركز حربي	الحدائق أو البستان	أغادير	الأودونيم

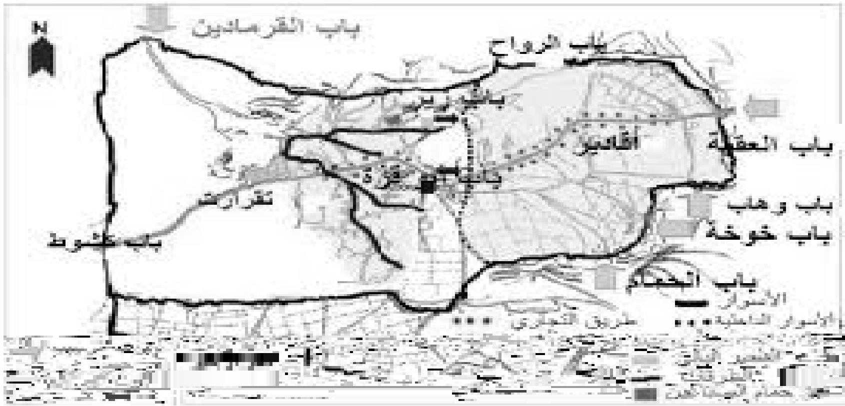
ب/- في عهد أغادير:

تعد المدينة حسب بعضهم أقدم مدينة ظهرت بالمكان، وقبل بوماريا "أسسها بنو يفرن وغيرهم من سكان المنطقة الذين أسهموا في تعميرها، حتى جعلوها أم القرى في المغرب الأوسط وقتذاك."[22]

اسم المكان	طبيعته	دلالته	مكان تواجده	نوع الطوبونيم
أغـــــــــادير /أجادير/أكادير[23]	مدينة	الهضبة–الجرف مخازن الحبوب	شرق تاغرارات	أودونيم

ج/ – في عهد المرابطين:

اسم المكان	طبيعته	دلالته	مكان تواجده	نوع الطوبونيم
تاقرارات أو تاغرارات[24]	مدينة	المعسكر	غرب مدينة أغادير	أودونيم
الصباغون[25]	درب	صبغ الصوف المغزول	مدينة تاغرارات	–"–
الفخارون[26]	حي	صناعة الأواني الفخارية	مدينة تاغرارات	–"–
القرماديون[27]	–"–	صناعة القرميد من طين	–"–	–"–
الخراطون[28]	سوق	خرط الخشب أي تسويته	–"–	–"–
الصياغون[29]	–"–	صنع الحلي من ذهب	–"–	–"–
القصارون[30]	حي	دق الثياب وتبييضها	–"–	–"–



الصورة(1): مكان تواجد الحرفيين بمدينة تاقرارات

اسم المكان	طبيعته	دلالته	مكان تواجده	نوع الطوبونيم
الحجامون[31]	درب	ممارسة الحجامة بآلة المحجمة	مدينة تاغرارات	أودونيم
السمار[32]	–"–	دق المسامير في أحذية أرجل الخيل والبغال والحمير	–"–	–"–
مسوفة[33]	–"–	اسم قبيلة كبيرة من قبائل المرابطين	تاغرارات	–"–
القرماديون *[34]*	درب	صناعة القرميد من طين	غرب قباصة	أودونيم

د/– في عهد الموحدين:

اسم المكان	طبيعته	دلالته	مكان تواجده	نوع الطوبونيم
سيدي بومدين[35]	جامع	ولي صالح	قرية العباد	أجيوتوبونيم

ه/ بنو عبد الواد:

اسم المكان	طبيعته	دلالته	مكان تواجده	نوع الطوبونيم
المشور(36)	سور	المكان الذي يتشاور فيه السلطان مع وزرائه	جنوب تاغرارات	أودونيم
الرحيبة(37)	حي	الشيء الواسع	قرب باب الجياد	أودونيم
القيسارية(38)	حي	قصر أو الحصى والقلعة	قرب المشور	–"–

و/– في العهد الزياني:

اسم المكان	طبيعته	دلالته	مكان تواجده	نوع الطوبونيم
بدة(39)	صهريج	اسم علم أميرة ومعناها لغة الحظ والنصيب	تاغرارات	هيدرونيم
سيدي الحلوي(40)	جامع	صنع الحلوى وبيعها للصبيان	تاغرارت	أجيوتوبونيم
المنصورة(41)	مدينة	المحلة أو المعسكر	الجنوب الغربي من تلمسان القديمة	
التاشفينية (42)	مدرسة	نسبة إلى السلطان أبي عبد الرحمن الأول التاشفيني	جنوب الجامع الكبير (تاغرارات)	–"–
السلسلة	درب	كان به باب يغلق بسلسلة من ذهب وقت الليل	تاغرارات	–"–

ي/ المنصورة:

لقد تعرضت المدينة التي شيدها أبو يعقوب يوسف بعد حصارها من قبل الجيوش المرينية بضعة أشهر، إلى التخريب وهجرة سكانها الذين بعد أن مات منهم الكثير نتيجة الحروب الطاحنة أو الجوع، ولم يبق مما كانت تحتويه آنذاك من

"أسوار عامرة ودور شاهقة وحمامات كثيرة ومتنزهات بديعة وطرق كبيرة وشوارع عريضة ومساجد متعددة اضخمها الجامع الكبير ذي المئذنة الشامخة وقصر باهر...ولكن لم يبق منها إلا أطلالها الجليلة..."[43] لذلك نلاحظ قلة في أسماء الأمكنة، نظرا لخرابها من قبل المرينيين.

و/ تلمسان في العهد الحديث:

وقد اختلف المؤرخون من أمثال عبد الرحمن بن خلدون والمهتمون من أمثال إميل لاوس وألبرت ليؤريك وروكليس حول تعدد النطق ودلالات التسمية. فقد تجاوزت عملية النطق العدد خمسة كما تجاوزت دلالاتها العدد ستة، وإذا كانوا قد اتفقوا في الشق الأول من الكلمة وهو (تلم) بمعنى تجمع، إلا أنهم اختلفوا في الشق الثاني منها.

التسمية	**الدلالة الأولى**	**الدلالة الثانية**	**الدلالة الثالثة**	**الدلالة الرابعة**
تلمسان تلمشان تنمسان	ذات أصل بربري تعني جيب ماء الينبوع[44]	متكونة من شقين: تلم: تجمع سان: اثنان هما (البر والبحر/ الشمال والصحراء/الجبل والسهل)[45]	تلمشان: متكونة من شقين: تلم بمعنى لها، وشان بمعنى شأن[46]	متكونة من شقين: الشق الأول(تلم)أي تجمع. الشق الثاني(سان) أي الصحراء والتل[47]
التسمية	الدلالة الرابعة	الدلالة الخامسة	الدلالة السادسة	الدلالة السابعة
تلي امسن تلمست تلشان	تلي أمسن: كثرة الظل لكثافة أشجارها	تلمست: الأرض التي تنعم بالمياه والأشجار والينابيع.	تيلماس: جيوب المياه [48]	تلمسين وجمعها تلمسان وتعني الأرض الكثيرة المياه[49]

الشكل (2): اختلافات النطق ودلالات التسمية لمدينة تلمسان.

مست المدينة على مدار الزمن سلسلة من التوسيعات، تعود البداية الأولى فيها إلى ما قام به السلطان يغمراسن بن تاشفين من جمع للمدينتين القـديمتين: أغـادير وتاغرارات في مدينة واحدة، أخذت الاسم الجديد تلمسان. أما التوسـيعة الثانيـة، فتعود لأيام عهْد الموحدين، ثم توسيعة أخرى في عهد الأتراك، وآخر توسيعة تعود إلى المستعمر الفرنسي الذي أضاف عدة بناءات وسط المدينة، أسهمتْ في ظهـور منازل وعمارات جديدة، وبالمقابل طمست معالم بناءات قديمة تعود إلـى العهـود السابقة. وقد ظهرت ساحات عمومية وشوارع وأحياء جديدة، كانت تأوي المعمرين والسلطات الاستعمارية، ممثلة في أفراد الشرطة والجيش والمـدنيين. ومـن بـين الطوبونيمات التي مست المدينة الجديدة[50]:



الشكل(3): أهم التوسيعات التي خضعت لها المدينة[51]

اسم المكان	طبيعته	دلالته	مكان تواجده	نوع الطوبونيم
الصفصاف[52]	حي	نوع من الأشجار الغابية ذات الجذوع الطويلة	شرق تلمسان	أودونيم
بوجليدة[53]	–"–	طائر الخفاش	شرق تلمسان	–"–
الكيفان[54]	–"–	المغارات	غرب تلمسان	–"–
الكدية[55]	–"–	الحجر العظيم الشديد	شمال تلمسان	–"–

1- الساحات العمومية:

اسم المكان	طبيعته	التسمية الأجنبية	مكان تواجده	نوع الطوبونيم
الأمير عبد القادر	ساحة	Place de la mairie	وسط المدينة	أودونيم
البشير الإبراهيمي	–"–	Places des victoires	–"–	–"–
جلول بن عصمان	–"–	Place du marché	السوق المغطى	–"–
الفدائيين	–"–	Place de la skikkak	قرب ث مليحة	–"–
القيروان	–"–	Place saint michel	ش العقيد لطفي	–"–
محمد خميستي	ساحة	place d'alger	وسط المدينة	–"–
أول ماي	–"–	Place cavaignac	ش العقيد لطفي	–"–
المسبلين	–"–	Place kissaria	وسط المدينة	–"–
الشهداء	–"–	Place bugeaud	وسط المدينة (المدرس)	–"–
المجاهدين	–"–	Place des chasseurs	كلية الطب	–"–
1961/10/17	–"–	Place de la broussette	حي الهواء الجميل	–"–
غماري ثاني أحمد	–"–	Place de la gare	قبالة محطة القطار	–"–
المشور	–"–	Esplanade mechouar	أما قلعة المشور	–"–

2-الأحياء[56]:

التسمية القديمة	التسمية الجديدة
حي سيدي الحلوي الجديد	حي سيدي الحلوي الجديد
حي ديار الصابون	حي ابن سينا
حي الربط	حي سيدي لحسن
حي المحطة	حي 04 جوان 1957
حي مشتكانة	حي مشتكانة
حي الرحيبة	حي الرحيبة
حي الحدائق	حي الحدائق
مجمع سكني قبالة ثانوية بن زكري	حي عبد المؤمن علي
حي الجسور والطرق	حي طارق بن زياد
مجمع سكني 325 (الكرز)	حي 05 جويلية 1962
حي باستور	حي باستور
مجمع سكني 348 شقة (الكيفان)	حي الصومام
حي الجوز	حي الجوز
مجمع سكني 18 سكن (سيدي شاكر)	حب ابن رشد
حي سيدي بومدين	حي سيدي بومجين
حي أغادير	حي أغادير
حي سيدي الطاهر	حي سيدي الطاهر
حي سيدي عثمان	حي سيدي عثمان
حي الحرطون	حي الحرطون
حي القصارين	حي القصارين
حي بودغن	حي بودغن
حي بريا	حي أبي تاشفين
حي الفخارين[57]	حي الفخارين

3- أسماء الشوارع الجديدة:

قامت ولاية تلمسان بمجهودات جبارة من أجل إعادة تسمية شوارع وسط المدينة، التي تحمل أسماء أجنبية تعود للحقبة الاستعمارية الفرنسية، بعد سلسلة من المداولات أجرتها اللجنة المختصة في إعادة التسمية ابتداء من تاريخ: 1987/02/18. والجدول الآتي يبين الأماكن وعدد الأسماء التي تم تغييرها.

وهي تضم المناطق التالية:

الشوارع التي مستها التمسيات	العدد الإجمالي للشوارع
وسط المدينة	19
بروانة	18
أبوتاشفين	69
الكيفان	119
فدان السبع	11
المجموع	236

الشكل (4): جدول يمثل العدد الإجمالي للشوارع التي مستها التسميات الجديدة

الاسم القديم	الاسم الجديد
Rue des armes	بن حدوش عبد الله
Berlioz	بن حمادي غوتي
Belletreille	بن يلس حسين
Claude de Bussy	بناصر محمد
Danton	بن سنان عبد الغني
Edmond rosyant	بربري محمد
Failiere	برياح عبد الله
Henri poincarre	بلم محمد
Jean moulin	بوعلام بوزيان

Jerusalem	القدس
La Fontaine	بوشليط حسين
Lamartine	بوشيخي محمد
P .Laugevin	بوقيدر يوب
Allée des noyers	ممر الجوز
Paul Doumer	بحوص محمد
Pierre curie	بوسعيد مغراوي
Sebdou	مهتاري ثاني
Viviani	مسعودي محمد
Spaiss	مزياني محمد
Michelet	يبدري منصور
Joffre	العربي بن مهيدي
Champagne	بوعبد الرحمن عبد القادر
Lyautey	محمد الخامس
Foch	هوشيمينه
Jean jaurès ex nord	كازي أول محمد
Jules Bouty	خديم علي
Ampére	أوجاباش غوتي
Pascal	بن حبيب جمال
Poussin	براهيم عثمان محمد
Mozart	شيخ العربي بن صاري
Villon	برزوق بن عيسى
L'Abattoir	بختي بومدين
Lavoisier	أبو عياد عبد الكريم

الشكل(5): قائمة إعادة تسمية شوارع المدينة الوسطى[58]

4- أسماء ممرات بحي الكيفان:

ممر ليلاك	بن ديمراد حامد
ممر اللؤلؤ	بن حدوش حورية
ممر الأفكار	بن شك مراد
ممر جكويت	بن منصور عبد الرحيم
ممر سينرار	بناجي أحمد
ممر كاتياس	برزوق عبد القادر
ممر الزهور	بريكسي رقيق محمد
ممر كاميلية	بوعبد الله محمد
ممر بخور مريم	بوعياد أحمد
ممر القرنفل	بوشناق خلادي جيلالي
ممر النجوم	بوقادة محمد صغير
ممر الخزامى	بوخيار عبد القادر
ممر بارو	بولنوار أحمد
ممر الدوالي	بوسعيد محمد

الشكل(6): إعادة تسمية الممرات بالمقطع المركزي، فوج د،ب،أ[59]

ممر الأرز	بوصلعة عبد القادر
ممر شقيقة النعمان	بوستة يحي
ممر البنفسج	بوطيبة عبد القادر
ممر الصنوبر	شلي محمد
ممر زنبق الوادي	دحري فتيحة
ممر الزنبق الأبيض	العباس عبد الله
ممر البراعيم	الحصار عبد الكريم
ممر الصفصاف	فداوش بن علي
ممر السعتر	قوار بن علي

الشكل(7): إعادة تسمية الممرات بالمقطع المركزي، فوج س[60]

الخاتمة:

تبين لنا من خلال سلسلة أسماء الأعلام والتسميات المختلفة للأمكنة المنتمية لمختلف العصور التي مرت على المدينة، بدءا بالتسمية الأولى بوماريا ووصولا إلى التسمية الحالية، أن تلمسان تشهد فعلا على ماضي يعبر عن مختلف الانتماءات، ويجسد الهوية الثقافية للمنطقة، كون تلك الأسماء إسقاطات لهوية اجتماعية مشتركة بين مختلف الأفراد والجماعات. وأنها انعكاس حقيقي يترجم مختلف مناحي الحياة وعبر امتداد الأزمنة والأمكنة، حيث استطعنا بفضل الجولة التي قادتنا إلى أرشيف البلدية من الوقوف على أهم الخرائط الطوبوغرافية والقوائم الاسمية لشوارع وأحياء المدينة، بداية من أسوار مدينة بوماريا ومدينة تاغرارات، إلى أبواب مدينة أغادير، وشوارع وأحياء ودروب المدينة العتيقة في العصور الإسلامية الوسطى، وانتهاء بالحلة الجديدة التي ألبسها الاستعمار، بعد إجراء سلسلة من الهدم والتغيير لبعض معالم المدينة القديمة.

لقد لاحظنا:

– أن طوبونيمات المنطقة تستمد دلالتها من معجم عربي تارة، أو أمازيغي تارة أخرى، طبعت به خصوصية الأمكنة، فكانت ترجماناً حقيقيا، فسر حضارة عبرت عن تواجد مختلف الأصناف، سواء تعلق الأمر بالعيون أم الأنهار أم الحرف المتعددة التي مارسها القاطنون على ممر التاريخ، والتي من شأنها أن تسمح لكل فضولي أن يلج إلى خبايا المدينة، ويطلع عن قرب، على مختلف التحولات الطوبونيمية التي ميزت المنطقة، قديما وحديثا. كما تخللت هذه الطوبونيمات بعض الأسماء الأجنبية، تعود للحقبة الاستعمارية الفرنسية، حيث أسهمت في تشويه الانتماء الحقيقي للمنطقة، وزيفت معالمها الأصلية، ذات البعد الوطني المرتبط باللغتين العربية والأمازيغية.

– تغيير الأسماء الأجنبية إلى اللغة العربية، ذات الإيحاءات المنفرة والمثيرة للاشمئزاز حيال الذاكرة المحلية من جهة، والوطنية من جهة أخرى، كونها تذكر المواطن التلمساني بأحلك الأيام التي قضاها تحت نير الاستعمار، خاصة ما كان منها يحمل أسماء فنانين وأدباء فرنسيين مشهورين، أو جنرالات ومعمرين عاشوا إبان فترة الاحتلال.

– تم استبدال الأسماء الدالة على الأزهار أو الأشجار المثمرة وغيرها بشخصيات محلية ذات بعد فني أو ديني أو تاريخي، مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمنطقة أولا، ثم بالوطن ككل.

– أبقت اللجان على الأسماء ذات الدلالات الجمالية، أو تلك المتعلقة بشخصيات تاريخية مرت على المنطقة، عبر مختلف الحقب التاريخية، من أجل حفظها في الذاكرة المحلية والوطنية.

كما لاحظنا بالمقابل:

– انعدام التجانس بين مختلف البنايات المعاصرة وتلك المنتمية للتراث، حيث اختل منظر النسيج العمراني القديم بفعل التغييرات التي طرأت عليه من سلسلة التوسيعات التي أجراها المستعمر الفرنسي إبان فترة احتلاله للوطن داخل المدينة العتيقة، أو من قبل السلطات المحلية، نتيجة عمليات الترميم التي لم تراع خصوصيات البنايات القديمة، فانتهجت نفس الطرق والوسائل المطبقة على البناءات الحديثة، مما يؤثر سلبا على تركيبتها العامة، ويتسبب في تصدعات وتشققات خطيرة.

المراجع:

1– أبو القاسم بن حوقل، المسالك والممالك، مطبع بريل، ليدن المحروسة، د ط، 1872 .

2–أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، د ط، د ت، ص.77

3–بريشي درويش، تطور المسكن الإسلامي في مدينة تلمسان–دراسة فنية أثرية– مذكرة لنيل الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان،2012./2011

4–بسام كامل عبد الرزاق، تلمسان في العهد الزياني633–962 ه/1235–1555م، رسالة لنيل الماجستير، جامعة النجاح الوطني، نابلس، فلسطين، ط1، 1999.

5– بن حليلم نور الدين، أثر التغير الدلالي في نصوص الألفاظ العامية عند البدو والحضر، أطروحة لنيل الدكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، 2015/2014.

6- بن صديق نوال، التكوين في الصناعات والحرف التقليدية بين المحافظة على التراث ومطلب التجديد- دراسة أنثروبولوجية بمنطقة تلمسان- مذكرة لنيل الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان،2012./2013.

7- تسمية الشوارع والأحياء والمباني والأماكن العمومية بمدينة تلمسان، مصلحة الثقافة والرياضة.

8- حاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في حاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، الجزء الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، مارس 2011.

9- حبيب حاج محمد، أسماء الأماكن الأمازيغية في منطقة تلمسان، أطروحة لنيل الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان،2012/2013.

10- الحسن الغريب، مجلة أسطور للدراسات التاريخية، العدد 5، يناير2017.

11- حسين رحوي، العلاقة بين النسيج العمراني والفضاء الاجتماعي – الثقافي في المدينة العربية الإسلامية، مدينة تلمسان العتيقة نموذجا، رسالة لنيل الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2001.

12- دريس محمد أمين، إشكالية ترجمة الأسماء المواقعية من منظور إستراتيجيتي التدجين والتغريب في الترجمة، المجلة الأردنية للغات الحديثة وآدابها، المجلد4،العدد2، 2012.

13- دليل توحيد الأسماء الجغرافية على الصعيد الوطني، فريق الخبراء المعني بالأسماء الجغرافية التابع للأمم المتحدة، نيويورك،.2007

14- رانية سنوسي، معجم طوبونيمي لأحد الأمكنة لولاية تلمسان – مدينة ندرومة وضواحيها أنموذجا- مذكرة لنيل الماستر في اللغة والأدب العربي، جامعة أبي بكر بلقايد، 2016/2017.

15- صحراوي سهيلة، علم الأسماء والترجمة في إطار السياحة والتراث الثقافي- دراسة طوبونيمية لمدينة بني صاف- مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان،2015/2016.

16- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، .2002

17- عبد الله الحلو، تحقيقات تاريخية لغوية في الأسماء الجغرافية السورية، بيسان للنشر والتوزيع، لبنان،

18- عمارية عايد، التوزيع الجغرافي للتنوعات النطقية في منطوق عاميات ولاية تلمسان، رسالة لنيل الدكتوراه من جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2015/2014.

19- فاطمة الزهراء نجراوي، الدراسة الإيتيمولوجية لأسماء الأماكن المأهولة – مقارنة لغوية تطورية- (منطقة تلمسان أنموذجا)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2017/.2018

20- لبتر قادة، تأثير الرطوبة على المعالم الأثرية – دراسة لبعض معالم مدينة تلمسان- مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار والمحيط،2007/2006، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان.

21- محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في حاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، الجزء الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، مارس 2011.

22- محمد بن عبد المنعم الحميري وإحسان عباس، الروض المعطار في خبر الأقطار، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية 1984.

23- مسطاري بوكثير ،الماء والتوطين بالقرى الجبلية بالجنوب التونسي ملاحظات وإضاءات حول قرية السند، دورية مغرب الأندلس، العدد 2012.

24- نسخة من مداولات المجلس الشعبي البلدي لبلدية تلمسان المؤرخ في: 1987/02/18.

25- نور حكيمة، جرد بعض أفران الخبز بمدينة تلمسان، مذكرة لنيل شهادة الماستر في علم الآثار، 2015/2014،جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان.

26- الوافي نوحي، الطوبونيميا مجال توارد الهوايات وتفاعلها، فيديو مصور من 30 دقيقة على قناة يوتيوب.

27- يوسف رحماني، الحياة الثقافية والاجتماعية إبان فترة الاحتلال الفرنسي- تلمسان أنموذجا 1900-1954- مذكرة لنيل الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان،2016.

الاحالات:

---

(1) منطقة تلمسان: هي المكان الحالي المتربع على أنقاض المدن القديمة (بوماريا، تاقرارات، المنصورة وأغادير) والمدينة الحديثة؟

(2) بسام كامل عبد الرزاق، تلمسان في العهد الزياني633-962 ه/1235-1555م، رسالة لنيل الماجستير، جامعة النجاح الوطني، نابلس،فلسطين،ص9.

(3) لبتر قادة، تأثير الرطوبة على المعالم الأثرية – دراسة لبعض معالم مدينة تلمسان- مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار والمحيط،2007/2006، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ص9.

(4) نور حكيمة، جرد بعض أفران الخبز بمدينة تلمسان، مذكرة لنيل شهادة الماستر في علم الآثار،2015/2014،جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ص6.

(5) محمد بن عبد المنعم الحميري وإحسان عباس، الروض المعطار في خبر الأقطار، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية 1984،ص135.

(6) أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، د ط، د ت، ص77.

(7) صحراوي سهيلة، علم الأسماء والترجمة في إطار السياحة والتراث الثقافي- دراسة طوبونيمية لمدينة بني صاف- مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان،2016/2015،ص63.

(8) أبو القاسم بن حوقل، المسالك والممالك، مطبع بريل، ليدن المحروسة، د ط،1872، ص6.

(9) دليل توحيد الأسماء الجغرافية على الصعيد الوطني، فريق الخبراء المعني بالأسماء الجغرافية التابع للأمم المتحدة، نيويورك،2007،ص7.

(10) فاطمة الزهراء نجراوي، الدراسة الإيتيمولوجية لأسماء الأماكن المأهولة – مقارنة لغوية تطورية– (منطقة تلمسان أنموذجا)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2018/2017،ص11.

(11) دريس محمد أمين، إشكالية ترجمة الأسماء المواقعية من منظور إستراتيجيتي التدجين والتغريب في الترجمة، المجلة الأردنية للغات الحديثة وآدابها، المجلد4،العدد2،2012/ص128.

(12) ينظر: الوافي نوحي، الطوبونيميا مجال توارد الهوايات وتفاعلها، فيديو مصور من 30 دقيقة على قناة يوتيوب.

(13) عبد الله الحلو، تحقيقات تاريخية لغوية في الأسماء الجغرافية السورية، بيسان للنشر والتوزيع، لبنان، ط1999،1،ص27.

(14) مسطاري بوكثير ،الماء والتوطين بالقرى الجبلية بالجنوب التونسي ملاحظات وإضاءات حول قرية السند،دورية مغرب الأندلس ،العدد 2012،19،ص38.

(15) ينظر: المرجع السابق.

(16) الحسن الغريب، مجلة أسطور للدراسات التاريخية، العدد 5، يناير 2017، ص5.

(17) ينظر: الوافي نوحي، الطوبونيميا مجال توارد الهوايات وتفاعلها، فيديو مصور من 30 دقيقة على قناة يوتيوب.

(18) ينظر: رانية سنوسي، معجم طوبونيمي لأحد الأمكنة لولاية تلمسان – مدينة ندرومة وضواحيها أنموذجا– مذكرة لنيل الماستر في اللغة والأدب العربي، جامعة أبي بكر بلقايد، 2017/2016،ص6.

((19))– يوسف رحماني،الحياة الثقافية والاجتماعية إبان فترة الاحتلال الفرنسي– تلمسان أنموذجا 1900–1954– مذكرة لنيل الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان،2016،ص5.

(20) ينظر: حسين رحوي، العلاقة بين النسيج العمراني والفضاء الاجتماعي – الثقافي في المدينة العربية الإسلامية، مدينة تلمسان العتيقة نموذجا، رسالة لنيل الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2001،ص72-73.

(21) الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في حاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، الجزء الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، مارس 2011، ص45.

(22) عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1،موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2002،ص92-93.

(23) ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(24) ينظر: حبيب حاج محمد، أسماء الأماكن الأمازيغية في منطقة تلمسان، أطروحة لنيل الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان،2013/2012، ص46.

(25) ينظر: بن صديق نوال، التكوين في الصناعات والحرف التقليدية بين المحافظة على التراث ومطلب التجديد- دراسة أنثروبولوجية بمنطقة تلمسان- مذكرة لنيل الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2013/2012، ص 69.

(26) ينظر المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(27) ينظر: المرجع نفسه، ص70.

(28) ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(29) ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(30) ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(31) ينظر: بن صديق نوال، التكوين في الصناعات والحرف التقليدية بين المحافظة على التراث ومطلب التجديد- دراسة أنثروبولوجية بمنطقة تلمسان- مذكرة لنيل الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان،2013/2012،ص 71.

(32) ينظر: المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

[33] ينظر: الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في حاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، الجزء الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، مارس 2011، ص56.

[34] ينظر: المرجع السابق، ص70.

[35] ينظر: المرجع نفسه ،ص83.

[36] ينظر: الحاج محمد بن رمضان ،ص65.

[37] ينظر: فاطمة الزهراء نجرواي، الدراسة الإيتيمولوجية لأسماء الأماكن المأهولة، أطروحة لنيل الدكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2018/2017،ص162.

[38] ينظر: المرجع نفسه، ص181.

[39] ينظر: المرجع نفسه، ص76.

[40] ينظر: المرجع نفسه، ص 87.

[41] ينظر: المرجع نفسه، ص71.

[42] ينظر: المرجع نفسه، ص75.

[43] الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في حاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، الجزء الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، مارس 2011، ص222.

[44] بن حليلم نور الدين، أثر التغير الدلالي في نصوص الألفاظ العامية عند البدو والحضر، أطروحة لنيل الدكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، 2015/2014،ص19.

[45] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[46] ينظر: حبيب حاج محمد، أسماء الأماكن الامازيغية في منطقة تلمسان–دراسة مواقعية–أطروحة لنيل الدكتوراه من جامعة أبي بكر بلقايد، تلميان، 2013/2012،ص44.

[47] عمارية عايد، التوزيع الجغرافي للتنوعات النطقية في منطوق عاميات ولاية تلمسان، رسالة لنيل الدكتوراه من جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2015/2014،ص 17.

(48) بريشي درويش، تطور المسكن الإسلامي في مدينة تلمسان–دراسة فنية أثرية– مذكرة لنيل الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان،2012/2011، ص 67.

(49) عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، ج1،د ط، 2002،ص 93.

(50) ينظر: يوسف رحماني، الحياة الثقافية والاجتماعية إبان فترة الاحتلال الفرنسي– تلمسان أنموذجا 1900–1954– مذكرة لنيل الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان،2016،ص49.

(51) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(52) ينظر: حبيب حاج محمد، أسماء الأماكن الامازيغية في منطقة تلمسان-دراسة مواقعية-أطروحة لنيل الدكتوراه من جامعة أبي بكر بلقايد، تلميان، 2013/2012،ص68.

(53) ينظر: المرجع نفسه، ص 49.

(54) ينظر: المرجع نفسه، ص48.

(55) ينظر: المرجع بفسه، الصفحة نفسها.

(56) ينظر: تسمية الشوارع والأحياء والمباني والأماكن العمومية بمدينة تلمسان، مصلحة الثقافة والرياضة، ص 10و25.

(57) ينظر: تسمية الشوارع والأحياء والمباني والأماكن العمومية بمدينة تلمسان، مصلحة الثقافة والرياضة، ص26.

(58) نسخة من مداولات المجلس الشعبي البلدي لبلدية تلمسان المؤرخ في: 1987/02/18،ص2.

(59) المرجع نفسه، ص 6–7.

(60) المرجع نفسه، ص7–8,

أسماء الأماكن في إقليم توات ودورها في التماسك الاجتماعي

(الرحلة العلية لمحمد باي بلعالم أنموذجا)

د. محمد كنتاوي

جامعة أدرار

مقدمة:

لست أدّعي من هذا المنبر أن إقليم توات لم يحظَ باهتمام الباحثين أو المؤرخين ولا أدعيِ التجديد لما تقدم في هذا الباب من الاجتهادات، غير اني رأيت الحاجةَ مازالت ملحةً للبحث في ما يتعلق بهذا الإقليم فنونه وتاريخه وآدابه وعلومه وجغرافيته وتقاسيمه وأثنوغرافيته وما يترتب عن ذلك؛ وأخترت أن يكون منطلق البحث ما جاء به الشيخ العلامة محمد باي بلعالم[1] (1930-2009م) في كتابه أو رحلته الموسومة "الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات" وهي دليل علمي ومعجم محلي للبلدان والأعلام الإقليمية ومرشد سياحي للقارئين والباحثين والمؤرخين والطلبة وكل المهتمين بتاريخ منطقة أدرار ADRAR على امتداد مقاطعاتها الكبرى المشهورة: تيدكلت ، توات، قُرارة (تيميمون)؛ وقد احتوت آثارا ومخطوطات وعادات اجتماعية وصناعات وأخبارا عن القبائل المنتشرة في البلاد مشهورها ومغمورها، بل إن الشيخ وقف على المنسي منها كذلك، وهذا جانب من جوانب التميز في الرحلة.

وقد اخترت من الرحلة موضوع جانب الأسماء والبلدان وما لها من علاقات بالساكنة والمجتمعات والمتشابه منها والمختلف على السواء، فهي غنية بالموضوعات ومواد الدرس والبحث، بحيث لا يتسع بحث محدود أو مقال علمي للإحاطة بكل ذلك، فكان البحث موسوما: أسماء الأماكن في إقليم توات ودورها في التماسك الاجتماعي (الرحلة العلية لمحمد باي بلعالم أنموذجا)، ضمن محور: تطوير قاعدة بيانات لغوية للأسماء والألقاب والكنى للمجتمع الجزائري.

وأهم عناصر البحث وموضوعاته ما ياتي:

أولا: الرحلة العلية موضوعاتها ومنهجها.
ثانيا: الأقاليم الكبرى.
ثالثا: طبيعة المنطوق والعلاقات الاجتماعية.
رابعا: مقاربة ثقافية عن الحال

وذلك نظرا إلى أن هذين الموضوعين لا يمكنني تحديد المعلومات بدون إلحاق ولا إضافة لمعلوم لم يسبق لي اطلاع عليه، ثم بعد ذلك عثرت عليـــه، وخصوصـــا أن المراجع متفرقة والروايات متغايرة فالتقسيم بالأبواب والفصول ... إطالة للبحـــث ومشقة في التنقيب»[2].

ولم يكن ذكر مقالة الشيخ للحشو أو الإطناب غير ما كان منه للتوضيح بـــالنص الصريح، وبحسب التبرير الذي قدمه قبل أن يسأل الباحث أو القارئ عن ذلك.

وقدم الشيخ تبريرا بقوله: وبرره الشيخ بقوله: «إنني غيـــر ملتـــزم بالترتيـــب ولا بالتقديم والتأخير بل كلَّما تحصلت على معلوم ألحقته غير مبال بأنه يحق له أن يتقدم أو يتأخر، من هذا المنطلق فإن الرحلة مفتوحة للقارئ لا يغلق عليه باب ولا يفصله عنهـــا فصل ولا يحدده مجلس، فهو جمع للمعلومات وتدوينها لا ترتيبها وتنظيمها»

وقد صنف الشيخ محمد باي هذه الرحلة على مجلّدين اثنين، وإن كان قد بين – في إشارة أو ملحوظة بحسب قوله أسلفتها– طبيعة الموضوعات وترتيبها غير المقصود وإرسالها وفق الحاجة العلمية وضرورة الشرح، إلا أني رأيت كيف كان سرده لمواد كتابه مراحل رحلته منظما ومتناسقا ومنسجما إلى أبعد مدى، فلا يبقي في نفس القارئ مجالا للشك في معلومة ولا يدع نصا غير مكتمل البيانات ولا يغادر بلدا أو قبيلة أو شيخا حتى يستكمل ما يراه واجب الإشارة أو حقيق القول.

وترى الشيخ نفسه يبرر استرساله أحيانا في تتبع المعطيات والمعلومات والأخبار وبالمقابل يتبرأ مما قد يضر بالدين أو يتناقض مع الكتاب والسنة، إذ يقول: «وإنني أقول إن كل ما يوجد في كتابنا هذا من الوقائع والعادات والتقاليد لا يوافق الكتاب والسنة أو فيه احتمال او لا تقبله العقيدة الصحيحة النابعة من الإيمان الصحيح فليضرب به عرض الحائط وربما سجلتها لمتطلبات التاريخ الذي يجمع كل ما هبّ ودبّ ولا يرحم. ونسأل الله الإخلاص والتوفيق والسلوك في أقوم طريق»[5].

فهذا القول خير دليل على تواضع الشيخ ونزاهته واجتنابه الحشو والتزييف وأمانته التي يشهد بها العام والخاص، ونحن نعلم أنه الشيخ المغاربي الوحيد على المذهب المالكي الذي صرحت له السلطات السعودية بعقد حلقات دروس في الحرم المكي، وتلك سمة امتاز بها الشيخ في حياته حينما كان يلقي خطبه ومحاضراته، في مدرسته التي مازالت قائمة واضحة المعالم إلى هذه الساعة[6].

وقبل أن اتحدث عن الكتاب أنبه القارئ والباحث إلى امر هام مفاده: أن الكتاب في طبعتيه المتقدمتين على طبعة 2011م كان موسوما: الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات" وفي النسخة الثالثة وهي طبعة خاصة تم إصدارها في سلسلة رحلات جزائرية بدعمٍ من وزارة الثقافة في إطار تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011م، وقد تغير العنوان في في الجزء: لذكر بعض الأحكام...، ولم أجد في التقديم إشارة تعلل هذا التبديل أو التغيير، علما أن هذه الطبعة صدرت بعد وفاة الشيخ بسنتين.

فأما المجلد الأول: فقد جاء في حوالي سبع وأربعين وأربعمائة صفحة (447)، في ذكر المواقع الجغرافية للبلدان مع أسمائها وأبرز ساكنيها من القبائل، وأشهر الأعلام والعلماء وبعض التراجم والسير والتواريخ المرتبطة بها؛ ولم تخلُ الرحلة من الملح والطرائف والنوادر ولطائف الأخبار وفنون الأدب، وأبرز ما في ذلك

مجموع الأشعار التي وردت في الكتاب، فهي ليست مثل المرويات من الأشعار التي عرفناها من مدونات العرب القديمة ولكنها تنبئ بعبقريات فذة تعالج علم العروض وتبدع فيه وتتحدى من سبق من الأدباء، مثل ما فعل "محمد بن المبروك البوداوي"[7] والشاعر "السيد البكري بن عبد الرحمن التنلاني[8]، وقصيدة العنبرية التي نظمها الشيخ محمد باي في الشاي الذي أسماه: الشاهي[9]، وهي منظومة أرجوزة سماها: العنبرية، في التعريف بالشاي ومنافعه؛ ونحا في ذلك منحى جميلا لطيفا، قال بعض فصولها: (فصل في صفة استعماله):

الطبخ للما غاية مستحسنه * ببقرج والنار تحته لينه

فصبه عليه في البراد * وضع به السكر في المبادي

فإن تحققت امتزاج الكلّ * فاشرب بكأس نفعت من كلّ

وعاودن صبك مثنى وثلاث * وكن به على الدوام ذا ثبات

وفي فصل آخر: (فصل فيما يمزج به الشراب):

المزج بالعنبري أو بالزهري * أو اللويزة شفاء يبري

أو نعنع أو شبة الشتاء * لأنها في الفصل برء الداء

إلى هذه الفنون ضمَّت الرحلةُ جانبًا لأشهر الرحلات وأكثرها تميزا في الأقاليم المذكورة؛ وفي المجلد أيضا أخبار المخطوطات وموروث العلماء منذ القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة النبوية وصولا الى عصر الشيخ ومن عرفهم من أهالي البلدان التي تنقل فيها أو زارها او جالس أعلامها.

وأما المجلد الآخر: فتميز بالتركيز على الأحداث التاريخية التي مرت بها الجزائر بدءًا من الفترة الاستعمارية مرورا بالاستقلال وما تخلل ذلك من أحداث عرفتها البلاد والأقاليم الثلاثة، وأشهر المعارك التي احتضنها الجنوب والمقاومات الشعبية، وضمنه الشيخ أشكالا وألوانا من المحاورات التي انعقدت بين علماء الصحراء وساكنة القصور[10] (القرى والمداشر)، وضمنه ملحقا بأسماء الزوايا المنتشرة في أرض الوطن وشيوخها، وأسماء المجاهدين، وأشار إلى مختلف الثقافات وشجرات الأنساب وجملة من الفوائد المتفرقة، بحسب حاجة السرد والإخبار في الموضوعات؛ وكان مجموع صفحاته ثلاثًا وتسعين وخمسمائة صفحة (593).

وكان الشيخ يعلم مدى فضول القارئ لمعرفة محتويات الرحلة فنظم في ذلك أرجوزة من ثمان وسبعين بيتا؛ قال: «ولقد جمعت بعض العينات من هذه الرحلة وجعلتها نظما يعطي صورة مصغرة لما في هذا البحث من الوقائع والبحوث... (الحمد لله الذي قد صلّا * على النبي سبحان ربي جلّا)..»[11] إلى آخر النظم؛ ضمّنه مختلف المواد والموضوعات والأخبار والوقائع والأحداث والمأثورات واللطائف والملح والأفكار والأشعار وغير ذلك مما وقفت عليه ومما لم أقدر على اللحاق به، أو ذكره، وأفردت لهذا النظم جانبا في الملحق لهذا البحث[12].

ثانيا: الأقاليم الكبرى

أما توات الإقليم: فإنه يقع في الجنوب الغربي من الجمهورية الجزائرية وهو أكبر أقاليم ولاية أدرار الأربعة وأشهرها (قورارة، توات، تيديكلت، تنزروفت)، يتشكل من قصور وواحات عُدّت في أزيد من خمسين بعد ثلاثمائة واحة [350]، على امتداد ألفي ميل مربع من الرمال، بين خطي طول [4 غربا–1شرقا]، وخطي عرض: [26 – 30 شمالا][13].

يشير محمد باي بلعالم في رحلته في باب الحديث عن: "الموقع الجغرافي لتوات والتأسيس"[14] بقوله: «توات منطقة جزائرية لا تتجزأ منها، دينها الاسلام وموقعها الجنوب الجزائري وتنقسم إلى ثلاث مناطق:

أولا: تيديكلت من فقارة الزوى شرق عين صالح إلى تيمقطن.
ثانيا: المنطقة الوسد من عريان الراس (تسابيت) إلى انتهنت (رقان)
ثالثا: منطقة قرارة (تيميمون) إلى تبلكوزة.»

وأشار بعض الباحثين إلى أن أصل كلمة "توات": تكرورية ومعناه في إحدى الروايات: وجع الرأس[15]؛ وقيل اسم لأحد العروش المنحدرة من قبيلة ذوي اللثام الذين ينتشرون في وسط الصحراء وهذا (رأي الرصاع)[16]، وربما أصلها أعجمي بمعنى، يناسبهم أي: يواتيهم في قبائل نزلت الاقليمَ واختارته دون غيره لما وجدت المكان يناسبهم في منتصف القرن الثاني عشر للميلاد[17]، وقد وردت في مقدمة ابن خلدون إشارة لطيفة إليها في ديوانه: إذ يقول: «تلك المقاطعات الواقعة بمحاذاة وادي مسعود فقط»[18].

ويرى الشيخ محمد باي بلعالم أن كلمة "توات" مشتقة من الأتوات، ما يتم تغريمه من الناس أو جبايته، من ذلك الفواكه والخضر التي تقدم لملوك الدولة الموحدية، وربما هي مشتقة من مرض الرجلين (توات) وفي هذا حكاية تروى عن السلطان كنكان موسى الذي نزل المنطقة أثناء سفره للحج وحينها كان أصحابه تخلفوا عنه لوجع أصاب أرجلهم، منذ الحادثة سميت الأرض باسم المرض، ويضيف الشيخ رأيا آخر، إذ أن الأرض تواتي وتناسب الاستقرار والتفرغ للعبادة[19].

وقد أحسن الشيخ وصف البلاد واشتقاق الأسماء بناء على طبيعة الأرض وجغرافيتها.

ثالثا: طبيعة المنطوق والعلاقات الاجتماعية:

اعتمد الشيخ أسلوب التنميط والتنويع، بحيث ينسب كل شيء بحسب صفاته ودلالته، ويؤسس للموضوعات بالنظر إلى الاختلاف والتشابه الملحوظ بين المسميات والصفات، ويضع كل ذلك ضمن قالب الأطر الثقافية للمجتمعات وما يرتبط بها من عادات وأعراف وأحكام، وكذا ما يترتب عنها من موروث حضاري.

ويمكن أن نستنتج ونحن نطالع الرحلة ونتتبع الأسماء وطبيعة المسميات نتيجة مقدمة، مفادها: أن الأسماء على تعددها وكثرتها في الأقاليم التي أشرتُ، فهي لا تتعدى القاموس اللغوي الواحد، وهذا القاموس ينتشر عبر الأقاليم من الحدود إلى الحدود، فلا تكاد تجد الأسماء تتعارض مع المسميات إذا انتقلتَ بين هذه القرى والمداشر أو الأقاليم التي تضمّها، وقد تتعدد المعاني لكلمة واحدة مثلما يحصل مع المصطلح اللغوي الدقيق (فقد تتعد المفاهيم والمصطلح واحد)؛ لذلك لا يجد الساكنة صعوبة في التفاهم والتآلف، فالمعتقدات واحدة والأعراف مثلها ومستويات الحضارة ذاتها، مع أن الناس في البلاد يتكلمون لغات ولهجات[20] متفاوتة ومتباينة، لكن دوما يتفقون في كل شيء؛ ويعقدون معاملاتهم التجارية بصورة متناهية الانسجام ويتبادلون العلوم والدروس والفقه والأحكام، ويجتمعون في مواسم سنوية محدد الزمان والمكان[21].

وليس هذا فحسب فالعربية هي الأخرى متلونة عندهم، فانت تسمع في **اولف AOULEF** على سبيل المثال عربيةً تكثر فيها المدود والحركات الفرعية الطويلة واستعمالهم هاءَ السكت في أغلب المسميات على نمط العرب في شبه الجزيرة قديما وتتساوى فيها بعض الحروف مثل السين (س) والثاء (ث) والذال (ذ) مع الزاي (ز) ويختفي الظاء (ظ) ويستبدل الضاد المفخمة المطبقة (ض)

بالضاد المرققة فتلتبس بالدال (د)؛ وإذا انتقلت إلى منطقـــة رقـــان **REGGANE** المدينة وضواحيها، ستجد لسانا خفيفا والأصوات تتوالى بشكل سريع فيلزمك زمن حتى تألف السماع لتفهم منطق هؤلاء الناس، ولا تقف على الحركات القصـــيرة أو الطويلة إلا السواكن؛ ولا تنس أن اللهجة التارقية تسود في المنطقة مثل العربية.

وحينما تبتعد من رقان بحوالي أربعين كلومترا (**40** كلم) ستدخل نطاق ســـالي **SALI** وبعده صعودا نحو المدينة أدرار، بحيث يختفي صوت الذال مثل الظاء في والضاد ويستبدل بالتاء مع صفير لطيف عذب المسمع، غيـــر أن معـــالم اللســـان العربي تطغى على هذا الإقليم وهو الذي يسمى توات الوسطى، لأنها خالية تمامـــا من اللهجات استعمالا بيد أن أغلب أسماء القـــرى والمداشـــر والبلـــدان محفوظـــة ومستعملة بغير العربية، وبالتحديد هي أمازيغية محضة، وجميلة المنطق ومشـــتقة من طبيعة المكان وجغرافيته أو صفات الساكنة أو أخلاقهم وأعرافهم وثقافتهم[22].

وإذا تنقلت إلى قورارة GOURARAH ستلمس شيئا بـــديعا لا تلاحظـــه فـــي اللغات العالمية، ذلك أن عربية الناس هناك تمتزج باللهجة الزناتية من حيث صفات الأصوات، فإذا كنت تستمع للعربية سيخطر على مسمعك ذات هنيهة انك تســـتمع الى الزناتية في تداخل الحروف اللثوية العربية مع اللهجة البربرية، وأعتقد انها من خصائص الظواهر الصوتية العربية مثل النبر والتنغيم، فمقاطع الجمل بين العربية والزناتية متكافئة الي حد بعيد؛ تابع معي المقاطع الآتية[23]:

المقطع بالعربية	المقطع بالزناتية	عدد الكلمات	عدد الأصوات
صباح الخير	صباح الخير فلاون	3	13
نسيت المفتاح	اتوغ تناست	2	9
أخبرتك	علم اغشك	2	7
كيف حالك؟	مانكيت لليد	2	10
هات	أويد	1	4
هذا ابني	واي دمي	2	6
كان كريما	إكان داكريم	2	10
اجتمِعوا	امغاوت	1	6

مرحبا بكم	مارحبا سيسون	2	11
البلاد الجميلة	تاموحت توصبيحت	2	11
أنا مسافر	لا خطرغ	2	6
لم أفعل هذا	وامو اداغش وو	3	11
اللغة صعبة	أوال يوعا	2	8

هذه المقاربة المحدودة نوعا ما تدل على تماسك عريق بين الألسنة الشائعة في الأقاليم، وهذا يدعم الحكم المتعدي بثقة عالية على أن القبائل والأهالي في توات مترابطون في البنية التحتية العميقة عمق تاريخ البلاد، ولا تفرقهم المساحات أو الأماكن.

رابعا: مقاربة ثقافية عن الحال:

يحضرني في هذا المقام –في ظل الحديث عن علاقة القبائل والشعوب من حيث البنية التحتية العميقة– ما كان بين قبائل العرب في الجاهلية وبعيد الإسلام، وهو مشهد مشابه تماما لما يحصل في توات حتى عصرنا هذا ويومنا هذا، وهو تنظيم المواسم أو قل: الزيارات (مفردها زيارة وهي الوعدة في الشمال).

فقد اشتهر العرب قديما بمواسم ثقافية وأسواقٍ تجارية وثقافية في الآن ذاته، يتبادل فيها العرب ألواناً من مظاهر الحياة وفنوناً من الأدب، وثقافات أصيلة ودخيلة على السواء، وكم كان أثرها واضحًا في تهذيب اللغة العربية. وفي حديث ذكره "ابن حجر العسقلاني" (ت852هـ) وردت أسماء لأسواق كانت محجّة الناس في الجاهلية واستمروا عليها في الإسلام ونصه: «... عَنِ ابْنِ عَبَّاس[24] رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَتْ عُكَاظٌ وَمَجَنَّةُ وَذُو الْمَجَازِ أَسْوَاقًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا كَانَ الإِسْلاَمُ تَأَثَّمُوا مِنَ التِّجَارَةِ فِيهَا فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾[25] في مواسم الحج قرأ ابن عباس كذا»[26].

وبصورة التجارة والتسوق وطبيعة التلاقي في هذه الأسواق بين قبائل العرب تحدث المقارضة بالقول وتبادل الأشعار والمفاوضة في الرأي والتباهي بالفصاحة بينهم، ذلك بعض أسباب توحيد اللسان العربي، ففي هذه المواسم يتعمد الأديب – شاعرًا كان أم خطيبًا – اختيار ما شاع من ألفاظ القبائل العربية واشتهر قصد ذيوع صيته وانتشار مدوناته واستمالة الرواة[27]؛ وكانت الأسواق التي أريد تقام في أوقات محددة وأماكن كذلك، وهذا وجه شبه مع واقع توات قديما وحديثا، ويتنقّل

الناس من بعضها إلى بعض، وفي ما يأتي سردٌ لمواضع أشـــهر هـــذه الأســـواق ومواقيت إقامتها أو الإقدام عليها، على الترتيب الزمني الذي عرفته العرب[28]:

دَوْمَة الجنْدل: ينزل فيها العرب أول أيام شهر ربيع الأول.

هَجَر: سوق بالبحرين يتوافدون عليها في شهر ربيع الثاني، تقام بعد سوق دومة الجندل.

عثمان: وهي سوق أخرى في البحرين، تقام بعد سوق هجــر، طــوال شــهر جمادى الأولى.

المُشَقَّر: شوقٌ تقام في حصن بالبحرين، بعد سوق عمان، في أول أيام جمادى الآخرة.

صَحار: تقام هذه السوق بعد مضي عشرين يومًا من شهر رجب.

الشَّحْر: سوق تقام على الساحل بين عمان وعدن، بعد مرور نصف أيام شهر شعبان.

عدن أبين: تأتي بعد الشّحر، وهي جزيرة في اليمن تنسب إلى أبين، الذي أقام بها.

حضرموت: تقام في منتصف شهر ذي القعدة، ومن العرب من يجوزها وينـــزل صنعاء، فتكون هذه سوقًا أخرى في ذات الشهر.

الحج الأكبر: وهو الموسم الذي كان وما برح يُقام قبل الإسلام وبعده في شهر ذي الحجة، في مكة المكرمة موضع البيت الحرام ومهبط الــوحي، ويشـــهد هـــذا الموسم دون سابقيه توافد القبائل العربية كلّها قبل أن يكون فريضة فـــي الإســـلام، وتوافد الأمم الأعجمية بعد الفتوحات الإسلامية.

عُكَاظ: كانت سوق عكاظ[29] آخر أدوار العرب عامة وقريش خاصة فـــي مســـيرة تهذيب لغتهم[30]، وهي أعظم أسواقهم، أقاموها بعد عام الفيـــل بخمـــس عشـــرة ســـنة (540م) ثم استمروا عليها بعد الإسلام، حتى سنة تسع وعشـــرين بعـــد مائـــة هجريـــة (129هــ)[31]، لما نهبها الخوارج الحرورية[32]، حين خرجوا بمكة مع المختـــار بـــن عوف، وكانت تُقام مطلع شهر ذي القعدة وتدوم لعشرين منه[33]،هناك تجتمـــع قبائـــل العرب كلّها في ذي القعدة، متوجهين إلى الحج الأكبر في مكان يقال لـــه " الإبتـــداء"، حيث يتناشدون ويتحاجون على مشهدٍ أشراف القبائل كلها[34] « وهم كانوا لذلك العهـــد يتعلقون بالكلمة السائرة والخبر المرسل»[35]، وكل طرف يعرض ما أوتـــي لـــه مـــن الفصاحة والبيان ونحوِهما ويفتخر، وفـــي عكـــاظ ضـــربت قبـــة للنابغـــة الـــذبياني

(ت18ق.هــ)، يعقد فيها محاكمة[36] للشعراء، وتشبه عكاظ بعد الإسلام مربد البصرة، فكانتا سوقين أشهر من غيرهما، وهما إلى ذلك من أبرز مظاهر الحضارة العربية[37].

هذه أسواق كانت بين العرب والعرب، وهناك أسواق أخرى كانت بين العــرب والعجم، يجتمعون فيها للتجارة والترفيه، مما فتح الأبواب أمام الــدخيل والمعَــرّب بصورة واسعة مثل سوق الأبُلَّة ولقه والأنبار وسوق الحيرة[38].

خامسا: قاموس أسماء الأماكن والقرى

سأعدد بدايةً جملة الأنماط التي خصصها الشيخ فيما يتعلق بالأسماء في رحلتــه العلية، وسأرتبها وفق ترتيبه في المجلد الأول حتى المجلد الآخر، وسأضـــع رقــم المجلد والصفحة التي تحوي كل نمط مثل ما هو في الكتاب بين قوسين وبــالعنوان حرفيا، كما يأتي:

أسماء البلديات التي فيها مقر المدارس (مج56/1).
أسماء القرى التواتية لولاية أدرار (مج61/1).
ملحق لتعريب بعض قرى توات المسماة بأسماء بربرية (مج68/1).
أسماء النخيل في الواحات (مج1/ 122).
أسماء الزوايا وتاريخ تأسيسها (مج1/ 437).
أسماء الأعشاب والأشجار الموجودة في توات (مج2/ 252–253).
الشجرات النسبية لبعض القبائل (مج2/ 544).

وسأخص الأنماط التي تدلّ على الأماكن وحسب بالشرح والإحصاء، على التــوالى في المرحلة الآتية؛ مع العلم أن هذه الأسماء متداولة جدا بين الســاكنة فــي الإقــاليم، ومحفوظة في الأذهان يعرفها الخواص والعوام، ذلك لأن المقاســم المشــتركة بــين مختلف الشرائح والأفراد في المجتمع التواتي تنقسم بدورها إلى قسمين، منها مســميات تتوفر في كل منطقة وقرية، ومنها ما هو مخصوص لدى مجموعة قرى ولا يتوفر في بقيتها[39]، مثل النخيل فهي عامة تتواجد في كافة الأماكن من فقارة الزوى إلى تبلكوزة ولا يقع الاختلاف إلا في الأنواع، وأغلبية أسماء النخيل: تجازة، وتلمسوا، وتتقربــوش، وتناصر؛ هذه أشهر الأنواع في الأقاليم وأكثرها شيوعا[40].

وكانت تستعمل في المقايضات التجارية والتبادلات الاقتصادية الجارية بــين النــاس، ذلك ما يعزز أواصر التكافل والتضامن بينهم، ويكرس روح العمل والتفاني لديهم.

وتوجد إلى جانب النخيل تجد الزوايا العلمية ودور الضيافة، ومثلها الفقاقير التي تمثل آبار المياه والري في الأقاليم، إلا إذا استثنينا بعض البلـديات مثـل شـروين وتنركوك وبعض قرى أوقروت[41].

أسماء البلديات التي فيها مقر المدارس:

إن ما يميز أسماء الأماكن في الأقاليم التواتية تلك اللغة الأمازيغية التي تطبـع غالبيتها، وهي مشتقة بحسب القواعد التركيبية المعمول بها في هذه اللغـة، ولهـا دلالات متنوعة للأشياء والأوصاف والأخلاق والأعراف والعادات والتقاليد؛ هـذا التمازج بين اللغتين العربية والأمازيغية له جذور في التاريخ البعيد، يجعل شـعرا خاصا بالانتماء يطغى على كل الساكنة والأهالي والمجتمعات؛ وتـرى فـي هـذا العنوان أنه مقترن بذكر المدارس التي تنشر علوم الشريعة وأصول الفقـه وعلـوم اللغة، وأعتقد ان ذلك يكفي لشهرتها وتعريفها بين الناس أجمعين، وقـد آثـرت أن ادخل من هذا الباب في هذا البحث؛ وسنتبين ذلك في الأسماء الآتية:

الرقم	البلدية	المدارس
1.	رقان	ثلاثة مدارس[42]: رقان المركز، باحو، سالي
2.	زاوية كنته	ثلاث مدارس: مدرسة أنزجمير، مدرسة سيداحمد الرقادي، مدرسة سيد علي بن حنيني زاجلوا.
3.	بلدية فنوغيل	مدرسة تاسفاوت
4.	بلدية تمنطيط	مدرسة الشيخ احمد بن ديدي، مدرسة الشيخ عبد القادر نومناس.
5.	بلدية تيمي	مدرسة مهدية
6.	بلدية أدرار	مدرسة الشيخ بلكبير الكبرى، مدرسة الشيخ سالم، مدرسة أوقديم الإمام مالك، مدرسة أدغاغ
7.	بلدية بودة	مدرسة الشيخ الحاج الكبير لغمارة
8.	بلدية تسابيت	مدرسة الأعياد
9.	بلدية أوكروت	مدرسة أوكروت
10.	بلدية تيميمون	مدرسة بني مهلال، مدرسة سيدي بوغرارة
11.	بلدية تينركوك	مدرسة السيد الدباغ

يأتي على ذكر القصبات في خلال ذلك، وهي كما يقول الشيخ تعدّ الحصون التي يسكنها الأهالي في الماضي، وما من قصبة هناك إلا محاطة بخندق وقنطرة عند مدخلها[43]، إلا أن الخراب اكتسح أغلب هذه القلاع وبقي اسمها وتاريخها المقيد في المخطوطات والوثائق.

وأشهر هذه القصبات[44]: قصبة بلال وقصبة ميخاف في أولف الوسط، وقصبة السيد وقصبة الجنات في تيمقطن، وقصبة سيد العابد في أقبلي، والقصيبة في تيط، والقصبة في إنغر، وقصبة الشيخ مولاي عبد المالك في تيمادنين، وقصبة الشيخ سيدي محمد في انتهنت برقان.

1)أسماء القرى والأماكن المشهورة بالأمازيغية ومعانيها:

الاسم	معناه في العربية	الاسم	معناه في العربية
تسابيت	المكان المعزول عن الطريق	واينة	أصله ماينة (ماذا قالوا؟) قلبت الميم واوًا
طلمين	النواق	أوقديم	الحشيش اليابس الذي يوجد فيه السواد
أدرار	الجبل	تاريدان	الضيعة
تيمي	الجبهة	تين إيلال	مركب: مكان الأحرار
تمنطيط	مركب: الجبهة والعينان	نومناس	مركب (نو: بير. مناس: إناء الشرب)
تاسفاوت	الشهباء وهو لون أرضها (تافزا)	تامّست	النار
فنوغيل	مركب: آثار/ الذارع	تيطاف	شُدّي مؤنث: أطف (شدّ)
أغرم يانو	مركب: بلدي/ متاعي	إيكيس	أقلع
أتمسخ	تمهل وتأنى	تيوريرين	الأودية الطويلة أو الجبال الطويلة
مكرة	الأرض الصفراء	ودغا	هات عاجلا
مكيد	الفحيلة	زاقلو	قطع اللحم
تبركان	شجرة الأثل (تبركات)	أغرمامالال	مركب بلاد الأبيض
أدمر	الفقار الصدري	تاظول	الحكل للعيون
أظوى	شجر الأثل المثني : تينظاواتين. جمعها: إن ظاوى	تيدماين	الفتنة بين المتضاربين بالسيوف

تيطاوين	العينان	تيلولين	المكان الذي ينبت فيه السبط
رڤان	الجمل الكبير الراقد وفي هذا المكان مات الجمل الذي كانت تمتطيه الملكة تينهينان	تاورير	الحجارة المستديرة
إن تهنت	صاحب الحجارة	تينولاف	مكان الحنظل المرّ. وهي في رڤان
تاعرابت	المرأة العربية	النفيس	رش الماء (مثل أنفيس في مالي وهي أرض التوبة)
أنزڤلوف	مكان الغنيمة	بريش	ما عليه شي (يقابله في مالي بئر يسمى: تابريشت)
سالي	علاق الراحلة	ماتريون	ما يريد كبير لاقوم
تقراف	مكان الجز وتترد عليه الغنم وتشرب منه	إلغين	أمخاخ الساقين وهذه القرية غامرة الآن حيث اغتال فيها التوارق الجاسوس "دو"
تيط	العين	إيكسطن	أمانتك للحفظ
إينغر	الشعبة أو المكان المنخفض	امبلبال	مكان تنبت فيه شجرة البلبال

ومازالت كتابات التيفيناغ مرسومة ومنقوشة في بعض جبال أولف وخاصة كدية النعام(45).

خلاصة:

أجدني في ختام هذا البحث البسيط – الذي أعلم جيدا أني لم أحط بجميع أطرافه – أحاول تحديد جملة من الخصائص اللغوية من أجل وصف مجمل الأسماء ما ذكرته سابقا وما لم أذكره بسبب حدود البحث ووقته، وإلا لفضّلت أن اتوسع فيه حتى يستوفي الحقائق والبيانات اللازمة ليكون علميا موضوعيا خالصا، ولكن ربما يجد القراء إشكالية جديدة فأكون بذلك فتحت بابا جديدا للبحث والتنقيب في أسرار لغتنا الجميلة واللغات التي تتعايش معها في كل زمان ومكان من ربوع هذا الوطن الكبير.

أرتب جملة هذه الخصائص كما يأتي:

لقد ذابت بعض الألفاظ الفارسية قديما في الألسنة العربية وطوعها العرب وأخضعوها للموازين والقواعد اللغوية خاصتهم، وهذا ما حصل لكثير من المفردات البربرية التي ألفها الناس على أنها من لغتهم وأخضعوها لاستعمالاتهم اليومية، ولا تكاد تكشف عنها إذا لم تكن صاحب اختصاص أو علم باللغات.

العلاقات اللغوية بين الساكنة في الأقاليم المذكورة تتعدى الحدود وتتعدى الألسنة، تدعمها العلاقات الاقتصادية والتجارية وحتى السياسية أحيانا، مما فرض على الناس طابع الانتماء المباشر وغير المباشر من أجل تكريس المبادئ ونشر المعارف وتوسيع الأسواق وتمجيد الزيارات والوعدات، وكذا من أجل الحفاظ على أمن البلاد واستقرارها.

استعمال الألفاظ البربرية ليس أمرا غريبا عن أهالي هذه الأقاليم لأنهم في الأساس أمازيغ عربهم الاسلام مثل ما يقول ابن خلدون في مقدمته.

تخضع الأسماء في مختلف موضوعاتها ومعانيها إلى ميزان صرفي مطابق لموازين الفصحى، بما في ذلك اللواحق والسوابق حروف الزيادة وصيغ المبالغة.

إقليم توات نسخة مصغرة عن الصورة العامة للبلاد الكبرى الجزائر فهو تشكيلة أو قل: كشكول متنوع – كما وصفه الشيخ محمد باي بلعالم– من الثقافات والأجناس والقبائل والبطون والطوائف، ينصهر بعضها في الآخرين لأطماع سياسية أو تاريخية أو جغرافية أو اقتصادية أو اجتماعية أو عرقية أو دينية.

اتساع الرقعة الجغرافية يحفظ للأفراد طابعهم الثقافي الذي توارثوه ونشأوا فيه، ويمنع عنهم الاختلاط بالأجانب، وهو طابع مازال يتصف به كثيرون من ساكنة الأقاليم التواتية.

الرحلة العلية معجم تواتي متفرد، يشمل أغلب الأخبار والثقافات والأحاديث عن الجنوب الغربي والجزائر بعامة، وهو خلاصة فكرية علمية تاريخية موضوعية تركها الشيخ محمد باي بلعالم أمانة للأجيال اللاحقة ومنارة للباحثين والطلاب في كل زمان ومكان.

في الختام أدعو الله أن يتجاوز عن أخطائي وأن يهديني إلى سواء السبيل.

مصادر البحث ومراجعه:

- أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي للمدارس، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1420هـ/2000م.

- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحق: عبد العزيز بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي دار مصر للطباعة، مكتبة مصر، ط1، 2000م.

- محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، دار هومه، الجزائر، طبعة 2005.

- محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأحكام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2011م.

- مخطوط جوهرة المعاني في تعريف ما ثبت لدي من علماء الألف الثاني، ابن عبد الكريم، المكتبة البكرية، تمنطيط، والجامع الكبير أدرار.

- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ / 2000م.

- السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، مؤسسة المعارف، بيروت ن دون تاريخ.

- فرج محمد فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر.

- https://www.djazairess.com/elkhabar/413977

ملاحق:

ملحق رقم: 01 / نظم بالموضوعات التي وردت في الرحلة العلية. الشيخ

منهجية الكشكول وعدم التقييد بالأبواب والفصول وما يلحق الأبواب والفصول من المباحث وذلك نظراً إلى أنَّ هذين الموضوعين لا يمكنني تحديد المعلومات بدون إلحاق ولا إضافة لمعلوم لم يسبق لي اطلاع عليه، ثمَّ بعد ذلك عثرت عليه وخصوصا أن المراجع متفرقة والروايات متغايرة فالتقسيم بالأبواب والفصول وما أشبه ذلك فيه إطالة للبحث ومشقة في التنقيب.

ولقد قلت في المقدمة: إنَّني غير ملتزم بالترتيب ولا بالتقديم والتأخير بل كلما تحصل لي علم معلوم ألحقته غير مبال بأنه يحق له أن يتقدم أو يتأخر من هذا المنطلق فإن

ملحق رقم: 02

يا أيها الباحث في توات ... وما تضمنته من عادات
ومن زوايا وقصور ونبات ... ومن شيوخ بالعلوم وصفت
وعن قبائل كثيرة العدد ... وعن نزوح ومواطن تعد
وعن نخيلها وعن جبال ... وعن معادن وعن رمال
وعن فقاقير ومخطوطات ... وما تحجر من الغابات
وعن إجازة الشيوخ العلما ... لمن بعلمهم أفاد وانتمى
وعن مساجد الصلاة والجمع ... وعن مدارس العلوم إذ تقع
وعن وقائع الجهاد لما ... أتى العدو لتوات ظلما
ومن خلال ذاك من استشهدوا ... لدى المقاومة في صد العدو
وعن قوافل من البلدان ... مرت بها في غابر الأزمان
وعن تبادل التجارة وعن ... ثقافة قد نشروها في الزمن
نشرهم للعلم والقرآن ... وذاك في مختلف البلدان
وعن شيوخ رحلوا لفاس ... وعلموا العلم فيها للناس
وعن إمام طرد اليهودا ... وبقيت طريقهم مسدودا
وعن قضاة للجماعة انتموا ... بالعدل والعلم الصحيح قد سموا
كالبكري والتواتي في المثال ... ومثل عبد الحق والبلبالي
وعن شيوخ صالحين في البلاد ... هم بلا شك من أشرف العباد
قد خلفوا لنا تراثا خالدا ... وذكرهم به الحياة أبدا
وفي توات شعراء مفلقون ... فمنهم الأحيا ومنهم ميتون
وعلماء جمعوا للعلم ... ثقافة الشعر بكل فهم
كإيدا والبداوي والمزمري ... والشاعر البكري ذي المآثر
قد خلفوا ثقافة مفيده ... ونظموا قصائدا عديده

ملحق رقم: 03

ولقطات لخصت مما كتب	فرج محمود تفرج الكرب
كذاك من جوهرة المعاني	للعالم البكراوي ذي الإحسان
ودرة الشيوخ في توات	للشيخ عبد القادر المواتي
وذكر أنواع النخيل في الواحات	وذكر ما سمي منها في توات
وذكر ما فيها من الفوائد	وذكر سقيها من الموارد
كذا الكتابة على الأحجار	والشارف المعروف في الآثار
وفي تماسخ تبدى الغار	وهو في تاريخنا آثار
والغار في الرحلة لم يسجل	لكنه في الآثارات منجلي
فارحل إلى الرحلة تلف ما ذكر	مما تقدم وما له تأخير
وفيها تنديد بفعل الشعوذه	وكل ما الشيطان قد استحوذه
كذا المخدرات وهي خمر	وبعدها الدخان فيه الضر
والطب بالأعشاب وهو خطر	للمتطفل فالأولى الحذر
كالنقد والحنظل وهو سم	يضر جسم من له يؤم
وفي توات أزمات ظهرت	كذا القنابل بها قد فجرت
وثورة ما نجحت للزارعين	وعوضت بالدعم للمستثمرين
وذكر ما وقع من غارات	خلال ألفين لدى توات
جزأرة القطر التواتي شرعا	إذ ذا لتقرير المصير طبعا
وهذه الحقيقة المرضيه	ذكرتها في الرحلة العليه
لها من الدلائل القطعيه	ما ترتضيه سائر البريه
ولهجة تركها الأعجام	لا زال ينطق بها الكلام
كمثل أسماء القصور والنخيل	واسم الفقاقير كتيط وأغيل
وتنغ بويا مصحف قديم	عاش القرون مثله عديم

ملحق رقم: 04

كيفية التعليم في المدارس ... والكتب المرجع للمدرس
والبدء والختام للجوامع ... والحفل في ختامها للجمع
أسابيع القرآن والملتقيات ... وندوات العلم والمحاضرات
مدرسة القرآن للفلاني ... في ساهل تنسب بالبيان
أما المدارس التي قد بنيت ... في قطرنا وللعلوم بُثِّثَتْ(*)
مدرسة الشيخ الشهير الطاهر ... الحسني السباعي ذي المآثر
وابن الكبير العالم الجلي ... ونجل ديدي شيخنا العلي
فهم شموس العلم في توات ... ولهم فروع في الجهات
من هذه المدارس الشهيره ... تفرعت مدارس كثيره
فمنها داخليات عبر الوطن ... عشرون في تواتنا نلت المنن
في الشرق والغرب وفي الجنوب ... وفي الشمال الباقي يا محبوبي
مدرسة بابن عمير سميت ... أي مصعب وفي الركينة بنيت
فانظر لما قد جمعت من النظام ... كذاك ما قد حققت من الجسام
قد ألفت فيها من الفنون ... ما ناهز العدد الأربعين
ومنها قد تخرجت رجال ... تعلموا وعلموا ونالوا
والقصبات شيدت في المنطقه ... وهي قلاع وحصون مشرقه
والقصبات طوقت بالخندق ... لدفع كل صائل وطارق
وجعلت من فوقها الحجاره ... للعون في إسقاطها في الغاره
وفي جدارها نوافذ صغار ... وآلة البارود منها تنتشر
وشجرات ذكرت للنسب ... خصت شرائح سمت بالحسب

---

* بُثِّثَتْ: من بثَّ الخبرَ، يبثُّهُ وبَثَّثَهُ: نَشَرَهُ وفَرَّقَهُ. (مختار القاموس: ص 38)

ملحق رقـم:

ورحلة المغرب ضمت جمـه   مـن المـآثر فنعمـا نعـمـا

وقد حظيت بلقاء جملـه   مـن علماء العصر خيـر أمـه

هم من قضى   جازاهم الإلـه خيـرا ورضـا   فمنهم الحي ومنـ

علـى فوائـد   مـن اللقـا بهـم وبالـموائـد   وقـد تحصلـت

ـات يسيـره   لخصـتها مـن ثـروة كثيـره   فـهـذه عينـ

للباحث المجد في النقول   فهي كالتمرين والكشكول

قافا ولاما ثم هاء فاسمع   جمعت في الرحلة من مراجع

لمائة ورمز مائة في قاف   أي خمسة مع الثلاثين تضاف

من المتين والزبيد طبعا   وجمعت من البحوث سبعا

شين وقاف ثم دال عده   وعدد الصحائف المعده

باي بن عبد القادر الفقير   من بحث عبد ربه القدير

على النبي الهاشمي أحمدا   وصل يا رب وسلم أبدا

الاحالات

---

(1) هو الشيخ محمد باي أبو عبد الله بن محمد عبد القادر بن محمد بن المختار بن أحمد العام القبلاوي الجزائري (مالكي المذهب) الشهير بالشيخ باي يرجع نسبه إلى قبيلة فلان التي تضاربت حولها الأقوال واختلفت فيها الآراء والشهير أن أصولها تعود إلى قبيلة حمير القبيلة العربية المشهورة باليمن ولد الشيخ عام 1930 م في قرية ساهل من بلدية اقبلي بدائرة أولف ولاية أدرار بجنوب الجزائر، وله أربعة إخوة هو خامسهم وترتيبه بينهم الثالث، كان والده محمد عبد القادر فقيها وإماما ومعلما، من مؤلفاته: (تحفة الولدان فيما يجب على الأعيان – منظومة الولدان في طلب الدعاء من الرحمن – منظومة حال أهل الوقت حارب فيها أهل البدع والخرافات – وله عدة قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم... ورغم انشغاله وجسامة المسؤوليات الملقاة على عاتقه إلا انه لم يتوقف عن التحصيل العلمي فقد ارتحل إلى عدد من البلدان العربية والتقى فيها بعدد من طلبة العلم والمشايخ فأفاد واستفاد، من هذه البلدان: تونس والمغرب الأقصى وليبيا والمملكة العربية السعودية، حيث كانت زيارته الأولى للمملكة العربية السعودية عام 1964م، بقصد الحج والزيارة، وعاد إليها عام 1974م للمرة الثانية، ومنذ ذلك العام لم يتخلف عن أداء هذه الفريضة إلى عامنا هذا، فله اليوم 01 محرم 1430هـ 29 ديسمبر 2008م: 37 حجة و14 عمرة.. توفي رحمه الله تعالى ليلة السبت إلى الأحد الموافق لـ 19 – 20 أفريل 2009م.

(2) محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، دار هومه، الجزائر، طبعة 2005، ج1/ ص:جـ– د. وكذلك: الطبعة الخاصة من الكتاب نفسه: الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأحكام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات ، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2011م مج1/ ص: 7-8.

(3) المرجعان نفسيهما، والموضعان كذلك.

(4) يأتي تعريف الأقاليم في العنصر الثاني من البحث: ثانيا: الأقاليم الكبرى.

(5) محمد باي بلعالم، الطبعة الخاصة 2011، ص: 8.

(6) تقع المدرسة في مدينة أولف، هذه المدينة هي عاصمة إقليم تيديكلت؛ هي مدرسة "مصعب بن عمير الدّينية للعلوم الشّرعية أسّسها العلاّمة الشيخ محمّد باي بلعالم، رحمه الله تعالى، في فترة الخمسينيات أثناء الاستعمار الفرنسي كانت في بداياتها ذات نظام خارجي؛ أَغْلَقَت فرنسا أبوابها مدّةً أثناء ثورة التحرير، فأعاد الشيخ رحمه الله افتتاحها مع فجر استقلال الجزائر، وحولها إلى النظام الداخلي كذلك؛ وفي سنة أربع وستين وتسعمائة وألف (1964م) أصدرت الدولة مرسوما بتعيين الشيخ إمامًا وخطيبًا ومفتيًا ومدرّسًا، لمسجد أنس بن مالك ومدرسة مصعب بن عمير الدّينية؛ كان هدفه الأسمى تحفيظ القرين الكريم وأصول الفقه على المذهب المالكي، وكان نمط عمله في العادة درس بعد الفجر لعامة المصلين، وآخر في المدرسة العتيقة بين الظهرين، وآخر في زاوية حينون قبل المغرب، والسّيرة النّبويّة في شهر المولد بعد المغرب، ويشتهر الشيخ بختمتين واحدة لصحيح البخاري وأخرى لموطأ الإمام مالك قراءةً وشرحا مرة كل سنة، وختمة صحيح مسلم كل سنتين؛ تم توسيع المدرسة عام إحدى وثمانين وتسعمائة وألف (1981م) وتعززت بقسم للنساء والبنات، وفتح أبواب الداخلية للطلبة القادمين من شتى أنحاء الوطن والبلاد.

ينظر: https://www.djazairess.com/elkhabar/413977

(7) محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، مرجع سابق، ص: 123؛ وكان أطرف ما جاء به أنه زاوج بين بحرين في قصيدة واحدة بموضوع واحد؛ بين المنسرح الذي أجزاؤه: "مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُوْلاتُ مُسْتَعِلُ"؛ والبحر البسيط الذي أجزاؤه: مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلُنْ؛ فتقرأها تارة على بحر وفي أخرى على آخر: فأنشد الشاعر القصيدة على [المنسرح] وقال:

عدمت ليلى وقلبك احترقــا * من أجل فرقتها وما ســبقا

عاهدتها في الدجى بقبتهــا * وكنت تطرقهــا إذا اتســقا

ثم أنشد القصيدة ذاتها على [البسيط]:

عدمت ليلى أخي وقلبك احترقــا * من أجل فرقتها العظمى وما سبقا

عاهدتها في الدجى لــيلا بقبتهــا * وكنت تطرقهــا بــه إذا اتســقا

(8) أحد علماء اللغة والنحو والعروض إلى جانب الفقه وعلم الفرائض، كان شعره تعليميا في جملته، يرسل اللغز في قصيدة ويجيب عنه ويحله في أخرى، ويجمع الباحثون على أنه نظم في مختلف البحور، غير أن أطرف من ذلك قصيدته الخالية من صورة الألف أكثر الحروف دورانا في الكلام، وهي كاملة من 33 بيتا نقلها الشيخ محمد باي بلعالم في الرحلة العلية، ص: 168–169، التي ينشد فيها قائلا [الطويل]:

محمد ذو وصف عزيز تعــززت * قريش به في كل وقــت وجلــة

محمـــد عنصـــر لكـــل مكـــون * بعلـــو وســـفل لـــه مـــن خليقـــة

وأطرف منها قصيدة من أربع وعشرين بيتا خالية من الحروف المعجمة، يقول في مطلعها [الطويل]:

سما لرسول الله مدح مكرم * وسر علوه الأود المســـودا

وســاعد مادحــا علــو محمــد * وصار إمامه وصار مسودا

(9) محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، السابق، ص: 191 – 196. وفي الطبعة الخاصة 2011، ص: 226–230.

(10) مازال الناس يطلقون على القرى والمداشر تسمية القصور ذلك لأنها في زمن مضى كانت مبنية على شكل قلاع وحصون، مازال بعضها قائما إلى هذه الساعة وبعضها تعرض للدمار او الترميم أو الردم وبعضها تلاشت معالمها بعد أن صار مهجورا.

(11) الرحلة العلية، الطبعة الخاصة 2011، مج1/ ص: 8 إلى 12.

(12) راجع الملحق من هذا البحث، ص:

(13) ينظر: فرج محمد فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر، ص: 01.

(14) بهذه الصيغة ورد العنوان في الكتاب. الرحلة العلية، الطبعة الخاصة 2011، مج1/ ص: 59.

[15] ينظر: مخطوط جوهرة المعاني في تعريف ما ثبت لدي من علماء الألف الثاني، ابن عبد الكريم، المكتبة البكرية، تمنطيط، والجامع الكبير أدرار، ص 10.

[16] محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، طبعة 2011، مج1/ ص: 59.

[17] ينظر: مخطوط "تاريخ توات": محمد بن مبارك، مكتبة محمد بن الكبير أدرار، ص02.

[18] ينظر ديوان العبر والمبتدأ والخبر....، ابن خلدون بيروت، جـ 7/117، 118

[19] ينظر محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، الطبعة الخاصة 2011، مج1/ ص: 59.

[20] لا يخفى على الباحث أن اللغات الشائعة في هذه الأقاليم إلى جانب اللغة العربية لغة الإسلام هي: اللغة الأمازيغية تارقية كانت أو شلحة أو زناتية أو تارقية.

[21] يصطلحون على هذه المواسم: زيارات. أو كما يقولون في الشمال: وعدات التي مفردها وعدة.

[22] نتبين ذلك في موضعه من البحث.

[23] قام الدكتور أحمد بن عمار (محاضر في قسم اللغة العربية وآدابها / جامعة ادرار) بترجمة المقاطع من الزناتية إلى العربية.

[24] عبد الله بن عباس (ت68هـ).

[25] البقرة: 198.

[26] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحق:عبد العزيز بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي دار مصر للطباعة، مكتبة مصر، ط1، 2000م،، سابق، 4/ 456.

[27] أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي للمدارس، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1420هـ/2000م، ص 31.

[28] مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ / 2000م، 1/77.

[29] عكاظ: نخل ينبت في واد بين نخلة والطائف، ينظر: مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، سابق، 1/ 77-78.

[30] مصطفى صادق الرافعي، المرجع السابق، 1/ 77.

[31] السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، مؤسسة المعارف، بيروت ن دون تاريخ، 2 / 14.

[32] ابن عبد ربه، العقد الفريد، سابق، 1/216–224 و4/141–151؛ والحرورية نسبةً إلى "حروراء" وهي قرية قرب الكوفة لجأ إليها الخوارج، فسُمُّوا منذ ذلك الحين: الحرورية.

[33] أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي للمدارس، سابق، ص 32.

[34] مصطفى صادق الرافعي، المرجع السابق، 1/ 78.

[35] المرجع نفسه، 1/ 78.

[36] أحمد حسن الزيات، المرجع السابق، ص 33.

[37] مصطفى صادق الرافعي، المرجع السابق، 1/ 78.

[38] المرجع السابق، 1/ 77.

[39] محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، الطبعة الخاصة 2011، مج1/ ص: 55.

[40] المرجع نفسه، والموضع نفسه.

[41] المرجع نفسه، والموضع نفسه.

[42] تأسست الرابعة في زاوية الرقاني للشيخ سيدي محمد الفقه الرقاني رحمه الله، لم يرد ذكرها في الرحلة لأنها بنيت بعد تأليف الكتاب.

[43] الرحلة العلية، المرجع السابق، مج1/ ص: 57.

[44] المرجع السابق، الموضع نفسه.

[45] المرجع السابق، مج1/ ص:73.

تأصيل أسماء الأعلام وأثره
في المحافظة على الهوية الوطنية

د. محمد مدور

جامعة غرداية

الملخص:

تدفعنا الحاجة إلى تحديد موقعنا في السياق الحضاري المعاصر، كما تدفعنا الظروف إلى أن نأخذ ونقتبس وننفتح، ولكن في نفس الوقت نكتسب المناعة من خلال التفاعل الإيجابي والاستحضار الواعي للقيم، والهوية الشخصية هي ما يتمتع به كل مواطن من أفراد المجتمع من خصائص تميزه عن غيره، كاللقب والاسم والميلاد والنسب العائلي، والتي تتوارث عن ماض بعيد. وأن هوية الفرد هي التي تجتمع في عقيدته وأرضه ولغته وثقافته وحضارته، ومن مقتضيات الهوية صيانة الشخصية الوطنية وتأصيل الأسماء والألقاب. فكلما توغلت الأسماء في عمق التاريخ قويت صلتها بالهوية والعكس صحيح، وكلما ابتعدت عن أصولها الدينية والعرقية خف إيحاؤها الدلالي على الارتباط والتمسك والانتساب إلى القيم المتصلة بذلك الأصل.

وتتناول هذه الدراسة بيان أهمية أصالة الأسماء وأثرها في المحافظة على الهوية الوطنية.

وتنطلق الدراسة من إشكاليات أساسية هي:

كيف يمكن المحافظة على الألقاب والأسماء الجزائرية في ظل العولمة والانفتاح، وما ينص عليه القانون الجزائري المدني في المادة 28 على أنه يجب أن تكون الأسماء جزائرية، فاختيار الاسم الجزائري جزء من الهوية، وهذا يعني الكثير من الوظائف المرجعية والتصنيفية لهويات الأشخاص بصفة ملزمة؟

كيف يمكن تحقيق الكفاية الهوياتية بوصفها غرضا تسعى إليه المقاربة البيداغوجية، حيث لا تكون الهوية مجرد معرفة ثقافية شفوية، وإنما هي سلوك يتجسد في الحياة اليومية وفي الواقع العملي؟

ما هي رمزية الاسم ودلالته في التعبير عن الانتماء التاريخي والديني والإثنولوجي؟

كيف يمكن التصدي لمخططات تفكيك الهوية عن طريق تشويه التسمية البشرية الأنوماستيكية؟

مدخل:

تعتبر اللغة وسيلة بناء الهوية الثقافية والحضارية للمجتمع، باعتبارها كيانًا صوتيًا يستعمله الناس لغرض التواصل فيما بينهم، وتعد أسماء الأعلام بنيات لغوية فقد تكون هذه البنية مصطلحا فيكون له مفهوم، أو تكون اسما فيكون له مسمى في العادة، وإن لم يكن له مسمى فهو مجرد اسم شكلي صوتي لا يحمل قيمة دلالية، ومن ثم تأتي الغاية من هذه الدراسة التي تهدف إلى البحث في إبراز صلة الاسم بالمسمى، ومن ثم تتحقق دلالة التسمية ويكون لها أثر في الحفاظ على الهوية.

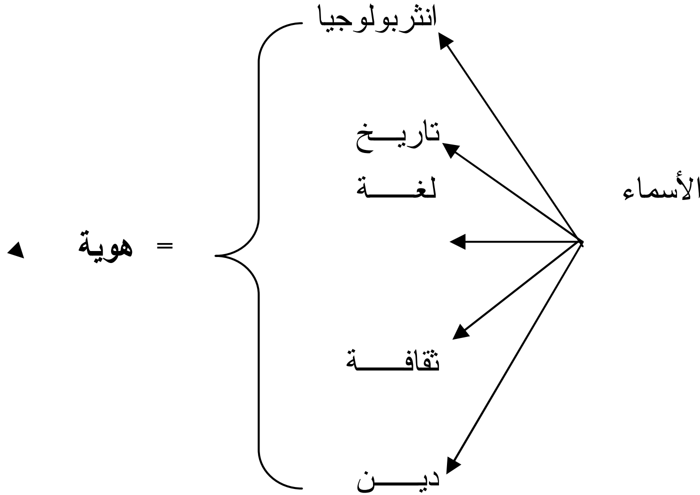
وتتمحور هذه الدراسة حول مجموعة من التساؤلات الملحة في عصرنا هذا وهي:

كيف تستطيع أسماء الأعلام أن تحافظ على هوية الأفراد والمجتمع؟ وما مفهوم تأصيل التسمية الأنوماستيكية؟ كيف يمكن المحافظة على الألقاب والأسماء الجزائرية في ظل العولمة والانفتاح؟ وما تنص عليه القوانين عموما، وما ينص عليه القانون الجزائري المدني خصوصا في المادة 28 على أنه يجب أن تكون الأسماء جزائرية؟ فاختيار الاسم الجزائري جزء من الهوية، وهذا يعني الكثير من الوظائف المرجعية والتصنيفية لهويات الأشخاص بصفة ملزمة.

وكيف يمكن تحقيق الكفاية الهوياتية بوصفها غرضا تسعى إليه المقاربة البيداغوجية؟ حيث لا تكون الهوية مجرد معرفة ثقافية شفوية، وإنما تكون سلوكا يتجسد في الحياة اليومية، وفي الواقع العملي.

وإن ارتباط الاسم الأنوماستيكي بمجالات الأنثربولوجيا أو التاريخ أو اللغة أو الدين أو الثقافة أو غيرها يكسبه حمولة دلالية هوياتية، وتجرد الاسم من هذه

المجالات يؤدي إلى نتيجة عكسية، بحيث لا يحمل الاسم أي قيمة هوياتيـــة، لأنـــه يفتقد لأية صلة بالمرجعيات الدينية والتاريخية وغيرها، ويمكن توضيح ذلـــك فـــي الشكل التالي:



التسمية: المفهوم والاصطلاح:

عرف اللغويون الاسم، ووضعوا مفاهيمه وضوابطه، جاء في مفردات الراغب الأصفهاني:

الاسم: ما يعرف به ذات الشيء، وأصله (سِمْوٌ) وأصله من السُّمُوِّ، وهو الـــذي به رفع ذكر المسمى فيعرف به. قال تعالى: (وعلم آدم الأسماء كلها) [البقـــرة 31] أي الألفاظ والمعاني ومفرداتها ومركباتها، وبيان ذلك أن الاســـم يســـتعمل علـــى ضربين: أحدهما بحسب الوضع الاصطلاحي، وذلك هو في المخبَرِ عنـــه نحـــو: رجل وفرس، والثاني بحسب الوضع الأولي، ويقال ذلك للأنواع الثلاثـــة: المخبـــر عنه، والخبر عنه، والرابط بينهما المسمى بالحرف.

ومعرفة الأسماء (الدوال) لا تحصل إلا بمعرفة المسمى (المـــدلول) وحصـــول صورته في الضمير.

وقوله تعالى: (ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها) [يوسف40] فمعناه: أن الأسماء التي تذكرونها ليس لها مسميات، وإنما هي أسماء على غيـــر مســـمى، إذ كان حقيقة ما يعتقدون في الأصنام بحسب تلك الأسماء غير موجود فيها[1].

حال الأعلام (الأنوماستيكية) في انقسامها واختلاف حالها:

تناول علماء اللغة أسماء الأعلام من خلال قضايا المصطلح وأبواب الاشـــتقاق والقياس والتوليد واسم العلم، وقد تناول أبو الفتح ابن جنـــي حـــال الأعـــلام فـــي انقسامها واختلاف حالها في أنفسها وبين أن الغرض من التوليد هو التسمية، وقـــد عرفها علي بن عيسى بقوله: "التسمية تعليق الاسم بالمعنى على جهة الابتداء"[2]. أو هي تخصيص معنى بلفظ، فإذا ذكر اللفظ تبادر معنـــاه إلـــى الـــذهن، فالأســـماء ضربان: أحدهما ما كان منقولا، والآخر ما كان مرتجلا.

والمنقول ثلاثة أنواع: اسم نكرة، فعل، صوت.

والأسماء المنقولة إلى العلمية ضربان: عين ومعنى[3].

والاسم نوعان: "اسم محض: وهو قول دال دلالة الإشارة. واسم صـــفة: وهـــو قول دال دلالة الإفادة"[4].

مثل: مالك وجابر وحاتم وفاطمة ونائلة ...الخ، فهذه في الأصل أوصاف فنقلت وصارت أعلاما.

والصفة المنقولة ضربان: ما نقل وفيه اللام، نحو: العباس والحسن والحارث...

والآخر ما نقل ولا لام فيه نحو: سعيد ومكرم، وما فيه اللام بعد النقـــل ببقـــاء أحكام الصفة فيه أحرى.

وأما المعنى فنحو قولهم: أوس، وأنت تعني به العطية، وزيد وعمـــرو وأنـــت تعني به العمر أي الحياة.

ويذهب جمهور اللغويين القدامى إلى أن التسمية في العربية معللة وليست اعتباطية، فقد أورد السيوطي في المزهر قول أبي العباس عن ابن الأعرابي: "الأسماء كلها لعلـــة خصت العرب ما خصت منها من العلل ما نعلمه ومنها مـــا نجهلـــه، ويـــذهب ابـــن

الأعرابي إلى أن مكة سميت مكة لجذب الناس إليها، والبصرة سميت البصرة للحجـــارة البيض الرخوة بها، والكوفة سميت الكوفة لازدحام الناس فيها"[5].

وأما العلم المضاف فضربان: فاسم كنية، واسم غير كنية، والأول نحو: أبي زيد وأبي جعفر وأم العلاء وأم وهب، وأما الاسم غير كنية نحو: ذي النون، وعبد الله، وقيس قفة.

وأما العلم المركب فنحو: حضر موت، سيبويه، نفطويه، وبعلبك.

وأما العلم الجملة فنحو: تأبط شرا، برق نحره، ويزيد. إذا كان فيه ضمير[6].

لماذا وضعت أسماء الأعلام:

وضعت الأعلام لضرب من الاختصار وتجنب الإكثار، وذلك أن الاسم الواحـــد من الأعلام قد يؤدي بنفسه تأدية ما يطول لفظه، ويمل استماعه؛ ألا ترى أنـــك إذا قلت: كلمت جعفرا. فقد استغنيت بجعفر هذا عن أن تقول: الطويل، البزاز، ويدعى أخوه كذا، وولده كذا، وتجارته كذا، ويلبس من الثياب كذا ثم لا يســـتوفى؛ لأنـــه لا يمكنك في التفصيل أن تذكر جميع أحواله التي تخصه، فلما رأوا ذلك كذلك أنـــابوا عن جميعه اسما واحدا علما يغني عن الإطالة والملالة وقصور المعنى، ولهذا قال أصحابنا: إن الأعلام لا تقيد، يريدون بذلك أن الاسم الواحد من الأعلام يقع علـــى الشيء ومخالفه وقوعا واحدا، ولا يقول أن احدهما حقيقة والآخر مجازا[7].

من علل التسمية عند العرب:

من قواعد التسمية وعللها عند العرب التسمية بالصفة، والصفات التي تنقلب إلى أسماء يطلق عليها اسم الصفة الغالبة، وكذلك التسمية بالمصدر أو التسمية بالمشابه أو التسمية بالتسمية بالأصوات أو التسمية بالمجاز، أو التســـمية بالنســـبة لأســـماء الأعيان أو الأعلام وكذلك التسمية بالمعنى أي تسمية الشيء بمعناه، وهو أهم العلل وهي أكثر من أن تحصى كاسم (الجمال) من الجميل وهو الدهن.

وعلة التسمية الأصلية هي الملابسة فيسمى الشيء بملابسه سواء أكان هذا الملابس معنى للشيء أم صفة له أم مشابها أم سببا، وقد تدق العلة فتكون لأوهى ســـبب[8]. قـــال ابن سيدة "وكانت قريش تسمي البيت المبني (قصرا) لأنه يقصر من فيه عن الانتشـــار

وأصل القصر المنبع والحبس"[9]. فإنه مما لا يخطر ببال أحد أن الإنسان يبني بيتا ليحبس نفسه فيه ولكنها علة تسمية ربما كان لها ما سوغها عصرئذ.

التسمية والهوية الدينية:

كانت أسماء الأعلام منذ القديم تعبر عن هوية الأشخاص وحضارة المجتمع، ولكل مجتمع أسماء معلومة تعبر عن هويته وانتمائه، ففي الجاهلية كانت التسمية الأنومستيكية تعبر عن ثقافتهم وعن موروثهم وعن بيئتهم وأسماء حيواناتهم ونباتاتهم، فنجد من أسمائهم مثل: معاذ وكليب ويربوع وحنظلة وأسد ...الخ.

ولما جاء الإسلام وضع الرسول ﷺ سياسة تسمية للتعبير عن الهوية الدينية للمجتمع الجديد الذي يباين المجتمع الذي سبقه، فجعل اختيار الاسم عملا دينيا تعبديا، وجعل سوء الاختيار عقوقا، قال الرسول ﷺ: "خير الأسماء ما حمد وعبد" – رواه مسلم عن ابن عمر– فتتجلى هوية الأسماء في بعض السمات كالحمد والعبودية، فهي تعبر عن صلة العبد بربه، كما قام الرسول ﷺ باختيار الأسماء الحسنة لأولاده وبناته، وغير أسماء بعض الناس، وروي أن ابنة لعمر كان يقال لها (عاصية) فسماها الرسول (جميلة) – رواه الترمذي عن ابن عمر – وجعل من حقوق الأبناء على الآباء حسن اختيار الأسماء[10] لتكون مطابقة للهوية الدينية.

كل هذه الممارسات هي عمل يصب في بناء الهوية الدينية للأشخاص والأتباع، وإبراز لأهمية الأسماء في المجتمع. فالهوية مصطلح يستخدم لوصف مفهوم الشخص وتعبيره عن فرديته، وعلاقته مع الجماعات كالهوية الوطنية أو الهوية الثقافية، ومن أكثر العلوم اهتماما بالهويات هو علم الاجتماع.

أهمية الوعي بالهوية والالتزام بها:

إن الوعي بالهوية الوطنية تنعكس آثاره على الفرد والمجتمع، بحيث تقوي النسيج الاجتماعي والروابط الوطنية، وتعجز عن اختراقه مكائد الطامعين وأهواء الفاسدين، وتحقيق عناصر النهضة واللحاق بركب الحضارة، وتحقيق الاستقرار الداخلي، وهيبة للوطن والمواطن وضمان شروط البقاء، كل ذلك يتحقق إذا اعتز الجميع بهويتهم الوطنية فأحسنوا فهمها، وأحسنوا ممارستها وأجادوا لغة التعبير عنها.

فالهوية هي الانتماء: اللغوي والعقائدي والتاريخي والفكري والوطني، وتهدف هذه الدراسة إلى التعريف بالهوية وتمثلاتها، وأهمية الوعي بها، وكيفية تحقيق

عناصرها، وإبراز الهوية الشخصية والذاتية من خلال أسماء أبنائنا وبناتنا، وبلداننا وأماكننا، وأسماء محلاتنا، وتجلياتها في اللغة والتاريخ والدين والعقيدة والمذاهب.

وقد صاغ إريكسون تمثلات الهوية في أربعة أنواع وهي:

تحقيق الهوية – وتعليق الهوية – وانغلاق الهوية – وتفكك الهوية.

أما تحقيق الهوية: فهي إدراك الأفراد للهوية الفردية الخاصة بهم، والتي تهدف إلى احترام الصفات الشخصية وتقديرها.

أما تعليق الهوية: فهو معاناة بعض الأفراد بأزمة في هويتهم الفردية، إذ يفقدون أية قدرة في التعرف على الهوية بسبب الاضطرابات النفسية.

أما انغلاق الهوية: فهي حالة تصيب الأفراد عندما يتم فرض لبعض الأشياء عليهم مما يؤدي إلى انعدام شعورهم بالهوية الخاصة بهم.

أما تفكك الهوية: فهي حالة تنتج عن ضعف في فهم الهوية، وتنتج عن تعرض الأفراد للاضطهاد والظلم، مما يؤدي إلى تفكك الهوية[11].

التوازن بين الهوية والذات:

في مجال الذات والهوية تصر المناهج التربوية على أن الهوية أهم من الذات، والذات هي الشخصية الإنسانية التي لا ترى عائقا أمام تواصلها مع الآخر، ولكل ذات هوية، لكن لا قيمة للهوية إذا لم تتحقق الذاتية، بمعنى: ما قيمة أن أكون، جزائريا عربيا أمازيغيا مسلما. دون أن أكون حرا مستقلا منطلقا عزيزا ومكرما. والهوية هي الصفات المضافة إلى الذات، إننا نريد هوية تجمع بين الذات والهوية.

أوصاف الهوية: (عربي، أمازيغي، ومسلم) والذاتية هي:

الذات: (أنا جزائري) + (حر– مستقل– منطلق– محترم– مكرم)

الصراع على الهوية:

تعتبر الهوية هي السبب في التنافس الشديد بين الزمر لإدراج أفكارها في المجتمع ونشرها، وتقوم فئات تنويرية همها تنوير المجتمع بأيديولوجية حداثية وثقافة استعمارية تقدمية لا ترى في الماضي إلا قيودا عن التقدم، ولا ترى في تاريخ الأمة إلا تكريسا

للتخلف والرجعية، وترى الخير كل الخير في اتباع الحضارة الغربية. فهذه الزمرة تسعى إلى تأسيس هوية تبعية من جهة، ومتجافية عن الهوية الأصلية، التي تربط حاضر الأجيال بماضيها من جهة أخرى، وتسعى إلى فرض أسماء جديدة تترجم هذه النزعة مثل: (سام – رندا – رانيا – ليندة – صافيناز – شاهيناز..) من الأسماء الهجينة، والتي تمثل تيارات فكرية وإيديولوجية مختلفة.

إن ما تقتضيه الهوية الوطنية هو بناء هوية متشبعة بمبادئ الإسلام وقيم الوطنية والعروبة والأمازيغية، والمحافظة على الماضي والتمسك بالهوية التاريخية، والانفتاح على الحضارة، والتواصل بين المغرب العربي ومشرقه. وبخصوص التسمية الأنوماستيكية ينبغي أن نسعى لتأسيس هوية متكاملة من خلال أصالة التسميات القديمة والتراثية مثل: (حذيفة – خالد – أسامة – صهيب...) والأسماء الأمازيغية مثل : (يوغرطة – ماسينيسا – تكفاريناس – يوبا...)، وهناك الأسماء الجزائرية الأصيلة التي بدأت تغيب عن الساحة الوطنية تخلى عنها المجتمع، ولعلهم يرون أنها لا تحمل القيم ودلالات التراث مثل الأسماء: (قدور – الجمعي– السبتي – العياشي – لخضر– خميسي – الساسي – الدراجي – بحري – المبروك ...الخ)، أما الأسماء الأمازيغية التي بدأت تندثر في النساء فهي: (همامة – مامة – زيبة– بية – علجية...) أما أسماء الرجال الأمازيغية فهي: (بوحا – محند – بالة – قاقى – كاسة...) فلا يضير هويتنا شيئا إذا تركنا هذه الأسماء، واستبدلناها بأسماء جديدة لكنها تمثل تاريخنا

اللغة رمز الهوية الثقافية:

اللغة من أهم العناصر المسهمة في الحفاظ على وحدة وتماسك المجتمع، وهي رمز الهوية الوطنية، ووسيلة الإبداع والتعبير عن الأفكار، تعدّ مطلبا اجتماعيا يهدف إلى ترسيخ السيادة الوطنية، ومن ثم كانت اللغة عنصرا أساسيا في هويتنا الوطنية، وطريقة تفكيرنا، ومن ثم فاكتساب اللغة اكتساب للهوية؛ لأن اللغة في طاقتها المرجعية مزدوجة فهي أداة اتصال وأداة تسجيل تعمل بواسطة التعميم والتجريد على تثبيت المعرفة[12]، وبهذا عدت جزءا من الهوية الاجتماعية، والتي تملك القدرة على مقاومة كل أساليب الإقصاء.

اللغة روح الأمة وحياتها وأنها تمثل أقوى عناصرها، فاللغة هي التي تمد الفرد منذ الطفولة بالألفاظ التي تطلق على المعاني الكلية وربطها بالألفاظ الدالة عليها،

والتمييز بين أسماء الأشياء وأسماء الأجناس[13]. وهي عامل أساسي في ازدهار ثقافتها وحضارتها عبر مسارها التاريخي، ولذلك كانت اللغة أحد أسباب الصراع قديما وحديثا، وأحد العناصر المستهدفة من قبل الأعداء، حيث نجد هذا الصراع يقوم على الهيمنة اللغوية عبر استخدام وسائل قاسية في محاربة اللغة الأم، وإذا عجزت اللغة عن التطور ومسايرة العصور كثيرا ما تذبل وتختفي، والمستعمر يسعى إلى القضاء على اللغة بهدف القضاء على الهوية.

الهوية الشخصية في القانون المدني:

الهُوية بضم الهاء من هو، بمعنى من هو فلان؟ وهي ما يتمتع به كل فرد من أفراد المجتمع من خصائص تميزه عن غيره، كاللقب والاسم وتاريخ الميلاد والنسب العائلي، والتي تتوارث عن ماض ذي تاريخ وتراث، وإن هوية الفرد في عقيدته وجنسه وأرضه ولغته وثقافته وحضارته، ومجموع هذه العناصر تشكل ما يعرف بالهوية الشخصية[14].

وينص القانون المدني في المادة 28 على أنه يجب أن تكون الأسماء جزائرية، وهو الأمر نفسه الذي نصت عليه المادة (64) من قانون الحالة المدنية. فاختيار الاسم الجزائري جزء من الهوية، وهذا يعني الكثير من الوظائف المرجعية والتصنيفية لهويات الأشخاص بصفة ملزمة، فقد أصبح إثبات الهوية بوسائل رسمية عنصرا ضروريا في حياة الناس اليوم، "وكل فرد بالغ من العمر سن الرشد ملزم باستخراج بطاقة التعريف الوطنية التي تثبت هويته "[15].

أما عن الهوية الوطنية والانتساب لوطن معين، فهو حق من حقوق المواطن، أقرته المنظمات العالمية. فقد ورد في المادة 15 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان أنه: "لكل فرد حق التمتع بجنسية ما."[16] إن تسمية الأشخاص باسم جزائري يعكس الهوية: العربية – الإسلامية – المازيغية، نظرا لما يحمله الاسم من دلالة دينية أو تاريخية تعبر عن الانتماء لرمزية الاسم، فأسماء مثل: محمد وأحمد وابراهيم ويوسف وخالد وصلاح وعقبة وخديجة وأسماء وشيماء، وكذلك ماسينيسا ويوغرطة ويوبا وماسيليا وسيليا، وغيرها... مما يتسمى به غالبية أفراد المجتمع، سواء من التراث العربي أم الأمازيغي هي جزء من هوية المواطن، وكلما توغلت الأسماء في عمق التاريخ، قويت صلتها بالهوية والعكس صحيح، وكلما ابتعدت عن

أصولها الدينية والعرقية، خف إيحاؤها الدلالي على الارتباط والتمسك والانتساب إلى القيم المتصلة بذلك الأصل.

البعد اللساني والبعد الاجتماعي للأسماء:

إن الاسم مكون من دال ومدلول، وبمفهوم دي سوسير فإن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية، فالشخص الذي اسمه: (الطيب) لا يكون بالضرورة طيبا هذا على المستوى اللساني.

أما من حيث البعد الاجتماعي la Dimenssion Sociale فإن اسم: (الطيب) يوحي لنا بالهوية الأصيلة، ويقوم هذا الدال باستحضار التاريخ في أذهان مستعمليه، كما يقوم بربط أواصر القرابة بالأصول القديمة والجذور العميقة، نظرا للوظيفة التناصية التي يؤديها ومن ثم يحقق الاسم الأثر الهوياتي ويكون داعما للحفاظ على الشخصية الوطنية، ويكون التسمي بهذه الأسماء الأصيلة حصنا منيعا للتصدي لأمواج العولمة وهيمنة الثقافات الأجنبية.

العولمة والهوية:

إننا بحاجة إلى تحديد موقعنا في السياق الحضاري المعاصر، وبحاجتنا إلى أن نأخذ ونقتبس، ونستفيد من خطابات تقدم الغرب، والأخذ بأقربها إلى التجديد، وإن المناعة تتجسم عبر التفتح على الآخر والتفاعل معه، من خلال جدلية الأخذ والعطاء، والإضافة المشتركة للحضارة الإنسانية، كما أن الحاجة تستدعي التغيير مع دخول العلاقات الدولية مرحلة جديدة بعد انتهاء الحرب الباردة، والتغيير حين يكون مفهوما ومعياريا وأخلاقيا بفعل قيم توجهه، يعتبر إيجابيا ومحمودا شرط أن لا يخل بالقيم.[17]

إننا اليوم أمام خيارات جد ضيقة، فلا بد من قبول الأمر الواقع، وعلينا دخول عالم العولمة وإلا فسنعيش في الماضي، وينبغي أن نعرف كيف نتعامل معها، وإن بقي العالم النامي محبوسا في تخلفه فذلك خيار انتحاري، ويقابل هذا خيار الانفتاح السياسي والثقافي والاقتصادي.

ومهما يقال فإنه لا يمكن للعولمة أن تقتحم حصون الهويات والخصوصيات المنيعة، بممارسات مجازفة في الوقت الذي يعرف العالم اليوم شكلا متطورا من العولمة لكن لم تلغ فيه دور الدولة الوطنية.

رغم فرض برامج التقويمات الهيكيلية الآتية من البنوك العالمية، وصندوق النقد الدولي والتخصيص الشامل، فليس في العولمة ما يؤدي إلى إلغاء تنــوع الهويــات وتعدد الخصوصيات، والمحافظة على أصالة التسميات، ولا ما يتعارض وقضــاء المصالح، فالعولمة دينامية تسعى إلى فرض النمط داخل التعدد، فــلا مــانع مــن التعامل معها من موقع الثقة بالنفس، والإدراك العميق لخصائص ثقافتنا، واستخراج كوامنها الحقيقية، وجواهرها الأصلية. وقوام كل هوية ثقافية هو العقيــدة الصــلبة، التي تنشيء منظومة من القيم القادرة على تحصين أفراد المجتمــع، وبنــاء كيانــه المتماسك. وهكذا كانت عقيدتنا عندما ساد العرب مجد العالم وأثبتوا أنفسهم بــذلك التراث المتنوع الذي صنعته الحضارة الإســلامية، التــي حــاورت الحضــارات الأخرى، ونمت نموا سريعا، وهذا هو العمل المطلوب اليــوم، بتــأمين الأجيــال الحاضرة ضد المؤثرات السلبية، وتكون الغاية هي حفظ الهوية[18].

فهويتنا تتجسد في ثوابتنا المعروفة وهي: الإسلام والعروبة والمازيغية والأرض والتاريخ المشترك، مضاف إليها المتغيرات التي تلابس أحوال تلك المقومات مثل: الجوار، ونظام الحكم، وقوة التأثير وغيرها. ومن ثم فإن الهوية هي ذات حسية، لا يمكن أن تؤثر فيها المظاهر إذا كانت محصنة ومنغمسة في ذات الفرد.

تهديد الهوية:

إن أكبر تهديد هو خلق هوية ذات مفاهيم و قيم هجينة تغيــب فيــه مقومــات الشخصية الأصلية، وبهذا يجب أن تأخذ مسألة الهوية البعد الروحــي فــي المقــام الأول، ثم تأتي الثوابت الأخرى، وبها يكون التحصين أبدا، ثــم تليهــا المتغيــرات الأخرى التي ينبغي أن تتجسد في الأسماء وما لها من صلة بماضــينا وحاضــرنا ومستقبلنا، والتي تبني هوية صلبة لا تذوب في الغير إنما تقف حصينة في وجه كل التحديات والصراعات[19].

استهداف هوية الأسماء مخطط استعماري:

يسعى المستعمرون إلى إضعاف الشعوب بطرق ووسائل مختلفة ليسهل علــيهم التحكم والسيطرة، ومن القضايا المستهدفة قضية الهوية. فقــد ســعى المســتعمر الفرنسي في الجزائر إلى وضع مخططات لتفكيك الهوية الجزائرية، مستهدفة اللغة والدين، والتاريخ والإثنولوجيا والعرقية، وأوقدت الفتن العنصــرية للتفريــق بــين الجزائريين العرب والأمازيغ، وراحت تهدد هويتهم ووحدة صفهم في سلسلة مــن

المؤامرات، امتدت إلى ما بعد الاستقلال، وتلاعبت الإدارة الاستعمارية بالأسماء والألقاب الجزائرية بصورة عبثية استفزازية ففرضت بعض الألقاب القبيحة الدالة على العيوب والعاهات والأمراض مثل: الأعرج والأعوج والأعور وبوناب وبونيف والعايب...الخ

وقد تركت آخرين بدون أسماء وأطلقت عليهم اسم عديمي اللقب، وتحرم الأشخاص من اسمهم العائلي فقد جردتهم من أسمائهم، وهو سلوك يوحي بالضياع والتخلف والتجريد من الهوية (snep)[20]

ولذلك قامت الدولة الجزائرية بتخطيط سياسة للتصدي لهذه المخططات، تقوم على بناء هوية قوية راسخة واضحة تجسدت في عدة إجراءات، منها وضع معجم الأسماء الجزائرية للحفاظ على أصالة التسميات، وعدم ترك الحبل على الغارب للأفراد في التسمية كيفما اتفق، وإنما يكون المعجم هو المرجع الشكلي في اختيار الأسماء، ومن أراد أن يختار لمولوده اسما خارج المعجم فإنه يطلب موافقة من وكيل الجمهورية للترخيص بقبول تسجيل الأسماء، التي يراها وكيل الجمهورية مطابقة للهوية الوطنية.

وكانت هناك مئات الأسماء الأمازيغية القديمة محظورة في الجزائر بموجب مرسوم صدر في سنة 1981 يحدد معجما للأسماء المسموح بتسجيلها، ويمنع بالمقابل تسمية المولودين بأسماء خارج المعجم،

وللحفاظ على وحدة المجتمع الجزائري من خلال الواقع اللغوي الأنوماستيكي والطوبونيمي في ظروف تهيمن عليها الثقافات الوافدة ومحاولات فرض العولمة المعرفية والهوياتية، والمجتمع بحاجة إلى تحديد موقعه في السياق الحضاري، ليكتسب المناعة ويحافظ على هويته من المسخ، من خلال التفاعل الإيجابي مع المتغيرات العالمية، ووحدة المجتمع الجزائري في مجال الأسماء والألقاب مطلب وطني نص عليه القانون المدني وقانون الحالة المدنية، وهو ضرورة حضارية لأن أسماء الأشخاص جزء من الهوية، وكذلك أسماء الأماكن والمواقع، ومن ثم ينبغي أن تصبح الهوية كفاءة لدى أفراد المجتمع يتجسد في الحياة اليومية وفي الواقع العملي، فالأسماء العربية مثل : خديجة – عائشة – عمر – أيوب. وأسماء أمازيغية مثل: زرفة، ثازيري، ديهية، ماركوندة، كاهنة، ماسيليا، وغيرها من الأسماء الموغلة في التاريخ فهي شديدة الصلة بالهوية...

وقد أثرت الحضارات والثقافات التي مرت بالجزائر التي مرت عبر القرون الماضية في بنية معجم الأسماء الجزائرية بدخول أسماء تلك الحضارات إلى قوائم الأسماء الجزائرية،

ولا تزال تحفل بالأسماء المعبرة عن الثقافة التركية أو الفرنسية التي جاء بها الحكم الاستعماري، ومن الألقاب التركية في الجزائر نجد مثلا: الشاوش والباشا والآغا والقائم مقام...الخ.[21]..

المحافظة على الأسماء في ظل الانفتاح والعولمة:

كيف يمكن المحافظة على الألقاب والأسماء الجزائرية في ظل العولمة والانفتاح، وما ينص عليه القانون الجزائري المدني في المادة 28 على أنه يجب أن تكون الأسماء جزائرية، فاختيار الاسم الجزائري جزء من الهوية.

تسعى قوى الامبريالية إلى الهيمنة على الشعوب وسلخهم عن هوياتهم، وانفتاحهم على عوالم الانحلال والتقليد وكما حدث في كثير من مناطق الجزائر، التي كانت في القديم حواضر علم وعواصم فكر وصارت اليوم مدن الشواطئ والملاهي الليلية.

إن الثقافة هي كل الملكات التي يكتسبها الفرد داخل المجتمع، من عقيدة وأخلاق وقانون وعادات وتقاليد، وهي الاعتراف بالتنوع الثقافي والتعداد الإبداعي واصطناع التقنية دون تعريض الذاتية الأخرى للأذى، فالثقافة هي الهم العام للمجتمع وهي التفتح الكامل لشخصية الإنسان أيا كان. والتحول إلى إبداع واسع وغذاء جماهيري واحد. لضمان الحرية الثقافية بالتشريعات اللازمة التي تفرض التوازن الثقافي وحرية الإبداع وحرية الاستماع وتقبل الرأي الآخر والرأي المضاد.

ويجب ألا نفزع من العولمة في المحافظة على هويتنا الثقافية، كما لا يجب أن لا نستخف بهذا الأمر، حيث نشاهد تراجع المكتوب ونهاية حضارة الورق أمام الإعلام والأنترنت العالمية والتي يعتبرها البعض محاولة لسحق الهوية والثقافة الوطنية العربية والمصالح الوطنية وكل ما هو وطني وتاريخي، وهناك استعراض كبير لوسائل الإعلام في الإشهار وتمجيد عولمة الاقتصاد والفكر، وتعمل على توحيد نمط العيش وتفضل الإنتاج الغربي، وأن هويتنا تظهر في الموطن واللسان والعقيدة والحضارة، والإسلام لم يحارب اللغات والهويات وإنما حارب الوثنية

وفتح الباب للانفتاح على الحضارات واللغات، والمهم بالنسبة لنا أن يكون التمييز بين الثابت من المتحول والأصيل من الدخيل، وبهذا يمكن التمييز بين ما هو دخيل مرفوض، ودخيل مقبول. فالقيم هي صمام الأمان للمحافظة على هويتنا، لأن الدخول إلى عالم العولمة لابد من التفاعل معه أخذا وعطاء، وإن الإسهام في العولمة هو الذي يجعل الفرد ليس نسخة للغير، وإنما نحقق ذاتنا عن طريق المشاركة والإبداع والتميز والاختلاف[22].

وفي ظل هذا الانفتاح على العالم يجب علينا أن نحافظ على هويتنا العربية الإسلامية الأمازيغية بالمحافظة على أسمائنا مع التجديد والتحضر وفق مجال مدروس مسموح حتى لا تذوب الهوية، فالإيمان بفكرة التجديد في عصر العولمة وممارسة الاجتهاد والإقبال على التطوير أمر مقبول وواجب السير فيه، لكن دون تميع وفقدان وضياع، بالمحافظة الدائمة على الأسماء العربية الإسلامية الأمازيغية، كما يفعل المسيحيون العرب حيث تجد في أسمائهم المسيحية أسماء عربية مرتبط بها حتى لا تفقد هويتها العربية فكذلك الشأن عندنا ومثال ذلك ما نجده عند التوارق من التسميات الأمازيغية القديمة مقرونة دائما بأسماء عربية للصحابة والتابعين وكان اسم ملكهم: مخمد الخير إيول إشنون. أما أسماء الذكور الأمازيغية في التارقية فهي: (أقمامه – أق مخمد الخير – الكوني – بوخامي – أمياس – أمكسو – أنس – وتترنن – يسدي أق كراجي ...الخ).

أما أسماء الإناث فمنها: (كلة – هيا – تانس – ستين – أمنا –تزوزمت – تغويست – ملة – كنوة ...الخ)[23]

فكل هذه الأسماء موجودة الآن عندهم، تجدها دائما متصلة بأسماء عربية إسلامية جديدة وحديثة، وهكذا نستطيع المحافظة على أسمائنا والتي تمثل حضارتنا وتاريخنا وهويتنا وعقيدتنا، مع الولوج إلى أسماء حديثة.

أسماء دخيلة تغزو معجم الأسماء الجزائرية الأصيلة:

إن انفتاح المجتمع الجزائري على الثقافات الأجنبية وخاصة المسلسلات المدبلجة والتي أثرت في المجتمع وخاصة في مجال التسميات، حيث أثرت المسلسلات التركية في العقلية الجزائرية، حيث دخلت على واقع التسمية أسماء غريبة لا أصل لها، أسماء تربك مصالح الحالة المدنية، حيث يرى الناس أنهم أحرارا في إعطاء أي اسم لأبنائهم، والتي لا يعرف مصدرها إن كانت نصرانية أو

يهودية أو ذات هوية مجهولة، مما دفع بأهل الاختصاص إلى التدخل السريع للحفاظ على تراث المجتمع وتاريخه وموروثه الثقافي.

وقد تقدّمت المحافظة السامية للأمازيغية في الجزائر بقائمة جديدة تضم حوالي 300 اسم أمازيغي إلى الوزير الأول في 2013 م له صلة بالحضارة الأمازيغية والإسلامية لإدراجها في معجم الأسماء الجزائرية.

الخاتمة وخلاصة النتائج:

يمثل الاسم الأصيل مرجعية هامة في تحديد هوية الأشخاص، لأن الاسم يوحي بالبعد التاريخي والبعد الثقافي والبعد الديني، وللهوية الأنوماستيكية للأشخاص. فالاسم يحمل دلالة رمزية، ويعبر عن الثقافة ويستحضر التاريخ، وفي المجتمع الجزائري تتعدد مرجعية أصالة الأسماء بتعدد مكونات الهوية الجزائرية، ومن ثم فإن الأسماء ذات انتماء عربي إسلامي أمازيغي.

من خلال المضامين التي تم عرضها في هذه الدراسة يتضح لنا أن الدولة الجزائرية اجتهدت في الحفاظ على الهوية الوطنية في الأسماء الأنوماستيكية، وذلك من خلال وضع قوانين وتشريعات مثل: القانون المدني وقانون الحالة المدنية، والذي بموجبه تكون فيه الأسماء جزائرية، كما وضعت معجما للأسماء الجزائرية قابل للتطوير، و ذو رؤية منفتحة توافقية بين الاعتزاز بموروثنا الثقافي والحضاري وبين التفاعل مع الحضارة المعاصرة لمواكبة التطور الحضاري الحالي، وأن التخلي عن الأسماء الأصيلة المتجذرة في التراث الثقافي الحضاري يشكل خطرا على الهوية ؛ لأن التسمي بالأسماء غير الأصيلة يجرد الأشخاص من هويتهم، ويجعلهم في تبعية لثقافة أجنبية دخيلة أو تفرضها قوانين العولمة.

وقد استطاعت القوانين الجزائرية من خلال التجديد في الأسماء أن تحافظ على هوية المواطن الجزائري بأبعادها الثلاثة العربي الإسلامي الأمازيغي، وذلك من خلال اختيار أسماء متنوعة تتلاءم مع كل المراحل التطورية الحضارية.

وقد توصلت الدراسة إلى استخلاص النتائج التالية:

1- الهوية قيمة وطنية ينبغي الحفاظ عليها؛

2- ينبغي حماية الهوية الأنومستيكية من التفكك ومن كل المخططات التي تهددها؛

3- أصالة الاسم لا تقتصر على الأسماء القديمة المتجذرة في التاريخ، وإنما تعني أيضا أسماء حديثة متطورة لها أصل في الثقافة العربية والأصول اللغوية مثل: (نسيم – وسيم... وغيره)؛

4- الاسم كيان لغوي مكون من دال ومدلول والعلاقة بينهما اعتباطية، فكلما كان الاسم نابعا من اللغة كان أصيلا؛

5- يمكن مواكبة التطورات الحضارية بتسميات معاصرة بشرط أصالة الأسماء.؛

6- وضع تخطيط استراتيجي لصيانة الأسماء الجزائرية من الانحراف والقبح والانسلاخ من الهوية الأنوماستيكية؛

7- الاقتداء بعمل الرسول (ص) في تصحيح الأسماء وتغييرها وتأصيلها، من أجل تأسيس هوية دينية للمجتمع، فعدل الأسماء القديمة، وأصل الأسماء الجديدة، وسكت عن الأسماء السابقة المقبولة؛

8- أسماء الأعلام جزء من الهوية الوطنية، لا ينبغي التخلي عنها أو الاستهانة بها.

المراجع:

1- الراغب الأصفهاني. مفردات ألفاظ القرآن. تحقيق: صفوان عدنان داوودي دار القلم دمشق. ط 3 / 2002م.

2- أبو هلال العسكري. الفروق اللغوية. ضبطه وحققه: حسام الدين القدسي. دار الكتب العلمية 1981

3- ابن جني. المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة. تحقيق: حسن هنداوي. دار القلم. دمشق ط1/1987

4- السيوطي. المزهر في علوم اللغة. تح: محمد أحمد جاد المولى. دار الجيل بيروت ط1.

5- ممدوح محمد خسارة. علم المصطلح. دار الفكر دمشق. ط2 / 2013م

6- ابن سيدة. المخصص.

7- عبد الله ناصح علوان. تربية الأولاد في الإسلام. دار الشهاب باتنة. الجزائر ط3.

8- صالح بلعيد. محاضرات في قضايا اللغة العربية.دار الهدى للطباعة والنشر عين مليلة الجزائر.

9- أحمد بن نعمان. مستقبل اللغة العربية بين محاربة الأعداء وإرادة السماء. دار النعمان للنشر والتوزيع الجزائر .2014.

10- ابراهيم السمرائي. التطور اللغوي التاريخي دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع. ط 3/ 1983.

11- سعيد سلام. التناص التراثي الرواية الجزائرية أنموذجا. عالم الكتب الحديث اربد. الأردن. ط2010/1.

12- محمد اقمامه. كيل اهقار. دار هومة للطباعة والنشر. ط2 / 2014

13- عز الدين صحراوي. مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة بسكرة. عدد 5.

14- كتاب التربية المدنية السنة الأولى متوسط. 2003 .. وزارة التربية.

15- الموقع الالكتروني. ابراهيم العبيدي. موضوع. com

الهوامش:

---

[1]- ينظر : الراغب الأصفهاني. مفردات ألفاظ القرآن. تحقيق: صفوان عدنان داوودي دار القلم دمشق. ط2002/3م. ص 428

[2]- أبو هلال العسكري. الفروق اللغوية. ضبطه وحققه حسام الدين القدسي. دار الكتب العلمية 1981. ص 20

[3]- ابن جني. المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة. تحقيق: حسن هنداوي. دار القلم. دمشق ط1987/1. ص.

[4]- أبو هلال العسكري. الفروق اللغوية.. ص 20

[5]- السيوطي. المزهر في علوم اللغة. تح: محمد أحمد جاد المولى .دار الجيل بيروت ط1. 400/1 .

[6]- ينظر :ابن جني. المبهج مرجع سابق. ص 30

[7]- ينظر: نفسه. ص 31-32 .

[8]– ينظر: ممدوح محمد خسارة. علم المصطلح. دار الفكر دمشق. ط2 / 2013م. ص 94– 96.

[9]– ابن سيدة. المخصص. بولاق 1316هـ 126./5

[10]– ينظر: عبد الله ناصح علوان. تربية الأولاد في الإسلام. دار الشهاب باتنة. الجزائر ط3. 1 / 78

[11]– ينظر : الموقع الالكتروني. ابراهيم العبيدي. موضوع .com

[12]– ينظر: عز الدين صحراوي. مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة بسكرة. عدد 5.

[13]– ينظر: أحمد بن نعمان. مستقبل اللغة العربية بين محاربة الأعداء وإرادة السماء. دار النعمان للنشر والتوزيع الجزائر .2014. ص99

[14]– ينظر: كتاب التربية المدنية السنة الأولى متوسط. 2003. ص 44. وزارة التربية

[15]– المرجع نفسه. ص 48 .

[16]– نفسه .ص 56 .

[17]– ينظر: صالح بلعيد. محاضرات في قضايا اللغة العربية دار الهدى للطباعة والنشر عين مليلة الجزائر. ص 333.

[18]– ينظر: نفسه. ص 336

[19]– ينظر: نفسه. ص .339

[20]– ينظر: سعيد سلام. التناص التراثي الرواية الجزائرية أنموذجا. عالم الكتب الحديث اربد. الأردن. ططـ2010/1. ص 232 .

[21]– ينظر: ابراهيم السمرائي. التطور اللغوي التاريخي. دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع. ط 3 / 1983 م. ص 217 .

[22]– ينظر: صالح بلعيد. مرجع سابق. ص 353 .

[23]– ينظر: محمد أقمامه. كيل أهقار. دار هومة للطباعة والنشر. ط2 / 2014

المعجم الطوبونيمي الوهراني على الشابكة
-نظرة تقويمية-

د. مختارية بن قبلية
جامعة مستغانم

الملخص:

يدفع الفضول الكثير من المتكلمين إلى طرح أسئلة كثيرة حول أصول أسماء الأماكن ومعانيها، وبالأخصّ إذا ما تعلق الأمر ببقعة توالت عليها الحضارات بثقافاتها ولغاتها المختلفة كالجزائر، ولم يكن يُرضي ذاك الفضول في الماضي سوى الحكايات الشعبية السائرة على ألسنة الشيوخ والعجائز مع ما تحويه من أساطير، في حين كانت المعلومات الطوبونيمية على قلّتها وندرتها حبيسة الكتب التاريخية، وهي منثورة هنا وهناك بشكل ثانوي. ولمّا أصبحت الشابكة هي البديل عن قصص الكبار حاليا، صار من الضروري الاستفادة منها لتطوير مجال الطوبونيميا (المواقعية) الجزائرية وتطويعه لخدمة جزء من موروثنا الثقافي المتنوع، وقبل ذلك؛ لابد من تقويم المادة المنشورة على أشهر المواقع الإلكترونية، ولتكن عن أسماء بعض المعالم الوهرانية من مثل: وهران، ومرجاجو، وكريشتل، وأرزيو، وبطيوة، ومرسى الحجاج، وغيرها من المداخل المعجمية الطوبونيمية التي تبحث لها عن معانٍ ثابتة. وإنّنا لن نستثني في هذه الدراسة المواقع الناطقة بالفرنسية أو الإنجليزية، لِما لاحظناه من اهتمامها الكبير بتأصيل أسماء الأماكن الجزائرية التي قد تنحدر من العربية أو الأمازيغية أو التركية أو الإسبانية أو الفرنسية أو اللاتينية أو غيرها من اللغات التي دارت على ألسنة ساكني النواحي الوهرانية في حقبة من الحقب الزمنية. وسنسعى هاهنا إلى تقويم المادة المعجمية النموذجية بالاستناد إلى المعاجم اللغوية من جهة، وكتب التاريخ الجزائري من جهة أخرى، وبالأخص ما دار حول المنطقة من مثل كتابيّ:

- الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، للشيخ محمد أبي راس الناصري.

• طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، للآغا بن عودة المزاري.

وقد وسمنا هذا البحث بعنوان: "المعجم الطوبونيمي الوهراني على الشابكة، نظرة تقويمية".

يهدف هذا البحث -إذن- إلى انتقاء عيّنات من تلك المواد المدوّنة على الشابكة، قصد تقويمها واكتشاف مصادرها ومراجعها إن وُجدت، أو -على الأقل- النظر في مدى توافقها مع ما جاء في الكتب المتداولة أو مدى محاكاتها للواقع التاريخي المتداول على ألسنة سكان المنطقة. وقد اخترنا مجموعة من المواقع الإلكترونية التي وجدناها مناسبة للدراسة من حيث نوعية المادة المنشورة عن تأصيل أسماء الأماكن الوهرانية، وتفادينا

إلا في نهاية البحث، الذي سيكون بمثابة معجم طوبونيمي صغير لــبعض منــاطق الولاية، مما يفتح الأبواب لمشروع جماعي أكبر يشــمل كــل المنــاطق القديمــة والحديثة. وقد رتبنا مادة هذا المعجم بحسب أهمّيتها أو تعلقها بما قبلها، وتحاشــينا الترتيب الألفبائي نظرا لحجم المادة البسيط مما يناسب سياق البحث.

الطوبونيميا اصطلاحا:

طوبونيم/ Toponyme: اسم مكان، وطوبونيميا/ Toponymie: دراسة أسماء الأماكن وأصلها[1]. وهي[2]:

1. دراسة لسانية لأصل أسماء الأماكن.
2. مجموعة أسماء أماكن منطقة ما، أو لغة ما.

وترجمه معجم المنهل إلى العربية: "مواقعية (دراسة لغوية أو تاريخية لأصــل أسماء المواقع الجغرافية)"[3]. وتُسمى أيضا الأماكنية.

وهران:

اختلفت الأقوال حول تسمية مدينة وهران، وسادت أسطورة ارتباطها بشبلين عاشــا في العصور الغابرة، ولعلها القصة الأكثر إقناعا للوهرانيين الذين اتخذوا الأسد رمــزا لمدينتهم، لكنّ الأدلة اللغوية لم تكن لصالح هذا الرأي. وقــد نهلــت معظــم المواقــع الإلكترونية مادتها الطوبونيمية حول المدينة من مصادر تاريخية لها مكانتها، لكنّ هــذه الأخيرة لم تتفق على رأي فاصل هي الأخرى. ومن ذلك قد نجد تذبذبا في طرح هــذا الموضوع مثلما حدث في موقع "موضوع" العربي، إذْ ورد فيه ما هو آتٍ: أمــا اســم وهران فتشير المراجع التاريخيّة إلى أنّه مشتقٌ من الكلمة العربية وهر، ولكن لــم يــتم اعتمادها في معاجم اللغة العربية، لذلك مِن المُرجحِ أن يعود أصل اسم وهــران للغــة البربرية نسبةً إلى وادي هاران. يشير معنى وهران في اللهجة المحلية الدارجــة بــين أهل المنطقة إلى الأسود؛ إذ تقول بعض الأساطير أنّ صيد الأسود كان منتشــرًا فــي المناطق التي تشكل وهران، وكان يستخدم مصطلح وهر للدلالة إلى الأسد، ثم اســتخدم في وقتٍ لاحقٍ للإشارة إلى اسمِ المدينة[4].

وهناك من اعتمد على أسطورة الشبلين لأنّها المتداولة على ألسنة سكان المدينة والتي توارثوها عن أجدادهم، مثلما نجده في موقــع وهــران dz النــاطق باللغــة الفرنسية: يبدو أنّ اسم وهران مأخوذ من الكلمة العربية وهر (أسد) ومــن مثنّاهــا

وهران (أسدان)[5]. إلا أنّ هذه المعلومة غير موثقة ولا تعتمد على أيّ معجم عربي، وهذا ما جعل الكثير من الدارسين يستبعدونها. وهذا المصدر الإلكتروني هو نفسه الذي اعتمدته صفحة ويكيبيديا الناطقة بالإنجليزية، وذُكرت المعلومة الطوبونيمية بالصيغة الآتية: تقول الأسطورة إنّه في عام 900 للميلاد، كانت الأسود ما تزال تعيش في المنطقة، وقد تم اصطياد آخر أسدين على جبل بالقرب من وهران يُسمى باسم "جبل الأسود"[6].

أما موقع ويكيبيديا الذي يُعدّ الأكثر استقطابا للمتلقين على اختلاف أعمارهم وثقافاتهم، فيجمع الكثير من الآراء في الصفحة العربية المخصصة لهذه المدينة، وجاء فيها: وفقا للتفسير الأكثر شيوعا بين العامة، فكلمة «وهران» هي مثنى اللفظة العربية "وهر" وتعني الأسد. غير أن كلمة وهر لا تعني الأسد حسب لسان العرب والصحاح في اللغة والقاموس المحيط وغيرها، إضافة إلى أن أغلب المؤرخين لم يوردوا هذا التفسير. لذا فإن من المرجح أن يكون الاسم من أصل أمازيغي، نسبة إلى واد الهاران أو إلى الأسود التي كانت تعيش في المنطقة والتي ورد اسم كل منهما في التاريخ بتهجئات مختلفة[7]. وجاء في موضع آخر: الأسطورة تحمل تفسيرا للرواية الأولى وتقول إنه تم اصطياد الأسود الأخيرة لهذا الساحل المتوسطي في الجبل المجاور لوهران المدعو "جبل الأسود". وأعطى للمدينة هذا الاسم صائد الأسود السابق سيدي معقود المهاجي تكريما لأسدين قام بترويضهما. ولقد تم تنصيب تمثالين برونزيين كبيرين لأسدين أمام مقر البلدية في إشارة إلى اسم المدينة. وضريح (قبة) سيدي معقود المهاجي يوجد في مقبرة سيدي الفيلالي في حي الصنوبر[8].

كثرت الأساطير المروية حول أسود وهران، ومن بينها ما ورد في الحلقة الثانية من المسلسل الوثائقي القصير "الباهية تحكي" الذي يمكن مشاهدتُه على موقع يوتيوب: قبل 1000 سنة، ثار ابن متمرد على والده الحاكم القرطبي الذي أراد أن يزوجه بفتاة لا يُريدها، فهرب إلى الإسكندرية، لكن العاصفة غيّرت وجهته، ووجد نفسه في شاطئ الأندلسيّين. وبعد أن يئس من النجاة، استقر وشيّد أوّل بيت في هذا المكان الذي سمّي بالأمازيغية إيهران، وربّى حينها أسديْن، حيث كانت المنطقة مليئة بالأسود، وآخر أسد شوهد هناك كان في 1820م[9].

ولنتأكّد أكثر من هذه المعلومة الطوبونيمية؛ لابد من الاطلاع على معنى وهر في العربية الفصحى، علّنا نجد ما له علاقة بموضوعنا: "وهر: توهر الليل والشتاء كتهور

وتوهر الرمل كتهور أيضا والوهر توهج وقع الشمس علـــى الأرض حتـــى تـــرى لـــه اضطرابا كالبخار يمانية ولهب واهر ساطع وتوهرت الرجل فـــي الكـــلام وتوعرتـــه إذا اضطررته إلى ما بقي به متحيرا ويقال وهر فلان فلانا إذا أوقعه فيما لا مخرج له منـــه ووهران اسم رجل وهو أبو بطن"[10]. وهذا يعني أنّ الكلمة متداولة في اللســـان العربـــي وإن كانت لها دلالات أخرى. إذ يظهر أنّ اسم هذه المدينة لـــيس بالغريـــب عـــن اللغـــة العربية من الناحية الصوتية والصرفية والمعجمية، وقد ورد في تاج العروس: وهـــران، كسحبان: اسم رجل، وهو أبو القوم... ووهران (د، بالأندلس)، على ضفّة البحـــر، بينـــه وبين تلمسان سرى ليلة. وأكثر أهلها تجار... والوَهْرَان الخائف[11] ولم يـــذكر الزبيـــدي هاهنا أنّ تسمية هذا البلد الأندلسي (الجزائري حاليا) أعجمية، بالإضافة إلى دلالتها علـــى معانٍ أخرى، كالرجل الخائف وأبي القوم.

أما سبب نسبة هذه المدينة إلى الأندلس فهو راجع إلى تاريخ تأسيسها، وفي ذلك يقول أحمد المدني: "لكنّ الثابت أنّ مسلمي بلاد الأندلس، أيام عنفوان دولتهم، كانوا مؤسسي مدينة وهران. وذلك سنة 390هـــ (902 ميلادي) على يد القائد خضـــر، ...فوق أرض كانت من ممتلكات قبيلتي مغراوة ونغزاوة"[12]. لكنّ ابـــن خلّكـــان يرجعه إلى زمن سابق، حيث أنّها أسّست قبل ذلك بما يُقـــارب القـــرن، إذْ: "ذكـــر الرشاطي أنّها أسست في سنة تسعين ومائتين على يدي محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدوس وجماعة"[13].

لكنّنا وجدنا ما يقترب من لفظة وهر ويدل على الأسد؛ وهي:

الوهواه: الأسد لزئيره، والوَهْوَه: الأسد في ترديده الزئير، والوهوهـــة: الأســـد لزئيره[14]. إلا أنّنا لا نعلم إن كانت لها علاقة بلفظة وهران أم لا.

الهرّ: "هرر: الهِرّةُ: السِّنَّوْرة، والهرّ الـــذكر"[15]. والأســـد نـــوع مـــن أنـــواع السنّوريات، وقد يُنعت بالهرّ، وبالأخص إذا كان شبلا.

وربّما تكون كلمة "وهر" منحوتة من كلمتيّ "هرّ" و"وهواه"، والله أعلم.

إيفري:

وهي تسمية أقدم لمدينة وهران، و"يُذكر أن وهران كانت تُعرف ســـابقا باســـم "إيفري" وتعني باللغة الأمازيغية الـــكهف وهي تسمية مرتبطة دون شك بـــالكهوف العديدة المتواجدة بالتلال المحيطة بوهران"[16].

كيزة:

هو اسم غير مؤكّد لمدينة وهران، وذكره أحمد المدني في قوله: "ولا يثبت التاريخ القديم شيئا كبيرا عن مدينة وهران ذاتها، وربما كانت مستعمرة رومانية تدعى كيزة Quiza إنما المحقَّق هو أنّ مرساها الكبير كان في التاريخ القديم يتمتع بشهرة واسعة، وكان يُدعى المرسى الإلهي Portus Divinus"[17]. لكنّ لم نعثر على هذه المعلومة في الشابكة، بل ذُكرَ أنّ وهران الرومانية كانت تسمى "يونيكا كولونيا".

يونيكا كولونيا: كانت منطقة وهران الرومانية تسمى "يونيكا كولونيا"، (باللاتينية: Unica Colonia)، بمعنى "المستعمرة الفريدة"[18].

مرجاجو/ جبل هيدور/ صلب الكلب/ صلب الفتح/ سانتا كروز:

اعتُمدت هذه التسميات المختلفة للدلالة على مكان واحد، مع اختلافٍ في المساحة التي تدل عليها، وتشير التسمية "جبل هيدور" إلى الجبل الكبير المطل على وهران بكامله، الذي أُطلق عليه بعد ذلك اسم جبل مرجاجو، وسماه الإسبان بالسرج.

جاء في ويكيبيديا الفرنسية أنّ هذا الجبل عُرف بعدّة طوبونيمات، حيث عُرف بجبل هيدور في القرن الثالث عشر (ق 13) وفقا لما ذكره المؤرخون العرب. وله اسم أقدم هو جبل غديرة أو غدارة. أمّا الأتراك فسموه بمرجاجو، في حين سماه الإسبان بـ la silla بمعنى السرج[19]. وهي تسميات لها علاقة بالمواصفات الطبيعية لهذا المكان. ونحن نرى أنّ "مرجاجو" قريب من المعنى العربي مرج، وهو أيضا مناسب لمواصفات هذا الجبل: "والمَرْج: أصله أرضٌ ذاتُ نباتٍ تمرُج فيه الدوابُّ"[20]. ومثلها هيدور من هدر: "أَرض هادِرَة كثيرة العشب متناهية"[21]، و"هدر العَرْفَج: عظُم نباتهُ فإذا وقعت فيه الرّيح كان له كالهدير"[22] والله أعلم.

أما عن التسميات الأخرى فهي تدل على أجزاء من جبل مرجاجو، وقد ورد في الوفيات: "وفي ظاهر وهران رُبوة على البحر تُسمى صلب الكلب، وبأعلاها رباط يأوي إليه المتعبدون"[23]. والصلب من الأرض الروابي، والمكان الغليظ المحجر المُنفاد، والأصلاب، ما صلب من الأرض وارتفع؛ وهذا هو تفسير تسمية هذا المكان بالصلب، أما إضافة كلمة "كلب" فلم نجد لها تفسيرا، غير أنّها سرعان ما تغيّرت في حادثة تاريخية شهيرة ذكرتها الكثير من كتب التاريخ بتفاصيلها، وكان

ذلك في فترة استيلاء الموحدين على تلمسان وتحرّكهم نحو وهران؛ يقول أبو راس المعسكري في حلله:

"موحدون أتـوا مـن بعـد ذا وعلـوا استحوذوا عليهـا فـي وسـط السـادس"[24]

و"كان ذلك على يد عبد المؤمن، وجرت هذه الوقائع وأمير المسلمين يومئذ علي بن يوسف بن تاشفين مقيم بـ"كهف الضحاك" بين الصخرتين من جبل تيطـري المطـل على تلمسان، ولما شعر بالهزيمة دعا بأسطوله المقيم في الأندلس... فجاءته النجدة من بجاية برًا وبحرًا، ...وما كادت هذه الحامية تتصـل بمينـاء وهـران حتـى فاجأهـا الموحدون وضربوا عليها الحصار وأضرموا النار حولها، وخرج منها تاشفين ليلا في جماعة يسيرة فصعد إلى الرباط العظيم المنشأ في ربوة "صلب الكلـب" المطـل علـى وهران؛ ويُقال إنّ صعود الأمير هكذا كان ليلة السابع والعشرين من رمضان ليحضـر الختم من سنة 537هـ- 1442م، وكان عبد المؤمن في جمعه بتاجرة وهي موطنـه من بلاد ندرومة، وقد أرسل الجند إلى وهران... وعلموا بانفراد تاشفين عـن الحاميـة في ذلك الرباط فقصدوه وأحاطوا به وأحرقوا بابه فأيقن القوم الذين فيه بالهلاك، فخرج تاشفين راكبا فرسه وشد الركض عليه ليثِبَ الفرس عن النار وينجو، وترامى الفـرس نازيا لروعته ولم يملكه اللجام حتى تردى من جرف هناك إلـى جهـة البحـر علـى الصخر في وعر فتكسّر الفرس وهلك تاشفين في الوقت نفسه... وجاء الخبر بعد ذلـك إلى عبد المؤمن فوصل إلى وهران؛ وسمي ذلك الموضع الذي فيـه الربـاط "صـلب الفتح" بدلا عن صلب الكلب"[25]. وذُكر في مسلسل "الباهية تحكي": إنّه سـمّي أيضـا بقفزة الحصان[26]، والله أعلم.

في المكان نفسه توجد كنيسة سانتا كروز أو دير سانتا كروز وهو دير بوهران مشيد فوق جبل مرجاجو تحت حصن، وهي تعني الصـليب المقـدس[27] باللغـة الإسبانية (Santa cruz). وقد طغت هذه التسمية على ألسنة الـوهرانيين اليـوم، وأصبحت تدل على المكان بكامله، ونحن ندعو هاهنا إلى التخلي عنهـا، وإحيـاء تسمية جبل هيدور أو مرجاجو من جديد. وهذا ما نجـده متـداولا علـى ألسـنة مؤرّخينا، حيث أطلقوا على الحصن الموجود هناك تسمية "برج مرجـاج الكبيـر، وهو أضخم الحصون، ويـدعوه الإسـبان القـديس فليـب، والصـليب المقـدس (سانطاكروز)"[28]. وقد سألنا بعض الشباب الوهرانيّين عن معنى تسمية (Santa cruz) فأجابونا عن جهل: القديس كروز، مع أنّ كروز بالإسبانية تعني الصـليب، وترديد هذه التسمية يمسّ بالعقيدة الإسلامية.

أرزيو:

وجدنا في الصفحة الفرنسية لويكيبيديا معلومات طوبونيمية كثيرة عن هذه المدينة، منها:

ذُكرت أرزيو للمرة الأولى باسم "أرزاو/ Arzao". في سنة 1068م على لسان عالم الجغرافيا القرطبي "البكري" أثناء وصفه لشمال إفريقيا، لكنّه لم يكن يقصد أرزيو الحالية التي أُسّست في القرن التاسع عشر (ق19)، بل الآثار الرومانية لـ «Portus Magnus» المُسماة حاليا بـ"بطيوة"[29] المُجاورة لأرزيو.

في 1743م ذكرها توماس شو Thomas Shaw بميناء أرزيو، وهو مكان جيّد لرُسوّ السفن، إنّه المبنى القديم للميناء الحالي. وفي 1940م؛ ميّز السكان المحليّون بين أرزيو القديمة (أو أرزيو المسلم) وهي بطيوة حاليا، وأرزيو النصراني وهي الميناء الجديد الذي لم يكن مدينةً في الأصل[30].

تُضيف صفحة ويكيبيديا الفرنسية أنّ تأصيل تسمية أرزيو لم يكن واضحا، ورأى البعض تقريبه من اسم الجبل الذي يُطلّ عليها، والذي كان يُدعى بجبل أوروز/ djebel Ourouze. والبعض الآخر قرّبه من كلمة "ارزي/ RZI" الأمازيغية ومن فعلها "أرزي/ erzi" بمعنى المغزل أو السيخ أو القمّة الحادة أو ما اقترب منها[31]. لكنّ هذه الآراء لا توافق ما هو متوارث على ألسنة السكان الأصليّين، كما أنّ الجبل لم يعد له تسمية خاصة، فهو بكل بساطة جبل أرزيو.

لكنَّ مواليد بداية القرن العشرين من السكان يُصرّون على الحكاية الشعبية التي تُرجِع أصل تسمية أرزيو إلى العربية الفصحى، وبالضبط إلى فعل الأمر "ارسوا" من الرسوّ في الميناء أو المرسى، ويُقال إنّ الإسبان الذين كانوا يزورون هذه المدينة للتجارة هم الذين سموها أرزو مُحاكاة لما كانوا يسمعونه من أفواه أهلها، حيث أنّ الرزيويين كانوا يرحبون بهم ويستقبلونهم بكلمة "ارسوا"، أي: "ارسوا سُفُنكم"، وهذا في نظرنا هو التأصيل الأقرب إلى الصواب، ودليلنا على ذلك أنّ كبار سكان "بطيوة" كانوا يسمون أرزيو بالمرسى، فيقولون: كنت في المرسى وجئت من المرسى، ويقصدون أرزيو، كما أنّ سكان أرزيو كانوا يسمون وسط المدينة بالمرسى إلى غاية الثمانينيات أو بعدها بقليل، وبدأت هذه التسمية تختفي في التسعينيات –للأسف– نظرا لتفضيلهم لفظة البلاد أو La ville.

بطيوة:

سبق الحديث عن هذه المدينة التي كانت تشكّل مع أرزيو منطقة واحدة، غير أنّ الأولى كانت مأهولة والثانية كانت مرسًى للسفن، وكلاهما يُسمى قديما بـ Portus Magnus: وهي تسمية لاتينية تعني الميناء العظيم.



تتصدّر ويكيبيديا دائما المواقع الإلكترونية المهتمّة بالطوبونيميا، وتبقى الصفحات العربية غير موثقة ولا قيمة لمعلوماتها الطوبونيمية في الكثير من الأحيان، وفيما يخص بطيوة؛ فإنّ المعلومات المدونة بالعربية لا تتعدى مجرد ترجمة آلية لبعض ما ذُكر عنها بالفرنسية التي دُوّن بها بحث علمي كامل موثّق بأهم المصادر الغربية وكذا العربية المترجمة، من مثل:

- El Bekri: Description de l'Afrique septentrionale - Traduction de Mac Guckin de Slane - Paris imprimerie impériale 1859.
- Emile Janier, «Les Bettiwa de Saint-Leu », *Revue Africaine, Société Historique Algérienne, Of. Pub. Univ. Alger*.
- J. Lassus - Le site de Saint-Leu Portus Magnus (Oran) - 1956 - dans Comptes-rendus des séances de l'académie des inscriptions et belles lettres.
- "Bethioua spoliée de sa côte" - journal El Watan.

مرسى الحجاج:

لا تقدّم صفحة ويكيبيديا بالعربية إلا معلومات بسيطة وغير موثقة عن هذه المدينة الساحلية، في حين أنّ الصفحة الفرنسية تقدّم الكثير من المعلومات الطوبونيمية التي وجدناها قريبة نوعا ما من القصة المتداولة شعبيا: حيث سماها

الجزائريون بمرسى الحجاج / Port aux pèlerins، أمـــا الفرنســـيون فســـموها بمرسى الدجاج/ Port aux poules، وهي ترجمة ناجمة عن المشابهة الصـــوتية والكتابية، وسميت كذلك نسبة إلى دجاج الماء (أو) دجاج السلطان الذي يتردّد على وادي المقطع خلف كثبان مرسى الحجاج. أو أنّ التسمية هذه جـاءت مـن الاسـم الروماني للمرسى العتيق Portus Paulus، أي ميـنـاء بـول le port de Paul وهو شخصية رفيعة في الإمبراطورية الرومانية[32].

أمّا القصة التي يقصها سكان هذه المنطقة فهي أنّ هذا الميناء كـان مخصّصـا لسفر الحجاج قديما، وأنّ الاستعمار الفرنسي قرّر تشويه تلك الصـورة الإسـلامية الجميلة، فشبّه الحجاج الذين يلبسون ملابس الإحرام البيضاء بالدجاج، وهو تشـابه في اللون وكذا في نطق وكتابة التسمية. وإنْ كانت هذه القصة غير أكيـدة، فـإنّ الغرض منها –والله أعلم– هو التخلّص من التسمية الفرنسية التي طغت على ألسنة السكان الأصليّين الذين ما زالوا يسمون مدينتهم إلى يومنا هذا بـ"بوروبور". بإبدال اللام راءً تسهيلا لنطقها بالعربية أو إخفاءً لمعناها الفرنسي الحقيقي "مرسى الدجاج" المُسيء للمسلمين. ويبقى السؤال المطروح: لماذا لم تختفِ هـذه التسـمية مثلمـا اختفت تسمية سانكلو الفرنسية *Saint–Cloud* لمدينة قديل في التسعينيات بإصرارٍ من سكانها بعد أن كانت الطاغية على ألسنتهم، حيث أصبحت اليوم مجرد ذكـرى، ولعل الكثير من الشباب لا يعرفها حاليا؟

مسرغين:

مسرغين هو طوبونيم أمازيغي معناه الأماكن الساخنة[33]. وهي مدينة عريقـة في وهران، يصفها أحمد المدني قائلا: "في السهل الممتد شمالي بحيـرة وهـران الكبرى، والذي تفصله عن الساحل جبال وعرة وإن كانت قليلة الارتفـاع. توجـد قرية مسرغين، والتي لم تكن أيام وقائعنا هذه* إلا مضارب قبائـل عربيـة، ذات حول وطول، وذات ثروة وغنى تدعى دوار الغرابة"[34].

كريشتل:

ذُكرت كريشتل في كتب التاريخ الإسلامي على أنّها قبيلة قبل أن تطلق التسمية على المكان الذي استقر فيه أهلها. وقد ذهبت صفحة ويكيبيديا إلى تأصيل معناهـا انطلاقا من أنّها في الأصل طوبونيم، وجاء في ذلك: كانت كريشتل سـوقا لسـكان المنطقة –وبالأخص الساحلية– في القرن الثامن عشر (ق18م). وسـمّيت القريـة

كرش التلّ (le ventre du Tell) التي فُرنست بعـد ذلـك لتصـبح Kristel[35] وتنطق كريشتل بالشين على أصلها.

لكنّ هذه الفرضية تقوم على وصف المكان على أنّه تلّ لـه كـرش، وهـذا لا ينطبق مع الحقائق التاريخية التي تُؤكّد على أنّ الاسـم للقبيلـة لا للمكـان، إلا إذا كانت تلك القبيلة قد سُمّيت باسم يُناسب المكان الذي أقامت فيه، والله أعلم. وقد ورد في كتاب "طلوع سعد السعود" ما هو آتٍ: "وكان طاغية النصارى بوهران اسـمه دكّ، ولمّا استقلّ قدمه بها صار يشن الغارات على المسلمين إلـى أن دخـل فـي طاعته كرشتل، وبنو زيّان، والونازرة، وقيزة، وغمرة، وحميان، وشـافع، وأولاد عبد الله، وأولاد علي، وغيرهم من بني عامر"[36]، وهذا دليل على أنّ كرشتل قبيلة قبل أن تصبح قرية.

في الختام:

في الأخير نخلص إلى أن المادة الطوبونيمية المنشورة عن وهران على الشابكة قليلة جدا باللغة العربية، ويعود ذلك في الأساس إلى مجموعة من الأسـباب التـي نوجزها في ما هو آتٍ:

اهتم المؤرخون المسلمون بالمعلومات الطوبونيمية كثيرا، لكنّها لم تشكّل علمـا مستقلا بذاته، مما جعلها مبعثرة في كتب التاريخ، وهذا ما يصعّب البحث عنها؛

يختلف اسم المكان من حقبة إلى أخرى بسبب توالي الولايات والحملات الاستعمارية؛

الأماكن في وهران وغيرها من المدن الجزائرية حملت تسميات مختلفة وبلِغات متنوعة بتنوع الحضارات التي مرّت عليها، مّما يستدعي تضـافر الجهـود بـين الناطقين بتلك اللغات، وبالأخصّ العربية والأمازيغية والإسبانية والفرنسية لإنشـاء معجم طوبونيمي كامل؛

إنّ ما نُشر على المواقع الناطقة بالفرنسية أهمّ وأكثر، نظرا لاشتهار الطوبونيميا عند الغرب واستقلالها عن علم التاريخ، وكذا اهتمام الاسـتعمار الفرنسـي أثنـاء وجوده في الجزائر بالطوبونيميا الجزائرية عموما، ممّا شكّل مادة دسمة تنهل منها تلك المدونات الإلكترونية الأجنبية؛

التوصيات:

نوصي بالاهتمام بالدراسات الطوبونيمية الجزائرية وإعطائها طابع المشاريع العلمية الجماعية؛

لا بدّ من استثمار مثل هذه الدراسات الطوبونيمية في الحياة اليومية للمواطنين، بتحفيزهم على استعمال أسماء الأماكن الأصيلة، والتخلّي عن تلك الأجنبية المُهِينة لتراثنا الإسلامي والوطني، لذلك نوصي بإعادة إحياء تسمية جبل مرجاجو أو جبل هيدور والتخلي عن تسميته بسانتاكروز التي يجهل الكثير من الوهرانيّين – خصوصا– والجزائريّين –عموما– أنّها تعني الصليب المقدّس، والأمر نفسه ينطبق على بقية الطوبونيمات الجزائرية المشابهة لهذا المثال؛

من الضروري ترجمة المعلومات الطوبونيمية الجزائرية المنشورة على الشابكة باللغات الأجنبية، وبالأخصّ الفرنسية، إذْ لا يخفى علينا أنّ غالبية الأرشيف الجزائري ما زال حبيس الخزائن والمتاحف الفرنسية؛

يجب أن لا نستهين بالمواقع الإلكترونية التي أصبحت البديل عن المكتبات بالنسبة للجيل الجديد، بل وأصبحت البديل عن الجلسات العائلية والثقافية –للأسف– إنّها تقوم اليوم مقام حكايات الجدّة.

لابد من أن يكون أحد أعضاء مجموعة البحث الطوبونيمي –على الأقل– من المُقيمين في المنطقة المدروسة، أو أن يكون على صلة وثيقة بسكانها الأصليّين، حيث تُشكّل الحكايات الشعبية المُتوارثة جزءا مهمّا من البيانات التي تُوظّف لاحقا في جمع المعجم الطوبونيمي.

المصادر والمراجع:

1. تاج العروس، من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تح عبد العليم الطحاوي، مط حكومة الكويت، 1394هـ – 1974م.

2. تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمان الجيلالي، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1384ه – 1965م.

3. حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492 – 1792، أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط.

4. الحلل السندسية في شأن وهران والجزيـرة الأندلسـية، محمـد أبـو راس الناصري، مط بيير فونطانا، الجزائر، 1320هـ – 1903م.

5. طلوع سعد السعود – في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسـا– إلـى أواخر القرن التاسع عشر، الآغا بن عودة المزاري، تح يحيـى بـو عزيـز، دار الغرب الإسلامي، 1990.

6. كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، تصنيف الخليل بن أحمد الفراهيـدي (–170هـ)، ترتيب وتحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 1424هـ/2003م.

7. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور.

8. معجم أسماء الأسد، هزاع بن عيد الشمري، ط 01، 1410هـ، دار أمية للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

9. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (–395هـ)، تـح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للباعة والنشر والتوزيع، د ط.

10. المنهل، قاموس فرنسي – عربي، طبعة جديدة منقحـة ومزيـدة، ط 20، 1998م، دار الآداب، بيروت، لبنان.

11. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكـر (أبو العباس) ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1414هـ/ 1994م.

12.LAROUSSE, Dictionnaire encyclopédique ilustré, paris, 1997.

13.LE ROBERT plus ; Dictionnaire de la langue française, éditions France loisires, paris, 2007.

المواقع الإلكترونية: (تاريخ آخر زيارة للمواقع: يوم: 14/ 10/ 2018)

1. موقع موضوع: https://mawdoo3.com
2. موقع وهران dz: http://www.oran-dz.com
3. موقع يوتيوب: https://www.youtube.com
4. ويكيبيديا بالإنجليزية: https://en.wikipedia.org
5. ويكيبيديا بالعربية: https://ar.wikipedia.org

6. ويكيبيديا بالفرنسية: https://fr.wikipedia.org

الهوامش والإحالات:

---

(1) LE ROBERT plus ; Dictionnaire de la langue française, éditions France loisires, paris, 2007, Toponyme, Toponymie.

(2) LAROUSSE, Dictionnaire encyclopédique ilustré, paris, 1997, Toponymie.

(3) المنهل، قاموس فرنسي – عربي، طبعة جديدة منقحة ومزيدة، ط 20، 1998م، دار الآداب، بيروت، لبنان، مادة: Toponymie.

(4) يراجع:

https://mawdoo3.com/%D9%88%D8%B5%D9%81_%D9%85%D8%AF%D9%8A%D9%86%D8%A9_%D9%88%D9%87%D8%B1%D8%A7%D9%86_%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9

(5) يراجع، /http://www.oran-dz.com/ville/histoire

(6) يراجع، https://en.wikipedia.org/wiki/Oran

(7) يراجع:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%88%D9%87%D8%B1%D8%A7%D9%86#%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B3%D9%85%D9%8A%D8%A9

(8) نفسه.

(9) مسلسل الباهية تحكي، الحلقة الثانية، موقع يوتيوب:

https://www.youtube.com/watch?v=_6AmK4yUd8Q

(10) لسان العرب، ابن منظور، مادة: وهر.

(11) يراجع، تاج العروس، من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تح عبد العليم الطحاوي، مط حكومة الكويت، 1394هـ – 1974م، ج 14، مادة: وهر.

(12) حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492 – 1792، أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، ص 115.

[13] وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (أبو العباس) ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1414هـ/ 1994م، ج 4، 386.

[14] يراجع، معجم أسماء الأسد، هزاع بن عيد الشمري، ط 01، 1410هـ، دار أمية للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ص 66.

[15] كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، تصنيف الخليل بن أحمد الفراهيدي (–170هـ)، ترتيب وتحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 1424هـ/2003م، مادة: هرر.

[16] يراجع:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%88%D9%87%D8%B1%D8%A7%D9%86#%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B3%D9%85%D9%8A%D8%A9

[17] حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492 – 1792، أحمد توفيق المدني، ص 114.

[18] https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%88%D9%87%D8%B1%D8%A7%D9%86#cite_note-p98-36

[19] يراجع، https://fr.wikipedia.org/wiki/A%C3%AFdour#Toponymie

[20] معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (–395هـ)، تح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للباعة والنشر والتوزيع، د ط، ج 5، مادة مرج.

[21] لسان العرب، ابن منظور، مادة هدر.

[22] معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ج 6، مادة هدر.

[23] وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، ج 7، ص 126.

[24] الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، محمد أبو راس الناصري، مط بيير فونطانا، الجزائر، 1320هـ – 1903م، ص 5.

[25] تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمان الجيلالي، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1384ه – 1965م، ج 2، ص 296، 297.

[26] مسلسل الباهية تحكي، الحلقة الثالثة والرابعة، موقع يوتيوب:

https://www.youtube.com/watch?v=csDUVvJC7EQ

وأيضا، https://www.youtube.com/watch?v=aUq1rbygUNw

(27) يراجع:

https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D9%86%D9%8A%D8%B3%D8%A9_%D8%B3%D8%A7%D9%86%D8%AA%D8%A7_%D9%83%D8%B1%D9%88%D8%B2

(28) حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492 – 1792، أحمد توفيق المدني، ص 458.

(29) يراجع، https://fr.wikipedia.org/wiki/Arzew

(30) يراجع، نفسه.

(31) يراجع، نفسه.

(32) يراجع، https://fr.wikipedia.org/wiki/Marsat_El_Hadjadj#Toponymie

(33) يراجع، https://fr.wikipedia.org/wiki/Misserghin#Toponymie

* أيام الاحتلال الإسباني لوهران.

(34) حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492 – 1792، أحمد توفيق المدني، ص 103.

(35) يراجع، https://fr.wikipedia.org/wiki/Kristel

(36) طلوع سعد السعود – في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا– إلى أواخر القرن التاسع عشر، الآغا بن عودة المزاري، تح يحيى بو عزيز، دار الغرب الإسلامي، 1990، ج 1، ص 212.

المسائل اللغوية وعلاقتها بمسمّيات مدينة معسكر ونواحيها ومواقعها نموذجا.

داه. فاطمة الزهراء زرقوق
مخبر المعالجة الآلية، جامعة تلمسان

ملخص الندوة:

الدراسات الطوبونيمية هي من الدراسات الحديثة التي تتناول الأماكن والمواقــع والآثار، وتقترب كثيرا بشكل منطقي ومعرفي من حقيقة تسمية هذه المواقع، مــع

المناطق المحيطة بها نجد اسما ولاسماء تلك المناطق أصولا لغوية وجذورًا أساسية في ربط الاسم بالمسمى الدال بالمدلول.

فمعسكر المدينة سميت قديما بالراشدية أما معسكر يقول المؤرخون ومنهم أبو القاسم سعد الله أصلها أم العساكر لأنها كانت موطنا للجيش الفرنسي وتاريخها يعود إلى العهد الروماني فهي من أقدم مدن الجزائر كانت قرية صغيرة, ونظرا لموقعها الاستراتيجي اتخذها الرومان مقرًا لجنودهم وظلت ضمن خطوط الدفاع المعروفة وأطلقوا عليها اسم كاسترانوفا أي "القلعة الجديدة" ،وفي القرن السادس الهجري جعلها الموحدون قلعة عسكرية ثم صارت عاصمة الإقليم في عهد الباي مصطفى بوشلاغم ،و استمرت مركزا لبايلك الغرب إلى سنة 1791 بعد تحرير وهران والمرسى الكبير من الاحتلال الإسباني. وبعد استيلاء الفرنسيين على مدينة الجزائر سنة 1830 عرفت المدينة مرحلة جديدة في تاريخها بدخول أهلها في المقاومة بقيادة الشيخ محي الدين والد الأمير عبد القادر الجزائري، وبعد مبايعة هذا الأخير دخلها ونزل في دار الحكومة فأصبحت المدينة حاضرة لإمارته، وبقيت هكذا إلى أن استولى عليها كلوزيل في 6 ديسمبر 1835 وأحرقها ثم غادرها فرجع الأمير إليها واستأنف نضاله بها، وبقيت العاصمة السياسية للإمارة حيث يقيم قنصل فرنسا، إلى أن ارتحل الأمير عنها نهائياً.

تقع مدينة معسكر على مشارف جبال بني شقران صور مدينة معسكر، ولذلك سميّت بمنطقة بني شقران كما تعتبر أهم حاضرة من حواضر العلم وتزخر مدينة معسكر بمعالم تاريخية وأثرية تعددت أسماؤها واختلفت معالمها، وهذه التسميات مما شكّل لها جذورًا في المعاني، سواء تعلق الأمر بقراها أم مداشرها أم أسماء زواياها وأوليائها، ولهذه الأسماء أصول اعتمدت في تسميتها.

وبعد الاحتلال الفرنسي أصبحت عاصمة لمقاومة الأمير عبد القادر بعد مبايعته سنة 1932 تحت شجرة الدردارة ثم المبايعة الثانية 1933 بالمسجد المسمى اليوم مسجد المبايعة ودخل أهلها في المقاومة بقيادة الأمير عبد القادر الجزائري، بعد الاستلاء عليها في 6 ديسمبر 1835 في حملة عسكرية بقيادة كلوزيل ودامت المقاومة سبع عشرة سنة (17) وبقيت معسكر العاصمة السياسية إلى أن غادرها الأمير 1947

ومن أهم مناطقها التي لها علاقة بأصول تسمياتها (القيطنة): هي التي ولد بها الأمير عبد القادر وسميت بذلك لأن فيها كانت تبنى الخيام وبها أول زاوية لجد الأمير عبد القادر. ومنطقة (القعدة): هي منطقة تابعة لزهانة تقع بالشمال الشرقية لمعسكر. ومن أهم سكانها قبائل مهاجة التي تنتمي إلى فئة الأشراف والتي أنجبت الكثير من الشخصيات البارزة في تاريخ الجزائر. والقعدة اشتهرت بإحياء الجلسات في المناسبات الاحتفالية، وكذلك (المحمدية) واقعة بإحدى السهول وهو سهل الهبرة وهي مدينة المحمدية بنيت على أطلال مدينة رومانية اندثرت إثر غزوات الوندال في القرن الأول بعد الميلاد. أثناء الحكم العثماني سكنها قبيلة سجرارة وقبيلة البرجية شهدت إحدى ضواحيها (المقطع) هزيمة الفرنسيين أمامٍ جيش الأمير عبد القادر في 26 جوان 1835، وسميت Perrégaux باريقو نسبةً للجنرال الذي مات وتسمية المحمدية نسبة إلى الأمة المحمدية سكنتها أيضا قبائل بني شقران ووقعت فيها ثورة سميت ثورة بني شقران في 1917. ومن بين أحيائها القديمة في المدينة هي حي القوادرية وحي القرابة وحي البخايتية. وسميت بذلك نسبة لمحمد صلى عليه وسلم. أما (هاشم) تقع دائرة هاشم في الجنوب الشرقي للولاية، وهي نسبة تشتهر بزواياها وهي من قبائل الحشم وسكانها الأصليون من الحشم وهم خدم مولى عبد المؤمن بن علي الموحدي الذين جاءوا بعد المرابطين. أما (بوحنيفية): منطقة جبلية لبني شقران عن توسع ونمو مدينة بوحنيفية: الفترة الرومانية: إن تاريخ مدينة بوحنيفية ليس حديثا بل معروف باكتشاف واستعمال مياهه المعدنية المكتشفة من طرف الرومان. – لقد وصل الرومان إلى مدينة بوحنيفية والدليل هو تلك الآثار المتبقية حاليا وهذا في المنطقة الجنوبية من المدينة، المياه المعدنية كان يعتز بها الرومان مما أدى بهم إلى بناء مدينة عسكرية كانت تسمى*أكواسبرنسس. ففي القرن الرابع عشر المدينة أصبحت تسمى نسبة للفاتح–أبوحنيفية– وتوجد قبة له في الجهة اليمنى من واد المنطقة، أبوحنيفية المولود سنة1279ببغداد والذي توفى عن عمر يناهز السبعين سنة بالمدينة. أما (تيغنيف) فهي إحدى مناطق المدينة التي تقع شمال غرب البلاد. يوجد بتغنيف موقع للحضارة الاشورية وجد به العديد من العظام الحيوانية والبشرية واشتهرت بأقدم إنسان رجل تغنيف. وعاشت المنطقة في عهد المماليك المستقلة حيث انضمت للتجمعات البشرية أي عهد (نوميديا)، ولم تحتفظ من مرحلتها البربرية سوى بالاسم (تغنيفين) والتي تتكون من كلمتين معناها بالأمازيغية (تيغ: بمعنى إثنان ـــ ونيفين: بمعنى منبع). أما (واد تاغية)، فنسبة تسميتها ترجع إلى نسبة هذا الواد لأحد الملوك الظالمين، والبعض

يقول لطغيان الواد وفيضانه. أما (سيدي قادة) فبها الزمالة وهي زمالة الأمير عبد القادر، المتواجدة في هضبة سيدي قادة التي كانت بها مدرسة قرآنية درس فيها الأمير وترعرع بها وبجوارها حمام الأمير بالإضافة الى صومعة الأمير وسور يحيط بها يعود لتلك الفترة (بداية القرن 19) بني في تلك الفترة. وزمالة الأمير تقع قرية الأمير عبد القادر التي تضم ضريح سيدي قادة الجد السادس للأمير وضريح. وسميت بذلك نسبة لجد الأمير عبد القادر دفين المنطقة وهو سيدي أحمد المختار الجد السابع للأمير وضريح الأمير سيدي محي الدين والد الأمير عبد القادر وبجواره الأمير محمد أخ الأمير عبد القادر. هذه الأضرحة بناها الأمير خالد حفيد الأمير سنة 1913م.

أما (الدار الحمرة) هي منطقة داخل الولاية سميت بذلك لأنها كانت مكانا زمن الفرنسيين لإعدام الثوار حتى أصبحت ملطخة بالدم فأخذت هذه التسمية. و(شجرة الدردارة): لها مفهوم لغوي مرتبط بموضع المبايعة (مبايعة الأمير عبد القادر).

المصادر:

- كتاب الحسب والنسب في الفضائل والأدب في أربعة كتب.. الهاشمي بن بكار
- عبد الرحمن الجيلالي تاريخ الجزائر العام
- توفيق المدني تاريخ الجزائر القديم والحديث
- يوسف السيرة المرضية في ترجمة مؤسسي الطرق الصوفية

الأسس اللسانية ووظائفها في صياغة علم تسمية الأفراد وتأصيله.

د. يوسف وسطاني.
جامعة سطيف 2

ملخّص:

تندرج هذه المُداخلة ضمْن المحور الثّامن من محاور الملتقى، لتتناول حيّزا من مُقْتضياته، بموجب العنوان المُشار إليه أعلاه، والذي يتعلّق بمجال الأبعاد اللّغوية في "علْم التّسمية" ذي الأهمية القُصوى في الخصوصية الاجتماعية والثقافية للأمة الجزائرية، كونه – أيْ علم التسمية – يُشكّل أحد الأسس الثّابتة في صوْن كيّانها من الاندثار أو الذّوبان في غيرها من الأمم، وحفظ تمايزها الحضاري في مجتمع المعرفة، وما يتّسم به من تغيّرات وتحوّلات سريعة وعميقة لا ترحم الضعيف. ولا ريْبَ أنّ علم التّسمية، تتجلّى وظائفه في إطلاق مختلف الأسماء على الأفراد والأماكن، والتي – تبعًا لتلك التّسميات – تنعكس آثاره الإيجابية في الحفاظ على التّماسك الاجتماعي للأمة إنْ أُحْسِن توظيفه، بما تحمله تلك الأسماء في طيّاتها من رموز ودلالات مختلفة – للأشخاص والأماكن – ويتعلّق جلّها بالعناصر الثقافية للأمة، وانتمائها الروحي والحضاري. ولعلّ ذلك ما يعزز وحدة الأمة ويُنمّي وشائج تماسكها، بذلك التّأثير "السّحري" لطبيعة الأسماء والصيغ التي تطلق أعلامًا للأشخاص والأماكن. ولا يجب أن يغيب على كلّ دارس متفحّص لهاذh المجال الحساس في حياة الأمة مَا للُغتها من أهمية بالغة في تحقيق غايات علم التّسمية، وذلك بتوظيف نظامها المتواضع عليه بمستوياته اللسانية المتضافرة في أداء عملية الاتصال والتواصل بمقتضياتها، إذ يتّضح من كلّ ذلك أنّ اللغة – لغة أُمّة مَا – هي الوعاء الأمثل الذي يُغطّي مُتطلّبات علْم التّسمية، بل هي "الخزّان" الذي لا ينضب عطاؤُه الذي تتزوّد منه عملية صياغة مُختلف الأسماء والألقاب والكُنَى وفق قوانين الصياغة والاشتقاق القائمة في تلك اللغة. وعملا بهذه "المُسَلَّمَة" اقترحنا لمداخلتنا– في نطاق هذا الملتقى – عنوانا هو: "الأسس اللّسانية ووظائفها في صياغة علْم تسْمية الأفراد وتأصيله " كوْن اللغة " أصواتًا يُعبّر بها كلّ قوم عن

أغراضهم " وانطلاقا من هذا التعريف الوجيز للغة "لابن جنّي" وضعْنا الإطار النّظري الآتي لمُداخلتنا:

1. **مُقدّمة:** يُشار فيها إلى أهمّية اللغة كنظام اجتماعي متواضع عليه ووعاء لحفظ ثقافة الأمة بكل فروعها.

2. **علم التّسمية:** المفهوم والموقع في مستويات علوم اللسان العربي.

3. **الأسس اللسانية وعلم التّسمية:** كُنْهُها ووظائفها في ضبط أسماء الأفراد والأماكن وتأصيلها مع بعض التّطبيقات العملية.

4. **خاتمة:** أهمّ النتائج المتوقّعة من المُداخلة

نصّ المُداخلة.

1 مُقدّمة:

تعتزّ الأمم الرّاقية فكرا وحضارة بعناصر مقوّمات ثقافتها وانتمائها الحضاري، وتذود عنها بكلّ ما تملك من وسائل مادية ومعنوية، حرْصا منها على صوْن مميّزات ذاتها الحضارية – بكلّ خصائصها الثقافية والاجتماعية والفكرية – من الاندثار، حفاظا على وحدة الأمّة وصَوْن كيانها من الذّوبان في الغير، كلّ ذلك في خضمّ معترك التحوّلات العالمية المُذهلة التي يعرفها عالمنا المعاصر في شتّى مجالات الحياة، بوفرة وغزارة المنتجات المادية والفكرية والثقافية، والتي تغزو المعمورة بوتيرة مُطّردة، معتمدة على وسائل الاتصال والتواصل غاية في السرعة والدقة، والتي مكّنت إنسان اليوم من " التّفاعل " مع تلك المستجدات التي "تُفرض" عليه وعلى محيطه بكل مناحيه. ولا يغيب عن كلّ ذي بصيرة، أنّ ذلك "التّفاعل" الحضاري الحاصل بين الأمم يحمل في طياته الكثير من ألوان ثقافات وعناصر هويات تلك الأمم، وبذور خصائصها الاجتماعية والاقتصادية وطابعها الحضاري الخاص، " بوعاء لغوي خاص". وفي نطاق تلك الشبكة من التفاعلات التواصلية بين أفراد الأمة الواحدة وبين مختلف الأمم تتّضح بلا ريب معالم التّمايز الحضاريٍ والثقافي للأفراد والجماعات، وفق العناصر المختلفة المشكّلة لخصوصيات كلّ منها، والتي – من الضرورة بمكان – الاعتماد عليها، بل والانطلاق من متطلّباتها في عملية الاتصال والتواصل مهما كان نطاقها. ونعني بالعناصر في هذا المقام تلك الأسس الرئيسة التي تقوّم مقتضياتها هوية الأمة، والتي من أبرزها عنصر

"اللغة"، التي هي أسمى خاصية الإنسان، وأرقى ميزاته في الحياة. ولا عجب إذا لجأت مختلف حقول المعرفة الإنسانية – في زماننا هذا – من فلسفة وأدب وتاريخ وعلوم إنسانية كثيرة إلى علم اللسانيات أي علوم اللسان البشري، بُغية الاستفادة من نتائج الدراسة الحاصلة في مجالها، والتّمكّن من توظيفها في مختلف المواقف وصنوف التّعبير عن انشغالات الإنسان المعاصر وحاجاته التواصلية، ككائن اجتماعي في مجتمع المعرفة. وممّا تقدّم تبرز بوضوح مكانة وخطورة لغة الأمة، كنظام اجتماعيّ متداول بين الأفراد والجماعات، إذ يشكّل الوعاء الحقيقي الذي يحمل ثقافتها وعاداتها وتقاليدها التي تضمن تماسكها الاجتماعي ويحفظ وحدتها من التفكّك. وإذا كانت ظاهرة تعدّد الألسن آيةً من آيات اللّه تعالى في الكون، مصداقا لقوله جلّت قُدرته: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾الروم–22، وإذا كنّا نعلمُ بيَقِين أنّ جميع اللغات البشرية تتساوى من حيث القدرة على أداء مقتضيات عملية التواصل الاجتماعي، فإنّ ما يحمله التعدّد اللغوي من مضامين ثقافية مختلفة، يجعل مواجهة ذلك الوضع من المهام الحضارية الخطيرة للأمة، ويقوم أوّل ما يقوم على أساس توظيف اللغة – لغة الأمة – بنظامها اللساني المتواضع عليه أي مستوياتها: الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية، وذلك التوظيف يعني الممارسة الفعلية للغة نطقا وتدوينا، في جميع مجالات الحياة، وذلك من شأنه المحافظة على نسيجها الاجتماعي، ويربطها بذاتها الحضارية، ويقوّي مناعتها الثقافية، في خضمّ الصراع الحضاري القائم بين الأمم القوية والضعيفة، تحت غطاء تسميات مختلفة، تستهوي من لا يملك مناعته الثقافية عبر ما تكتنزه لغته من خصائص ومميزات، لأنّ أبرز وسائل ذلك الصراع – الذي لا ينتهي – هو اللغة بوظائفها الظاهرة والباطنة، والتي تُفرض بوسائل ظاهرها تبادل علمي وثقافي، وباطنها هيمنة واستيلاب لأحد أبرز عناصر هُوية الأمة، كلّ ذلك حاصل لا محالة في غياب " سيطرة " و " هيمنة " لسان الأمة على جميع شؤونها وتعاملاتها، بالنظر إلى الوظائف الخطيرة للغة، إذ لا يقف على آثارها إلاّ مَن أُوتي حظّا عظيما في معرفة كُنْه وطبيعة تلك الوظائف وعلاقاتها بفكر الإنسان وسلوكه وثقافته أيْ هويته بعناصرها المتكاملة. واللغة العربية تملك من الخصائص الذّاتية بما يمكّنها من مُجابهة كل التحدّيات الحضارية الراهنة، انطلاقا من ذلك التّفاوت الحاصل بين لغات الأمم فيما يتعلّق بدواوينها الثقافية من حيث الحجم وغزارة العطاء الثقافي والحضاري لتلك الأمم، ومن هنا تتفاوت اللغات فيما بينها، وإن تساوت في أداء عمليات التواصل، وذلك من جهة

القدرات البيانية، والاقتصاد اللغوي من جهة ومتفاوتة ثقافيا من جهة ثانية. ولعلّ البحث في مجال الخصوصيات الاجتماعية والثقافية للأمة الجزائرية يندرج ضمن ديوانها الثقافي بكل أبعاده الذي من أوعيته وروافده اللغة العربية، من ذلك مجال إطلاق أعلام الأشخاص وأعلام الأماكن – أي علم التّسمية – "كونه أكثر الحصون المانعة من تلاشي شخصيتنا المتميّزة "إنسانًا ومكانًا" كما جاء في ديباجة ملتقانا هذا. إنّ إطلاق مختلف الأسماء والكُنى، والألقاب على الأفراد والأماكن عملية على جانب كبير من الأهمية، تقتضي من الجميع إحاطتها بالعناية القصوى فيما يتعلّق بالمنطلقات والأسس التي تتمّ بموجبها وضع وصياغة مختلف الأعلام قبل إطلاقها، وذلك بالنظر إلى مختلف المعاني والدّلالات التي تحملها تلك الأسماء على مسمّياتها، والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بالعناصر الثقافية وعادات وتقاليد المجتمع الذي صِيغَتْ فيه صياغة خاصة، أو بمصطلح معيّن، غايته إيصال كُنْهه ومعناه ودلالته، بل ورمزيته إلى الوسط الاجتماعي الصّادر في صورة لفظية واضحة، مركبة من نسق من رموز لغة المجتمع والقابلة للتبنّي والتداول في نسيج ذلك المجتمع. وإلى هذا الحدّ، تبيّن لنا أنّ المنطلق الأساس لعلم "التّسمية" – أفرادًا وأماكن– يتمثّل في لغة الأمة، اللغة المتداولة بين جميع فئاتها اتصالا وتواصلا، لأنها – أي اللغة بنظامها المتكامل – وثقافتها وآدابها، هي المصدر الأصيل الذي تُستنبط وتُصاغ منه مختلف التّسميات – أشخاصا وأماكن – بوشائج ثقافية معتادة، وصلات حضارية راسخة، تضمن تماسك المجتمع وتميُّزَه الرّوحي والحضاري، وتنمّي روابط الأخوة والوحدة والتّضامن بين كلّ الفئات الاجتماعية للأمة. فما علاقة علم التسمية بلغة الأمة؟ نحاول من خلال المبحث الموالي الإجابة عن ذلك.

2 علم التّسمية: المفهوم والموقع في مستويات علوم اللسان العربي.

قبل الخوض في مجال موقع علم التّسمية في مدارج علم اللسان العربي – لأنّ المُداخلة تتعلّق بمستويات اللغة العربية وقوانينها الصوتية والصرفية والنحوية في هذا المجال – نبدأ بمصطلح " التّسمية " لنقف على علة مفهومه انطلاقا من أنّ فهم كنهه يمكّن من معرفة دوره ووظائفه في شؤون المجتمع، وتماسكه وصوْن وحدته. فما الذي نَعنيه بهذا المصطلح في مجال اللغة؟ إنّ الفعل الثلاثي منه " سَمَا " سُمُوًّا يحمل معنى العُلوّ والارتفاع أيْ الرّفعة، ومنه اسْمُ الشيء وسَمُهُ وسِمُهُ وسَمَاهُ بمعنى: عَلامَتُهُ[1] وهو مشتق من سَمَوْتُ، لأنّه في جوهره تَنْويه ورفعةٌ، ومن هنا يتبيّن لنا مدى الاهتمام الذي توليه الأمّة لمجال التسمية سواء تعلق الأمر بالأفراد أم

بالأماكن، كما اختلف اللغويّون العرب في مسألة اشتقاق لفظ "الاسم" إذْ ذهب البعض إلى أنّه من السموّ (العلوّ)، وقال فريق آخر إلى أنه من "السّمة" بمعنى العلامة[2]. وانطلاقا ممّا سبق من معان، يتضح معنى الاسم، الذي يعني "العلامة" وهي خاصية محددة يُعرف بها الإنسان أو المكان، لأنّه –أي الاسم – هو العلامة الخاصة التي يُعرف بها مسمّاه وأبرز معانيه السموّ والرفعة كما مرّ بنا، ومن هنا نتبيّن مدى الأهمية البالغة التي يُعيرها المجتمع للأسماء، لأن الاسم علامة خاصة يميز مسمّاه – مهما كان كُنهه وطبيعته – لأنه يحمل معنى ودلالة تتعلقان بثقافة المجتمع وعاداته وتقاليده. ومن هذا المنطلق تبرز القيمة الثقافية التي يحملها أي اسم وذلك بالنظر إلى ما يتضمّنه من تلك الدلالات والمعاني الخاصة التي لا تتعلّق بالمسمّى فحسب – وإن كانت تخصّه – ولكن يمتدّ تأثيرها إلى المحيط الاجتماعي الذي تقع فيه، ليحدث ذلك التّفاعل الحاصل من مضامين مختلف التّسميات، حيث تسري آثارها في النسيج الاجتماعي بما تحمله من إشارات خفية وظاهرة تتعلق بالمفاهيم الاجتماعية والثقافية السائدة في ذلك المحيط. و لا ريب أن تلك الآثار الإيجابية الناتجة عن حسن صياغة وانتقاء الأسماء لمختلف المسمّيات " تخلق " شتى أنواع وشائج التقارب والتآخي والألفة بين أفراد الأمة، وتبعا لذلك تحقّق تضامنها وتماسكها نتيجة تآلف معاني ودلالات الأسماء وتقاربها تداولا ونطقا. تلك بعض الإشارات المتعلقة بعلم التسمية وكُنْهه وأهميته القصوى في حياة الأمم، ونحاول من خلال السطور الموالية التطرق إلى موقع ذلك العلم في مدارج علوم اللسان العربي، ونعني بذلك نظام اللغة العربية المتكامل، الذي يُشكّل المنطلق العلمي الأساس التي يتمّ بموجب مقتضياته اللسانية صياغة متطلّبات تسمية الأفراد والأماكن وغيرها تسمية خاضعة " لقوانين " اللغة وضوابطها، ضمانا لتداول " تلك التّسميات " تداولا سليما يحقّق المبتغى منها، اعتمادا على تلك الضوابط والقوانين، التي هي في جوهرها وسائل لبلوغ غايات. ومن هذه النتيجة، نستنتج أنّ أيّ نوع من " التسمية " الذي هو مصدر قياسي بزيادة تاء تأنيث لزوما [3] يتشكل من حروف (أصوات) والتي تأتلف فيما بينها في صيغة أو هيئة لفظية بوزن صرفي معين، وتحمل دلالة معينة، وذلك ما يُسمى " العَلَم " ..إنّه ذلك الاسم الذي يعيّن مُسمّاه مُطلقا[4] ليُصبح علامةً يُعرفُ بها، وذلك يشمل الإنسان وكلّ الكائنات الحيّة والجامدة، من حيوانات وأماكن، ومدن وبلدان مختلفة، لأنّ لفظ " العَلَم " يتضمّن معان عديدة في اللغة العربية، منها الراية الخاصة بأمة معينة، أو علامة إشارة

المرور، ومنها معنى الجبل كما في قوله عــزّ وجــلّ " ﴿وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٢٤﴾﴾ الرّحمن24.

ومماّ سبق تبيّن لنا أنّ " العَلَم " هو ذلك الاسم الذي يُطلقُ على مُسَــمّى خــاصّ ليكون " علامةً " يُعرف بها المُسمّى. ويظهر من خلال مــا تقــدّم أنّ الْعَلــم هــو المصطلح الأساس في علم التسمية، ويغطّي جميع مجالات التّسمية الماديــة منهــا والمعنوية، وينقسم – انطلاقا من دلالاته – إلى ثلاثة أقسام هي على النّحو التــالي: الاسم، والكُنية، واللقب[5]، وتبعا لذلك فإنّ هذا التّرتيب محفــوظ فــي الاســتعمال والتّداول، إذ يجب تقديم الاسم على الكُنية واللّقب عند منــاداة المُســمّى أو تــدوين اسمه، وذلك الترتيب مردّه إلى طبيعة كلّ مصــطلح مــن المصــطلحات الثلاثــة المذكورة، بالنظر إلى الدلالة الخاصة التي يتضمنها ومدى تجذّرها في ثقافة الأمــة عند إطلاقه على مُسمّى معيّن، فترتيبه مرتبط أساسا بقوتــه الدلاليــة ومرجعيتــه اللغوية والاجتماعية، طبقا لما ورد من تعريفات لمصطلح العلم في كتــب النّحــو العربي[6]، إذ احتلّ " الاسمِ المرتبة الأولى في تعريف العلم وهــو أحــد أقســامه الثلاثة، وقد تمّ تعريفهما لغةً في بداية هذه السطور. ولمّا كان أوّل أقسام الْعَلَم هــو "الاسم" فإن هذا الأخير يَردُ عادة مجرّدا من كلّ أشكال الوصف مثل المدح والــذّمّ، ولا يكون مسبوقا بألفاظ: أَب، أو أم، أو ابن، أو ابنة، أو أخ، أو أخت. والاسم على نمطيْن: مُرتَجَلٌ، ومَنْقولٌ [7]. ويتعيّن على الدارس في هذا المجال الوقــوف علــى مفهوم المصطلحيْن المذكوريْن، لما لهما مــن دور فــي تحديــد دلالات الأعــلام وتصنيفها تصنيفا لغويا يكسبها أهميتها التداولية قبل وبعد إطلاقها على الأشــخاص والأماكن. ويمكن لنا– وبإيجاز – أن نشير إلى أبرز الفروق بين الاســم المرتجــل والمنقول كما يلي:

الاسم المرتجل: هذا النّوع من أسماء الأعلامِ عبارة عنِ لفظ وُضــع بالأصــل ليؤدّي وظيفة "العلَميّة" وتلك الصفة تعني أنّه استُعْمِلَ علماً منذ البداية فــي مثــل: (عليّ، وسفيان، وهران...) فهي وما شاكلها أعلامٌ تمّت التّسمية بها من غير سابقة استعمال، وصفتها مستنبطة من الارتجال، ويفيد التكلّم من غير سابق اســتعداد ولا تحضير، وهذا المفهوم ينطبق على الأعلام المرتجلة[8]. ومن الملاحظ تداول هــذا الصّنف من الأسماء في مجتمعنا، سواء أكان ذلك بالنسبة للأفراد أم للأمــاكن ولا يخرج وضعها ولا دلالاتها عن معنى "الارتجالية" في كافة الأعلام المتداولــة فــي مثل: (أسامة – سعاد – باتنة–..).

الاسم المنقول: المقصود بالاسم المنقول في هذا الصدد هو كلّ اسم سبق له استعمال معين ولكن في غير العَلَميّة، تمّ نقُل إليها وذلك يعني أنه أُطلق علمًا خاصّا على مُسمّى[9]. وتجدر الإشارة – في هذا المجال – إلى أنّ هذا النّوع من الأسماء الأعلام كثير ومتداول بشتّى أنواعه في المجتمع، لوفرة صيغه المتداولة بين الأفراد والجماعات، وذلك مردّه إلى مرجعيات تلك الصيغ المتداولة في الأسماء من المشتقات، والمصادر وحتى من الجمل، كما سيتضح ذلك من المبحث اللاحق المتعلق بالأسس اللسانية لعلم التسمية. وأما القسم الثاني من أقسام العلم بمفهومه اللغوي النحوي فهو: الْكُنْيَةُ: كَنّيْتُ وسترتُ أو عرضتُ، وبذلك فهي اسم تصدّره أحد الألفاظ التي ذُكرت مع تعريف الاسم، والتي منها: (أب، وأم، وابن،....) وعادة ما تأتي الكنية لتعظيم أو توقير المسمى كما سيتبيّن في مبحث لاحق. أمّا اللّقب – القسم الثالث من أقسام العلم – هو اللفظ أو الاسم الذي يُطلق على المُسمى بعد الْعَلَم الأول، وأمّا دلالته فغالبا ما تأتي للمدح أو للذّمّ [10]. ومن خصائص مصطلح الْعَلَم – في ميدان التّسمية – والواردة في كتب النحو بشأنه أنه – وبحسب معناه – يختص بأحد المصطلحيْن الآتييْن: عَلَمُ الشخص، وعَلَم الجنس. أمّا الأول – عَلَم الشخص – فقد يُطلق على إنسان أو حيوان أو مكان، على أن يتمّ تحديد المقصود منه بذاته، وذلك بموجب استعمال اللفظ الدّال عليه، كما يمكن – وفق ما سبق – إطلاقه على أكثر من واحد في بيئة معينة، على أنّ ذلك الإطلاق يكون بالضرورة اعتباطيا، كونه لا يقتضي وجود سمات مُشتركة بين المسميات التي يُطلق عليها، بمعني أنّ الاشتراك في الاسم الواحد لا يرجع بالضرورة إلى خصائص شكلية أو نفسية أو جنسية بين المسمّيْن به. وفيما يخصّ عَلَم الجنس، وكما هو جليّ من اسمه فإنّ دلالته تتمثّل في تحديد الجنس كلّه، لا على تحديد فرد منه، وذلك يعني أنّ هذا النّوع من الأعلام لا يُطلق على فرد يعينه دون سائر الأفراد من أيّ جنس أو فصيلة، بل يشمل – عند إطلاقه – كل أفرادها. هذا – بإيجاز شديد – ما أمكن تلخيصه فيما يتعلّق بمتطلّبات المبحث الثاني من مباحث هذه المداخلة، والذي يحمل عنوان: " علْم التسمية في العربية، وموقعه من علوم اللسان العربي، ونحسب أنّ بعض معالمه وخصائصه ستتجلي من خلال بسط مقتضيات المبحث الثالث الذي عنوانه:

3 الأسس اللّسانية لعلم التّسمية: كُنْهها ووظائفها في ضبط وتأصيل أسماء الأفراد:

لقد تناولنا في المبحث السابق مسألة موقع علْم التّسمية في مدارج علْم اللسان العربي، وأمكن لنا بعد شيء من التحرّي أن نقف على المنطلق العلمي الذي يؤصّل

لهذا العلْم، والذي يندرج في مباحث: "الْعَلَم وأقسامه" وما لـــه صـــلة بخصائصـــه كمبحث أصيل في علْم النحو العربي، ممّا يجعله – أي علـــم التســـمية – خاضـــعا لقواعد اللغة التي ينتمي إليها، وذلك بغية الوصول إلى مستوى "عَلَمِيتِه" انطلاقا من القوانين والقواعد التي تضبط ذلك العِلْم. ومن ثمة يمكن الاعتماد على مبدأ التّأصيل اللغوي لكلّ أشكال الأسماء التي تُطلق على الأشخاص والأمـــاكن وغيرهـــا مـــن الموجودات، مع الإشارة إلى أن مداخلتنا اقتصرت في مباحثها على مسألة تســـمية أعلام الأشخاص. وتأسيسا على ما سبق، نحاول من خلال المبحث الثالث عـــرض شيء من المرتكزات والأسس اللسانية لعِلْم التّسمية والتي بموجبها تتمّ عملية إطلاق الأعلام وجميع أقسامها. فما المقصود بـــ: "الأسس اللسانية"؟ لكل شيء أسسه التي ينبني عليها، وما نرومه من الأسس هاهنا هي تلك الركائز التي تشكل بحق الســـند العلْمي في صياغة أعلام الأشخاص والأماكن. ويتضح من خلال ذلك أنهـــا كـــل الوسائط والوسائل " اللغوية " الضابطة لصياغة مختلف الأعلام والأســـماء التـــي تتميز بها الحياة الاجتماعية المعاصرة في عالم المعرفة، والتي نتفاعل معها ســـلبا وإيجابا– وفق المقام ومعطياته – في عملية الاتصال والتواصل بكـــل متطلباتهـــا. ومن نافلة القول أن تلك الأسس تتشكل من نظام اللغة المعتمدة لدى الأمة، تلك اللغة التي وردت بشأنها آراء وتعريفات من لـــدن الدّارســـين المختصّـــين – الأوائـــل والمحدثين المعاصرين، بكونها أي اللغة: "...أصواتٌ يعبّر بهـــا كـــل قـــوم عـــن أغراضهم.." [12]، وقولهم أيضا: ..." حدّ اللغة كلّ لفـــظ وُضِـــع لمعنـــى..." [13]. وانطلاقا من هذين التّعريفيْن، فكل لفظ موضوع لمعنى معين، وقد مـــرّ بنـــا فـــي تعريف "الْعَلَم" أنه –علامة لمسمّاه، والاسم من السّموّ والرّفعة، ممّـــا يســـتوجب أن يكون الْعَلَم ذا دلالة محمودة ومقبولة لدى الجماعة اللغوية الصادرة بـــين ثناياهـــا، وذلك من شأنه زرع الألفة والمحبة بين أفراد تلك الجماعة، ممـــا يعـــزّز وشـــائج الوحدة والتضامن والتآخي. ولا ريب أن اللغة هي الملجأ والخزان الذي يُعتمد عليه في وضع وصياغة مختلف الأعلام والأسماء وإطلاقها على الأشخاص والأمـــاكن، بل وعلى كلّ ما يقع تحت ناظري الإنسان من موجودات هذا الكون الرّحب، فاللغة وحدها الكفيلة بتوفير جميع الخصائص الإيجابية والـــدلالات المرضـــية لمختلـــف الأعلام والأسماء. واللغة نظام متواضع عليه، يقوم على مستويات يـــتم بموجبهـــا صياغة المفردات على اختلاف أوزانها، تلك " اللبنات " التي تتركب مع بعضها في مقام معين، لتفيد معنى معينا أيضا، وإن كان المقام هاهنا يتعلق بالأسماء المفـــردة أعلاما، غير أن الاعتماد على مستويات اللغة لا مفرّ منه في جميع الحـــالات. ولا

بأس أن نذكّر – في هذا السياق – بعدد تلك المستويات، التي وردت بشـأنها آراء من لدن باحثين عرب وغربيين، فهي خمسة مستويات عند بعضهم تتمثل في: علـم الأصوات، وعلم الصرف، والمعجم، وعلم التركيب، وعلم الدلالة، وهي أربعة عند فئة أخرى مشكلة من المسـتويات الآتيـة: الصّـوتي، والإفـرادي، والتركيبـي، والدلالي[14]. ومهما يكن من أمر تقسيم وتعدد مستويات اللغة، فإننا نتبنّـى الثلاثـة الأولى: علم الأصوات، وعلم التصريف، وعلم النحو أو ما يُطلق عليه حديثا: علْـم التركيب. ونحسب أن هذه المستويات كفيلة بتغطية المتطلبات والمقتضيات اللسانية لعِلْم التّسمية، مهما كان مجاله في الحياة الاجتماعية في مجتمـع المعرفـة، مـادّةً ومعنىً، وهي – أي المستويات الثلاثة المذكورة – الوسيلة الأنجع والأقرب لمنطق التحليل اللساني إفرادا وتركيبا، والأوْفى في عمليات صياغة واصـطلاح مختلـف الأعلام وأقسامها من أسماء، وكُنًى، وألقاب، إذ لا يمكن تصوّر معنًى ما أو وضع اصطلاح معيّن أو تعليم طريقة صياغة خارجٍ نطاق تلك المستويات. ولا يجـب أن يغيب عن بال كلّ باحث متخصّص أنّ تلك "التّجزئة" لمسـتويات اللغـة لا تعنـي إطلاقا انفصالها عن بعضها في الأداء اللغوي أيّا كان مجاله، بل هو إجراء عملـي غرضه التّيسير والإدراك ليس إلاّ، ذلك أنّ "تكاملية" تلك المستويات أمر لا يحتـاج إلى دليل، إذ أنها تعمل مُتضافرة في تشكيل وصياغة مختلف المبـاني والمعـاني تشكيلا سليما تضبطه قواعد وقوانين تلك المستويات. ويمكن لنا بعد الذي ذُكِر، أن نتناول كلّ مستوى من المستويات الثلاثة المذكورة، وربطها بِ " علْـم التّسـمية " لتتّضح من خلال تلك العملية طبيعة وكنه الأسس اللسانية ووظيفتها فـي تأصـيل أعلام الأشخاص، وذلك على النّحو التالي:

1– **المستوى الصّوتي:** كيف يمكن لهذا المستوى أن يشكّل مرتكزا من مرتكـزات علم التسمية؟ لقد ذكرنا في بعض تعريفات اللغة ذلك الذي مفاده أنّ حدّ اللغة أصـوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم وهذا تعريف شاف كاف، ذلك أنّ الكلمـة فـي اللغـة العربية تتشكّل من حروف وهذه الأخيرة لها مخارجها التي يتم بموجبها النطق بهـا، إذ يلعب النطق دورا فعّالا في إحداث الأنس والألفة بين الأفراد الناطقين بلغة واحدة، وأنّ أي اختلاف في الأداء الصوتي للحروف التي تشكّل الألفاظ المنطوق بها يحدث نشـازا ملحوظا بين سامعي اللغة الواحدة، ومن ههنا تكمن خطورة المسـتوى الصـوتي فـي التلفظ بالأعلام والأسماء، ولا شكّ في أنّ الإلمام إلماما تامّا بمخارج الحروف العربيـة وكيفية النطق بها أهم خطوة يجب الحرص على أدائها والتمكن منهـا، وذلـك إعـدادا

للناطقين بالعربية لممارسة التواصل بها نطقا وتدوينا على الوجه الأكمل، ممّا يمكّن الأفراد والجماعات ضمن نطاق مكونات الأمة من الاتصال والتواصل بأداء لغوي سليم أول أسسه النطق الصحيح لأصوات اللغة العربية. ولعلّ الإشارة إلى الإخلال بأداء النطق بحروف العربية في مجتمعنا يعطينا لمحة عن الآثار السلبية الناتجة عن الإساءة إلى أصواتها نطقا وكتابة، وخاصة في مجال أعلام الأشخاص الذي عرف الكثير من الإخلال في النطق ببعض الأسماء وحتى تدوينها على مستوى الوثائق الرسمية، من ذلك على سبيل المثال: "لَمْيَاء" إذ تُنطق "لاميَة" حُذف منها المدّ صوتا وهو علامة من علامات التأنيث إضافة إلى انتفاء المعنى في "لامية" في العربية، والتأثّر بالأصوات اللاتينية واضح ههنا "Lamia" إذ قوبلت "A" اللاتينية بالألف في العربية ونتيجة لذلك فقدت "لمياء" معنى اللّمى وصفة الأنوثة وعلى المنوال السابق تُكتب "سُهيلة" علما لأنثى "سوهيلة" بإضافة الواو تأسّيا بالأصوات اللاتينية كما سبقت الإشارة إليه.

إنّ حروف العربية وأصواتها تغطّي كل مدارج اللسان البشري، ومن هنا تجلّت فصاحتها، فكيف نقبل مختلف الإساءات للنظام الصوتي للعربية وهو مظهرها المادي، والمنطلق الأول لأيّ دراسة لغوية لأنه –أي علم الصوت– الأساس في بناء الألفاظ على اختلاف أوزانها، ولعل تقارب المخارج للحروف في العربية ما يجعل أكثر دقة إذ يتقارب البعض منها وبدلالات متفاوتة في مثل: سِفْرٌ وسَفْرٌ وَصِفْرٌ (بين الصاد والسين) ومنها النطق في اسم "سفيان" بـ "صفيان" كما نجد ذلك بين الطاء والتاء، في علم مثل "طارق" حيث يُنطق "تارق"، ومن الأشكال الأخرى لتحريف أصوات العربية: "مُراد" وهو اسم مفعول من "يُراد" يكتب وينطق "موراد" بإضافة واو، وعلى شاكلته "سميّة" وهو علم أنثى بتصغير "سماء" تكتب وتنطق "سوميّة" بالواو، كل ذلك يدل على إخلال واضح في عملية النطق في أصوات العربية، وذلك له آثاره السيئة في إيصال دلالة العَلَم.

والملاحظ ان هذه التحريفات الحاصلة في الأعلام والأسماء ذات الدلالة العربية لا يثير الاهتمام، بل وأصبحت تدوّن بأخطائها على الوثائق الرسمية. إنّ التأصيل اللغوي لمجال الأعلام والأسماء ضرورة علمية وحضارية تقي الأمة الكثير من المزالق والتشوهات التي تلحق أعلام الأشخاص فتحرفها عن دلالتها. ولعل ذلك الخلل الحاصل على المستوى الصوتي نجد لها صدى في المستوى الموالي والمتمثل في المستوى الصرفي.

2- **المستوى الصرفي:** إنه ميزان العربية [15] بحق، لأنه يهتم بكل بنية للكلمة، أو اللفظة التي اقتضاها مقام معين، وله علاقة بالمستوى الأول (الأصوات) وما يعتريها من تغييرات وبالمستوى الثالث (النحوي) الذي هو قانون التركيب فيما يتعلق بهيئة الكلمة الحاصلة عند توظيفها. وعلم التصريف علم جليل يشكّل حقلا خصبا وأساسا حقيقيا للغة العربية عامة ولعلم التسمية بصفة خاصة، وذلك كونه النبع الغزير للكثير من أعلام الأشخاص والأماكن خاصة فيما يخص الأسماء المنقولة التي وردت الإشارة إليها في مبحث سابق.

وتشير كتب النحو[16] إلى أنّ ذلك النمط من الأعلام (الاسم المنقول) يرد:

كثيرا من المصادر (وهي أحداث مجرّدة لم يتعيّن زمانها وذلك في مثل: فَضْلٌ، رِفعة...زيْدٌ) أعلاما.

- ومن اسم الفاعل (مشتق من الثلاثي وغيره) قياسا مثل: فاضل، مُراد، شاكر، مُحسن، مؤمن... (لمّا ترد هذه الأسماء أعلاما).

- ومن اسم المفعول مثل: محمد، محفوظ، مبروك، مهدي...(أعلاما).
- ومن الصفة المشبّهة مثل: حسن، نبيه، سعيد، سميح... (أعلاما).
- ومن الفعل مثل: أحمد، يحيى، يزيد...(أعلاما).

كما يمكن للاسم المنقول أن يُصاغ من الجار والمجرور في مثل: "في سبيل التاج" علَمًا، ومن الجملة الفعلية مثل :فتح الله" و"جاد المولى" وما ورد عن العرب أصلها أعلاما مثل: "تأبّط شرا" الشاعر الجاهلي المعروف[17].

ولعلنا نلاحظ مما تقدّم أنّ علم التصريف في اللغة العربية يشكّل اللّبنة الأساس في الدراسات اللغوية، وهو – أي علم التصريف- أساس لتوليد صيغ مختلفة من جذر الكلمة الواحدة عن طريق تغيير الحروف بالسوابق واللواحق وفق قواعد ضابطة لتلك العملية، ونلاحظ أنّ علْم التسمية من خلال الأمثلة الواردة سلفا يُعدّ علم التصريف فيه أساسا من أسس إطلاق مختلف التسميات للأفراد، والأماكن على حدّ سواء، لأنه المعيار والميزان لجميع تلك الصيغ والمصطلحات وهي في جوهرها تلك المادة المنطوق بها والمتشكلة من الأصوات، وإطلاق الأعلام على الأشخاص مادته الأساسية هي الكلمة وهي في جوهرها ذات وظيفة لغوية وهنا في مجال تسمية الأفراد، حيث يجب أن يكون مضمونها ذا صبغة دلالية مرموقة لأنها

– أي تلك الكلمة – تطلق علامة لمسمّاها ولا يضمن ذلك المُبتغى إلاّ ميزان العربية بمعاييره الصارمة.

3- **المستوى النحوي:** النحو قانون العربية الصارم، ويتعلق بالأحوال التي تُوجب صحة التركيب من التعريف والتنكير، وما يقتضيه التركيب الصحيح من الإعراب والبناء، ذلك أنّ النحو العربي له ضوابط ومقاييس لا تضلّ معه أحكام اللغة العربية ولا يجهل معه من أراد أن يُتقن اللسان العربي، لأنّ أحكامه وقوانينه مستنبطة من المصادر اللغوية العربية الأصيلة، والنحو ههنا في مجال علم التسميةٍ للأفراد والأماكن هو الضابط لصحة استعمال مختلف الأعلام بكل أقسامها أسماءً وكنًى وألقابًا بقوانينه وقواعده التركيبية، خاصة إذا تعلق الأمر بتوظيف تلك الأعلام في جمل مفيدة حيث تتعين الوظائف النحوية التي يستقيم بها الأداء اللغوي مثل أنواع المعارف والأعلام، وحكم إعرابها، لأن أحد أنواع تلك المعارف والنحو بتلك الوظائف الهامة تعمل بعلاقات عضوية مع بقية المستويات، إذ أنّ النظرة العلمية الحديثة للنحو لا تفصل بين قوانين الأصوات وقوانين التغيرات الصرفية وقوانين العلاقات الجملية التركيبية كما أنها لا تعزل ذلك كله عن العلاقات التركيبية التي تقوم بها المفردات المعجمية التي تأتلف في التركيب مما يتّصل في النهاية بالمعنى.

وصدق من قال:

النَّحْوُ يُصلِحُ مِن لِسَانِ الأَلْكَن وَالمَرْءُ تُكرمهُ إذَا لَم يلحن
فَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ العُلومِ أجلهًا فَأَجلّها نفعًا مُقوّم الأَلْسُن

فالنحو بالإضافة إلى كل ذلك روح العربية، ووسيلة للرقي اللغوي والإبداع الفكري بقوانينه وقواعده، وهو الجانب الثابت من علوم اللسان العربي يهتم بالصحة في الكلام والاستقامة في الأداء، ليترك تحديد المقام ومقتضياته لعلم البلاغة العربية وذلك أنّ لكلّ مقام مقالا أو ليس من أقسام العلم قسم الكُنى والألقاب وذلك مبحث آخر.

الخاتمة:

من خلال تلك السطور أمكن استنتاج ما يلي:

– يشكّل علم "التسمية" بحق أحد الحصون المانعة من ذوبان الشخصية الوطنية في غيرها (ديباجة الملتقى).

– للأهمية التي يكتسيها ذلك العلم وجب منحه الاهتمام اللازم والمستحق لعلّ من أوجه الاهتمام به مبدأ التأصيل اللغوي للأعلام والأسماء؛

– يقوم مبدأ التأصيل اللغوي على الإلمام بمستويات اللغة المتواضع عليها وإتقانها وتوظيف قوانينها وقواعدها نطقا وتدوينا ضمانا لتوحيد أواصر الوحدة بين أفراد المجتمع، وذلك يتم تداركه بالمران المتواصل (مراحل التعليم)؛

– الإخلال بقواعد النطق والتدوين بعد إطلاق الأعلام والأسماء على الأشخاص له نتائج وخيمة تتجلّى في تمزيق الروابط الثقافية والروحية من أفراد الأمة وهي ظاهرة تفشت في المجتمع وأصبحت لكثرتها مثار سخرية واستهزاء؛

– ضرورة الاعتماد على المنطلقات اللسانية (نظام اللغة المتواضع عليه) كضابط لإطلاق أعلام الأشخاص خاصة لتوحيد الاستعمال وتأصيل الصيغ الموظفة (اعتمادا على الأصوات العربية وصيغها الصرفية وقوانينها النحوية)؛

– إنّ التقيّد بتلك القوانين اللسانية يَقِينًا بيَقِينٍ شرَّ طمس بعض عناصر هويتنا المتميزة (علم التسمية) ذلك أنّ الأسماء لا تُتَرجَم إلى اللغة الأجنبية التي تستعملها، فالذي ينقل اسمًا إلى الإنجليزية مثلا ينقله من لغته برسمه ونطقه وبحروفه في اللغة الأصلية ولذلك وجب إخضاع كل علم يطلق بمعايير العربية؛

– الأخذ بمبدأ التحقيق اللغوي لكل المستحدثات في مجال التسمية في مجال بعث مشاريع التسمية البشرية والمكانية، وهو مشروع ملتقانا هذا الذي أثار قضية حضارية غاية في الخطورة والأهمية، والتي تقتضي توظيف كل السّبل لتحقيق الغايات المرسومة لها.

المصادر والمراجع:

(1) ابن منظور / لسان العرب / دار إحياء التراث العربي / لبنان / ط1 / 1988، مادة: سما ت ص:6/ 380-381.

(2) محيي الدين الدرويش / إعراب القرآن الكريم وبيانه / دار الرشيد / دمشق / بيروت، ط2، 1983، ص 8/1.

(3) عباس حسن / النحو الوافي / دار المعارف بمصر / ط5، دت / ص3 / 199.

(4) الحسن بن قاسم المرادي / شرح الألفية لابن مالك / ت. فخر الدين قباوة / دار مكتبة المعارف للطباعة والنشر / بيروت، لبنان / ط1، 2007، ص 118/1.

(5) الهرميّ عمر بن عيسى بن إسماعيل / المحرر في النحو / ت؟ منصور علي محمد عبد السميع / دار السلام للطباعة والنشر، ط1، 2005، ص: 240/1-241.

(6) محمد خير حلواني / النحو الميسّر / دار المأمون للتراث / دمشق / ط1، 1997، ص151.

(7) محمد عيد / النحو المصفّى / عالم الكتب / القاهرة / ط2، 2009، ص130.

(8) السابق نفسه.

(9) فاضل صالح السامرائي / معاني النحو / دار السلاطين، عمان الأردن / ط1 / 2010، ص66/1.

(10) السابق نفسه.

(11) محمد خير حلواني / النحو الميسّر / مرجع سابق، ص1555/1.

(12) ابن جنّي / الخصائص / ت. محمد علي النجار / عالم الكتب بيروت / ط2010/2، ص67.

(13) السيوطي / المزهر في علوم اللغة وأنواعها / المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1987، ص8/1.

(14) عمار ساسي / لغة الاختصاصات: من قراءة وإجراء إلى خصائص، المصطلح الطبي أنموذجا، الملتقى الدولي الخامس عشر: لغات الاختصاص والترجمة المتخصصة، مجلة المترجم، رقم 31 جويلية، ديسمبر 2015، ص13.

(15) ابن عصفور الإشبيلي / الممتع في التصريف / ت. فخر الدين قباوة، الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1987، ص27/1.

(16) محمد عيد / النحو المصفّى، مرجع سابق، ص130.

(17) المرجع نفسه.

(18) محمد بركات حمدي / لفتات ومواقف حول الصلة بين النحو والصرف / مكتبة الرسالة، عمّان، 1978، دط، دت، ص11/10.

نظم المعلومات ودورها في تطوير الخرائط الطوبونيمية التفاعلية

د. وهيبة بن حدو جامعة تلمسان

د. سعاد عباسي باحثة دائمة بوحدة البحث تلمسان

ملخص المداخلة:

تعتبر الخرائط التفاعلية من أكثر تقنيات الإعلام الاجتماعي فعالية في وقتنا الحالي ، وذلك لما توفره من خدمات للمجتمع المدني، ونسعى من خلال هذه الورقة تبيان دور نظم المعلومات في توظيف وسائط إعلامية حديثة تمكّن من ضبط مواقع النظم اللغوية وتنوّعها بشكل آلي ومحكم ومنظّم، وسنحاول الوقوف على نظم المعلومات التي هي عبارة عن قاعدة بيانات تهتم بجرد المعلومات وفهرستها ، وتمكّن من ربط المعلومات مكانيا مع إمكانية التحليل المكاني للقدر الهائل من المعلومات بمجرّد وضع المؤشر أو النقر على أيّ مكان جغرافي في الخريطة الإلكترونية. ثمّ الخرائط التفاعلية التي تسهم في رصد هذه المعلومات.

الكلمات المفتاحية: نظم المعلومات، الدراسة الطوبونيمية، الخرائط التفاعلية.

-ماهية نظم المعلومات:

يعد نظم المعلومات الجغرافية "من التقنيات التي تشغل حيزا بارزا في مجال التكنولوجيات الحديثة للمعلومات والتي يشهد نطاق استخدامها اتساعا مستمرا وتحظى باهتمام متزايد من قبل مستخدمي هذه التقنيات كأداة قوية وفعالة لإدارة ومعالجة وعرض المعلومات، ولدعم عملية اتخاذ القرارات في مجالات عديدة منها النقل، الصحة، التسويق الجغرافي، الزراعة وتهيئة الإقليم، إدارة البيئة والموارد الطبيعية"(1).

نظم المعلومات الجغرافية (Geographic information system GIS، هو نظام قائم على الحاسوب يعمل على جمع وصيانة وتخزين وتحليل وإخراج وتوزيع البيانات والمعلومات المكانية. وهذه أنظمة تعمل على إدخال ومعالجة وعرض

وإخراج المعلومات المكانية والوصفية لأهداف محددة، وتساعد على التخطيط واتخاذ القرار فيما يتعلق بالزراعة و تخطيط المدن والتوسع في السكن، بالإضافة إلى قراءة البنية التحتية لأي مدينة عن طريق إنشاء ما يسمى بالطبقات بالإنجليزية (LAYERS)، يمكننا هذا النظام من إدخال المعلومات الجغرافية خرائط، صور جوية، مرئيات فضائية) والوصفية (أسماء، جداول)، معالجتها (تنقيحها من الخطأ)، تخزينها، استرجاعها، استفسارها، تحليلها تحليلاً مكانيًا وإحصائيًا، وعرضها على شاشة الحاسوب أو على ورق في شكل خرائط، تقارير، ورسومات بيانية أو من خلال الموقع الإلكتروني. [2]

تساعد نظم المعلومات الجغرافية في الإجابة عن كثير من التساؤلات التي تخص التحديد، والقياسات (ما مساحة واحداثيات الوحدات)، والموقع، والتوزيع النمطي، وغيرها من التساؤلات.

وتتنوع البيانات التي تتم معالجتها في ظل نظم المعلومات الجغرافية لتشمل مجالات عديدة يمكن تصنيفها إلى نوعين رئيسين:[3] معلومات جغرافية وبيئية؛ ومعلومات تخص السكان.

- معلومات جغرافية وبيئية: كبيانات تحديد المواقع والإحداثيات الجغرافية وبيانات كفتوغرافية، وبيانات الخرائط الطبوغرافية وبيانات متعلقة بالموارد الطبيعية وبالأنظمة البيئية.

- معلومات تخص السكان: معلومات اقتصادية اجتماعية، العمران، النقل والاتصالات، الصحة، صناعة، تجارة.

إن الخرائط لها مكانة خاصة في نظم المعلومات الجغرافية لأن عملية بناء الخرائط باستخدام نظم المعلومات الجغرافية تعد أكثر مرونة من إي طريقة يدوية أو كارتوجرافية حيث تبدأ هذه العملية ببناء قواعد البيانات ثم التحويل الرقمي للخرائط الورقية المتوفرة ثم يتم تحديثها باستخدام صور الأقمار الصناعية في حالة وجودها ثم تبدأ عملية ربط البيانات بمواقعها الجغرافية وعندئذ يكون المنتج النهائي من الخرائط جاهزا للظهور وهنا يتم إيضاح المعلومات المختارة برموز محددة على الخريطة لتوضيح خصائص محددة مثل إظهار مناطق الآثار أو مزرعة على الخريطة وذلك باستخدام رمز مفهوم ومحدد وموزع على الخريطة.

- لمحة تاريخية عن نظم المعلومات الجغرافية:

ظهر الاهتمام بنظم المعلومات الجغرافية في منتصف القرن العشرين مع نشوء شركات تهتم بعمل الدراسات للمواضيع المرتبطة بحياة الانسان، وقد ظهرت بعض البرامج التي تقوم بعرض الخرائط والبيانات في لوحات واستخدمت فيهــا أجهــزة الحاسوب وسميت تلك البرامج بالأطلس الإلكتروني. ومع تطور أجهزة الحاســوب والبرامج ظهر سنة 1982 برنامج يحوي القدرة على عمــل الرســوم والخــرائط وكذلك حفظ البيانات ومعالجتها في جداول بطريقة تسمح بعــرض تلــك البيانــات مباشرة على الخريطة سمي باسم arc/INFO والذي يعمل علــى نظــام ال Unix ولاحقا تمّ تشغيله مع نظام ال Windows .

وفي سنة 1990م تم انتاج النسخة الثانية من برنامج ال GIS وهو برنامـــج Arc View يقوم بنفس المهمّات بالإضافة الى عمليات أخرى معقّدة، والذي يستخدم لحد الآن في الكثير من الدول. ومنذ عام 1990 أصبحت شــركة ESRI عمــلاق نظم المعلومات الجغرافية.

وبعد التطور الكبير في أجهزة الحاسوب والبرامج وتقنيــات الاتصــال عبــر الشبكات ظهرت سنة 2001 النسخة الأولى من Arc GIS 9.1 والتي احتوت على مجموعة من البرامج لكل منها مهمات خاصة.(4)

- فوائد نظم المعلومات الجغرافية:

إنّ نظم المعلومات الجغرافية له مميزات وفوائد كثيرة أهمها: (5)

-تسهيل عملية رسم الخرائط مهما كبر حجمها وبدقّــة عاليــة حتــى يتســنى للأشخاص العاديين استخدامها في عملهم؛

-تسهيل عملية حفظ البيانات مع الخرائط الضخمة داخل الحاسوب بحيث يمكن الوصول إليها بسهولة وإجراء التعديلات ولعل هذه أهم فوائد النظام؛

-سهولة إظهار البيانات على الخرائط دون الحاجة إلى تسقيطها يدويا حيث يتمّ عرض البيانات المطلوبة وبالشكل الذي يحتاجه المستخدم وبسهولة عالية؛

-سهولة عمل نسخ احتياطية من البيانات والخرائط واستخدامها عند الحاجة؛

-سهولة عمليات البحث داخل جداول البيانات؛

-إجراء العمليات الحسابية على جداول البيانات؛

-إمكانية صنع الخرائط ثلاثية الأبعاد والاستفادة؛

-القدرة على الاتصال بين عدّة حواسيب عبر الشبكات المحليّة أو الأنترنيت لعرض البيانات وتبادلها بسرعة عالية؛

-القدرة على استخدام أي نظام إحداثيات وأحيانا يمكن تحويل الخرائط من نظام إلى آخر دون حصول أي خطأ ملحوظ؛

- أهمية نظم المعلومات الجغرافية ومجالات استخدامها:

1-أهمية نظم المعلومات: يمكن بصفه عامة أن نلخص أهمية نظم المعلومات الجغرافية وما يمكن أن تقدمه لنا في عدة نقاط أساسية هي ما يلي[6]:

- سهولة العمل وتوفير الوقت؛
- الدقة والسرعة؛
- إمكانية التحديث والإضافة والحذف والتجديد؛
- الموضوعية والحيدة التامة والوضوح الكامل؛

- إمكانية التحليل والقياس من الخرائط واجراء الجوانب والعمليات الإحصائية.
- الربط بين المعلومات مختلفة المصادر ؛

- التغطية والتداخل مع استخدام الخرائط، بمعنى انه يمكن وضع عدد كبير من الخرائط الموضوعة فوق بعضها البعض؛

-التنبؤ والتوقع المستقبلي.

2-مجالات استخدام نظم المعلومات الجغرافية:

يستخدم نظم المعلومات الجغرافية في عدّة مجالات أهمها: [7]

- في مجال صنع قواعد البيانات المكانية عن ظواهر وأقاليم محددة في العلم والتي تعد وسيلة لتنظيم ودمج البيانات المأخوذة من مصادر عديدة سواء كانت

خطية أم خلوية لاستعادتها وقت الحاجة ودراسة العلاقات المكانية التي تربط بين الظواهر الجغرافية وغير الجغرافية المتوطنة في تلك الأقاليم أو المناطق؛

– مجال دراسة سطح الأرض وخاصة فيما يتعلق باستخدام الأرض وتسجيلها وملكياتها ويشكل هذا الاستخدام (21%)من جمل استخدامات (Gis) في العالم؛

–استخداماتها في مجال الخدمات العامة كخدمات الماء والكهرباء والهاتف والمجاري والغاز والتلفزيون حيث يشكل (18%) من مجمل الاستخدامات؛

– استخداماتها في مجال علوم الأرض والمتعلقة باستكشاف المعادن والنفط والغاز وتشكل (16%) من هذه الاستخدامات؛

–في المجالات الحيوية والتي تأتي في المرتبة الرابعة وخاصة فيما يتعلق بدراسة البيئة والتلوث والصحة العامة والزراعة والغابات، حيث تشكل تلك الاستخدامات نحو (9%) من مجمل استخدامات (Gis) في العالم؛

–استخداماتها في مجال تسويق الأعمال والتجارة والسكان والسفر وتحليل الموقع الأمثل مع الاستخدام الحيوي لها لتشكل نسبة (9%) أيضا؛

– تستخدم (Gis) في إدارة البنية التحتية في المدن والتجمعات السكانية كالمواصلات وخدمات الطوارئ والإنقاذ وتشكل نسبة (7%)؛

–استخداماتها في مجال الجغرافية السياسية والمؤسسات العسكرية والبوليسية والأمنية في كثير من دول العام كما تستخدم من قبل المؤسسات الحكومية الخاصة في دراسة التقسيمات السياسية والإدارية والانتخابية؛

– تستخدم في مجال صنع الخرائط حيث تشكل صناعة الخرائط في العالم نحو (4%) من مجمل استخداماتها.

– مكونات نظم المعلومات الجغرافية:

تتكون نظم المعلومات الجغرافية من خمسة عناصر أساسية هي المعلومات المكانية والوصفية وأجهزة الحاسب الآلي والبرامج التطبيقية والقوة البشرية (الأيدي العاملة) والمناهج التي تستخدم للتحليل المكاني. وفى هذا الجزء سوف نلقى الضوء على كل من هذه العناصر: [8]

1- المعلومات المكانية والوصفية:

لوحظ أن معظم القرارات تعتمد على المعلومات الجغرافية من حيث الكم والنوع وتكاد تكون بنسبة 80% أو أكثر ولهذا السبب أصبحت نظم المعلومات الجغرافية أداة مهمة خاصة في التحليلي المكاني والإحصائي.

ولكي تكون الخريطة مقروءة لابد من تعريف أسماء المناطق ولدراسة الخرائط النوعية لابد من وجود معلومات في شكل جدول أو تقارير إحصائية وهذه المعلومات تعرف بالمعلومات الوصفية.

2- أجهزة الحاسب الآلي:

شهدت السنوات الماضية تطورا ملحوظا في مقدرات وحدات الحاسب الآلي خاصة في السرعة (1200 ميفاهرتز وأكثر), السعة التخزينية (40 قيقابايت وأكثر)، و الذاكرة اللحظية (128 ميغابايت وأكثر). هذا التطور أدى إلى سرعة إنجاز كثير من عمليات التحليل المكاني في وقت قصير. وكذلك بالنسبة لأجهزة الإدخال والإخراج أصبحت أكثر دقة وأكثر ألوانا وأصبح استخدام الوسائط المتعددة جزءا منها. واستخدام الوسائط المتعددة من تكامل صوت وصورة وفيديو له أهمية خاصة في فهم كثير من الظواهر الجغرافية.

3- البرامج التطبيقية:

هناك عدة برامج تستخدم لنظم المعلومات الجغرافية منها التي تعمل على نظام المعلومات الاتجاهية مثل ArcGIS والتي تعمل على نظام الخلايا مثل ERDAS.

يعتبر نظام الاتجاهات أكثر ملاءمة لتخزين البيانات ذات الدقة العالية كخرائط التمليك والحدود لذلك يفضل في هذه الحالات اختيار برامج تعمل على نظام المعلومات الاتجاهية. أما في حالة تكامل بيانات خرائط طبوغرافية وخرائط نوعية والضرورة لاستخدام التصوير الجوي والاستشعار عن بعد فيفضل اختيار برامج تعمل على نظام الخلايا.

ولإدارة المعلومات الوصفية لابد من وجود برنامج قاعدة بيانات (DBMS) مثل Access/Oracle وإذا كانت المعلومات أو الجداول كثيرة فيفضل فصلها وربطها مع مواقعها الجغرافية بواسطة معرفات (ID). وقد شهدت السنوات

الماضية تحسنا ملحوظا في برامج قاعدة البيانات من زيادة في حجم البيانات التي يسعها البرنامج, زيادة في طول اسم الحقل (في الماضي كان عشرة أحرف فقط), وزيادة في نوع المعلومات التي يمكن تخزينها (صور، صوت، فيديو), وسرعة في المقدرة على تصنيف البيانات واسترجاعها. كما حدثت أيضا زيادة في مقدرات التحليل الإحصائي وسهولة تطويع هذه البرامج للتعامل مع المبتدئين في مجال الحاسب لخدمة أغراض محددة.

4- القوة البشرية (الأيدي العاملة):

تعتبر القوة البشرية جزءا هاما وعاملا أساسيا في نظم المعلومات الجغرافية وتشمل أعضاء هيئة التدريس، والفنيين، والمستخدمين "تسخير الحاسب لخدمة الإنسان وليس الإنسان لخدمة الحاسب". والنقاط التي يجب وضعها في الاعتبار بالنسبة للقوة البشرية تتعلق بالتعليم، والتدريب، والميزانية، والإدارة، والأمن، والقانون، وكيفية التنسيق وتبادل المعلومات بين المؤسسات.

بالنسبة للعاملين في مجال نظم المعلومات الجغرافية يمكن أن نقسمهم إلى ثلاثة أقسام:[(9)]

أولها مدخّلي البيانات (Data Entries) وهم الأشخاص الذين يقومون بعمليات الرسم وإدخال البيانات إلى الجداول التي يعدّها لهم أشخاص ذوو خبرة أكبر.

أمّا القسم الثاني فهم المطوّرون (Developers) و تمثّل الشخص الذي يفهم أدوات برامج الــ GIS وفي نفس الوقت هو مبرمج محترف لإحدى اللّغات الكائنية التوجيه والتي تمكنه من تطوير أدوات جديدة و حسب حاجة الشخص الذي يدير المشروع. والمطوّرون أشخاص لا علاقة لهم بنظم المعلومات الجغرافية فهم مبرمجون بالدرجة الأولى.

أمّا القسم الثالث فهم محلّلو نظم المعلومات الجغرافية (GIS Analysts) وهم أشخاص فاهمون لأغلب تطبيقات نظم المعلومات الجغرافية في اختصاص معيّن و يملكون خلفية لا بأس بها في مجالات أخرى مرتبطة بهذا النظام من أجهزة و برامج تدعم مشاريع ال GIS.

5- المناهج التي تستخدم للتحليل المكاني:

قوة وأهمية نظم المعلومات الجغرافية تكمن في مقدرتها على التحليل المكاني والإحصائي، والتحليل هو القلب النابض الذي بدونه لا حياة ولا فائدة من المعلومات

المجمعة والمنقحة. ولاستخدام نظم المعلومات الجغرافية لابد من وجود خطة مدروسة، وأهداف محددة، ومنهجية بحثية. ومعظم منهجيات نظم المعلومات الجغرافية تتبع من النظريات المتوافرة في الكتب والمراجع بجميع فروعها (طبيعية، بشرية، اجتماعية، اقتصادية، هندسية، صحية، مناخية، بيئية) حسب نوعية التطبيق.

- الخرائط التفاعلية:

كانت عملية رسم الخرائط من أجل الحفاظ على البيانات قبل اختراع الحاسوب مضنية ومشاكلها كثيرة منها:[10]

-عدم القدرة على حفظ كميات كبيرة من البيانات على الورق؛
-صعوبة إنتاج الخرائط ويتم الاعتماد دوما على الخبراء في هذا المجال؛
-سهولة تلف الخرائط والجداول الورقية مما يؤدي إلى ضياع البيانات؛

-عدم القدرة على إجراء أي عملية حسابية أو منطقية على البيانات حيث نلجأ لعملها يدويا وهذا يسبب الكثير من الأخطاء؛

-عدم القدرة على إجراء أي عملية على الخرائط مثل الكتابة والرسم؛
-صعوبة نقل الخرائط والبيانات من مكان الى آخر بسبب ضخامتها.

وبعد اختراعه تم حفظ كميات هائلة من بيانات مع الخرائط التفاعلية بطريقة مترابطة بحيث يسهل على المستخدم عرض البيانات الجدولية مع الخرائط وبعدّة أساليب وكذلك إجراء عمليات معالجة حسابية عليها لاستخراج النتائج بوقت وجهد قليلين والاستفادة منها في اتخاذ القرارات بالسرعة المناسبة.

- التعريف بالخرائط التفاعلية:

تسعى منظمات المجتمع المدني جاهدة لإيجاد الحلول للعديد من القضايا المحلية العالقة بالتعاون مع مجتمعاتها المحيطة. ولكن في غالب الأمر لا ترى جهودها النور لافتقارها للمعلومات الهامّة والمتجدّدة عن قضية مجتمعية ما. أو لصعوبة التعامل مع قواعد البيانات والكم الهائل من المعلومات إن توفرت.

وهنا تأتي الخرائط التفاعلية لتساعد تلك المنظمات على جمع وتحليل البيانات بطريقة سهلة وسريعة لم تعهدها من قبل.

ترتكز فكرة الخرائط التفاعلية على مفهوم الحشـد أو التعهيـد الجمـاعي. أي الاستعانة بالجماهير بغية الحصول على المعلومة ليتم ترجمتها على خريطـة مـع الوسم الجغرافي لمكان وزمان وقوع الحادث أو الواقعة.[11]

- أنواع الخرائط التفاعلية:

لقد تمّ اختراع العديد من الخرائط التفاعلية في العصر الحالي أهمّها:[12]

1 - APword History Notes

في هذه الخريطة نتعرّف على الحضارات القديمة التي سكنت واستوطنت بقاعًا مختلفة من العالم، يمكن أيضا استكشاف بعض المعلومات الأخرى بطريقة مباشرة عبر خريطة العالم مثل طرق التجارة العالمية القديمة، ورحلات الاستكشاف التـي تمّت قبل مئات السنين، وأيضا بيانات جغرافية مثل مواقع الأنهار وغيرهـا ممّـا يمكن إظهاره أو إخفاؤه من القائمة الجانبية.

يقدّم أيضا موقع (الفهرست) خريطة العالم الإسلامي الزمنية، فعبر الخريطـة يمكـن تغيير الفترة الزمنية لتشاهد أي الدول كانت منتشرة في المناطق المظللة فـي الخريطـة، بالإضافة إلى عرض بعض الشخصيات العامة المؤثرة التي تواجدت في تلك الفترة.

2 -Flight Aware/Flight Rodar 24

موقع وتطبيق مفيد لمعرفة حركة الطيران في العالم في الوقت الفعلي، فعبر هذه الخريطة التفاعلية يمكنك التقريب والتركيز على أي دولة أو أي منطقـة أو النقـر على أي طائرة لإظهار معلومات أكثر عنها وعن رحلتها.

3 -Cable Map/Submarine Cable Map

هذا الموقع يعطيك خريطة كاملة للكابلات البحرية التي تنقل البيانات وتوصـل العالم كله ببعضه عبر شبكة الأنترنيت.

4 – Windy/hulis chool

موقع يعرض نشاط الرياح وتجمعات السحاب وغيرها من التفاصيل المناخيـة بشكل تفاعلي مباشر، ويمكن أيضا معرفة حالة الطقس والرياح المتوقعـة خـلال الأيام التالية.

5 -Google Earth Time Lapse

هو موقع من قوقل يعرض خريطة العالم لكن عبر التركيز على التغيرات التي حدثت خلال الفترة الزمنية الماضية بطريقة (Time lapse) بحيث يمكنك اختيار أي مكان في العالم أو مدينة من المدن ثم تشغيل الشريط الزمني كي ترى كيف تغيرت الأرض وانتشر العمران خلال الثلاثين سنة الماضية.

- الخرائط التفاعلية والإنترنت:

خرائط الإنترنت تستخدم الشبكة العالمية كوسيط لتوزيع الخرائط. وقد وزعت أولى الخرائط على الانترنت عام 1993 بواسطة شركة زير وكس وتلتها بعد ذلك مؤسسات حكومية وشركات خاصة. معظم الخرائط على الانترنت في الماضي كانت عبارة عن صور ثابتة أو معلومات يتم حفظها من الانترنت وفتحها بواسطة برامج نظم المعلومات الجغرافية والآن اتجهت الشركات إلى الخرائط التفاعلية التي تمكن المستخدم من التفاعل مع الخريطة بالتكبير والتصغير مباشرة وهذا النوع هو الأكثر انتشارا. كما توجد أيضا تقنية الحصول على صور أقمار صناعية عبر الانترنت مباشرة وقت التقاطها ولكن هذه التقنية تحتاج إلى أجهزة عالية السرعة وغالية. ولوضع خرائط تفاعلية على الانترنت لابد من وجود برامج خاصة مثل خادم الخرائط.

وقد أدى تطور الانترنت وخاصة بعد عام 2000 إلى ثورة في علوم الأرض والخرائط وذلك بوجود معلومات هائلة من خرائط بالبعد الثالث وصور أقمار صناعية عالية الدقة كما في موقع شركة قوقل ومايكروسوفت وياهو وويكى مابيا ومابكوست ونافتك وتراسرفير.

وبدلا عن الخرائط الورقية للسياحة أو لخطوط المترو أو جداول الرحلات للمسافرين بالقطارات أصبح الدليل الجديد للسياحة ولوسائل المواصلات عبارة عن كومبيوتر لاسلكي محمول أو كومبيوتر كفي يمكن تزويده بآخر المعلومات مزودة بخرائط الإنترنت حتى في حالات التأخير والإلغاء.

وهناك إقبال متزايد على خرائط الانترنت مما أدى إلى زيادة التنافس بين الشركات المنتجة لهذه الخرائط وكل شركة تحاول أن تثبت أن خرائطها أدق وأحدث ومدعمة بصور أقمار صناعية عالية الدقة وتدعم البعد الثالث وتعطى حرية إضافة أسماء المعالم وحفظ أماكن محددة بمقياس رسم محدد وكذلك حرية التحرك

داخل الخريطة بالتكبير والتصغير والإزاحة والاستفسار عن المعالم والرموز واستخدام ألوان ذات معنى وسهولة التصفح وجذب المتصفح. وقد اهتمت الخدمات الرئيسة للخرائط بإبقاء المستخدمين في بوابات الإنترنت الخاصة بهم وببيع المساحات الإعلانية بالمزاد في أعلى خرائطها إلى الأعمال التجارية وهذا يودى إلى جني الربح من تقديم هذه الخدمات.[13]

– **العوامل التي تؤثر في خرائط الإنترنت:**

–**تحديث الخرائط وصور الأقمار الصناعية:** معظم خرائط الانترنت لا تواكب التغيرات على سبيل المثال إضافة طريق أو مبنى جديد أو إغلاق كبرى، ويترتب على مثل هذا القصور مفاجآت غير سارة بالنسبة لمستخدمي الخرائط.

– **اللغة:** استخدام اللغة الانجليزية في معظم الخرائط على الانترنت ربما يكون حجر عسر أمام شريحة كبيرة من المجتمعات.

–**سعة شبكة الاستقبال:** كلما كانت شبكة الاستقبال أوسع كلما ساعد في سرعة تصفح الخرائط على الانترنت خاصة المواقع التي تحتوي على صور أقمار صناعية عالية الدقة و البعد الثالث. فعلى سبيل المثال الشخص الذي يستخدم شبكة فايبر أوبتك له إمكانية التصفح أسرع من الذي يستخدم خط التلفون.

–**مواصفات جهاز المتصفح:** كلما كان حاسوب المتصفح ذو مواصفات عالية (ذاكرة لحظية–سعة القرص الصلب–كرت رسومات) كلما أدى إلى سرعة التصفح.

– **عدد الزوار:** كلما زاد عدد الزوار لموقع محدد كلما أدى إلى بطء في الإجابة للمتصفح (زحمة مرورية)

وبالتطور الملحوظ في مقدرات وحدات الحاسب خاصة في السرعة والسعة التخزينية والذاكرة اللحظية وكذلك بالنسبة لأجهزة الإدخال والإخراج واستخدام الوسائط المتعددة من تكامل صوت وصورة وفيديو وانخفاض أسعارها والتطور في سرعة شبكات الاتصالات والأجهزة المحمولة يدويا سوف تشهد الفترة القادمة ثورة جديدة في استخدام خرائط الإنترنت.[14]

- دور نظم المعلومات في ضبط مواقع النظم اللغوية وتنوّعها:

تقوم الدراسات اللسانية الحديثة على التوصيف والمعالجة العلمية لظواهر اللّغة، باستخدام الوسائط التكنولوجيات الحديثة، ومن أحدث الدراسات الميدانية تلك التي تعالج الواقع اللّغـوي من وجهة جغرافية تصقله بمعارف وتقنيات مستهدفة ومنظمة تنظيما محكما.

إنّ للّغة أهمية بالغة في المجتمع، إذ يشكل كل حدث لغوي ظـاهرة اجتـماعية عرفية، يمارسها الأفراد المتحدثون بها بلهجات مختلفة، تعيش في منطقة جغرافيـة واحدة، تسعى إلى ربط أواصر التفاهم والتواصل بين أفراد المجتمع الناطق بها.

من المسائل اللّغوية الاجتماعية ذات الصلة بالجانـب الجغرافـي:[15] المسـح اللّغوي للمناطق، من أجل تحديد مواقع تنوع اللغات واللهجات وتعايشها في منطقة جغرافية واحدة، مع مراعاة أسباب التنوع اللّغوي بـالتنوع الجغرافـي، وتخطـي اللّغات واللهجات للحدود الطبيعية وانتشار الأنماط اللّغوية.

تقتصر مجمل المهام التي يقوم بها جغرافيو اللغة علـى حصـر كيفيـة الأداء، بحسب التوزيع الجغرافي، والنظر في وضع خرائط خاصة بالنطق مثلا: خريطـة خاصة بانتشار التراكيب، وهكذا يساعدنا كثيرا على معرفة مدى تكلم الناس باللغـة العربية، كما تساعدنا على معرفة التلاميذ ونطقهم العربي حسـب المنـاطق التـي نشأوا فيها حتى يمكن تكييف عليما حسب الفطرة التي نشأت عليها، ومعرفة ميولهم اللّغوية حتى تسهل عليهم النطق بها.(16)

1-الأطلس اللّغوي:

يسهم الأطلس اللّغوي في إجراء مسح لغوي شامل للمناطق التي تولي اهتماما كبيرا للاستخدام الأمثل لكل من اللغة واللهجة حسب نسبة سكانها ونموها الـديمغرافي ومـا تلحقه من ركب في التقدم الحضاري والاقتصادي لمستعملين لأهلها.[17]

تؤكد الدراسات أن الإعداد للأطلس اللغوي لن يكون إلا مرشدا إلـى اللهجـات الحية للغة ما، ما يثبت أن ظهوره ارتبط بمحاولة إثبات التنوع اللانهائي للغة وعدم خضوع اللغة لمعايير محددة في تغيراته الصوتية، حينهـا التفـت علمـاء اللغـة المحدثون إلى مهمة إثبات فكرتهم عن طريق التخطيط لعمل خرائط لهذه اللهجات، لما له من صلة تمدّ علماء اللغة الجغرافي بمعلومات مفيدة عـن مراكـز تواجـد اللغات في العالم وعدد المتحدثين بها.

2-التخطيط اللّغوي:

هو نشاط اجتماعي لغوي موجه يتحكم في ظروف استخدام اللغات في المجتمع، إذ يسهم في توجيه الاستمرار والتغير في النظم الاجتماعية، بما فيها اللغة التي يتم التخطيط لها، كما يسهم في تطوير المواقع الوظيفية الجديدة للتنوعات اللغوية والتغيرات البنيوية من أجل تحقيق الأغراض الاجتماعية، والحفاظ على الهوية الاجتماعية والحقوق اللغوية، والموروثات الثقافية.[18]

كما يهدف أيضا إلى إعداد الضبط الهجائي، والقواعد اللغوية وقاموس لإرشاد الكتاب والخطباء في مجتمع لغوي غير متجانس.

3-نظم المعلومات:

إنّ عملية نظم المعلومات ما هي إلا قاعدة بيانات تقوم بجرد وفهرسة المعلومات، وتخزينها وتبادلها نوعا وكمّا دون إمكانية ربط هذه المعلومات مع مواقعها الحقيقية على سطح الأرض.

وبمجرد وضع المؤشر أو النقر على أي مكان جغرافي في الخريطة الإلكترونية، ما من ثانية تمر حتى تبدأ قاعدة المعلومات بتزويدنا بأكبر قدر من المعلومات مثلا: عرض اسم المنطقة المدروسة، موقعها الجغرافي، المساحة الإجمالية، الكثافة السكانية، نسبة المتحدثين بلغات ولهجات متباينة في هاته المنطقة، وفي مناطق أخرى مجاورة لها، إلى إبراز مدى ارتباط التنوع الجغرافي وتأثيره على الواقع اللّغوي. نجاح هاته التقنية الإعلامية مرهون بنجاح البرنامج التدريبي الذي يسقط على المسح المكاني للواقع الجغرافي المدروس.

نجاح هاته التقنية الإعلامية مرهون بنجاح البرنامج التدريبي الذي يسقط على المسح المكاني للواقع الجغرافي المدروس.

الاحلات:

---

[1] مقال جغرافية اللغة و نظم المعلومات، فاطمة الزهراء صادق، الجزائر، مجلة عود الند الثقافية الفصلية، الناشر د.عدلي الهواري، العدد 09/111 سبتمبر 2015

[2] ينظر الموقع : https://ar.wikipedia.org

[3] ينظر مقال جغرافية اللغة و نظم المعلومات، فاطمة الزهراء صـــادق، الجزائـــر، العدد 09/111 سبتمبر 2015

[4] ينظر كتاب نظم المعلومات الجغرافية من البداية، المهندس أحمد صالح الشـــمري، تنقيح و معالجة فرح نافع العكيلي، ط1، 1428ه/2007م، ص42-45

[5] ينظر كتاب نظم المعلومات الجغرافية من البداية: ص45

[6] http://www.uobabylon.edu.iq

[7] http://www.uobabylon.edu.iq

[8] ينظر http://www.taizgov.com

[9] كتاب نظم المعلومات الجغرافية من البداية: ص46

[10] كتاب نظم المعلومات الجغرافية من البداية، ص30

[11] ينظر الموقع: anadigital.org

[12] ينظر الموقع: tech-wd.com

[13] د. محمد يعقوب محمد سعيد، أستاذ الاستشـــعار عـــن بعـــد ونظـــم المعلومـــات الجغرافية، برنامج الجغرافيا- جامعة الإمارات العربية المتحدة

http://faculty.uaeu.ac.ae/myagoub

Web: http://www.angelfire.com/mo/yagoub

[14] المرجع السابق

[15] مقال جغرافية اللغة و نظم المعلومات، فاطمة الزهراء

[16] أحمد الشيخ عبد السلام، مقدمة في علم اللغة التطبيقي، مطبعة الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، 2001، ط1، ص 141.

[17] عبد الفتاح عفيفي، علم الاجتماع اللغوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 199.

[18] ماريوباي، أسس علم اللغة ، عالم الكتاب، 1998 ، ط8، ص 132

الوضع الطوبونيمي
في الوسط الحضري بوهران

د. هدية صارة
مركز الأنتروبولوجيا الاجتماعية، وهران

يُعد البحث في معاني وأصول أسماء الأماكن أو ما يُعرف بالطوبونيميا مــن بــين الدراسات التي لها أهمية كبيرة لما تكتسيه من خبايا تخدم عــدة تخصصـات، ولكــن البحث الطوبونيمي لا يقف عند البحث في معنى وأصل التسمية فقط، بل يتنــاول مــا وراء وضع التسمية من مضامين فكرية وحضارية وسياسية، وهذا من التجديد الذي قد يحمله الاهتمام بالطوبونيميا، وهذا ما يتقاطع مع أهمية وأهداف هذا الملتقى.

من بين الأصناف التي تتضمنها الطوبنيميا نجد أسماء الأحيــاء والشــوارع أو (odonymes) حيث يعتبر الرجوع إليها ضرورة ملحة، فقد عالج المختصون فــي هذا المجال ومن بينهم فوضيل شريقن وابراهيم عطوي وفريد بن رمضان الإقلــيم الجزائري من منظور إجمالي، ولم يحظ علم الأودونيميا من طرف هــؤلاء بكثيــر من الاهتمام.

إنّ هذه التسميات التي نمر عليها كل يوم، من خلال اللوحات الملصــقة علــى الجدران، أو الإشارات الدالة عليها في الشوارع والأمكنة في الطرقات والأرصفة.. تستحق منا كباحثين البحث في كنهها وطريقة اختيارها كقيمة حضارية في وســط حضري، وأنّ معرفة وضعياتها ومعالمها وما تدل عليه من قيمة ثقافية وتاريخية... عامل مهم لدى المجتمع المدني والسياسي.

واخترنا الاسم الجغرافي في الوسط الحضري أو الأودونيم بمدينة وهران مــن حيث تكوينه في النسيج الحضري خلال فترة الاحتلال الفرنسي باعتبارها مرحلــة تأسيس التسمية وفترة ما بعد 1962 باعتبارها مرحلة إعادة التسمية.

مجال اهتمامنا جغرافيا سيكون مدينة وهران، أين اخترنا التطرق للأودونيم من زاويتين اثنتين هما عملية التسمية قبل 1962 وعملية إعادة التسمية بعد 1962.

-التسمية والبعد السياسي:

من يستولي على مدينة ما ويؤسسها، لا يستولي إلاّ على جدران وفضاءات، ينتقي لها تسميات متعددة ليثبت أنّه سيد المكان، لأن التّملك المادي يتحول إلى خطابات تثبت فعل التملك، وأكثر خطاب يبرز في هذا المجال هو أسماء الأماكن(1). ولا شك أن موضوع تسمية الأماكن في جوهرها علم محايد، إلا أنّ دورها الأساس هو بناء الشخصية وحفظ الذاكرة الجماعية، وهذا ما جعلها تتأدلج إلى درجة أصبحت معها أداة للهيمنة الفكرية، فهي لا تخلو من التغليف الإيديولوجي حيناً، والتأويل السياسي ذي البعد الاستراتيجي أحيانا أخرى كاستراتيجية فاضحة لإثبات ملكية المكان(2).

فالعلم الجغرافي ليس مجرد اسم على فضاء أو مكان معين؛ بل هو حقل للممارسة والخطاب تتجسد فيه أنواع التصورات والمعتقدات(3)، فالنّبش في الأسماء هو النّبش في التاريخ والثقافة والرمزية والهوية المدفونة في الذاكرة الجماعية(4)؛ هو البحث في كل ما يتصل بالفرد كمواطن واع له مسؤولية فردية وجماعية.

ويعتبر اسم الموقع (المكانية) بمثابة أولى الخطوات في اتجاه السيطرة على المجال عن طريق تسميته وتخزين معالمه في الذاكرة ثم رسم حدوده(5)، وقد عملت كل من الإدارة الفرنسية (مرحلة الاستعمار)، والإدارة الجزائرية (فترة الاستقلال) على تثبيت وجودها عن طريق خلق تسميات وإنشاء تموضعات جديدة في المدينة.

كل فترة حكومية تُجسد قوتها في المجال الحضري عن طريق فرض أسماء الطرقات والشوارع والأحياء، بحيث يجب أن نستوعب الدور السياسي(الإيديولوجي) والتربوي الذي تمثله هذه التسميات، يقول دانيال ميلو: "إنّ أسماء الشوارع عبارة عن وسائل للترويج لشخصية ما أو حدث ما، أداة للانتقام، سلاح للمعاقبة"(6)، ومن جهة أخرى يرى بيار بورديو(Pierre Bourdieu) أنّ الفضاء (l'espace) يمارس فيه شكل من الأشكال الأكثر مكراً ألا وهو العنف الرمزي(7)، ومن هنا ليس من المستغرب أنْ ندرك أنّ فكرة الاستيلاء تمر عن طريق التسمية وإعادة التسمية.

حين تخطت الشوارع منظومة التسمية الشفهية لتدخل منظومة التسميات السياسية، أصبحت لوحة عرض للتمثلات الثقافية والسياسية[8]. والملاحظ أن تملك الأشياء ليس فرض هيمنة أو مركزية فحسب، إنّما هو بناء تكامل حضاري عن طريق بناء مجتمع يتطلع إلى واقع متحضر وأفق رحب، فعندما تسمي الشعوب أماكنها وأحياءها، فهي تنقل لنا أساليبها في رؤية الأشياء، وجهات نظرها التاريخية والثقافية والاجتماعية[9]، ومن هنا فإنّ تسمية المكان هو رهان بمقدار اختياره، الذي يستحضر عوامل مختلفة، مشاريع شتى وتمثلات غالباً ما تكون نزاعية[10]، فطغيان الجانب السياسي في التسمية هو قتل للتركيبة الاجتماعية وما تحمله من معان حضارية.

ومن هنا نبحث عن البنية المرجعية؛ أي البنية الداخلية الحافزة لاختيار الاسم، أو لنقل الأساس المرجعي لاختيار الاسم وتداوله، فالتعمق في ضبط البنية الداخلية لاختيار الاسم، هو تعمق في عناصر الهوية الثقافية للمكان، إنّ البنية المرجعية للأعلام الجغرافية هي البنية الثقافية العميقة التي استلهمت منها المفاهيم والتصورات والرؤى الفلسفية جذورها[11]. ونتساءل على أي أساس تمّ اختيار البلد الأجنبي كتسمية حضرية في كثير من الأحيان تخفي قصداً غير معلن[12]. فاختيار أسماء الأماكن لا يمكنه أن يكون فعلاً فجائياً أو اعتباطياً، بل هو فعل قصدي يستمد أصله من طبيعة الملمح الثقافي المهيمن على ثقافة ساكنة ذلك المجال خلال حقبة محددة[13].

العلم الجغرافي في الوسط الحضري خلال الحقبة الفرنسية:

خلال قدوم الفرنسيين إلى الجزائر، كانت المناطق الحضرية تُسير من طرف هيئة رسمية بالجزائر العاصمة تخضع للحكم العثماني (1518-1830م)، وعلى الرغم من مكوث العثمانيين أربعة قرون بالجزائر إلا أنّهم لم يؤثروا في اللغة المحلية بما في ذلك أسماء الأعلام[14]، فكانت لغتهم الرسمية اللغة العربية، أما اللغة التركية فلم تكن مستعملة إلاّ فيما بينهم، وهذا ما يعلل فقر المواقعية التركية في الجزائر[15]، وقد ترك الأتراك الحرية للجزائريين في التحدث بلغتهم العربية في مجالسهم العلمية والقضائية والاجتماعية، ولم يتدخلوا في فرض لغة أخرى• كما جاءت تسميات الأماكن باللغة التي يختارها الجزائريون، تسمية تعبر عن واقعهم وحاجياتهم ومكان تواصلهم، ولم يكن متعارفًا بين ساكني المكان الواحد على تسمية شارع أو حي، إلاّ بطريقة تلقائية أو حتى تسمية مجهولة.

فالتسمية لم تحمل بعداً سياسياً أو إيديولوجياً أو ثقافياً أو دينيــاً؛ إنّمــا تشــكلت واستُمدت من نشاط تجاري شائع أو زراعي أو حرفي مثــل تســمية "زنقــة دار النحاس" أو تسمية مستمدة من أحد المالكين قد يكون يقطن بالحي نفسه مثل تســمية "لخضر باشا"[16]، حيث لم يسجل الوجود العثماني أي أثر طوبونيمي فيما يخــص التسمية التشريفية أو تمجيد الشخصيات السياسية،... التسمية كانت نتيجــة لحاجــة الساكنة لها، غالبا ما تتم بصورة عشوائية ومستمدة مــن الخيــال الشــعبي مثلمــا يصنفها ألبار دوزا[17].

وبعد احتلال الفرنسيين للجزائر ســنة 1830م، توســعت الإدارة الفرنســية فــي الانتشار والاستيلاء على الأراضي والأماكن الحيوية والمدن الاستراتيجية، وخصصت لهذا الجهد نخبة من العسكريين والمفكرين والمترجمين والمستشــرقين والاستكشــافين الجغرافيين[18]، بعدها شرعَت في البناء وتوسيع المجال الحضري، الذي تتبعه عمليــة التسمية كنتيجة والتي أصبحت اختصاصا أولته الإدارة الفرنسية اهتماما كبيرا، بمــا أن اسم المكان لم يعد يخص الساكنين وإنما يخص من أنشأه[19]، فكان كل حيــز يُنشــأ أو حي يُؤسس أو كيان يؤثث يطلقون عليه اسمًا من خواصهم وابتكارهم، يُعــزز نفــوذهم ويُرسخ وجودهم، اسم يبقى ليتجدد، يضفي صورة الأنا السامية المتمكنــة، ومــن هنــا فالتسمية كانت وفق خطة ممنهجة وطريقة مبتكرة ومقصودة، وُظــف فيهــا اللســان الفرنسي، ولم تعد التسمية مشاعة بين الناس فقط، وإنّما أصبحت تُعلق أمام أعين الناس في لوحة لاصقة على الجدران كاستيلاء رمزي يُرسخ طابع المتملك[20]، تحمــل عــدة قيم ورموز وكأنها تبوح بمدى مثالية التسمية التي تحملها[21]؛ أي نحن موجودون على هذه الأرض امتلاكاً ومصادرة وقبضاً.

ومن بين التسميات التي وضعتها الإدارة الفرنسية نجد أنهــا اختــارت بعــض البلدان الأجنبية، حاولنا تفسير الخلفية وراء هذا الاختيار حيث تــم وضــع واحــد وسبعون (71) تسمية لمدن أجنبية على جدران أحياء مدينة وهران، كعربون وفاء ومودة وسخاء لهذه البلدان الأجنبية، وكدليل على تأسيس وجود مهيكل ومنظم اسمه دولة فرنسا، حيث استعانت بتسميات مهاجرة من خارج الوطن (الجزائر)، لتُعلــق على جدران المدينة. ومن خلال قراءتنا للمدونة لاحظنا تسميات تؤسس للانتمــاء الديني ولتعزيز النفوذ السياسي ولتخليد المدن الأوربية ولتخليد بلدان شهدت معارك تاريخية تخدم تاريخ فرنسا.

1- تسميات تدل على الانتماء الديني:

تسمية «Bathléem» وتسمية «Nazareth»:

«Bathléem» أي "بيت لحـــم" الفلســطينية و «Nazareth» أي "الناصـــرة" الفلسطينية تعتبر كلاهما من أكثر المدن قداسة وعراقة في الديانة المسيحية فمـــنهم من يزعم أن المسيح عيسى عليه السلام وُلد بالناصرة ومنها اشتق اسم النصـــارى، وأهل القدس يأبون هذا ويزعمون أن المسيح وُلد ببيت لحم وأن آثار ذلـــك عنـــدهم ظاهرة وإنما انتقلت أمه به إلى هذه القرية[22]. فأياً كان مسقط رأس المسيح عيسى عليه السلام سواءً الناصرة أو بيت لحم فالمدينتان تعتبران انتماءً دينيـــاً للفرنســـيين والشارعان «Bathléem» و«Nazareth» يشهدان على ذلك.

تسمية «Jérusalem»:

«Jérusalem» أي القدس الفلسطينية التي تعتبر مهـــبط الـــديانات (التـــوراة والإنجيل والقرآن) وملتقى الأنبياء. هذه المدينة التي يُقدسها المسلمون تعتبر مقدسة أيضاً عند المسيحيين، "ففيها كثير من الأماكن المقدسة عند المسيحيين مثل كنيســـة القيامة، حيث يحج إليها المسيحيون من مختلف الأقطار، وبها كنيسة صهيون التـــي يقال أن المائدة نزلت على سيدنا عيسى عليه الســـلام والحـــواريين بهـــا، بـــل إن المسيحيين الغربيين كانوا يعتقدون في العصور الوسطى بوجه خـــاص أن زيـــارة بعض الأماكن بها قد تهب التحلل والتوبة من الذنوب"[23].

والهدف من هذه التسميات هو ابراز البعد المســـيحي علـــى حســـاب الســـكان الأصليين الذين يدينون بدين الإسلام.

2- تسميات لتكريس الأحداث التاريخية:

3- انبنى الخطاب الفرنسي من خلال تسمية الأحياء ونواحيهـــا علـــى فكـــرة السيطرة الاستعمارية إزاء مناطق العالم من خلال تســـمية المعـــارك والحركـــات الاحتجاجية، التي عاشها التاريخ الفرنسي إذ يحاول تمرير ونشر أن فرنسا أرسلت لمستعمراتها قصد إعمارها، وفي حقيقة الأمر هذه التسميات هـــي مجـــرد خلفيـــة لمسرح جرت عليه أفعال سميت بالبطولية مورست خلالها أفضع أنواع الاســـتبداد والتشويه، والاقتلاع من الجذور. وتعتبر عملية التسمية علـــى المعـــارك كتخليـــد للتاريخ العسكري الذي يشير لرمزية أسماء المواقع ويروي قـــدرة الغالـــب علـــى

المغلوب[24] نذكر منها: تسمية Sediman – تسمية Austerlitz – تسمية Ulm – تســمية Verdun– تســمية Bonne espérance – تســمية Dar Beida وCasablanca– تسمية Stalingard– تسمية Valmy.

4- تسميات لتكريس النفوذ السياسي:

لا يختلف اثنان حول اعتبار أن هدف فرنسا الاستعمارية هو تعزيز نفوذها فــي العالم وتوظيف وجودها بالسيطرة الامبريالية، ومن هنا جاءت التسـميات خالــدة لمشروعها، تسميات من أجل تعزيز نفوذ الإمبراطورية الفرنســية منهــا: تســمية «Dahomey» الكائنة بدولة البنــين، وتســميات «Tombouctou» و«Kayès» الكائنة بدولة مالي.

5- تسميات لتكريس البعد الأوربي:

أما التسمية المتعلقة ببعض المدن الأوربيــة فقــد يُتــرجم بــالاعتزاز بالــدول الأوروبية الذي يكمن في علاقة فرنسا ببعض هذه الدول، حيث نلحظ قوة العلاقــة بين فرنسا وبلجيكا المجسدة في شوارع مدينة وهــران، حيــث تُرجمــت العلاقــة الاقتصادية الوطيدة بين البلدين[25] بتســمية «Belgique»، تســمية «Namur»، تسمية «Noiseux»، تسمية «Liège» التي تعتبر كلها مدناً بلجيكية.

كما يكمن هذا الاعتزاز بالدول الأوروبية في الاعتراف بالانتماء الأوربي مثــل تسمية Portugal، تسمية Rome، تسمية Angleterre، تسمية Turin (إيطاليــا)، تسمية Zurich (سويسرا)، تسمية Castille (اسبانيا)....

العلم الجغرافي في الوسط الحضري بعد 1962:

بعد استرجاع السيادة الوطنية في 05 جويلية 1962م، ظهرت المدينة التي بنتها فرنسا وأثثتها هيكلاً فرنسياً يعكس مشروعاً معمارياً حضارياً وثقافياً، ونجد أنفســنا أمام مشهد طوبونيمي مكون من فئة العســكريين والبحــارة والأدبــاء والفنــانين الفرنسيين بين الذاكرة الملكية والذاكرة الجمهورية، كما نلحظ رغبة فرنسا في جعل من الشارع واجهة عرض أو (فاترينة) للحضارة الفرنسية وحداثتها[26]، هي لوحة معمارية هندسية تعكس مدى تغلغل التسمية الفرنسية في الأحياء والشوارع.. ومن هنا نحن أمام نمط جديد من العمران والتسميات، ونوع آخر مــن الفعــل الكتــابي المبسوط على ربوع الجزائر. وفي ظنها أنها ستبقى وتعمر في هذه الأرض عــن

طريق تخليد مآثرها وأبطالها ببقاء تسمياتهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى التسمية باللغة الفرنسية أصبحت غريبة عن المجتمع فهي بالنسبة له بلغة أجنبية ولغة محتل هذا المكان، فالتملك هنا مثل ما هو سياسي هو لساني[27]. وهو نوع من الاغتراب، إذ يجد الفرد الجزائري نفسه أمام قائمة لا متناهية من الأسماء الفرنسية، لا تمت بصلة لا لقيمه ولا لحضارته، أسماء أجنبية والتي قد تكون غامضة بالنسبة له نتيجة لجهل الساكنة للكتابة اللاتينية واللغة الفرنسية والمرجعية التاريخية والثقافية لهذه الدولة، فالمعنى هنا بعيد عن المتناول وغموض هذه التسميات لا يضيف إلا الغموض لهذه الأماكن[28]. وبالتالي إعادة تسمية الشوارع والأحياء قيمة أخلاقية قبل أن تكون قيمة شخصية وثقافية وتراثية.

ولهذا ارتأت الحكومة الجزائرية أنّ إعادة التسمية أمراً ضرورياً ومهماً، وكان يتحتم عليها كدولة مستقلة أن تغير هذه التسميات لأن وجودها يُعبر عن مرحلة استعمارية وايديولوجية فرنسية. فعملت على إصدار قوانين ومراسيم وزارية ورئاسية من أجل عملية إعادة التسمية وبالتالي إعادة بناء الفضاء الأدونيمي.

حيث بادرت الهيئة المكلفة بالتسمية وإعادة التسمية بوهران بمشروع الانفتاح على العالم من خلال التسمية أو التحديث التّسموي، أي الدخول في فلك الحداثة باستقطاب عدد معتبر من التسميات الأجنبية، ولهذا تبنت خطاباً يحمل فكرة الدعوة إلى معرفة الآخر والاقتراب منه، لأن الانغلاق والتقوقع لا نتيجة مرجوة منه. ومن هنا كان لزاماً عليها اختيار طريق التعرف على الآخر الخارجي بوضع تسميات لبلدان أجنبية، فما دامت التسمية ذات حمولة ثقافية ودلالة حضارية فإنها لا تقف في بلد معين، بل تهاجر خارج حدود الوطن مثلما تهاجر الثقافة والحركة الحضارية.

فاختارت السلطات المعنية ثمانية وعشرين (28) بلداً يمثله الفضاء الأودونيمي ما بعد الكولونيالي، تنفتح من خلاله على العالم العربي والغربي. نذكر منها تسميات ورثتها الجزائر عن فرنسا والتي كانت لدواعي إما سياسية مثل تسمية «Benin» التي تُعد إحدى مستعمرات فرنسا آنذاك، أو اقتصادية مثل تسمية «Suez» التي تذكر بمشروع قناة السويس، الامتياز الذي حصلت عليه فرنسا من مصر لإنشاء شركة من أجل شق قناة السويس البحرية العالمية[29]. أو تسميات لدواعي ثورية مثل تسمية «Dar el Baida» التي تذكر بهجوم فرنسا الشنيع على المنطقة. وبما أن هاته التسميات تدل على وحدة الأرض المتمثلة في القارة الإفريقية، فلم يكن لزاماً على الهيئة المكلفة بإعادة التسمية تغييرها، ولتُعزز

انتماءها الإفريقي اختارت بعض البلدان الإفريقية كتسميات تمثل النسيج الحضـري بـوهران هـي تسـميات: «Maghreb» و«Angola» «Tripoli» و «La Mauritanie» و«Tunis». ولم يكن هذا الاختيار للدول الإفريقية عبثـاً فتسـمية "أنغولا" على سبيل المثال هي التسمية البديلة لتسمية البرتغال من طـرف فرنسـا، حيث نلمس من خلال هاتين التسميتين، دولتيْن متواجهتيْن كل منهما تحاول تعزيـز الدولة المساندة لها من خلال إبرازها في الشارع وتخليدها في التـاريخ. ففرنسـا تعزز البرتغال الدولة الأوربية العظمى آنذاك اقتصاديا وسياسيا، والجزائر تعـزز أنغولا الدولة الإفريقية المتحررة من الاستعمار لتعزيز الاستقلال من جهة، ومـن جهة أخرى اختيار تسمية أنغولا بالذات كتسمية بديلة عن تسمية البرتغال باعتبارها بلداً متحرراً من أيدي البرتغال.

أما الانفتاح على الدول العربية فتمثل في ستّ (06) تسميات تتمحور أغلبها في فكرة تقديس المكان هي تسميـات: «Beit el Qods» و «Mesdjid el Aksa» «Palestine» و«Mecca» .

نلحظ من خلال هذه التسميات تقديساً للأماكن، فقد عـززت الإدارة الجزائريـة وقوفها مع القضية الفلسطينية من خلال ثلاث تسميات لثلاثة شوارع تحمل كل منها في مضمونها المعنى نفسه، ولكن بتعبيرات مختلفة، كما تحمل كـل تسـمية فـي طياتها تعبيراً عن تضامن دولة الجزائر مع دولة فلسطين، وهذا من خلال تسـمية "بيت القدس" والتي تُعبر عن مدى تعلق الجزائر بهـذا المكـان المقـدس، ويزيـد اهتمامها أكثر عندما ضاعفت هذا التقديس من خلال تسمية أخرى تعبر عن المكان نفسه، ولكن بلفظ مختلف وهي تسمية "المسجد الأقصى"، وكـأن ذلـك لـم يكفهـا فأطلقت تسمية الدولة ككل التي تحوي هذا البيت المقدس، وهي تسـمية "فلسـطين" لترسيخ العلاقة مع فلسطين دولة وشعبا. بالإضافة إلى تسمية «Mecca» (مكـة) التي تعد هي الأخرى مكاناً مقدساً ورمزاً دينياً للأمة الإسلامية.

كما نذكر تسمية «Hanoi» أي هانوي عاصمة الفيتنام، وهي التسمية الوحيـدة الممثلة لقارة آسيا، والتي تذكر بالثورة الفيتنامية، حيث يقول الأستاذ عثمان سـعدي في إحدى مقالاته: أن القرن العشرين عرف أعظم ثورتين: ثورة الفييتنـام وثـورة الجزائر[30]. كما أن هذا الاختيار جاء كتسمية بديلة لتسمية «Amérique» ففرنسا تختار تسمية أمريكا الدولة المساندة لها عسكرياً وسياسياً واقتصادياً في مستعمرتها الفيتنام سنة 1951 وخليفتها فيها سـنة 1955 بعـد تصـفية النفـوذ السياسـي

الفرنسي[31]. وبعد تحرر الفيتنام من الجيش الفرنسي والأمريكي الذي شن حملة تخريب على حكومة هانوي، يقع الاختيار في التسمية لإحدى شوارع مدينة وهران على هانوي، فتكون الجزائر بهذا التغيير في التسمية قد أثبتت تحرر الفيتنام من أمريكا وأثبتت ولاءها للدول المتحررة من أيدي الاستعمار.

انطلاقا مما سبق يمكن القول أن التسميات الموجودة على الشوارع والأحياء والساحات ليست بريئة ولا عفوية، فوهران على سبيل المثال كانت مسرحا للصراع الإيديولوجي بين فرنسا المستعمرة وبين الجزائر المكافحة المتحررة، فإلى جانب الحركات الشعبية والنضال السياسي والكفاح المسلح، شكلت الأودونيميا منصة أخرى واجهت من خلالها جزائر الاستقلال فرنسا الاستعمار.

الهوامش:

---

(1)NedjmaAbdelfettah, Alger lumières sur la ville,p 352.

(2)–لحسن أمقران، المواقعية المغربية أو الهوية الأمازيغية التي لا تبلى.
http://tamazirtpress.net/m/news12431.html

(3)– رشيد الحسين، الأعلام الجغرافية والهوية، الأعلام الأمازيغية بالصحراء وموريطانيا، ص 14.

(4)Brahim Atoui, l'odonymie d'Alger: passé et présent. Quels enseignements?,p07.

(5)– رشيد الحسين، الأعلام الجغرافية والهوية، ص 14.

(6)Bauer Laurent, de la diachronie à la synchronie : étude de la dénomination des voies de Cergy-Pontoise, p 21.

(7)Pierre Bourdieu, La Misère du monde, Ed. du Seuil, 1993, 947, p 163.

(8)Dominique Badariotti, Les noms de rue en géographie. Plaidoyer pour une recherche sur les odonymes,annales de géographie, année 2002, volume 111, n° 625, p 286.

(9)Paul Siblot, La bataille des noms de rues d'Alger, discours et idéologie d'une toponymie coloniale, P 152.

(10)Frédéric Giraut, Myriam Houssay- Holzschuch, Au nom des territoires enjeux géographiques de latoponymie, revue espace géographique, tomme 37 n° 2-2008 avril à juin, édition Belin, P 98.

(11) محمد البركة، الطوبونيميا بالغرب الإسلامي أو ضبط الأعلام الجغرافية، ص 22–23.

(12) عبد المالك ناصري، الطوبونيميا بالغرب الإسلامي تساؤلات منهجية، الطوبونيميا بالغرب الإسلامي أو ضبط الأعلام الجغرافية، ص 61.

(13) محمد البركة، الطوبونيميا والبحث التاريخي محاولة في تجديد آليات البحث، دورية كان التاريخية، ص 123.

(14)FoudilCheriguen, toponymie algérienne des lieux habités, p 33.

(15)Atoui Brahim, toponymie et espace en Algérie, p 52.

•لم تشأ الإدارة العثمانية فرض نمط من اللغة، بل تركت الحرية التامة للجزائريين بالحديث باللغة العربية، اللغة التي تراها مستمدة من تعاليم الإسلام، مادام أن توجُه الدولة العثمانية هو تطبيق منطق الخلافة الذي ينطلق من مبادئ وتشريعات الإسلام.

(16)Brahim Atoui, l'odonymie d'Alger : passé et présent. Quels enseignements? p11.

(17)IBID p 26.

(18) سعد الله أبو القاسم، أبحاث آراء في تاريخ الجزائر، ط1، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر، 1978، ص15.

(19)IBID p 29.

(20)Paul Siblot, La bataille des noms de rues d'Alger, discours et idéologie d'une toponymie coloniale, P 147.

(21)Dominique Badariotti,Les noms de rue en géographie. Plaidoyer pour une recherche sur les odonymes, p 296.

(22)– ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، 1993، المجلد الخامس، ص 251.

(23)– على السيد علي، القدس في العصر المملوكي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1986. ص 10.

(24)– محمد البركة، الطوبونيميا والبحث التاريخي محاولة في تجديد آليات البحث، دورية كان التاريخية ص 123.

(25)www.diplomatie.gouv.fr/en/country-files/belgium/france-and-belgium/economic-relations-6092/.

(26)NedjmaAbdelfettah, Alger lumières sur la ville, baptiser, débaptiser : appropriation symbolique te connaissance de la ville par la toponymie, p 375

(27)Brahim Atoui, L'odonymie d'Alger : passé et présent. Quels enseignements ?, p 29.

(28)Paul Siblot, La bataille des noms de rues d'Alger, discours et idéologie d'une toponymie coloniale, p 147.

(29)https://structurae.info/ouvrages/canal-de-suez.

(30)– عثمان سعدي، بين الجزائر والفيتنام.

http://www.echoroukonline.com/ara/articles/244770.html.

(31)– علي فياض، التجربة العسكرية الفيتنامية، مطبعة عيبال، بيروت، 1990، ط1.

المصادر والمراجع:

المراجع باللغة العربية:

– رشيد الحسين، الأعلام الجغرافية والهوية، الأعلام الأمازيغية بالصحراء وموريطانيا، منشورات جمعية أوس للتنمية والعمل الثقافي والاجتماعي.

– سعد الله أبو القاسم، أبحاث آراء في تاريخ الجزائر، ط1، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر، 1978.

– عبد المالك ناصري، الطوبونيميا بالغرب الإسلامي تساؤلات منهجية، الطوبونيميا بالغرب الإسلامي أو ضبط الأعلام الجغرافية، أفريقيا الشرق، المغرب، 2012.

– على السيد علي، القدس في العصر المملوكي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1986. ص 10.

– علي فياض، التجربة العسكرية الفيتنامية، مطبعة عيبال، بيروت، 1990، ط1، ص 191.

– محمد البركة، الطوبونيميا بالغرب الإسلامي أو ضبط الأعلام الجغرافية، أفريقيا الشرق، المغرب، 2012.

– محمد البركة، الطوبونيميا والبحث التاريخي محاولة في تجديد آليات البحث، دورية كان التاريخية، العدد الرابع والعشرون، يونيو 2014.

– ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، 1993، المجلد الخامس، ص 251.

المراجع باللغة الفرنسية:

-Atoui Brahim, L'odonymie d'Alger : passé et présent. Quels enseignements ?, revue Insaniyat, édition CRASC, 2005.

-Atoui Brahim, Toponymie et espace en Algérie, institut national de cartographie, Alger, 2005.

-Bauer Laurent, De la diachronie à la synchronie : étude de la dénomination des voies de Cergy-Pontoise, revue langage et société, 2001/2 n° 9.

- Dominique Badariotti, Les noms de rue en géographie. Plaidoyer pour une recherche sur les odonymes,annales de géographie, année 2002, volume 111, n° 625.

-Frédéric Giraut, Myriam Houssay- Holzschuch, Au nom des territoires enjeux géographiques de latoponymie, revue espace géographique, tomme 37 n° 2-2008 avril à juin, édition Belin.

-Foudil Cheriguen, toponymie algérienne des lieux habités, Alger 1993.

-Nedjma Abdelfettah, Alger, lumières sur la ville, baptiser, débaptiser : appropriation symbolique te connaissance de la ville par la toponymie, édition Dalimen.

- Pierre Bourdieu, La Misère du monde, Ed. du Seuil, 1993, 947.

-Paul Siblot, La bataille des noms de rues d'Alger, discours et idéologie d'une toponymie coloniale, cahiers de sociolinguistique, 2006/1- n 11, presses univ. De Rennes.

المواقع الإلكترونية:

-www.diplomatie.gouv.fr/en/country-files/belgium/france-and-belgium/economic-relations-6092/.

- https://structurae.info/ouvrages/canal-de-suez.

-http://tamazirtpress.net/m/news12431.html

-http://www.echoroukonline.com/ara/articles/244770.html

دور إدارة المحتوى بالتأليف التعاوني (ويكي Wiki) في إنشاء الموسوعة ألنوماستكية الطوبونيمية الجزائرية

Wiki Toponymie Onomastique Algérien

د. نورالدين بن نعيجة

د. محمد بن عـزوزي

م. ب. في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط

ملخص المداخلة:

تهدف هذه المداخلة إلى محاولة عرض فكرة أطلس لغوي للأعــلام والأمــاكن الجزائرية عبر المنصات التفاعلية التشاركية أو ما يسمى بالتــأليف الحــر (wiki). وذلك من خلال التعريف بهذه التقنية الحديثة في جمــع المعلومــة مــن مختلــف المصادر وبمشاركة كافة أطياف المجتمع ودورها في تجسيد المشاركة فــي جمــع التراث بصفة عامة وأسماء الأماكن والمواقع الجزائرية بصفة خاصة وذلك بأقــل جهد وتكلفة. وحتى لا تكون المداخلة مجرد فكرة نظرية حاولنا تثبيــت وتصــميم موقع ويكيبيديا خاص بالموسوعة ألنوماستيكية الطوبونيمية الجزائرية قصد إظهــار المشروع وإمكانية تجسيده على أرض الواقع.

الكلمات المفتاحية: الويكي؛ موسوعة؛ الأعلام ; الأماكن؛ التأليف الحر؛ التأليف التشاركي لألنوماستيك؛ الطوبونيم.

Abstract:

The purpose of this intervention is to highlight the idea of the embodiment of a linguistic atlas for the Person names, and Algerian places, through Interactive Participatory platforms or so-called free writing (wiki).

This is done through the introduction of this new technology in collecting information from various sources, and with the participation of all the different categories society, and its role in the embodiment idea about collecting heritage in general, and collecting the names of Algerian places and sites in particular With the least effort and cost, and census of Algerian places and sites with the least effort and cost. In order not to be a mere theoretical idea, we tried to install and design the Wikipedia site of the Algerian Aluminista Encyclopedia, which is intended to show the project and activate it on the ground.

Keywords: Wiki; Encyclopedia; Scientists; Places, Free authoring; The participative authorship for anomastics; Tobunim.

مقدمة:

يعتبر المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات، يجنح إلى عالم الانترنت باعتباره جزءًا من ذلك العالم الالكتروني، الذي أصبح يهدد مجتمعاتنا وكياننا وهويتنا التي أصبحت تتسم اليوم بالتشرذم والتشظي، فيه عالم هدمت فيه أسوار الحدود والثقافات والخصوصيات.

وبما أننا بصدد المشاركة في الملتقى الوطني حول "ملامح وحدة المجتمع الجزائري من خلال الواقع اللغوي الأنوماستيكي الطوبونيمي في مجتمع المعرفة"، فإننا نقترح مداخلة أو بالأحرى مشروع بحثي تطبيقي يحاول أن يستفيد من عالم المعرفة، قصد التأصيل اللغوي لأسماء الأشخاص والأماكن الجزائرية، وذلك من خلال إنشاء قاعدة بيانات أو أطلس إلكتروني لغوي للأعلام والأماكن، نستطيع من خلاله حفظ هذا الموروث الوطني الإنساني، بالإضافة إلى تمكين المجتمع من الاطلاع عليه.

ولأننا نرى أنه من الصعب بمكان تجسيد أطلس لتلك الأسماء والأماكن بمجهودات فردية منعزلة عن المجتمع، كون مجتمعنا يزخر بكم هائل من تلك الأسماء والمواقع. فإننا نرى ضرورة الاعتماد على المواقع التفاعلية التشاركية التي تسمح بمشاركة كافة أطياف المجتمع في المشروع، وذلك من خلال ما يسمى

بمنصات أنظمة إدارة المحتوى (Wiki)، وهو نوع من المواقع الإلكترونية أو قواعد البيانات والمعارف التي تسمح للزوار بإضافة المحتويات وتعديلها بشكل تعاوني.

وتأتي هذه المداخلة من أجل التعريف بنظم إدارة المحتوى الخاصة بالتأليف التشاركي، والتعريف بها، ودورها في جمع أكبر عدد ممكن من تلك الأسماء والأماكن عبر تقنية الويكي التي أصبحت تختصر علينا اليوم الوقت والجهد في جمع تلك المادة، ويقتصر دور الأساتذة الباحثين والمختصين على الغربلة والتنظيم لتلك المادة. وبذلك نكون فعلا قد حاولنا جمع تلك الأسماء والأماكن قصد المحافظة عليها كموروث وطني وجب علينا تدوينه من أجل تحصين هويتنا الوطنية وشخصيتنا المتمثلة في الإنسان والمكان.

تكنولوجيا المعلومات ودورها في حفظ الهوية الوطنية

ربما قد يتبادر من الوهلة الأولى إلى ذهن قارئ هذا العنوان، ذلك الاضطراب في المفاهيم باعتبار أن المفهوم السائد لدى أغلب الناس بل وحتى الباحثين والدارسين في مجال الهوية أن تكنولوجيا المعلومات هي العدو اللدود للهوية الوطنية والقومية. غير أننا في هذا العنصر من البحث أردنا أن نبرز دور تكنولوجيا المعلومات أو الانترنيت في الحفاظ على الهوية الوطنية وأن نستعمل هذه التكنولوجيا كسلاح من أجل الترويج والنشر لثقافتنا ومن أجل غرسها وترسيخها في جيل ليس له فضاء سوى ذلك الفضاء الذي يتسم بتعدد المفاهيم والرؤى ومختلف الثقافات والإيديولوجيات الواردة إلينا من مختلف شعوب العالم.

ولأنّ هويتَنا هي عنوانُ أمتِنا ومصدرُ تميّزِنا عن الأمم والشعوب، ومبعث فخر واعتزاز لنا، وللأجيال التي تأتي من بعدنا. فإن الحفاظ عليها يعتبر من الواجب بمكان بل يعتبر اليوم من أولى الأولويات باعتبار ما نعيشه من عولمة كاسحة للشعوب والثقافات. والمتتبع لقضايا الهوية الوطنية يدرك –دون عناء– أنها أصبحت متشرذمة، ومتشظية، ومضطربة، بفعل ما يسمى بالعولمة والرقمنة، حيث يجد جيل اليومِ نفسه منشطراً بين الانتماء لتاريخ طالما أعتز به وافتخر، وبين عالم افتراضي وجد ضالته فيه، فتغلغل في نفسه، وسيطر على أفكاره، ومبادئه، يحاول أن يوجهه الوجهة الأخرى، ويبعده قدر المستطاع عن هويته الأصلية.

ولأن جيل اليوم هو جيل يجنح إلى الرقمنة بمختلف أبعادها والتي غزت البيوت والعقول فإنه من الواجب دخول هذا العالم الافتراضي الذي لم نعره اهتمامنا ولم

نقتحم مجالاته المتعددة، وسمحنا لغيرنا بأن يستحوذ عليه، وعلى المعارف الموجودة في فضائه. فالعالم العربي بصفة عامة والجزائري بصفة خاصة، هو بعيد كل البعد عن تكنولوجيا الاتصالات والرقمنة الحديثة، والدور الوحيد المنوط به في هذه الشبكة هو دور المستقبل المتلقي، الفاتح لشيفراته دون أي إرسال أو تأثير في الغير. فحجم القنوات الفضائية وتطبيقات الهواتف الذكية وصفحات الانترنيت العربية، ضئيل جداً مقارنة باللغات الأخرى إذ "لا يمثل حضور اللغة العربية في الانترنيت سوى 0.89 % بالمائة من مجموع اللغات التي يستخدمها العارفون بالتعامل مع الشبكة"(1) ليبقى العرب بعيدين كل البعد عن الدخول الفعلي في ترس هذه التكنولوجيا العالمية، التي أصبحت جد مهمة في حياة الإنسان المعاصر.

وإذا ما أمعنا النظر في هذه التكنولوجيا نستطيع ان نجعل منها وسيلة أساسية في حفظ تراثنا وهويتنا من الاندثار ومن التلاشي كون هذه التكنولوجيا تدخل كل البيوت وتصل إلى مختلف أطياف المجتمع المراد استهدافه بالتعريف والإشهار لذلك الإرث المتوارث جيلاً بعد جيل. فنصبح فاعلين في هذا الفضاء لا مجرد متلقين. وهنا نصبح إزاء عمليتين، عملية حفظ التراث من الاندثار من خلال تدوينه بمختلف الوسائل والوسائط التي تتيحها هذه التكنولوجيا (كتابية، سمعية، بصرية،...) في قواعد بيانات ضخمة يسهل حفظها واسترجاعها والبحث فيها. وعملية نشر ذلك الموروث عبر أصقاع العالم والترويج له كموروث حضاري لأمتنا يسهم في تعزيز هويتنا الوطنية والافتخار بها كما يمكن استغلاله في ميادين أخرى كميدان السياحة والدراسات الانثروبولوجية والاجتماعية وغيرها من العلوم التي تسمح بدراسة المجتمع الجزائري من خلال موروثه.

وبما أننا إزاء مداخلة تندرج في إطار السعي إلى إنشاء الموسوعة ألنوماستكية الطوبونيمية الجزائرية والتي تكون ضمن فضاء الانترنيت فإننا نسعى إلى تجسيد مبدأ الاستفادة من هذه التكنولوجيا وأن نكون فاعلين فيها ونحفزّ المجتمع الجزائري على التفاعل والمشاركة في حفظ تراثه من خلال حفظ الأسماء والألقاب والكنى ودلالاتها وكذا حفظ دلالات مختلف المواقع المكانية التي تزخر بها الجزائر. وهنا نكون إزاء تكنولوجيا حديثة تعرف بالتأليف التعاوني.

التأليف التعاوني (النشأة والتعريف):

يعد التأليف التعاوني من أنظمة المعلومات الحديثة التي أصبحت تجتاح بقوة عالم المعرفة الذي لم يعد يعترف بالحدود والمسافات ولا بأحادية المعرفة ولا

باحتكارها. إذ أصبح العالم اليوم يجنح إلى ما يعرف بالعمل الجماعي التشاركي قصد الجمع والوصول إلى أكبر عدد ممكن من المعلومات والمؤلفات التي تكتسب طابعاً جماعياً تشاركياً لما توفره الانترنيت اليوم من سبل تسهل وتيسر الوصول إلى مختلف أطياف المجتمع وتمكنهم من المشاركة في مشاريع تهدف في العموم إلى جمع مواد علمية وثقافية بغية خدمة العلم وخدمة المجتمع وكذا الولوج إلى هذه المعلومات من أي مكان في العالم.

وإذا ما أردنا تعريف مصطلح الويكي (Wiki) فإن المصادر تشير إلى أن هذا المصطلح مأخوذ من لغة شعب جزر هاواي الأصليين وهي تعني بسرعة، وقد استخدمت في مجال الأنترنت للتعبير عن سرعة الكتابة في الموسوعات الحرة. وسهولة نفاذ المعلومة إليها مقارنة بكتابة الموسوعات التقليدية. وقد ظهرت هذه التقنية "في عام 1995م حين قام كل من Ward Cunnigham وBo Leuf بإنشاء أول موقع ويكي وهو WikiWikiWeb والذي شكل مجتمعاً متعاوناً مفتوحاً للجميع حيث يمكن لأي شخص أن يشارك في تطوير وزيادة محتويات الموقع، منذ ذلك الوقت وحتى اليوم ظهرت برامج ويكي كثيرة واعتمدت الكثير من المواقع على هذه البرامج والهدف هو تبسيط عملية المشاركة والتعاون في تطوير المحتويات إلى أقصى حد ممكن"(2)

وإذا أردنا تعريف التأليف التعاوني أو ما يعرف بالتأليف نستطيع القول أن التأليف التعاوني هو تأليف تشاركي يتم عبر موقع إلكتروني يعتمد على قاعدة بيانات إلكترونية يهدف إلى إشراك المجتمع في إثراء المعرفة من خلال صياغة وتعديل محتوياته. فهو "موقع تعاوني يتم تحريره مباشرة بواسطة أي شخص"(3) كما أنه يعتبر "فضاء مفتوح للمساهمة المشتركة والتعاونية لتحرير المحتوى"(4) مما جعله يحقق انتشاراً كبيراً في عالم المعرفة لما يوفره من سهولة في جمع المعلومة وتصنيفها وربطها مع بعضها البعض وذلك باستعمال تطبيقات الكترونية تعتمد على قواعد بيانات مثل تطبيق ويكيميديا (Wikimedia) الذي يعتبر قاعدة أو أرضية مفتوحة المصدر لإدارة تطبيقات التأليف الحر، وهي تطبيقات تهدف إلى إثراء المعرفة البشرية، ومن بين أشهر المواقع التي تعتمد على هذا التطبيق والتي لاقت نجاحاً كبيرا هي الموسوعة الحرة (Wikipedia). التي تعتبر اليوم أحد أشهر وأهمّ المواقع على شبكة الإنترنت، لما تقدمه من خدمات معرفية لزوار الشبكة العنكبوتية فهي الموقع السادس الأكثر زيارةً عالمياً، بسبب احتوائه للكم الهائل من

المعلومات المتجددة باستمرار بفعل العمل التشاركي. والذي يحتوي في قسمها الانجليزي على أكثر من 5 ملايين و725 ألف موضوع وقت كتابة هذا المقال. وفي قسمها العربي على أكثر من 611 ألف مقال. بالإضافة إلى المقالات الأخرى من مختلف لغات العالم والتي تضاف وتتطور باستمرار. لكن، ما لا يعرفه أغلب الناس عنها، هو أن ويكيبيديا ليست الوحيدة من نوعها، بل هي مجرّد فردٍ في عائلة كبيرة.. هي "عائلة الويكي"، التي قد نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: ويكي ميديا، ويكي الكتب، ويكاموس، ويكي الأخبار، ويكي المكتبات... إلخ













ومن هنا نرى أن فكرة الويكي لم تعد تقتصر على جمع المعلومة بشكل تعاوني فقط وإنما تحولت إلى مختلف المجالات كجمع الكتب وإنشاء القواميس وجمع الأخبار والمكتبات وغيرها من الخدمات التي يستطيع أفراد المجتمع التعاون في جمعها وتأليفها. فالعالم اليوم يجنح إلى التواصل والتشارك في المعلومة وعدم احتكارها وذلك بسبب ما توفره الوسائل التكنولوجية من وسائل ووسائط تشاركية التي أصبحت متاحة للجميع من سهولة وسرعة تبادل المعلومات. واختصار الوقت والجهد على المهتمين في البحث عن المعلومة التي قد يمتلكها أي أحد من أفراد المجتمع خاصة إذا تعلق الأمر بتراث هذا الأخير وهويته. فمواقع الويكي هي "في جوهرها عبارة عن وسائل للتواصل بين مجموعات معينة من المجتمع. وذلك بسبب أنها تضمن حلولاً برمجية تهدف إلى الحد من الفوضى وذلك عن طريق التدقيق الجماعي والبنية البرمجية التي توفر صلاحيات النشر والتحرير ونظم

الحفاظ على السمعة وغير ذلك"[5]. فعندما نتكلم عن التأليف التشاركي أو الجماعي فنحن نقصد بذلك جمع المعلومة بطريقة منظمة تتيح للجميع المشاركة في جمع التراث والتعبير عنه بأسهل وأبسط الطرق. لكن عملية الغربلة والتدقيق ستكون بمعية أساتذة متخصصين في المجال. تتيح لهم أرضية الويكي التحكم التام في المنشورات الواردة للموقع.

دور التأليف التعاوني في إثراء الموسوعة ألنوماستكية الطوبونيمية الجزائرية:

يتمتع التأليف التعاوني أو ما يسمى في عالم المعرفة بالويكي بمميزات جمة تجعل منه وسيلة أساسية لتكوين الموسوعات وتطويرها من خلال مساهمة كافة أفراد المجتمع بمختلف أطيافه عبر الشبكة العنكبوتية التي أصبحت تقدم حلولا تسهل وتسرع عملية البحث والاشتراك في المعلومة وهذه الميزة لوحدها كافية لأن يكون للتأليف التعاوني دور هام في عملية البحث والتنقيب وجمع التراث المتشتت في ذاكرة الكثير من أفراد المجتمع وعبر مختلف المناطق الوطنية الشاسعة. كما أن التأليف التعاوني يوفر لنا العديد من المميزات التي قد نختصرها في النقاط التالية:[6]

– تبسيط عملية تحرير المحتوى، فكل مقال يمكن تغيير محتوياته، فإذا أراد شخص تغيير محتويات الصفحة سيظهر له نموذج لتحرير المحتوى، وعندما ينتهي من إضافة وتعديل ما يريد عليه أن يقوم بحفظ التعديلات وستظهر الصفحة كما قام بتحريرها؛

– تستخدم تطبيقات التأليف الحر أوامر بسيطة لتنسيق محتوياتها، فلا حاجة لتعلم لغة (*HTML*) للمشاركة في إضافة وتعديل محتويات مواقع ويكي، أوامر ويكي البسيطة تناسب أغلب الناس ممن لا يملكون خبرة كبيرة في استخدام الحاسوب أو في تطوير المواقع؛

– تحتفظ تطبيقات التأليف الحر بسجل لتاريخ الصفحات، فإذا أخطأ شخص ما في تحرير إحدى الصفحات يمكن الرجوع إلى الصفحات السابقة المحفوظة، فلا خوف هنا من ارتكاب الأخطاء. ويمكن المقارنة بين الصفحات لإظهار الفروق بينها. مما يمكّن الباحثين من المقارنة بين مختلف الصفحات قصد دراستها والتأكد من مختلف الفروق الموجودة فيها؛

– تشجع تطبيقات التأليف الحر على العمل الجماعي، فأغلب مواقع التأليف الحر تسمح لأي زائر بتعديل وإضافة المحتويات دون الحاجة إلى التسجيل في الموقع؛

– وجود بيئة علمية للحوار من خلال التعديلات المتاحة "وقد أدى ظهور التأليف التعاوني للنصوص إلى إتاحة درجة إضافية لتماسك الحوار، بحيث يمكن تلاحم وجهات النظر المتعددة واستيعاب بعضها بعضاً والتنافس على احتلال المساحة المخصصة للكتابة. وبهذا الإجراء، يمكن التعرف على المخرجات بسهولة أكثر بوصفها منتجاً جماعياً ورأياً أو ملحوظة بارزة مقارنة بما يحدث عندما يكون نموذج الحوار عبارة عن تبادل للآراء المتباينة التي تتدفق بحرية"[7]؛

– تكوين قاعدة بيانات ضخمة للمعلومات بأقل جهد ووقت ومال؛

– نشر المحتوى عبر الشبكة العنكبوتية مما يسهم في ترويج المادة المقدمة **(**وفي مشروعنا حفظ التراث والترويج له من خلال وضعه في الشبكة العنكبوتية**)**.

وبالرغم من هذه المميزات إلا أنه تشير بعض الدراسات بعدم الثقة الكاملة في المعلومات المنشورة في تطبيقات التأليف الحر باعتبارها مصادر حرة غير موثوقة تسمح لأي شخص بالتأليف والإضافة والتحرير لمحتوياتها مما يصعّد من احتمالات نشر معلومات خاطئة. لككنا في مشروعنا هذا نرى في استعمال الويكي وسيلة ناجعة من أجل جمع المعلومات من مختلف المصادر المجتمعية خاصة إذا تعلق الأمر بدلالات الأسماء والألقاب والكنى والأماكن التي يصعب جمعها والتعريف بدلالاتها دون الرجوع لأفراد المجتمع الذين يسكنونها ويتعايشون معها. غير أننا في مجال البحث العلمي وهو المجال الذي يعنى بالبحث والتدقيق عبر التأصيل للمعلومة. نرى ضرورة وجود باحثين مختصين في هذا المجال يرافقون البوابة في عملية التدقيق والتمحيص وربط المعلومات الواردة إليها بمصادرها المكتوبة أو الشفوية.

تثبيت وتصميم الموسوعة ألنوماستكية الطوبونيمية الجزائرية:

في البداية أود أن أنوّه، بضرورة فصل موسوعة الأسماء والألقاب والكنى، عن موسوعة الأماكن، لاختلافهما وضرورة العمل على حصر كل واحدة منهما في موسوعة لوحدها. غير أننا في هذه المداخلة قمنا بجمعهما في موسوعة واحدة، من أجل الإلمام بموضوع الملتقى.



الْمَوْسُوعَةُ النُّومَاسْتِكِيَّةُ الطُّوبُونِيمِيَّةُ الجَزَائِرِيَّة



العربية - Français - English

الصفحة الرئيسية للموسوعة النوماستكية الطوبونيمية الجزائرية

بعد تثبيت الموسوعة النوماستكية الطوبونيمية الجزائرية بواسطة تطبيق الميـديا ويكي، قمنا بإضافة صفحة رئيسية خارجية ستكون هي الصفحة الرئيسية للموقع أو الموسوعة. وكما نلاحظ فقد اعتمدنا ثلاث لغات نراها أساسية في المجتمع، وهـي العربية، الانجليزية، والفرنسية. وذلك لإتاحة الفرصة أمام كافة أطيـاف المجتمـع والتعبير بمختلف اللغات. وبعد الضغط على إحدى اللغات والتـي سـنختار منهـا العربية فسوف ندخل مباشرة إلى الموسوعة:

غير مسجل للدخول نقاش مساهمات إنشاء حساب دخول

الصفحة الرئيسية نقاش اقرأ عدل التاريخ ابحث في الموسوعة النوماستكية الطوبونيمية الجزائرية

الصفحة الرئيسية

مَرْحَبًا بِكُمْ فِي المَوْسُوعَةِ النُّومَاسْتِكِيَّةِ الطُّوبُونِيمِيَّةِ الجَزَائِرِيَّة

مراعاة للتحوّلات العالمية التي تزحف بوتيرة سريعة، يستقطب البحث في الخصوصية الاجتماعية والثقافيّة للمجتمع الجزائريّ لاستكناه ملامح وحدته في مجتمع المعرفة الذي غدا شبحا مخيفا يهدّد الثّقافات، اللغات والهويات.

ويأتي الاهتمام بمجال التّسمية كونها أكبر الحصون المانعة من تلاشي شخصيتنا المتميزة إنسانا ومكانا. فتكتسي الدراسات في البحث عن دواعي تسمية أعلام الأشخاص وأعلام الأماكن أهمية كبيرة في مجال التّأصيل اللّغوي لأسماء الأشخاص / الأماكن، وعلاقتها الوثيقة بالضمير الجمعي للمجتمع الجزائري، وفي سياق الدعوة الجماعية للمجتمع الجزائري لتلحيم نسيجه بإسمنت ملامح وحدته المنبثقة أساسا من تسمية الأفراد، وعلاقة تلك التّسمية بالمكان المعتز عنهما في الدراسات الأكاديميّة عن الأولى بالأنوماستيك/ الطوبونيمية/ الأماكنيّة/ الموقعيّة فمن المسترعي للنظر هو مدى ارتباط الفرد الجزائريّ بمجتمعه، وارتباطه بالمكان، منذ وجوده.

ومن هذا التلازم الوجودي للمجتمع الجزائري الذي يمتزج بكينونته عبر العصور يأتي موضوع الملتقى الوطني للدعوة إلى البحث في علم التّسمية بغية الوصول إلى دعم أواصر الوحدة بين أفراد المجتمع الجزائري.

واستجابة لتحيّين مقوماتنا الدّينيّة والاجتماعيّة واللّغويّة والحضاريّة يستدعى البحث في علم التّسمية الإنسانية والمكانية في الجزائر لمواجهة تمظهرات العولمة التي تسّم مجتمع المعرفة الذي نعيش إرهاصاته.

استشر دليل المستخدم لمعلومات حول استخدام برنامج الويكي.

الصفحة الرئيسية
أحدث التغييرات
صفحة عشوائية
مساعدة

أدوات

ماذا يصل هنا
تغييرات ذات علاقة
الصفحات الخاصة
نسخة للطباعة
رابط دائم
معلومات عن هذه الصفحة

الموسوعة كما نلاحظ -في الصورة المقتبسة من الموقع المشغل على خادم محلي- هي تشبه إلى حد كبير مواقع الويكي، وذلك كي يتمكن المستخدم البسيط من استعماله بكل يسر وسهولة، لأنه قد يكون تعود على التحرير في مواقع الويكي العالمية المختلفة. كما أن الموقع يعتمد على نفس التقنيات والخصائص التي يعتمدها موقع ويكيبيديا الشهير. فهو ينطلق من صفحة رئيسية تعرّف بالمشروع الذي أنشئت من أجله الموسوعة. وتتيح للمستخدم المشاركة فيها عبر الإضافة أو تعديل المحتوى. كما تظهر له النقاشات التي قد تدور حول موضوع الصفحة. بالإضافة إلى وجود روابط مهمة قد تساعد المستخدمين على استعمال منصة الويكي.

وإذا ما أراد المستخدم البحث عن معلومة ما في الموسوعة، فسوف يقوم بالبحث عنها في الإطار المخصص للبحث. فإن وجدت يمكن له الاطلاع على محتواها، كما يمكن التعديل على الصفحة بالإضافة أو الحذف وتطويرها، دون أن يؤدي ذلك إلى ضرر بالصفحة الأصلية، ودون فقدان للمعلومات السابقة، حيث تحفظ جميع المعلومات المدونة في الصفحة مع جميع التعديلات التي قد يقترحها المستخدمون. وفي حال عدم وجود الصفحة التي تشير إلى المكان أو اسم العلم، فإن المنصة تتيح لك إنشاء صفحة جديدة. كما أنها تدلك على الصفحات التي بها الكلمة المفتاحية للبحث وذلك بغرض الاطلاع أو لربط الصفحات مع بعضها البعض.

صفحة خاصة
نتائج البحث
الجزائر
ابحث
صفحات المحتوى الوسائط المتعددة الكل متقدم
أنشئ الصفحة "الجزائر" في هذه الويكي. انظر أيضا نتائج البحث.
الصفحة الرئيسية
٣ كيلوبايت (٤٣ كلمة) - ٢٠:٠٨، ١٤ أكتوبر ٢٠١٨
مرحبا بكم في الموسوعة ألنوماستكية الطوبونيمية الجزائرية
٢ كيلوبايت (لا كلمات) - ١١:٢٣، ٣٠ أغسطس ٢٠١٨

طريقة البحث في الموسوعة مع امكانية إضافة الصفحات وربطها

إن نظام الويكي في مجمله يتيح للمستخدمين الإضافة أو تعديل المحتوى دون الحاجة إلى إنشاء حساب خاص أو تسجيل الدخول، وذلك قصد تسهيل وتشجيع الإسهام في الموقع. غير أن المديرين والمحققين والإداريين هم ملزمون بإنشاء حسابات خاصة تمكنهم من أداء مهامهم في حماية كاملة وبصورة مكشوفة ومعلومة وفق الأطر التي يسطرها مدير المنصة والمشرف عليها. كما أن المستخدمين الفاعلين في المنصة يمكن لهم إنشاء حساب يستعمل للدلالة على أعمالهم ومجهوداتهم التي يبذلونها من أجل تطوير المنصة.

صفحة خاصة

ابحث في الموسوعة

أنشئ حسابا

اسم المستخدم
أدخل اسم المستخدم الخاص بك
كلمة السر
أدخل كلمة السر
أكد كلمة السر
أدخل كلمة المرور مرة أخرى
البريد الإلكتروني (اختياري)
أدخل عنوان بريدك الإلكتروني
الاسم الحقيقي (اختياري)

الاسم الحقيقي اختياري. لو اخترت أن توفره، فسيستخدم في الإشارة إلى عملك.
لحماية الويكي ضد إنشاء الحسابات الأوتوماتيكي، من فضلك حل المهمة التالية بالأسفل وأدخل الإجابة في الصندوق (مزيد من المعلومات):
67−10 =

الموسوعة ألنوماستكية الطوبونيمية الجزائرية موقع يساهم فيه أشخاص مثلك.

٢٧
تحريرات
٠
صفحة
٠
آخر مساهم

غير مسجل للدخول نقاش مساهمات إنشاء حساب دخول

الصفحة الرئيسية نقاش اقرأ عدل التاريخ ابحث في الموسوعة ألنوماستكية الطوبونيمية الجزائرية

تعديل الصفحة الرئيسية

تحذير: أنت غير مسجل الدخول. عنوان الأيبي الخاص بك سيكون معروضا بشكل علني لو قمت بأي تعديلات. لو أنك **سجلت الدخول** أو **أنشأت حسابا**، فتعديلاتك ستنسب لاسم المستخدم الخاص بك، بالإضافة إلى فوائد أخرى.

مراعاة للتحوّلات العالمية التي تزحف بوتيرة سريعة، يستقطب البحث في الخصوصية الاجتماعية والثقافيّة للمجتمع الجزائريّ لاستكناه ملامح وحدته في مجتمع المعرفة الذي غدا شبحا مخيفا يهدّد الثّقافات، اللغات والهويات.

ويأتي الاهتمام بمجال التّسمية كونها أكبر الحصون المانعة من تلاشي شخصيتنا المتميزة إنسانا ومكانا، فتكتسي الدراسات في البحث عن دواعي تسمية أعلام الأشخاص وأعلام الأماكن أهمية كبيرة في مجال التّأصيل اللغوي لأسماء الأشخاص / الأماكن، وعلاقتها الوثيقة بالضمير الجمعي للمجتمع الجزائري، وفي سياق الدعوة الجماعية للمجتمع الجزائري لتلحيم نسيجه بإسمنت ملامح وحدته المنبثقة أساسا من تسمية الأفراد، وعلاقة تلك التّسمية بالمكان المعبّر عنهما في الدراسات الأكاديميّة عن الأولى بالأنوماستيك/ الطوبونيمية/ الأماكنيّة/ الموقعيّة فمن المسترعي للنظر هو مدى ارتباط الفرد الجزائريّ بمجتمعه، وارتباطه بالمكان، منذ وجوده.

ومن هذا التلازم الوجودي للمجتمع الجزائري الذي يمتزج بكينونته عبر العصور يأتي موضوع الملتقى الوطني للدعوة إلى البحث في علم التّسمية بغية الوصول إلى دعم أواصر الوحدة بين أفراد المجتمع الجزائري.

واستجابة لتحيين مقوماتنا الدّينيّة والاجتماعيّة واللّغويّة والحضاريّة يستدعي البحث في علم التّسمية الإنسانية والمكانية في الجزائر لمواجهة تمظهرات العولمة التي تسم مجتمع المعرفة الذي نعيش إرهاصاته.

استشر [https://meta.wikimedia.org/wiki/Help:Contents دليل المستخدم] لمعلومات حول استخدام برنامج الويكي.

[[ملف:http://localhost/wikitoa/images/wiki.png]]== البداية ==

واجهة تحرير صفحة في الموسوعة

إن إنشاء الصفحات أو التعديل عليها في منصة الويكي تتيح للمستخدم السهولة التامة في عملية التحرير. باعتبارها تقدم لك نافذة بسيطة تحتوي على الأدوات اللازمة في عملية التحرير وإضافة الصور والروابط وغيرها دون الحاجة إلى معرفة قواعد لغات البرمجة المختلفة كـ (PHP – Html– JavaScript...).

أما فيما يخص إدارة المنصة فإن نظام الويكي يتيح للمديرين التحكم التام في الموقع فيقدم له التقارير المختلفة للصيانة من خلال الاطلاع على الصفحات وتواريخ إنشائها والتعديلات المدرجة فيها، والصفحات المعزولة والطويلة والقصيرة... وغيرها من التقارير التي تسمح للمديرين من متابعة كل ما يحدث في المنصة.

صفحة خاصة
ابحث في الموسوعة ألوماستكية الطوبوتيمية الجزائرية

الصفحات الخاصة
مساعدة

تقارير الصيانة

- أقدم الصفحات
- الصفحات ذات أقل تعديل
- تحويلات مزدوجة
- تحويلات مكسورة
- تصنيفات غير مستخدمة
- تصنيفات غير مصنفة
- تصنيفات مطلوبة
- صفحات بدون وصلات لغات أخرى
- صفحات طويلة
- **صفحات غير مراقبة**
- صفحات غير مصنفة
- صفحات قصيرة
- صفحات محمية
- صفحات مطلوبة
- صفحات نهاية مسدودة
- صفحات يتيمة
- عناوين محمية
- قوالب غير مستخدمة
- قوالب غير مصنفة
- قوالب مطلوبة
- ملفات غير مستخدمة
- ملفات غير مصنفة
- ملفات مطلوبة

قوائم الصفحات

- بحث
- تصانيف التتبع
- تصنيفات
- صفحات مع خاصية الصفحة
- عرض التحويلات
- كل الصفحات
- كل الصفحات بالبادئة

دخول / إنشاء حساب

إدارة الموسوعة

خاتمة:

إن هويتنا هي عنواننا وهي مصدر فخر واعتزاز لنا وهي الداعي الأساسي لبقائنا في عالم لم يعد يعترف بالهويات ولا بالخصوصيات، وإنما يجنح إلى العولمة الكاسحة لكل الخصوصيات الثقافية والاجتماعية للشعوب.

ولأننا أمة لها تاريخها ولها حضارتها التي تأسست وتكونت وترعرعت عبر مختلف الأزمنة والعصور من خلال الإنسان والمكان فإنه من الواجب أن ندخل غمار التكنولوجيا الحديثة من أجل استغلالها الاستغلال الأمثل في جمع تراثنا وتدوينه بغية الحفاظ على هويتنا وعلى خصوصياتنا و تمكين المجتمع من الاطلاع عليه من أجل إبراز ذلك الجانب التاريخي والحضاري الذي يميز المجتمع الجزائري.

وإيماناً منا بأن دراسة هكذا مشاريع لا يجب أن تكون بمعزل عن المجتمع فإننا اخترنا تقنية الويكي التي تتيح لكافة أطياف المجتمع من المشاركة في هذا المشروع الطموح الذي نتمنى من الله عز وجل أن يوفق القائمين عليه وأن يبلغوا مقاصدهم الرامية حتماً إلى خدمة المجتمع الجزائري والحفاظ على هويته. وأن يكونوا حلقة وصل بين مجتمع تقليدي كوّن ذلك التراث وحافظ عليه، وبين مجتمع حديث طغت عليه التكنولوجيا وتقنياتها الباهرة.

الهوامش:

---

(1) عادل فريجات، الملتقى الدولي "اللغة والعولمة" جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، ماي 2012، نقلاً عن مقال الأولوية ترقية اللغة العربية من لغة الأدب إلى لغة العلوم والتقنية وإنشاء بنك مصطلحي، موقع جريدة التحرير الجزائرية،

www.altahrironline.com/ara/?p=195270

(2) عزام محمد الجويلي، جميل خليل محمد، عيسى موسى أبو شيخة، الإعلام الدولي، ط1، دار المعتز للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2015، ص274.

(3) Harinarayana, N.S. and Raju, N.Vasantha. "Web 2.0 features in university library website" The Electronic Library 28.1 (2010) P77.

(4) Kajewski, Mary Ann. "Emerging technologies changing our service delivery models" The Electronic Library 25.4 (2007) P22.

[5] ياتشيا بنكلر، ثروة الشبكات: كيف يغير الإنتاج الاجتماعي الأسواق والحرية، تر: فريج سعيد العويضي، مكتبة العبيكان، الرياض السعودية ط1، 2012، ص294-295

[6] ينظر: خليفة، محمود عبد الستار. ورشة عمل خدمات المعلومات في البيئة الرقمية : ويب 2.0 ، مكتبات 2.0 . مسقط : جمعية المكتبات العمانية، 2008م.

[7] ياتشيا بنكلر، ثروة الشبكات: كيف يغير الإنتاج الاجتماعي الأسواق والحرية، تر: فريج سعيد العويضي، مكتبة العبيكان، الرياض السعودية ط1، 2012، ص295

تقرير الورشة العلميّة الأولى

يسعدني في البداية أن ارحّب بكم جميعا في هذا المرفأ الذي رست عليه سفينة المجلس الأعلى للّغة العربية بقيادة البروفيسور صالح بلعيد، فمرحبا بكم.

انعقدت أشغال الورشة العلميّة الأوّلى من فعاليات الملتقى الوطني الموسوم: " ملامح وحدة المجتمع الجزائري من خلال الواقع اللّغوي الأنوماستيكي الطوبونوميّ في مجتمع المعرفة" المنعقدة بالمكتبة الوطنيّة الجزائريّة، الحامّة، على السّاعة العاشرة صباحا، ودامت إلى غاية السّاعة الواحدة زوالا، بتاريخ 26 صفر عام 1440ه الموافق لـ 04 نوفمبر سنة 2018، برئاسة الأستاذ عبد الله روينة والمقرّرة الأستاذة سناء رمضاني.

تشكلت الورشة من الأساتذة الآتية أسماؤهم:

1. الدكتور: حاج محمّد الحبيب؛ مركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللّغة العربية، وحدة تلمسان؛
2. الأستاذ: خُليف مهديد، مركز الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران؛
3. الأستاذة: مجاهدي فايزة نيابة عن الاستاذة زينب بوتشيش؛ جامعة تلمسان؛
4. الدكتوراة: سمية بن اسعيدي، جامعة الأغواط؛
5. الدكتوراة: علجية مزواري، جامعة البويرة؛
6. الدكتور: عمر بن عيشوش، جامعة الجزائر1؛
7. الدكتورة: فاطمة الزهراء زرقوق، جامعة معسكر؛
8. الأستاذة: نور الهدى بن لخضر، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان؛
9. الدكتورة: ليندة مونسي، جامعة بجاية.

افتتح الورشة العلمية رئيس الورشة الأستاذ عبد الله روينة، مرحبا بالأساتذة المشاركين، ومُوضحا الكيفية التي يتمّ بموجبها إلقاء المداخلات، ووفق ذلك جرت أشغال هذه الورشة التي نلخصها فيما يلي:

أوّلى المداخلات انطلقت من جرائم فرنسا الشنعاء في حق أسماء وكُنيّ الشعب الجزائري من أجل طمس مقوماته: الإسلام، اللّغة العربية، العادات والتقاليد وحتى

الكنى والالقاب العائلية للجزائريين لم تسلم من ذلك، حيث أُجبرت الأسر الجزائرية على حمل ألقاب قبيحة لم يختاروها هم، ولا آباؤهم، بل فرضت عليهم فرضا.

كما تم التركيز على المرجعيات المتحكمة في تسمية الأشخاص، من ايديولوجيات وأفكار وطوابع ثقافية واجتماعية وغيرها، رسخت في المجال الجمعيّ، الذي يكسو مجالات الحياة كلها وكيف تؤثر اللهجات المحلية على تسمية الأماكن، في سياق المزاوجة بين متغير اللهجات من جهة، وثوابت جغرافية المكان من جهة أخرى.

كما تم التطرق لعلاقة الطوبونيمية مع التنمية المستدامة وما ينجر عنها بسبب الانحراف الاسمكاني سواء كان كليّا أم جزئيّا، وتأثير الاسم على المكان، لتأكيد الصّلة بين المكان الجغرافي وخصوصيته التاريخية الضاربة في أعماق الزمن.

وبعد نقاش ثريّ ومثمر خلصت البحوث المقدمة، للتوصيات التي يمكن إيرادها في هذا السياق كما يلي:

- إقحام دلالة الموقع الاستراتيجي إلى جانب اللساني اللّغوي في أسباب التسميّة والتأصيل لها؛

- إعادة النظر في المفاهيم، وعدم تمييع مجال الانوماستيكي؛

- تحفيز الباحثين على الغوص أكثر في أصول التسميات، وتدوين الروايات الشفوية مع تثمين الجهود الفردية والجماعية للمشتغلين عليها؛

- انشاء معاجم طوبونيمية وأطالس لغوية اماكنية تحتوي على أهم المواقع الجزائرية وانشاء قاعدة بيانات خرائطية شاملة؛

- التركيز على أهمية الدراسة الطوبونيمية في البحوث العلميّة الحديثة وكذلك إشراك الدراسات التاريخية في مجال الدراسات اللغوية وربط المفاهيم مع بعضها البعض.

تلك هي خلاصة أعمال الورشة الأوّلى للملتقى المذكور، وختاما، سيدي الرئيس، أيتها الوجوه الطيبة الكريمة، السيّدات والسادة الحضور الأفاضل والأساتذة الكرام، شكرا لكم على لطفكم وحسن استماعكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

تقرير الورشة العلميّة الثّانيّة:

في إطار برنامج الملتقى الوطني الموسوم (ملامح وحدة المجتمع الجزائري من خلال الواقع اللّغوي الأنوماستيكي الطوبونيمي في مجتمع المعرفة) المنعقد يـومي 04 و05 نوفمبر 2018 الموافق لـ: 26 صفر 1440 بالمكتبة الوطنيّة الحامّـة وابتداءً من السّاعة العاشرة صباحا من اليوم الثاني لفعاليات الملتقى تمّ عقد ورشـة علميّة برئاسة الأستاذ: عبد الرزّاق بلغيث، والأستاذة: سهام عبد الحفيظ وبمشاركة الأساتذة الآتية أسماؤهم:

أ/ محمّد بوعزي.

د/ يوسف وسطاني.

د/ محمد مدور.

د/ محمد كنتاوي.

د/ نصيرة شيادي.

د/ هاجر مربوح.

د/ سارة هديّة.

أ/ نور الدّين نعيجة.

وبعد عرض الأساتذة الباحثين لمداخلاتهم خـرج المشـاركون فـي الورشـة بمجموعة من التوصيات التي حرصوا على تدوينها من أجل العمل بها وتجسـيدها على أرض الواقع منها:

1_ الأخذ بمبدأ التحقيق اللّغوي لكل المستحدثات في مجال التّنمية البشريّة والمكانيّة؛

2_ ضرورة الاعتماد على المنطلقات اللّسانيّة (نظام اللّغة المتواضـع عليهـا) كضابط لإطلاق أعلام الأشخاص خاصة لتوحيـد الاسـتعمال وتأصـيل الصّـيغ الموظّفة اعتمادا على الأصوات العربيّة وصيغها الصّرفيّة وقوانينها النّحويّة؛

3_ حثّ الجامعة على تخصيص دكتوراه في التدقيق اللّغوي؛

4_ العمل على وضع معجم طوبونيمي يجمع ملامح الوحدة الجزائريّة؛

5_ انجاز موسوعة انوماستيكيّة طوبونيميّة جزائريّة؛

6_ وضع خرائط طوبونيميّة تفاعليّة تتناول مواقع النّظم اللّغويّة في الجزائر؛

7_ الاستعانة بالعلوم الجديدة مثل علم الاجتماع اللّغوي لمعالجة الاشكاليّات الانوماستيكيّة الطوبونيميّة.

هذا ويشيد المشاركون بحسن اختيار المجلس الأعلى للّغة العربيّة لهذا الموضوع الجاد، الّذي يتماشى مع الوقت الرّاهن، ويعكس قدرة اللّغة العربيّة على مواكبة التّطوّر والاستجابة لمقتضيات العصر.

والسّلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته

Toponymie péjorative et toponymie discriminatoire: état des lieux en Algérie

Dr Souad BOUHDJAR Université de Saida
P. Anouar BEN CHOUK Unité de rechrche Tlemcen

La toponymie algérienne, est au carrefour de plusieurs sciences. Sa formation est tributaire de sa nature géographique, historique, sociologique, ethnographique et linguistique. Plusieurs particularités caractérisent cette toponymie au-delà de sa formation. Notre recherche s'inscrit, dans un premier temps, dans la recherche en toponymie descriptive sur un axe diachronique. Une collecte de données se fera ensuite pour analyser la nature des toponymes. Avant l'occupation française, la dénomination des lieux se faisait par la dénomination des territoires car le système des noms était organisé en grandes confédérations tribales. Le système des noms en Algérie était à dominante ethnonymique. Cette opération a continué par la création de nouveaux territoires en nommant de manière officielle les rues, les boulevards, les quartiers, en attribuant des noms de martyrs ou de combattants algériens, tout en adoptant une politique d'arabisation suite à l'application du décret 81 -27 du 7 mars 1981 portant établissement d'un lexique national des noms de villes, de villages et autres lieux. Le même décret établira également un lexique des prénoms, pendant que le décret 81.23 du 7 mars 1981 fixera la transcription des noms patronymiques. Or, cette disposition n'a pas empêché une anarchie dans le paysage toponymique en Algérie, où la nomination des noms dépendait de l'usage populaire. Une pratique commune à tous les Algériens et dans toutes les régions du pays. Certaines dénominations portent préjudice à l'espace toponymique et à toutes les pratiques car certains noms ne sont pas appropriés à l'usage vu qu'ils soient banaux sans importance, ou bien de mauvais goût et ne répondent pas au contexte et à la morale. Dans notre communication, on tentera de décrire le paysage toponymique à travers la collecte des données directe en mettant en exergue cette

configuration qui ne répond pas à la politique linguistique et voir comment on peut y remédier.

La première particularité qui nous a interpelée est celle des doublons toponymiques et leur importance dans la répartition géographique en Algérie.

1. Doublets ou doublons toponymiques

On définit le doublon toponymique ou doublet comme un "*mot qui, dans le domaine de la toponymie, désigne l'existence de deux ou plusieurs entités géographiques portant le même nom*"[(1)]. Pour le recensement de ces doublons, notre recherche s'est effectuée par une prospection sur le site officiel d'Algérie par villes, Daïras et communes. Pour affiner notre recherche, nous avons prospecté la page des codes postaux [(2)] et nous nous sommes aussi référés à des contributions de chercheurs et de spécialistes .Nous avons noté et expliqué les exemples suivants:

Aïn El Hadjar est une commune de la wilaya de Saïda en Algérie.[(3)]

Aïn El Hadjar (anciennement Aboutville lors de la colonisation) est une commune située dans la wilaya de Bouira en Algérie[(4)].

Aïn El Hadjar une localité dans la wilaya de Tlemcen. Ce toponyme dispose de trois doublons sur tout le territoire algérien.

Aïn Soltane est une commune de la wilaya de Aïn Defla (Algérie).

Aïn Soltane est une commune de la wilaya de Souk Ahras en Algérie, située à environ 75 km au sud-ouest de Souk Ahras et à 55 km au sud de Guelma.

Aïn Soltane [(5)]est une commune de la wilaya de Saïda en Algérie.

Aïn Soltane, localité du gouvernorat de Jendouba

Aïn Soltane, commune de la wilaya d'Aïn Defla. Ce toponyme se retrouve avec cinq doublons en Algérie.

Ibn Badis (anciennement El Haria) est une commune de la wilaya de Constantine en référence à Albelhamid Ben Badis.

Ben Badis est une commune de la wilaya de Sidi Bel Abbès .La commune a été baptisée du nom de l'ouléma algérien cité plus haut.

Mansourah est un toponyme que nous retrouvons dans plusieurs villes en Algérie avec une orthographe légèrement différente mais aussi en Egypte et en Tunisie

- Mansoura, daïra de la wilaya de Bordj Bou Arreridj
- Mansoura, daïra de la wilaya de Ghardaïa
- Mansoura, commune de la wilaya de Bordj Bou Arreridj
- Mansoura, commune de la wilaya de Ghardaïa
- Mansourah, commune de la wilaya de Mostaganem
- Mansourah, commune de la wilaya de Tlemcen
- Mansourah, est aussi un odonyme, il prend le nom d'un quartier à Constantine. Ce toponyme se retrouve dans plusieurs villes en Algérie en guise de commune, de Daïra ou en odonyme.

En Egypte: Mansourah, ville, chef-lieu du gouvernorat de Dakhalieh et site en 1250 de la Bataille de Mansourah

En Tunisie: doublon avec le toponyme algérien mais aussi en Tunisie

- Mansoura, petit village tunisien proche d'Essouassi
- El Mansoura, petit village tunisien proche de Kélibia

Certains oronymes sont aussi des doublons

- Elkharouba à Mostaganem, quartier El Kherrouba
- Kharouba à Alger, (caroubier) il s'agit d'une gare routière

On retrouve aussi des génériques qui sont des noms de lieux et qui expriment un relief, le cas de :

- Tizi[6] qui peut désigner un générique dans un nom de lieu dans Tizi Ouzo, ou un nom de lieu dans Tizi à Tlemcen, Tizi à Mascara,
- Sef saf ou Safséf en référence aux arbres peupliers qui bordent certains lieux à Tlemcen, à Mostaganem,
- Safsaf est aussi le nom d'une localité de Meftah une commune qui se trouve à Blida

En langue berbère on peut trouver plusieurs exemples : Aïn Tifrit, Oued Tifran, Tifra, Tafraoui, etc... Ghar-Ifri. Aurir et Taurirt, pluriel Tutarin « colline, montagne peu élevée » est un terme fréquent dans la nomenclature toponymique algérienne:Taourirt, Taourirt Amokrane pour meqqorel « la grande colline »,Taourirt-Ighlil « la colline du bras».Tifrit ou Mchettet Meh:

ce sont des cascades qui se trouvent à Saïda sur la route de Balloul. Chetouane est une commune qui se trouve à Tlemcen et Chetouane est aussi une commune de Ben Badis à Sidi Bel Abbès(Algérie).

2. Hybridation en toponymie

La deuxième particularité observée dans le paysage toponymique en Algérie est l'hybridation. Le terme hybride dans son acception linguistique a été utilisé pour la première fois par Vaugelas qui, en soumettant à l'examen normatif les expressions au préalable, fait la remarque suivante :

«[…] ils [ces mots] avaient quelque chose de monstrueux en ce qu'ils étaient moitié latins et moitié français, quoiqu'en toutes les langues il y ait beaucoup de mots hybrides […] ou métis […]» (7)*. On le définit comme " Phénomène par lequel des mots de langues différentes sont combinés dans un même toponyme*".(8)

Ce phénomène est observé dans plusieurs toponymes, car le contact de langues dans le monde ne peut épargner cette partie de la linguistique surtout dans des contextes plurilingues comme c'est le cas en Algérie.

Cas de toponymie hybride : Arabe - berbère.

Nous avons enregistré les exemples suivants :

Ain T'émouchent est une ville de l'Ouest d'Algérie dont le toponyme est composé d'un générique Ain et d'un spécifique Témouchent. Le lieu tire son nom de l'arabe Ain « source », et du berbère Témououchent « la chacale (femelle) », ce qui donne «la Source du chacal » .En latin, on l'appelait Albulae, mais son nom ancien, avant l'occupation romaine, était Sufat (origine Phénicienne). La "ville" fut créée en l'an 119 sous le règne de l'empereur romain Hadrien (création d'un poste militaire du nom de Proesidium-Sufative sur ordre du procurateur Seius Avitus.

Aïn Titaouine(9) : est un hydronyme composé de deux vocables dont le premier Ain est en langue arabe qui désigne source et le deuxième est en langue berbère, qui signifie les sources au pluriel. Il s'agit aussi d'un cas de tautologie où les vocables, le premier et le deuxième, ont le même sens.

Aïn Titaouine: Ce nom est composé du vocable arabe ain et du nom berbère titaouine (formé à partir de la racine tit et du diminutif ouine) qui veut dire source.[10], sur la même racine les noms suivants sont composés : Oued Timatite, Chabet; Tilliouine.

Les langues des toponymes hybrides les plus répandues sont surtout dans les deux langues en contact, la langue berbère et la langue arabe. Ces deux langues du pays ont le plus composé pour former des toponymes hybrides. Notre recherche n'a pas été fructueuse quant à ce phénomène pour les autres langues. Pour la langue turque et la langue arabe, nous avons surtout noté un métissage entre des anthroponymes turcs des génériques dans la langue arabe.

3. Déformation des toponymes

La déformation dans la toponymie a touché plusieurs toponymes à travers le monde. A cet effet, nous citons ceux qui ont affecté Dahomey de d'ouganda aux deux Congo.

Ces noms ne sont pas purement africains ou purement locaux. Dahomey est la déformation française du nom fon Danhomè, ouganda est l'appellation en kiswahili et non luganda du royaume du Buganda Congoest l'européanisation du thème ethnique –kongo- conservé par les anthropologues et par orthographe officielle kikongo[11]

Quelques toponymes algériens ont aussi connu le même sort. Certains ont subi des déformations au niveau phonétique et lexical. Ce constat s'explique par les nombreuses occupations connues par le pays. Nous les avons décrites largement: ce qui a engendré des couches toponymiques dont certains toponymes ne sont plus reconnus dans leurs formes d'origine. On pourrait même faire le constat que certains qui se sont agglutinés quand il est question de toponymes composés.

"Clos Salambier devrait retrouver son origine, Salem-Bey tout comme sa commune voisine Hussein-Dey.

Télémly doit revenir à ses origines Talamela source ou fontaine d'eau claire ou limpide."[12] Certains sont d'usage populaire et hérités du colonialisme. Les utilisateurs de certains toponymes de l'époque coloniale, quelles que soient les motivations et l'intention de ces